

تراثنا

صنعة الإنشاء

في
صناعة الإنشاء

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشندي

١٥٨٢١ هـ - ١١٤١٨ م

الجزء الحادي عشر

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيبة

تصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



تراثنا

صنعة الإنشائية

في

صناعة الإنشائية

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشندي

١٨٤١ هـ - ١٤١٨ م



الجزء الحادي عشر

نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية
ومشيلة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية

مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والتراث القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

لفصل الثانى - من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من

الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أطراف ٥

بالطرف الأول - فى مصطلح كتاب الشرق ٥

الطرف الثانى - فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من

الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أضرب ٦

الضرب الأول - ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦

الضرب الثانى - ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام. ٢١

الضرب الثالث - ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ٢٦

الطرف الثالث - فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء

الفاطميين وفيما بعدهم ٢٨

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء

الدولة الطولونية ٢٨

الحالة الثانية - ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم

إلى انقراض الدولة الأخشيدية ٢٩

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ٣٢

الحالة الرابعة - مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات

ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار

المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف

والأقلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم، والتفاويض،

لوالواقع، وفيه ثلاثة مقاصد ٧٢

- صفحة
- المقصد الأول - فى مقدمات هذه الولايات، وفيه مبعان ... ٧٢
- المهبع الأول - فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى ٧٢
- المهبع الثانى - فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات ٧٤
- المقصد الثانى - فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات، وفيه جتان ١٠١
- الجملة الأولى - فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها] ٤
- وهى على أربعة أنواع ... ١٠١
- النوع الأول - التقاليد ... ١٠١
- النوع الثانى - المراسيم، وفيه ضربان ... ١٠٧
- الضرب الأول - المراسيم المكبرة ... ١٠٧
- الضرب الثانى - المراسيم المصغرة ... ١١١
- النوع الثالث - التفاويض ... ١١٢
- النوع الرابع - التواقيع، وهى على أربع طبقات ... ١١٤
- المقصد الثالث - فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق ١٢٧
- فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة
- والتفاويض والتواقيع، وهى على ثلاثة أقسام ... ١٣٣
- القسم الأول - ولايات وظائف الديار المصرية، وهى على نوعين ... ١٣٤
- النوع الأول - الولايات بالحضرة، وهى على ستة أضرب ... ١٣٤
- الضرب الأول - ولايات أرباب السيوف، وهى على طبقتين ... ١٣٤
- الطبقة الأولى - ذوات التقاليد، وهى ثلاث وظائف ... ١٣٤

الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة	١٣٤
الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف	١٤٨
الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كاتبها ولم يعهد بها	
كتابة في الزمن القديم	١٥٣
الطبقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع،	
وفيها وظائف	١٥٦
الوظيفة الأولى — نظر البيارستان لصاحب سيف	١٥٦
الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني	١٥٩
الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف	١٦٢
الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب	
الوظائف الدينية، وهو على طبقتين	١٧٤
الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالی	١٧٤
الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع،	
وتشتمل على مراتب	٢٠٤
المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف	٢٠٤
المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشتمل على وظائف	٢٠٤
المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير	
مفتحا برُسم بالأمر الشريف	٢٦٨

مهرجى الجسزء الحادى عشر

صفحة

الضرب الثالث - من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية

الوظائف الديوانية، وهى على طبقتين ٢٧٠

الطبقة الأولى - أرباب التقاليد ممن يكتب له الجنب العالى،

وفىها وظيفتان ٢٧٠

الطبقة الثانية - من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية

أصحاب التواقيع، وهم على ثلاث درجات ٣١٦

الدرجة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف، وتشمل على ثلاث وظائف ٣١٦

الدرجة الثانية - ما يكتب فى قطع الثلث، وتشمل على وظائف ٣٣٣

الدرجة الثالثة - ما يكتب فى قطع العادة، وفى وظائف ٣٥١

الضرب الرابع - من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة

الخواتق، وكلها يكتب بها توتيع ٢٧٠

الضرب الخامس - من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة

أرباب الوظائف العادية، وكلها تواقيع ٢٧٧

الضرب السادس - من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل

الذمة ٢٨٥

أنسوع الثانى - ما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف

الديار المصرية مما يكتب لأربابها، وهى ثلاث

جهات ٤٠٥

صفحة	
٤٠٥	الجهة الأولى - نقر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف
٤٠٥	الصف الأول - وظائف أرباب السيوف
٤٠٨	الصف الثاني - الوظائف الدينية
٤١٩	الصف الثالث - الوظائف الديوانية ، وهي على طفتين
٤١٩	الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامح بالياء
	الطبقة الثانية - من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامح بغير ياء
٤٢٣	أو مجلس القاضي
	الجهة الثانية - مما هو خارج عن حضرتي مصر والقاهرة بالديار
٤٢٦	المصرية بلاد الريف ، وهي وجهان
٤٢٦	الوجه الأول - الوجه القبلي ، وهو المعبر عنه بالصعيد
٤٣٨	الوجه الثاني - من وجهي الديار المصرية البحري ، وهو الشمال
٤٤٢	الجهة الثالثة - درب الجواز الشريف

(تم فهرس الجزء الحادي عشر من كتاب صبح الأعشى)

صنعة الأبرار

الجزء الحادى عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني^(١)

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فيما يُكْتَب من الِوَالِيَّاتِ عن الملوِك ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطَّرْفُ الأوَّل

(في مصطلح كُتِّبَ الشَّرْق)

قد تقدّم في الكلام على ما كانت يُكْتَبُ عن الخلفاء أنّ الِوَالِيَّاتِ في الخلافة العباسية ببغداد كانت تصدر عن الخلفاء دون الملوك المساهمين لهم في الأمر ، لا يُشاركونهم في شيء من الِوَالِيَّاتِ أصلاً . وقد تقدّم ذكر ما كان يكتب عن خلفائهم من الِوَالِيَّاتِ هناك .

والمقصود هنا ما كان يُكْتَبُ عن ملوك بني جنكخان من البيت الهولاكوهي ممن بعدهم . ولم أقف على شيء من مصطلحهم في ذلك فأوردته هنا .

(١) وقع سهواً في آخر الجزء العاشر أن أورد الجزء الحادي عشر "الفصل الثالث" وصوابه "الثاني".

الطَّرْفُ الثَّانِي

(في مصطلح كُتَّابِ الْغَرْبِ وَالْأَنْدَلُسِ فِيمَا يُكْتَبُ مِنَ الْوِلَايَاتِ عَنِ الْمُلُوكِ)

وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَعْبَرُونَ عَمَّا يُكْتَبُ فِي جَمِيعِ وِلَايَاتِهِمْ بِالظُّهَائِرِ: جَمْعُ ظَهِيرٍ ^(١)، يَفْتَتِحُونَهُ بِلَفْظِ «هَذَا ظَهِيرٌ» كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَا كَانَ يُكْتَبُ عَنِ خُلَفَاءِ الْمَغْرِبِ .
ثُمَّ هِيَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ :

الضَّرْبُ الْأَوَّلُ

(مَا يُكْتَبُ لِأَرْبَابِ الْوِظَائِفِ مِنْ أَصْحَابِ السُّيُوفِ)

وَهَذِهِ نَسْخَةُ ظَهِيرٍ بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْحَضْرَةِ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ، وَهِيَ :

هَذَا ظَهِيرٌ كَرِيمٌ، مَنْزِلَتُهُ فِي الظُّهَائِرِ مَنْزِلَةُ الْمُعْتَمِدِ بِهِ مِنَ الظُّهَرَاءِ، وَمَحَلُّهُ مِنَ الصُّكُوكِ، الصَّادِرَةِ عَنِ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ، مَحَلُّ أُولَى الرَّايَاتِ، الْخَافِقَةِ الْعَدَبَاتِ، وَالْآرَاءِ . فَتَحَّ عَلَى الْإِسْلَامِ، مِنْ بَعْدِ الْإِبْهَامِ، أَبْوَابَ السَّرَّاءِ، وَرَاقَ طِرَازًا مُذْهَبًا عَلَى عَاتِقِ الدَّوْلَةِ الْفَرَّاءِ، وَأَعْمَلَ عَوَامِلَ الْجِهَادِ فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، شَارِعَةً لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، مِنْ بَابِ الْإِعْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ .

أَمْرٌ بِهِ فَلَانَ لَصَدْرٍ صَدُورِ أَوْدَانِهِ، وَحُسَامِهِ الْمَشْهُورِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَوَلِيَّهُ الَّذِي مَخَّرَ صِدْقَ وَفَائِهِ، وَجَلَّى فِي مِضْمَارِ الْخُلُوصِ لَهُ مُغْبَرًا فِي وَجْهِهِ أَكْفَائِهِ . شَيْخٌ شِيُوخِ الْمُجَاهِدِينَ، وَقَائِدِ كِتَابِهِ الْمَنْصُورَةِ لِفُزْوِ الْكَافِرِينَ وَالْمُعْتَدِينَ؛ وَعُدَّتِهِ الَّتِي يُدَافِعُ بِهَا عَنِ الدِّينِ، وَسَائِقِ وَرِيدِهِ الْمُبَرِّزِ فِي الْمِيَادِينِ؛ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ الْأَعْرَ الْأَسْنَى؛ الْأَجِيدِ،

(١) فِي اللَّسَانِ وَغَيْرِهِ "الظَّهِيرُ الْعَوْنُ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ" . وَتَدْ جَمْعُهُ الْفَرَّاءُ عَلَى ظَهْرِهِ . وَفِي شَرْحِ

تَالْأَشْمُونِيِّ عَنِ بَعْضِ الْبَحْوِيِّينَ أَنَّهُ يَشْتَرَطُ فِي جَمْعِ فَعِيلٍ عَلَى فَعَائِلٍ أَنْ يَكُونَ عَلِيًّا لِمَوْثُتٍ . تَأْمَلُ .

الأُسَيدُ ، الأَصْعَدُ ، الأَعْنَى ، الأَعْمَى ، الأَحَبُّ ، الأَوْصَلُ ، الأَفْضَلُ ، المِجَاهِدُ ،
 الأَقْضَى ، الأَرْضَى ، الأَمْضَى ، الشَّهِيدُ ، المَقْدِسُ ، المَرْحُومُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَدْرِ الدِّينِ
 أَبُو شَيْخِ الشُّيُوخِ وَعِلْمِ الأَعْلَامِ ، المَدَانِجِ عَنِ حَوْزَةِ الإِسْلَامِ ، البَعِيدِ الغَارَةِ فِي نُحُومِ
 عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، الشَّيْخِ الكَبِيرِ ، الجَلِيلِ الخَطِيرِ ، الرَفِيعِ ، الصَّدْرِ ، المَعْظَمِ ، المَوْقِرِ ،
 صَاحِبِ الجِهَادِ الأَرْضِيِّ ، وَالنَّعْزَمِ الأَمْضِيِّ ، المَقْدِسِ ، المَرْحُومِ أَبِي عِمْرَانَ (مُوسَى)
 أَبُو زَيْدِ رَحْمَتِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الحَقِّ بْنِ مَحْيُومٍ ، وَصَلَّى اللهُ سَعْدَهُ ، وَحَرَسَ مَجْدَهُ ،
 وَبَلَّغَهُ مِنْ مَظَاهِرِ دَوْلَتِهِ وَمُؤَاذِرَةِ خِلَافَتِهِ قَصْدَهُ . رَفَعَ قُبَّةَ العَنَايَةِ وَالإِخْتِيَارِ
 عَلَيَّ عِمَادًا ، وَأَشَادَ بِدَعْوَةِ التَّعْظِيمِ [مُسَمِّيًا ^(١)] كُلَّ حَيٍّ وَبِحَمَادٍ ، وَقَابَلَ السَّعْيَ الكَرِيمَ
 بِإِحْمَادٍ ، وَأُورِدَ مِنَ البِرِّ غَيْرَ مَمَادٍ ، وَأَسْتَظْهَرَ بِالْوَفَاءِ الَّذِي لَمْ تَسْتَرِ نَارُهُ بَرْمَادًا ،
 وَلَا قَصَّرَتْ جِيَادُهُ عَنِ بُلُوغِ آمَادٍ ، وَقَلَّدَ سَيْفَ الجِهَادِ عَاتِقَ الحَسَبِ اللَّبَابِ ، وَأَعْلَقَ
 يَدَيَّ الأَسْتَظْهَارِ بِأَوْتَقِ الأَسْبَابِ ، وَأَسْتَغْلَظَ عَلَى الأَعْدَاءِ بِأَحَبِّ الأَحْبَابِ .
 لَمَّا قَامَتْ لَهُ البِرَاهِينُ الصَّادِقَةُ عَلَى كَرَمِ شَيْمِهِ ، وَرُسُوحُ قَدَمِهِ ، وَجَنَى مِنْهُ عِنْدَ
 الشَّدَةِ وَالتَّمَحِيصِ ثَمَرَةٌ مَأْوِيَّةٌ مِنْ نِعْمِهِ ، قَابَلَ بِالرَّغْبِ كِرَائِمَ ذِمَّتِهِ ، وَعَظَائِمَ خِدْمَتِهِ ؛
 وَشَدَّ اليَدَ عَلَى عَهْدِهِ الَّذِي عَرَفَهُ حِينَ أَنْتَكَمْتَ العُقْدَ وَأَخْلَقَ المَعْتَقَدَ ؛ وَأَسْتَأْسَدَ
 النَّقْدَ ، وَشَكَرَ الصَّدِيقَ ، وَفَرَّقَ الفَرِيقَ ، وَسُدَّتْ عَلَى النِّظَرَةِ الطَّرِيقَ ، وَتَمَيَّزَ المَغْرُوقَ
 وَالعَرِيقَ ؛ فَانْقَلَبَ لَهُ مِيزَانُ المَكَاثِفَاتِ ، وَسَجَّلَ لَهُ رَسْمَ المِصَافَاتِ ؛ وَجَعَلَهُ يَمِينَ المُلْكَ
 الَّذِي بِهِ يُنَاضِلُ ، وَيُقَاطِعُ وَيُؤَاصِلُ ؛ وَسَيْفَ الجِهَادِ ، الَّذِي يَحْمِي بِمِضَانِهِ حَوْزَةَ
 البِلَادِ ، وَمِرَاةَ النُّصْحِ الَّتِي تُتَجَلَّى بِهَا وَجْوهُ الرِّشَادِ . فَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللهُ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ

(١) الزيادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) النقد بالتحريك السفل من الناس ، وضرب من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه يقال هو أذل من
 النقد . أنظر اللسان .

نِعْمَهُ ، وَأَسْعَدَهُ فِيمَا يَمُنُّهُ ، وَنَشَّرَ بِالنَّصْرِ عَلَمَهُ - شَيْخَ الْفُرَاتِ بِحَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ ، وَسَائِرِ
بِلَادِهِ النَّصْرِيَّةِ : تَرْجِعُ الْقَبَائِلُ وَالْأَشْيَاحُ إِلَى نَظَرِهِ فِي السَّكَنَاتِ ، وَتَسْتَدِرُّ عَلَى يَدِهِ
مِنْ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ غُيُومَ الْبَرَكَاتِ ، وَتُقَرَّرُ وَسَائِلُهَا بِوَسَاطَةِ حُضُورَتِهِ ، وَتَتَشَمَّرُ خُطَاهَا
اعْتِرَافًا بِحَقِّهِ الْوَاجِبِ عَنْ خُطُوتِهِ . فَعَلَيْهِ تَدُورُ أَفْلَاكُ جَمَاعَاتِهِمْ كَمَا اجْتَمَعُوا
وَأُتْلِفُوا ، وَبِحِجَّةِ فَضْلِهِ يَزُولُ إِشْكَالُهُمْ مَهْمَا اخْتَلَفُوا ، وَبِلِسَانِهِ الْمُبِينِ يَقْتَرِرُ لَهُمْ
مَا أَسْلَفُوا ، وَفِي كَنْفِ رَعِيهِ يَنْشَأُ مَنْ أَعْقَبُوا مِنَ النَّشْأَةِ وَخَلَفُوا ، وَبِإِقْدَامِهِ تَنْهَضُ
أَقْدَامُهُمْ مَهْمَا تَوَقَّفُوا . فَهُوَ يَعْشُوبُ كَتَابَهُمُ الْمُتَّفَعَةَ ، وَفِرْزَانَ قِطْعَتِهِمُ الْمُصْطَفَةَ ،
وَشَهْمُ جَوَارِحِهِمُ الْفَارِهِةِ ، وَعَيْنُ عِيُونِهِمُ النَّايِبَةِ ، وَتَأْوِيلُ أُمُورِهِمُ الْمُتَشَابِهَةِ ، عَنْ
نَظَرِهِ يَرِدُونَ وَيَصْدُرُونَ ، وَبِإِشَارَتِهِ يَرِيشُونَ وَيَبْرُونَ وَأَثَارَهُ يَقْتَفُونَ ، وَبِتَلْعَةِ
دَوَارِهِ الْمَرِيخِيِّ فِي خِدْمَةِ مَقَامِهِ النَّصْرِيِّ يَقْفُونَ . فَهُوَ الَّذِي لَا تَأْتِي أَشْرَافُ الْقَبَائِلِ
مِنْ آقْتَاءِ آثَارِهِ ، وَلَا تَجْهَلُ رِفْعَةَ مِقْدَارِهِ ، فَلَيْتَهُ الْمَزِيَّةُ بِالْحَقِّ ، الْمُسْتَوْجِبَةُ لِلْفَخْرِ
بِسَابِقَةِ السَّعَادَةِ لِعَبْدِ الْحَقِّ ، وَلِذَاتِهِ قَصَبُ السَّبْقِ ، وَلَوْفَانَهُ الشُّهْرَةُ فِي الْغَرْبِ
وَالشَّرْقِ .

فَلَيْتَوَلَّ ذَلِكَ - تَوَلَّاهُ اللَّهُ - مُنْشِرِحًا بِالْعَزْ صَدْرُهُ ، مُسْتَمِدًّا مِنْ شَمْسِ سَعَادَتِهِ بِدُرِّهِ ،
مَعْرُوفًا حَقَّهُ مَعْظَمًا قَدْرَهُ ، فَهِيَ خُطَّةُ قَوْمِهِ ، وَفَرِيْسَةُ حَوْمِهِ ، وَطِيَّةُ أُمِّهِ وَيَوْمِهِ ،
وَكَفُّ خُطْبَتِهِ ، وَمَرْمَى رُتْبَتِهِ ، وَحَلَى جِيدِهِ ، وَمَظْهَرُ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ . مُطَاقًا مِنْ
عِنَانِ الثَّنَاءِ ، عَلَى أَهْلِ الْغَنَاءِ ، مَعَامِلًا بِصَادِقِ الْإِطْرَاءِ ، لَذْوَى الْآرَاءِ ، مَتَعَمِّدًا بِالْإِغْضَاءِ ،
هَفْوَاتِ أَهْلِ الْمَضَاءِ ، مَعْرِفًا بِالْقَبَائِلِ ، وَالْعَشَائِرِ وَالْفَصَائِلِ ، كَلِمًا وَفِدْوًا مِنَ الْآفَاقِ
لِلْإِسْتِحْقَاقِ ، مِنْهَا عَلَى مَظَانِّ الْأَسْتِحْقَاقِ ، مُطَبِّقًا لِلطَّبَاقِ ، مُمِيزًا بِلِحْيَادِهَا يَوْمَ السَّبَاقِ ،
أَحْرِيصًا عَلَى إِتْمَاءِ الْأَعْدَادِ ، مُطَبِّقًا مَفَاصِلَ الشَّرَادِ ، مَحْتَاطًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي تَمْتَرِي

بها أكف الجباية ضروع العباد، واضعاً مال الله حيث وضعه ألحق من الورع والأستداد، [لا] سيما في هذه البلاد؛ حتى تعظم المزايا والمزاین، وتتوفر الكتاب والخزائن ويتهيج السامع ويُسّر المعاین؛ ويظهر الفضل على من تقدم، وأن الظهراء كم غادرت من متردم، ويتحسّر من قصر ويتندّم، وعند الله يجد كل ما قدم . فهي قلادة الله التي يضيع من أضعائها، ويرضى^(١) عن أعمالها وأوامره وأطاعها . وهو - وصل الله سعادته! وحرس مجادته! - أولى من لاحظ ضرائرها، وأستطلع من شأيا التوكل على الله بشأرها : نسبا وحسبا ، وجدا وأبا ، وحدا وشبا ، ونجدة وضحّت مذهبها .

وعلى الغزاة - وفر الله جموعهم ! وأنجد تابعهم ومتبوعهم ! - أن يعرفوا قدر هذا التعظيم الذي خفقت أعلامه ، ووضّحت أحكامه ، والاختصاص الذي لطف محله ، والاعتناء الكريم الذي ضفا ظله ، فيكونوا من إيجاب حقه حيث حدّ ورسم ، وميز ووسم ؛ لا يتخلف أحد منهم [في خدمته]^(٢) أيده الله عن إشارته الموفّقه ، ولا يسدّ عن رياسته المطلقة ، بحول الله تعالى وقوته .



وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة ببعض الأعمال ، وهي :

هذا ظهير كريم ، مضمّن استجلاءً لأمر الرعايا وأستطلاع ، ورعاية كرمت منها أجناس وأنواع ؛ وعدل بهر منه شعاع ، ووصايا يجب لها إقطاع .

أصدرناه للفقير أبي فلان . لما تقرّر لدينا دينه وعدله وفضله رأينا أنه أحق من قلده المهم الأکید، ونزى [به] من أغراض البر الغرض البعيد ، ونستكشف به

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيع من أضعائها ، ويرى ضاعها .

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

أحوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،
وينهى إلينا الحوادث التي تنشأ فيها إنهاء يتكفل بحياطة إشارها وأموالها .
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس في مساجدهم، ويندبهم
من مشاهدتهم . ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم، وإحساب آمالهم،
ومكابدتنا المشقة في مداراة عدوهم الذي يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله
بقدرته، ووقى نفوسهم وحریمهم من ممرته - وبما رأينا من آيات الأسباب التي
فيك تؤمل، وعجز الحيل التي كانت تعمل . ويستدعى إنجازهم بالدعاء، وإخلاصهم
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاية الأحكام بالبلاد : فمن نالت
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليلفها إلينا، ويوفدها مقررة الموجبات علينا .
ويختبر ما أقرض صدقة للجبل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء
الحصن بجبل قارة يسر الله لهم في إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،
وغيره مما أقرض إعانة للسافرين، وإنجاداً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقدارها،
ويتولى اختبارها؛ حتى لا يجعل منه شيء على ضعيف، ولا يعدل به لمشروف
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا محادعة غير المراقب لله . فمتى
تحقق أن غنياً قصر به فيه عن حقه، أو ضعيفاً كلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير
من الغنى، ويجرى من العدل على السنن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيره، وأن الله يضاعفها لهم أضعافاً كثيرة؛
ليست مما يلزم، ولا من المعاون التي بتكريرها يجزم - وينظر في عهد المتوفين
فيصرفها في مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البينه - ويتفقد المساجد تفقدا يكسو

عَارِيَهَا ، وَيَتِمُّ مِنْهَا الْمَارِبَ [نَمِيًا] يُرْضَى بِأَرِيهَا - وَيُنْدُبُ النَّاسَ إِلَى تَعْلِيمِ
الْقُرَّانِ لَصِبْيَانِهِمْ ، فَذَلِكَ أَصْلُ أَدْيَانِهِمْ . وَيَحْذَرُهُمُ الْمَغِيبَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
أَعْشَارِهِمْ فَالزَّكَاةُ أَخْتُ الصَّلَاةِ وَهُمَا مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ آخَرْنَا لَهُمْ بِأَقْصَى الْجِدِّ
وَالْإِعْتِرَامِ ، وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ رَسْمَ التَّعْرِيفِ نَظْرًا إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْأَهْتِمَامِ ؛ وَقَدَّمْنَا الثَّقَاتَ
لِهَذِهِ الْأَحْكَامِ ، وَجَعَلْنَا الْخَرَصَ شَرْعِيًّا فِي هَذَا الْعَامِ ، وَفِيَا بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مِنَ الْأَعْوَامِ .

وَمِنْ أَمِّ مَا أَسْنَدْنَاهُ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلْنَا فِيهِ عَلَيْهِ ، الْبَحْثُ بِتِلْكَ الْأَحْوَازِ عَنْ أَهْلِ
الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَالسَّائِرِينَ مِنَ السَّبِيلِ عَلَى غَيْرِ السَّوَاءِ ؛ وَمَنْ يُنْبِزُ بِفَسَادِ الْعَقْدِ ،
وَتَحْرِيفِ الْقَصْدِ ؛ وَالتَّلْبَسِ بِالصُّوفِيَّةِ وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَالذَّاهِبِينَ
إِلَى الْإِبَاحَةِ وَتَأْوِيلِ الْمَعَادِ ؛ وَالْمُؤَلِّفِينَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَالْمُتَّبِعِينَ لِمَذَاهِبِ
الضَّلَالِ . فَهِنَا عَثَرَ عَلَى مُطَوَّقٍ بِالتَّهْمَةِ ، مَنبَزٌ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ فَلَيْسَتْ
وَنَاقَهُ شَدَابُ ، وَلَيْسَتْ عَلَيْهِ سَبِيلَ الْخَلَاصِ سَدَابُ ، وَيَسْتَرِّعُ فِي شَأْنِهِ الْمُوجِبَاتِ ،
وَيَسْتَوْعِبُ الشَّهَادَاتِ ، حَتَّى نَنْظُرَ فِي حَسْمِ دَائِهِ ، وَنُعَالِجَ الْمَرَضَ بِدَوَائِهِ ؛

فَلْيَتَوَلَّ مَا ذَكَرْنَا نَائِبًا بِأَحْسَنِ الْمَنَابِ ، وَيَقْصِدُ وَجْهَ اللَّهِ رَاجِيًا مِنْهُ جَزِيلَ الثَّوَابِ ،
وَيَعْمَلُ عَمَلًا مَنْ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأْتَمَّ لِيَجِدَ ذَلِكَ فِي مَوَاقِفِ الْحِسَابِ ؛

وَعَلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوَادِ وَالْأَشْيَاحِ وَالْحُكَّامِ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُ يَدًا وَاحِدَةً عَلَى
مَا قَرَّرْنَاهُ فِي هَذِهِ الْفُصُولِ : مِنَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ وَالْعَمَلِ الْمَبْذُولِ . وَمَنْ قَصَرَ عَنْ غَايَةَ
مِنْ غَايَاتِهِ ، أَوْ خَالَفَ مَقْتَضَى مِنْ مَقْتَضِيَّاتِهِ ، فَعَقَابُهُ عِقَابُ مَنْ عَصَى أَمْرَ اللَّهِ
وَأَمْرَنَا فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ الَّتِي فَتَرَتْهُ ، وَإِلَى مَصْرَعِ النُّكْرِ جَرَّتْهُ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .



وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار، الذى عضده الاختبار، الى أقصى الغاية؛
 وجمع له الوفاق، الذى خدّمه البختُ والاتفاق، والأهلية التى شهدت بها الآفاق،
 بين نُجْحِ الرأى ونَصْرِ الرأيه، وأنتجت به مقدماتُ الولاء نتيجةَ هذه الرتبة السامية
 العلاء والولاية. وأستظهر من المعتمد به، على قصده الكريم فى سبيل الله ومذهبه،
 بليث من ليوث أوليائه شديداً الوطأة على أعدائه والنكايه، وفرج من فروع الملك
 الأصيل معروف الأبوّة والإبائه، لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذى القوة
 المتين بحكمة الآيه، وتدل بدايةً هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين، المؤيدة فى الأقوال
 والأفعال بمدد الروح الأمين، على شرف النهايه .

أصدر حكمته وأبرز حكمته، وقرّر حذّه الماهمى ورسمه، عبدُ الله، الغنى بالله
 [محمدُ ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر] - عضد الله كتابه وشدّ عضده،
 ويسر فى الظهور على أعداء الله قصده - لوليه المستولى على مبادئ حُظوته وإثاره،
 الفائز بالقدح المعلن من إجلاله وإكباره؛ ظهير استنصاره، وسيف جهاده المعلن
 لصدق ضربته ويوم آفتخاره، ويعسوب قبائل الغزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره.
 الأمير أبى عبد الرحمن، أبى الأمير أبى على، أبى السلطان أمير المسلمين أبى سعيد،
 ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده،
 وأنجز للمسلمين بمظاهرة إياه على الكافرين سابق وعده، لما وفد على بابهِ الكريم

(١) فى ربحانة الكتاب « بلغ فيه الاختيار النباه والاختبار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الربحانة"

(١)
 مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره، ملقياً بمحمة الجهاد عصاً تسياره، مفضلاً ما عند
 الله على رغب أوطانه وأقطاره؛ شيمه من أسرع إلى خير الآخرة بيداره، قبل آكتمال
 هلاله وإبداره، وعلى أنبعاث أمله وترامى هممه وأستقامة مداره - قابل أیده الله
 وقادته بالتقبول المدوح، والصدر المشروح، والعناية العالية المظاهر والصروح؛
 وجعل له الشرب المهي في مناهل الصنائع التي صنع الله الملك، والفتوح؛ ولم يدخر
 عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه، وترقياً تشهد به محافل المنك ومنتداه؛ إلى أن
 ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يده، ثم أستظهر به على أعداء الله وعداه، فوق
 النصيح لله وأداه، وأضمرة وأبداه، وتحلى بالبسالة والجلالة والظاهرة، اللائقة
 بمنصب الإمارة، في رواجه ومنتداه؛ حتى أتت الأهواء على فضله وعفاه،
 وكال أوصافه وظهرت عليه مخايل أسلافه. ثم رأى الآن - ساد الله رأيه،
 وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه،
 ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه، ويصل أسبابه بأسبابه؛ ويضاعف بولائه
 الصادق أهتاه، ويقيم في قرد عسا كره لجهاد البر مقامه؛ فأضفى ملابس وده
 عليه، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه؛ وأجراه مجرى عضده، الذي
 يصدق عنه الضريبة في الجبال، وسيفه الذي يفرج به مضائق الأهوال؛ ونصبه
 للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة شروعه، وراية سعيدة في مظاهرة
 شروعه؛ وعقد له الرأية الجهادية التي لا تغفل بولايه، ولا توازن عناية المعتمد بها
 بعنايه؛ ينهد بصراحة نسبها الدين، وتتحلى بجلى غسرتها الميادين. فالجهاد في سبيل
 الله نجاته نبي الأمة، ومن بعده من الأمة؛ لاسيما في هذا التطر المتأكد فيه ذلك
 لأولي الدين والجمه.

(١) لعله "مؤثراً له على ما كان يشغله عن جواره" تأمل.

فليتول ذلك تولى مثله وإن قل وجود مثله ، جارياً على سنن مجده وفضله ، سائراً من رضا الله على أوضح سببه ، معتمداً عليه فى الأمر كله .

وليعلم أن الذى يخلق ما يشاء ويختار قد هياً له من أمره رشداً ، وسلك به طريقاً مدداً ،^(١) وأستعمله اليوم فيما يحظيه غداً ، وجعل حظّه الذى عوضه نوراً وهدى ، وأبعد له فى الصالحات مدى . ولينظر فيما لديه من القبائل الموفوره ، والجموع المؤيدة المنصوره ، نظراً يزيح العليل ، ويبلى الأمل ، ويرعى الحمل ،^(٢) ويحسن القول ويصح العمل ، منبهاً على أهل الفناء والأستحقاق ، مستديراً للعوائد والأرزاق ، معرفاً بالغرباء الواردين من الآفاق ، مطبقاً منهم للطباق ، متعمداً للهفوات بحسن الأخلاق ، مستجيذاً للأسلحة والكرّاع ،^(٣) مبادراً هيئات الصريح بالإسراع ، مسترعياً للشورة التى يقع الحكم فيها عن حصول الإجماع ، رفيقاً بمن ضعف عن طول الباع ، محتاطاً على الإسلام فى مواقف الدفاع ، مقدماً عند آنجاه الأطماع ، صابراً فى المضايق على القراع ، متقدماً للأبطال بالأصطناع ، مقابلاً نصائح أولى الخبرة بحسن الاستماع ، مستعملاً فى الحروب ما أجازه الشرع من وجوه الحدّاع ؛ حتى يكون عمله وفق شهرته البعيدة المظلم ، وسيرته فيما أسند إليه مثلاً فى الأقطار ، واستقامة التدبير على يديه ذريعة إلى إرغام أنوف الكفار ، بقوة الله وحوله ، وعزته وطوله .

وعلى الغزاة بالحضرة العلية ، وسائر البلاد النصريه ، من بني مرين ، وسائر القبائل المجاهدين ، أن يعرفوا قدره ، ويمثلوا فى مرضاتنا أمره ، ويكونوا معه روحاً ويداً

(١) السدد القصد والأستقامة والسدد أيضاً مقصور من السداد . انظر اللين .

(٢) الحمل أسم جمع طامل لأن فاعلاً لا يكسر على فعل ونظيره طامح وروح . انظر اللين .

(٣) الكراع كقرايب جمل . والفرجة الصوت تفرع من وتخلقه من جمل . انظر القاموس .

وجسداً، وساعداً وعضداً؛ فبذلك يشمله من الله ومن مقامنا الرضا والقبول، والعز
الموصول؛ ويمضي في عدو الله النصول، ويتأثى على خير الدنيا والآخرة الحُصول،
إن شاء الله . ومن وقف عليه ، فليعرف ما لديه ؛ بحول الله تعالى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،

وهي :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، فاتحٌ بنشر الآلوية والبُود، وقود العساكر والجنود؛ وأجال
في ميدان الوجود، جِيادَ البأس والجُود؛ وأضفى سِتْرَ الحِمَايةِ والوقايةِ بالتهايم
والنُجود، على الطائفين والعاكفين والرُكع السُّجود - عقد للعتيد به عقد التشریف
والقدر المُنيف زاكي الشهود؛ وأوجب المناقسة بين مجالس السُّروج ومضاجع
المُهود، وبشّر السيوف في الغُمود، وأنشأ ریح النصر آمنةً من الخُمود - أمضى
أحكامه، وأهد العزَّ أمانه، وفتح عن زهر السُّرور والحبور أكامه، أميرُ المسلمين
عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين
أبي الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره، وخلد ذكره - لكبير ولده، وسابق أمده،
وریحانة خَلده، وياقوتة الملك على يده؛ الأمير الكبير، الطاهر الظاهر، الأعلى،
واسطة السلك، وهلال سماء الملك، ومِصباح الظلم الحُلك، ومِظنة العناية الإلمية
من مدبر الفلك ومُجرى الفلك؛ عنوان سعيده، وحُسام نصره وعضده؛ وسمي
جده، وسلالة فضله ومجده؛ السعيد، المظفر، الهمام، الأعلى، الأمضى، العالم،
العادل، العامل، الأرضي، المجاهد، المؤمل، المعظم، أبي الحجاج يوسف - ألبسه
الله من رضاه عنه حُللاً لا تُخلق جِلَّتْهَا الأيام، ولا تبلغ كُنْهَها الأفهام؛ وبلغه
في خدمته المبالغ التي يُسرِّبها الإسلام، وتسبح في بحار صنائعها الأقلام، وحرمن

معاليه الباهرة بينه التي لا تنام ، وكنفته برُكنه الذي لا يضم - فهو الفرع الذي
 جرى بخصايه على أصله ، وأرتسم نصره في نصله ، واشتمل جدّه على فضله ، وشهدت
 ألسن خلاله ، برِفعة جلاله ، وظهرت دلائل سعادته ، في بدء كل أمر وإعادته .
 ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لأقتراع هضاب المجد البعيد المدى ، وتوشيح
 بالصبر والحلم والبأس والندى ، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام
 العدا ، وأطلعه في سماء الملك بدر هدى ، لمن راح وغدا ، وأخذ بالآداب التي
 تُقيم من النفوس أودا ، وتُبذر في اليوم فتجنى غدا ، ورقاه في ربّ المعالى طورا
 فطورا ، ترقى النبات ورقا ونورا ، ليجده بحول الله يدا باطشة على أعدائه ، ولسانا
 مجيبا عند ندائه ، وطراراً على حلة عليائه ، وغماماً من غمام آلائه ، وكوكبا وهاجبا
 بسائه . وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده ، قبل أن ينتقل من
 مهده ، وظلله بجنّاح رايته ، وهو على كنه دايته ، واستركب جيش الإسلام
 ترحيباً بوفادته ، وتنويهاً بمجادته ، وأثبت في غرض الإمارة النصرية سهم سعادته -
 رأى أن يزيد من عنايته ضروبا واجناسا ، ويتبع أثره ناسا فناسا ، قد اختلفوا
 لسانا ولباسا ، واتفقوا آبتغاء ليرضاة الله والتماسا ، ممن كرم آتماؤه ، وأزينت
 بالحسب الفرسمائه ، وعُرف غناؤه ، وناسس على المجادة بناؤه ، حتى لا يدع
 من العناية فنا إلا جلبه إليه ، ولا مقادة نخر إلا جعلها في يديه ، ولا حلة عن
 إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيش الإسلام في هذه البلاد الأندلسية - آمن الله خلالها ، وسكن
 زلالها ، وصدق في رحمة الله التي وسعت كل شيء آمالها - كلف همته ، ومرعى

(١) الكند بفتح التاء وكسرهما أعلى الكف والداية الظفر ، أنظر اللسان .

(٢) لعله الاغر وفي ربحانة الكتاب « الخالص » .

أذمته ، وميدان جواده ، ومتعلق أمد جهاده ، ومِعراج إرادته ، إلى تحصيل
سعادته ، وسبيل خلاله ، إلى بلوغ كماله ، فلم يدع له علة إلا أراحها ، ولا طليئة
إلا أجال قداحها ، ولا عزيمة إلا أورى اقتداحها ، ولا رغبة إلا فسح ساحها ،
أخذا مروءته بالتهذيب ، ومصافه بالترتيب ، وأماله بالتقريب ، وتأنيس المريب ،
مستنجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد نظر من
حكم الأغراض في حماه ، وأستشعر عروق الحسائف لشريف كمانه ، واشتغل
عن حسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجلب جباته ، وتمير ماله وتوفير أوقاته ،
ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فأفرج الضيق ، وخلص إلى حسن نظره
الطريق ، وساغ الريق ، ورضى الفريق .

رأى - والله الكفيل بفتح رأيه ، وشكر سعيه ، وصلة حفظه ورعيه - أن يُحمد
لهم اختياره ، ويُحسن لديهم آثاره ، ويستنبِ فيما بينه وبين سيوف جهاده ، وأبطال
جلاده ، وحماة أحواره ، وآلات أعترازه ، من يجرى بجرى نفسه النفيسة في كل
معنى ، ومن يكون له لفظ الولاية وله - أيدى الله - المعنى ، فقدمه على الجماعة الأولى
كبرى الكتاب ، ومقاد الجنايب ، وأجمة الأبطال ، وضنة الودق الهطال ، المشتملة
من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نساء الملوك الكرام ، وأعلام الإسلام ، وسائر
قبائل بني مرين ، ليوث العرين ، وغيرهم من أصناف القبائل ، وأولى الوسائل ،
ليحوط جماعتهم ، ويرفع بتفقد إضاعتهم ، ويستخلص لله ولأبيه - أيدى الله -
طاعتهم ، ويُشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبرار ، على فلك
سعادة الأقدار ، كواكبهم ، تقديماً أشرق له وجه الدين الحنيف وتهلل ، وأحسن
باقتراب ما أمل ، فللخيل أختيال ومراح ، وللأسل السمر أهتزاز وأرتياح ، وللصدور
انشراح ، وللأمل مَفدى في فضل الله ومراح .

فليتول ذلك - أسعده الله - تولى مثله ممن أسيرة الملك أسرته ، وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته ، والملك الكريم أصل لفرعه ، والنسب العربى مفخر لطيب طبعه ، أخذاً أشرافهم بترفع المجالس بنسبة أقدارهم ، مقرباً حسن اللقاء بإيثارهم ، شاكرًا غنائهم ، مستديماً ثنائهم ، مستدرًا لأرزاقهم ، موجبًا للزينة بحسب استحقاقهم ، شافعًا لديه فى رغباتهم المؤمله ، ووسائلهم المتحملة ، مسهلًا الإذن لوؤودهم المتلاحقه ، منفقًا لبضائعهم النافقه ، مؤنسًا لغربائهم ، مستجلبًا أحوال أهليهم وآبائهم ، مميزًا بين أغفالهم ونبيائهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم ، ووفّر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يداً واحدةً على دفاع أعادى الله وأعاديه ، ويستدوا فى المواقف الكريهة أزره ، ويمثلوا نهيه وأمره ، حتى يعظم الانتفاع ، ويثمر الدفاع ، ويخلص القصد لله والمطاع ، فلو وجد - أيدى الله - غايةً فى تشریفهم لبلغها ، أو موهبةً لسوغها ، لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذّهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغّب ، والله منجح الأعمال ، ومبلغ الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمنه من أمرٍ مطاع ، ونخر مستند إلى إجماع ، ووجوب أتباع ، وليكن خير مرعى لخير راع ، بحول الله .

وأقطعه - أيدى الله - ليكون بعض المدد لأزواد سفره ، ويماط قفره ، فى جملة ما أولاه من نعمه ، وسوغة من مواد كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عرب غسان : وهى المحلة الأثيره ، والمنزلة الشهيره ، تنطلق عليها أيدى خدامه ورجاله ،

(١) فى الرحامة «منجد لطيب» الخ .

جارية مجرى صالح ماله ، محتررة من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو
المستعان سبحانه ، وكتب في كذا .



هذه نسخة ظهير لمشيخة الغزاة بمدينة مالقة ، وهو :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحا ، وأنشأ للعناية في جوار وجود ،
من بعد الركون ، رياحا ، وأوسع العيون قرة [وإبصارا]^(١) والصدور أنشراحا ، وهيا
للعتمد به مغدى في السعادة ومرأحا ، وهز منه سيفا عتيقا يفوق اختيارا و يروق
أتمأحا ، وولاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال
عزا شهيرا وأزداد نفرا صراحا ، وكان [له]^(١) ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحا .

أمر به وأمضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ، الأمير عبدالله محمد ابن مولانا
أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي الحجاج [يوسف]^(١) ابن مولانا
أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ،
وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاة من جميل اعتقاده حلا ،
وأورده من عذب رضاه منبلا ، وعرفه عوارف قبوله مفصلا خطابها ومجسلا ،
الشيخ أبي العلا ، إدريس ، ابن الشيخ أبي سعيد عثمان ، بن أبي العلا وصل
الله أسباب سعادته ، وحرس علي مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه علي [أحمد
عادة سلفه]^(١) وعادته .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في ریحانة الكتاب «أنخاف»

ولما كان له القدر الجليل ، والمجد الأثيل ، والذكر الجميل . والفضائل التي كرم
 منها الإجمال والتفصيل ، وأحرز قصب السبق بذاته وسلفه إذا ذكر المجد العريض
 الطويل ، وكان قد أعمل الرحلة إليه يحدوه إلى خدمته التأهيل ، ويهوى به الحب
 الذي وضع منه السبيل ، وعاق عنه الواقع الذي تبين فيه عذره الجميل ، ثم خلصه الله
 من ملكة الكفر الخالص الذي قام به على عنايته الدليل - قابله بالقبول والإقبال ،
 وفسح له ميدان الرضا رحب المجال ، وصرف إليه وجه الاعتداد بمضائه رائق
 الجمال ، سافراً عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى ربوة متسعة الأرجاء وارفة
 الظلال ، وقطع عنه الأطماع بمقتضى همته البعيدة المنال . ثم رأى - والله يُنجح
 رأيه ، ويشكر في سبيل الله عن الجهاد سعيه - أن يستظهر بمضائه ، ويرسل عليه
 عوارف آلائه ، ويعمر به رتب آبائه . فقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر [آلاءه]
 ونعمه - شيخ الغزاة والمجاهدين ، وكبير أولى الدفاع عن الدين ؛ بمدينة (مالقة)
 حرسها الله أخت حضرة [دار] ملكه ، وثانية الدرة الثمينة من سلته ؛ ودار سلفه
 وقرارة مجده ، والأفق الذي تألق منه نور سعده ؛ راجعاً إليه نظر القواعد الغربية
 رندة وركوان (؟) وما إليه رجوع الاستغلال والاستيراد ، والعز الفسيح المجال البعيد
 الآماد ، يقود جميعها إلى الجهاد ، عاملاً على شاكلة مجده في الإصدار والإيراد ،
 حتى يظهر على تلك الجهات المباركة آثار الحماية والبسالة ، ويعود لها عهد المجادة
 والجلالة ، وتترين ملابس الإيالة . وهو يعمل في ذلك الأعمال التي تليق بالمجد
 الكريم ، والحسب الصميم ، حتى ينو عدد الجاه ، ويكف البأس أكف الغزاة
 ويعظم أثر الأبطال الكماه ؛ وتظهر ثمرة الاختيار ، ويشمل الأمن جميع الأقطار ،
 وتحميم عنه أطماع الكفار .

(١) الزيادة من "الريحانة" .

وعلى من يقف عليه من الفرسان - وفر الله أعدادهم ، وأعزَّ جهادهم - أن يكونوا
ممثلين في الجهاد لأمره ، عارفين بقدره ، مُّضِينَ فيما ذكر لحكمه ، واقفين عند حدّه
ورسمه . وعلى من سواهم من الرعايا والخدم ، والولاة والحكام ، أن يعرفوا قدر
هذا الاعتناء الواضح الأحكام ، والسير المشريق القسام ، فيعاملوه بمقتضى الإجلال
والإكرام ، والترفع والإعظام . على هذا يُعتمد ، وبِحسبه يعمل ، بحول الله وقوته .

الضرب الثاني

(من ظهائر بلاد المغرب ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية

من أصحاب الأقاليم)

وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة ، وهو :

هذا ظهير كريم أتتج مطلوب الاختيار قياسه ، ودلّ على ما يرضى الله عز وجل
آتماسه ، وأطلع نور العناية يجلو الظلام نبراسه ، وأعتد بمثابة العدل من عرف
باقتراح هضبتها بأسه ، وألقى بيد المعتمد به زمام الاعتقاد الجميل تروق أنواعه
وأجناسه ، وشيد مبنى العز الرفيع في قنة الحسب المنيع وكيف لا والله بانيه
والمجد أساسه .

أمر به ، وأمضى العمل بمقتضاه وحسبه ، أمير المسلمين أبو الحجاج ابن مولانا
أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر - أيد الله أمره ، وخلد نخره - لقاضى حضرته العلية ،
وخطيب حمرائه السنية ، المخصوص لديه بتفريع المزية ، المصروف إليه خطاب
القضاة بإيالة النصرية ، قاضى الجماعه ، ومصروف الأحكام الشرعية المطاعه ،
الشيخ أبي الحسن ابن الشيخ أبي محمد بن الحسن وصل الله سعاده ،

وحرس مجادته ، وسنى من فضله إرادته . عصب منه جبين المجد بتاج الولاية ،
وأجال قِداح الاختيار حتى بلغ العاية وتجاوز النهاية ، فالقى منه يمين عرابة الراية ،
وأحلّه منه محلّ اللفظ من المعنى والإعجاز من الآيه ، وحشّر إلى مراعاة ترفيعه وجوه
البرّ وأعيان العنايه ، وأنطق بتبجيله ، ألسن أهل جيله ، بين الإفصاح والكنايه .

ولما كان له الحسب الذى شهدت به ورقات الدواوين ، والأصالة التى قامت
عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين أعتز بمضاء قضاتهم الدين ، وطبق مفاصل^(١)
الحكم بسيوفهم الحق المبين ، وأزدان بمجالسة وزراءهم السلاطين : فمن فارس حكم
أو حكيم تدير ، أو قاض فى الأمور الشرعية ووزير ، أو جامع بينهما جمع سلامة
لأجمع تكسير ، تعدد ذلك وأطرد ، ووجد مشرع المجد عذبا فورد ، وقصرت
النظراء عن مداه فأنفرد ، وقرى الفرى فى يد الشرع فأشبهه السيف الفيرند ، وجاء
فى أعقابهم محيا لما درس ، بما حقق ودرس ، جانبا لما بذر السلف المبارك
وأغترس ، طاهر النشأة وقورها ، محمود السجية مشكورها ، متحليا بالسكينة ،
حالا من النزاهة بالمكانة المكيته ، ساحبا أذيال الصون ، بعيدا عن الإلتفاف
بالفساد من لدن الكون ، نخطبته الخطط العليه ، وأغبتت به المجادة الأولى ،
وأستعملته دولته التى ترتاد أهل الفضائل للرتب ، وتستظهر على المناصب بأبناء
التقى والحسب ، والفضيل والمجد والأدب ، ممن يجمع بين الطارف والتالذ والإرث
والمكتسب ، فكان معدودا من عدول قضاتها وصدور نبيائها ، وأعيان وزراءها ،
وأولى آرائها .

فلما زان الله خلافته بالتمحيص ، المتجلى عن التخصيص ، وخلص ملكه
الأضيل كالذهب الإبريز من بعد التخليص ، كان ممن صحب ركابه الطالب للحق

(١) يقال طبق السيف اذا أصاب المفصل فأبان العوض . انظر اللسان .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ، وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرِهِ أَوْضَعَ الطَّرِيقَ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَهُ بِأَمْنٍ مِنْ
الْحَدَادِ الذُّلُقِ ، وَأَشْتَهَرَ خَيْرُ وَقَاتِهِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
وَالْأَمْنِ وَالْحَدَرِ ، وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعْدَ بَدْرٍ كَرَّمَ اللَّهُ عَهْدَهَا ، وَخَاطَبَ
عَنْهُ - أَيْدِي اللَّهِ - الْمُخَاطَبَاتِ الَّتِي حَمِدَ قَصْدَهَا ، حَتَّى اسْتَقَلَّ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،
وَأَبْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَبْنِي أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السُّتْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبِرْكَةِ لِمَالَتِهِ
وَيَمْنِ تَدْيِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمَحَلَّ ، وَالْحَظِيَّ الْمَشَاوِرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَسَلِ ،
وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوِظَائِفِ الْبِكَارِ ، مَزِينِ الْمَجْلِسِ
السُّلْطَانِيِّ بِالْوَقَارِ ، وَمَتَّحِفِ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ، وَخَطِيبِ مَنبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجُمُعَاتِ ،
وَقَارِي الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثُمَّ رَأَى - أَيْدِي اللَّهِ - أَنْ يُشْرِكَ رِعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْمُحْظَوَةِ
إِلَى مَزِيدِ رَفْعِهِ ، وَيُجْلِسَ مَجْلِسَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِبْضَاحِ شِرْعِهِ ،
وَأَصْلِهِ الْوَثِيقِ وَفِرْعِهِ ، وَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلَاءَهُ وَنِعَمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ
الشَّرْعِيَّةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ ، بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ [العلية] حَرَسَهَا اللَّهُ تَقْدِيمَ
الْإِخْتِيَارِ وَالْإِنْتِقَاءِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَخْرَ السُّلْفِ عَلَى الْخَلْفِ وَاللَّهُ يَمْتَعُهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ .

فَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ، مَسْوِيًا بَيْنَ الْخَصُومِ حَتَّى
فِي لَحْظِهِ وَالنَّفَاتِهِ ، مُتَصَفًّا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ، مُهَيِّبًا بِاللَّيْنِ ، وَوَفَاً بِالْمُؤْمِنِينَ ،
مَسْجُلًا لِلْحَقُوقِ ، غَيْرَ مُبَالٍ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ، بَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،
مُجْتَهِدًا فِي الْفِضْلِ بِأَمْنٍ حَسَامٍ ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًا
بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوْثِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمِضْيِيقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ
الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْضَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تَفْدَحُ زِنَادَ الْهَوِيَّةِ ، وَالتَّهْتَبُ

حتى ينبلج قياس التحقيق ، وصية أصدرها له مصدر الذكرى التي تنفع ، ويعلي الله بها الدرجات ويرفع ، وإلا فهو عن الوصاية غني ، وقصده قصد سني ، والله عز وجل ولي إعانتة ، والكفيل يحفظه من الشبهات وصيائته .

[وأمره - أيده الله - أن ينظر في الأحباس على اختلافها ، والأوقاف على شتى أصنافها] ^(١) واليتامى التي أنسدت كفالة القضاة على ضعافها . فيدود عنها طوارق الخلل ، ويحرمي أمورها بما يتكفل لها بالأمل .

وليعلم أن الله عز وجل يراه ، وأن فلتات الحكم تُعاوده المراجعة في أنحراه ، فيدري جنة تقواه ، فسبحان من يقول : ﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ﴾ .

فعلى من يقف عليه أن يعرف حق هذا الإجلال ، ضائنا منصبه عن الإخلال ، مبادراً أمره الواجب بالامتثال ، بحول الله .

وكتب في الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبعائة ، عرف الله فيه هذا المقام العلي عوارف النصر المبين والفتح القريب ، بمنه وكرمه ، فهو المستعان لارب غيره .



وهذه نسخة ظهر بقضاء الجماعة بالحضرة أيضا ، وهو :

هذا ظهور كريم ^(١) أعلى رتبة الأحتفاء [والأحتفال] اختيارا واختبارا ، وأظهر معاني الكرامة والتخصيص انتقاء وأصطفاء وإيثارا ، ورفع لواء الجلالة على من أشتمل عليها حقيقة وأعتبارا ، ورقى في درجات العزم من طاولها علاء بهر أنوارا ، ودينا كرم في الصالحات آثارا وزكا في الأصالة نجارا ، وخلوصا إلى هذا المقام العلي السعيد

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب ، ونفع الطيب ص ٧٢ ج ٢ .

راق إظهاراً وإضماراً. أمر به وأمضاه، وأنفذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ
القاضي، العدل، الأرضي، قاضي الجماعة وخطيب الحضرة العلية، المخصوص
لدى المقام العليّ بالخطوة السنيّة والمكانة الحفيّة؛ الفاضل، الحافل، الكامل،
الموقر، المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعزّ، الماجد،
الأسنى، المرفع، الأحفل، الأصلع، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم
أبي محمد بن الحسن - وصل الله عزّته، ووالى رفعتَه ومبرّته، ووهب له من صلة
العناية الربّانية أملاً وبُنيته - لمّا أصبح في صدور القضاة العلماء مُشاراً إلى جلاله،
مستنداً إلى معارفه المخصوصة بكاله، مطرّزاً على الإفادة العلمية والأدبية بمحاسنه
البدعية وخصاله، محفوراً بمعدّ الحكم النبويّ بركة عدّالته وفضل جلاله، وحلّ
في هذه الحضرة العلية المحلّ الذي لا يرقاه إلا عين الأعيان، ولا يتبوّء مهاده إلا مثله
من أبناء المنجد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالماثر العلية
في الحسن والإحسان. وتصدّر لقضاء الجماعة فصدّرت عنه الأحكام الراجحة
الميزان، والأنظار الحسنة الأثر والعيان، والمقاصد التي وقت بالغاية التي لا تُستطاع
في هذا الميدان، فكم من قضية جلا بمعارفه مشكلها، ونازلة مبهمه فتح بإدراكه
مُقلّها، ومسألة مهمله عرف نكرتها وقرّر مهمّلتها، حتى قرّرت بعدالته وجرّالته
العيون، وصدّقت فيه الآمال الناجحة والظنون، وكان في تصديره لهذه الولاية
العظمى من الخير والجهة ماعسى أن يكون - كان أحقّ بالتشفيع لولاياته وأولى،
وأجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدر له - أيده الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفيح والتنويه، ومؤكّداً
للاحقفاء الوجيه، وقلّيبه - أعلى الله قدره، وشكر نعمه - خطيباً بالجامع الأعظم

(١) [من حضرته] - عمره الله بذكره - من عليّة الخطباء، ورجال العلماء، وخيار الفقهاء الصلحاء، فليتول ذلك في جمعاته، مظهرا في الخطبة أثر بركته وحسناته، عاملا على ما يقربه عند الله من مرضاته، ويظفره بجزيل مَثوباته، بحول الله وقوته .

الضرب الثالث

(ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية)

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه في بلادنا بكتابة السر، وهى :

هذا ظهير كريم نصب للعتيد به الإنافة الكبرى ببابه فرّعه، وأفرد له متلو العز جمعته ووثره وشفعه، وقربه في إساط الملك تقريبا [أرغم به أنف عداه ووضع]، وفتح له باب السعادة وشرعه، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوحب على من دون رتبته، من أولى صنعته، أن يتبعه، ورعى له وسيلته السابقة عند استخلاص الملك لما أبتزه الله من يد الغاصب وأنترعه، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شيء معه .

أمر به الأمير فلان لفلان - وصل الله سعادته، وحرس مجادته - أطلع له وجه العناية أبهى من الصبح الوسيم، وأقطعه جناب الإنعام الجسيم، وأنشقه أرج الحظوة، غاطر النسيم، ونقله من كرسى التدريس والتعليم، إلى مرقى التنويه والتكريم، والرتبة التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، وجعل أعلامه جيادا لإجالة أمره العلى، وخطابه السنى، في ميادين الأقاليم، ووضع في يده أمانة القلم الأعلى، جاريا من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

(٢) فى الريحانة «نصب المعتد به للأمانة» الخ وهو أنسب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب".

الطريقة المثلى، على النهج القويم، وأختصه بمزية الشفوف على كتاب بابه الكريم .
لما كان ناهض الوكر في طلبه حضرته من البدايه ، ولم يزل تظهر عليه لأولى التمييز
تحايل هذه العنايه : فإن حضر حلق العلم جلي في حلبة الحفظ إلى الغايه ، وإن نظم
أو ثرأتى بالقصائد المصقوله ، والمحاطبات المنقوله ، فاشتهر في بلده وغير بلده ،
وصارت أزمه العنايه طوع يده ، بما أوجب له المزيه في يومه وغده .

وحين رد الله عليه ملكه الذي جبر به جناح الإسلام ، وزين وجوه الليالي
والأيام ، وأدال الضياء من الظلام ، وكان ممن وسمه الوفاء وشهره ، وعجم الملك
عود خلوصه وخبره ، فحمد أثره ، وشكر ظاهره ومضمرة ، وأستصحب على ركابه
الذي صحب اليمن سفره ، وأخلصت الحقيقة نوره ، وكفل الله ورده وصدره ،
ميمون النقيه ، حسن الضريبه ، خالصاً في الأحوال المريبه ، ناطقاً عن مقامه
بالمخاطبات العجيبه ، واصلاً إلى المعاني البعيدة بالعبارات القريبه ، مبرزاً بالخدم
الغريبه ، حتى أستقام العباد ، ونطق بصديق الطاعة الحى والجماد ، ودخلت
في دين الله أفواجا العباد والبلاد ، لله الحمد على نعمه الثرة العهاد ، وآلائه المتواليه
الترداد - رعى له - أيده الله - هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها ، وشكره الخدم
المشكور مسعاها ، فقصر عليه الرتبة الشاء التي خطبها بوفائه ، وألبسه أثواب
اعتنايه ، وفسح له مجال آلائه ، وقدمه - أعلى الله قدوه ، وشكر نعمه - كاتب السر ،
وأمر النهى والأمر ، تقديم الاختبار ، والأغباط بخدمته الحسنه الآثار ، والتمن
باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والأستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإيثار .

فليتول ذلك عارفاً بمقداره ، مقتفياً لآثاره ، مستعيناً بالكم لأسراره ، والإضطلاع
بعضام أموره وركابه ، متصفاً بما يجمل من أمانته وعفافه ووقاره ، معطياً هذا الرسم

حقه من الرئاسة ، عارفاً بأنه أكبر أركان السياسة ؛ حتى يتأكد الاغتياب بتقريبه وإدناؤه ، وتتوفر أسباب الزيادة فى إعلانه ؛ وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصافه فهما ناقبا ، وأدباً لعيون الكمال مراقبا ؛ فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل ،

وعلى من يقف عليه : من حملة الأعلام ، والكُتاب الأعلام ، وغيرهم من الكافة والخُدّام ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ، والتقديم الراجح الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ؛ بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

الطرف الثالث

(فى مصطلح كُتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين

وفى بعدهم إلى زماننا)

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السطان ؛ ونيابة مصر بل سائر النيابات هضمة فى جانبها ، وللولايات الصادرة عن النواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ، التوفر الدواعى على نقله ولا تصرف الهم لتدوينه مع تطاول الأيام وتوالي الليالى .

الحالة الثانية - ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى انقراض الدولة الأخشيديّة .

وقد تقدم أن أحمد بن طولون أول من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعار السلطنة بالديار المصرية . ولما شمع سلطانه ، وأرتفع بها شأنه ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكاتب والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فأقام منار ديوان الإنشاء ورفع مقداره ؛ وكان يفتح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أولى كذا » أو « إن أحق كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة ترشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إن أحق من آثر الحق وعمل به ، وراقب الله في سر أمره وجهه ، وأحترس من الزيف والزلل في قوله وفعله ، وعمل لمعاده ورجعته ، إلى دار فاقته وفقره ومسكته ، من جعل بين المسلمين حائكا ، وفي أمورهم ناظرا : [فأراق] ^(١) الدماء وحقنها ، وأحل الفروج وحرّمها ، وأعطى الحقوق وأخذها ؛ ومن علم أن الله تبارك وتعالى سائله عن مثقال الذرة من عمله ، وأنه إنما يتقلب في قبضته ، أيام مدته ، ثم يخرج من دنياه نكروجه من بطن أمه ، إما سعيدا بعمله وإما شقيا بسعيه .

وإننا لما وقفنا عليه من سيد مذهبك وقويم طريقتك ؛ وجميل هديك وحسن سيرتك ؛ ورجوانه فيك ، وقزناه عندك : من سلوك الطريقة المثلى ، وأقتفاء آثار أئمة الهدى ، والعمل بالحق لا بالهوى - رأينا تقليدك القضاء بين أهل نغر برقة ، وأمرناك بتقوى الله الذي لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب - وبطاعته التي من آثرها

(١) باض في الاصل والنصح من المقام

سعيد، ومن عمل بها حيد، ومن لزمها نجا، ومن فارقتها هوى - وأن تواصل
الجلوس لمن بحضرتك من الخُصوم : صابرا بنفسك على تنازعهم في الحقوق،
وتدافعهم في الأمور؛ غير برِّيم بالمراجعات ، ولا صَّجِر بالمحاكمات : فإن من حاول
إصابة فصل القضاء ، ومواقفة حقيقة الحكم بغير مادة من حلم ، ولا معونة من
صبر ، ولا سُهمة من كظم ، لم يكن خليقا بالظفر بهما ، ولا حقيقا بالذِّك لها -
وأن تقسيم بين الخصمين إذا تقدما إليك ، وجلسا بين يديك ، في لحظك وللفظك ،
وتوفى كل واحد منهما قسمه من إنصافك وعدلك ؛ حتى يئاس القوي من ميالك ،
ويأمن الضعيف من حيفك : فإن في إقبالك بنظرك وإصغائك بسمعك إلى أحد
الخصمين دون صاحبه ما أضل الآخر عن حجته ، وأدخل الحيرة على فكره ورويته -
وأن مُحضِر مجلس قضائك من يُستظهر برأيه ، ومن يرجع إلى دينٍ وحجٍّ وتقى :
فإن أصبت أيديك ، وإن نسيت ذكرك - وأن تقتدى في كل ما تعمل فيه
روييتك ، وتُضَي عليه حكمك وقضيتك ، بكتاب الله الذي جملة صراطا مستقيما ،
ونورا مستبيناً ؛ فشرع فيه أحكامه ، وبين حلاله وحرامه ، وأوضح به مشكلات
الأُمور ، فهو شفاء لما في الصدور . وما لم يكن في كتاب الله جل وعز نصه
فإن فيما يُؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم حكمه ؛ وما لم يكن في حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أفتيت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضی الله
عنهم الذين لم يألوا الناس اختبارا ، ولا أدخروهم نصيحةً واجتهادا ؛ علما أنك
أسعد بالعدل ممن تعدل عليه ، وأحظى بإصابة الحق ممن تُصيبه فيه : لما تتعجله
لمن جميل أحوثته وذكركه ، ويُذترلك من عظيم ثوابه وأجره ، ويُصرف عنك من
حُوب ما تنقلده ووزره - وأن يكون الذين تحم بشهادتهم [من] أهل الثقة في أديانهم ،
والمعروفين بالأمانة في معاملاتهم ، والموسومين بالصدق في مقالاتهم ، والمشهورين

بالتقدم في عدالاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [كل] كلام تصديره، وحكم
تبرمه ؛ وحقيق بأن لا ترضى انفسك منهم إلا بما يرضى منك، وتعلم أن ذلك هو
الصدق، وأنك قد أبلت عذرك في تخييرهم، فإنه بعلم أن ذلك هو الصدق من نيتك،
والصحة من يقينك، تحسن عليه معونتك، ويحصرك التوفيق في جميع أفضيتك -
وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء لشهود ومذاهبهم،
وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالمهم ومسالكهم أهل الورع والأمانة، والصدق
والصيانة - وأن تجدد المسألة عنهم في كل مرة، وتفحص عن خبرهم في كل قضية؛
ثم لا يمنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب
في مثله، وأستعمال الحق في أمره - وأن تُشرف على أعوانك وأصحابك، ومن تجرى
أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك؛ إشرافا يمنعهم من الظلم للريع، ويقبض
أيديهم عن المآكل الرديئة؛ ويدعوهم إلى تقويم أودهم، وإصلاح فاسدهم، ويزيد
في بصيرة ذوى الثقة والأمانة منهم؛ فمن وقفت منه على أمثال لمذهبك، وقبول
لأدبك؛ وأقتصار فيما يتقلده لك، أقررت وأحسن مكافأته ومثوبته، ومن شيمت
منه حيفا في حكمه، وتعديا في سيرته، وبسطا ليد له إلى ما لا يجب له، تقدمت
في صرفه، وألزمته في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكاتبك من تعرف سداد مذهبه،
وأستقلاله بما يتقلده، وإيثارا لرس (١) من صحته، ومن تقدر عنده تقديما (٢)
في نصيحتك فيما يجرى على يديه، وتوخيا لصدقك فيما يحضره وتغيب عن مشاهدته؛
فإنك تأمنه من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين، وتفوض إليه
من حجج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدين - وأن تتفقد

(١) لعله « وإيثاره لنا كمن صحته » . تأمل .

(٢) لعله « محرابا » تأمل .

مع ذلك أمره، وتصفح عمله؛ وتُشرف على ماتحت يديه بما يؤدبك إلى إحكامه
وضبطه، ويؤمنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لمجابتك من لا يتجهم الخصوم،
ولا يختص بعضها دون بعض بالوصول؛ وتوَعز إليه في بسط الوجه، ولين
الكنف، وحسن اللفظ، ورفع المشونة، وكف الأذى .

فقلد ما قلدناك من ذلك عاملاً بما يحق عليك لله جل وعز ذكره، ومستعيناً به
في أمرك كله : فإنما قلدناك جسماً، وحملناك عظاماً، وتبرأنا إليك من وزره
وإصره، واعتمدنا عليك في توحي الحق وإصابته، وبسط العدل وإفاضته؛
واقبض لأرزاقك وأرزاق كُتَّابك وأعوانك ومن يحجُبك ولئمن قراطيسك وسائر
مؤنك في كل شهر أربعين ديناراً؛ فقد كتبنا إلى عامل الخراج بازاحة ذلك، أوقات
أسئحتناك إياه ووجوبه لك، وإلى عامل المدينة بالشدة على يدك، والتقوية
لأمرك؛ وضم العدة التي كانت تُضم إلى القضاة من الأولياء إليك، وهما فاعلان
ذلك إن شاء الله تعالى .

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر في زمن بنى أيوب .

وكانوا يسمون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام
«تقاليد» و«تواقيع» و«مراسيم» وربما عبروا عن بعضها بـ«لمناشير»

وهي في الأفتتاحات على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - أن تفتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يؤتى
بالبعديّة، ويذكر ما سنع من حال الولاية والموتى، ويوصى الموتى بما يليق
بولايتهم، ثم يقال : «وسبيل كل واقف عليه من التواب العمل به» أو نحو ذلك .

وهي على ثلاثة أصناف :

الصف الأول - أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهي :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ، ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ، ومبير الدين ومدياه ، ومبير الكفر ومديله ، وشاد أزرا أوليائه وساد ثغرهم ، وناصر معزهم ومُعز نصرهم ، الذي أضفى علينا مدارع نعمة ، وأضفى لدينا مشارع كرمه ، وأعلق أيدينا من العدل بأوكيد الأسباب والأمراس ، وصرف بنا صرف العسف وكف بكفايتنا كف البؤس عن الرعية والباس ، وجلب إلى استجلاب الشكر من الناس همتنا ، وطوى على حب البر وإبرار المحب طويتنا ، وحسم بما أولاناه من أيدي مادة كل يد تمتد إلى محذور ، ويسرنا بساط العدل المطوى لما طوى بعدلنا بساط الظلم المنشور ، وأبى لنا أن نكفر نعمة أو نهيبها لكافر ، أو ندع شكر منة أو نودعها عند غير شاكر .

ولما كان الأمير فلان ممن سبقت لخدمته ولأبيه - تعاهد الله بالعهاد متواهما ، وخص بثرار الرحمة ثراهما - الحرم الأكيد ، والخدم الطريفة والتليده ، ولم يزالا مجتهدين في تعمیر هذا البيت وتشيد أسسه ، ملازمي الإداب في إنمائه وتشديد عرسه ، مفضيين بالموالاة إلى مواليه ، مفصحين بالمعاداة لمُعاديه ، رأينا - لا زال الإقبال لآرائنا مقايلا ومرافقا ، والسعد مساعدا والتوفيق موافقا ، - أن نلحمه بدرجة أوليه ، ونورده من كرمنا مورد جدّه وأبيه ، ونثني إليه عنان عنايتنا ، ونزعا بعين رعايتنا ، ونأحفه جناح لطفنا ، ونبوئه مقعد شرف تحت ظلنا ، ونحرس حده من القلول ، وجدّه من الخمول ، وعوده من الخور ، وورده من الكدر ، وأن نقرره

على ما يؤاننا فيه والِدَه من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت اسمه من المعامل والبُلدان، وسيُوضَّح ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويوازِ هذا الإفضال من حُسن القبول بعِده ، وليرتبط نعم الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيدُ من أطرح خلة الشاكر وأدرع حلة الشاكر ، وليُدمن التحدث بها فالتحدثُ بالنعم من الشكر ، ويستجذب موادها بإيضاح سُبُل البر ، ويجعل التقوى شعاره وديناره ، ويُخِص الطاعة لله بإرادته وإصداره .

وليكن العدل ربيته ورائده ، والأمرُ بالمعروفِ دليله وقائده ، وليقم فيما نيظ به حق القيام ، ويشمر في حفظ ما استرعيناه عن ساق الإهتمام ، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها ، ومرتبته لدينا أرفعُ المراتب وأبهاها ، ومحلّه عندنا السامى الذى لا يُضاهيه سامى ، ومكانه المكان الذى ليس له فى الممكن أن يفترع علمه سامى ، فسبيله علم ذلك وتحقيقه ، وتيقنه وتصديقه ، وسبيل كل واقف على هذا المثال ، [أن] يقابله بالأمثال ، من سائر العَمال ، وأرباب الولايات والأعمال .
والاعتماد على العلامة الشريفة فى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثانى — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة والنظر عليها ، والتحدث على أوقافها وسائر تعلقاتها ، وهى :

الحمد لله الظاهر إحسانه ، الباهر برهانه ، القاهر سلطانه ، المتظاهر أمتانه ،
نحمده على إنعامه حمداً يدوم به من حلب غزارته وحلى نضارته ازدياده وازديانته ،

ونسأله أن يصلّي على سيدنا محمد نبيّه الشارح الشارح بيانه ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاء شرعه وأركانّه .

أما بعد ، فإننا لما نراه من تشييد بيوت ذوى البيوتات ، وإمضاء حكم المروءة فى أهل المروءات ، وإرعاء موات ذوى الحقوق الحقيقة بالمراعاة وإحياء الموات ، وموالات النعم الشامل عمومها لأولى الخصوص والخلوص فى الموالات ، ما نزال نلحق درجات الأخلاف منهم فى الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فنوردهم من مشارع دولتنا ومشارب نعمتنا فى الأصطفاء والأصطناع أعذب النطاف ، ومجنبيهم من مغارس الرجاء ، ومجارى النماء ، فى الإدناء والاجتباء ، ثمرات النعم الدانية القطاف ، ونفيض عليهم من مدارع البهجة والبهاء ، وحلل الثناء والثناء ، فى الأكرام ، بالأحترام ، ما يصفو على الأعطاف .

ولما كان الشيخ فلان متوحّدا بالنسب الأثير الأثيل ، والحسب الجلى الجليل ، والحميد الأكيد الأصيل ، والفضل الموروث والمكتسب ، والزكاء فى المتعمى والمنسب ، والذكاء الذى أنارت فى أفق التوفيق ذكأؤه ، والولاء الذى بان فى شريعة الإخلاص صفأؤه ، والدين الذى علا سناسنثه ، فى منار الحميد ، والخلوص الذى حلا جنى جنته ، فى مذاق التوحيد ، والرياسة التى تصوع رياء رياضها المونقه ، والسياحة التى تنوح حيا حياضها المغدقه ، والأمانة التى نهضت بها فضائله ، والموالات التى تجحت بها عندنا وسائله - رأينا إجراءه على عادة والده فى تولى المدرسة المعمورة التى أنشأها جدّه للشافعية بحلب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريسها ، وإعادتها ، وأستنابة من يراه ويختاره فى ذلك كله ، والنظر فى جميع ما يتعلق بها كثره وقله ، وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهراتهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتفصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، ونقص وتكامل وتتميم ، وحفظ الوقوف بالأحتيال
 فى مصارفها ، والعمل فيها ، شروط محبستها وإطلاقها بقيود واقفيها ، بالابتداء
 بالعمارات ، التى تؤذنت بتوفير الأرتفاعات ، وتكثير المغالات ، وتسمية الثمرات ،
 مستشعرا تقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والحننة
 الواقية عند الناثبات . وقوضنا ذلك إلى أمانته ، وبعده إلى من يقوم مقامه من
 إخوته ، تشييدا لبيتهم الكريم ، وتجديدا لمجدهم القديم ، ورفعنا لمكانتهم المكيته ،
 وحفظا لمرتبتهم المصونه . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المدرسة وسائر أوقافهم ،
 وأملاكه وأملاك إخوته وحمايتهم من جميع المظالم والمطالب ، والنائب والشوايب ،
 والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤن والسخر ، والتبن والحطب ،
 والأطباق والأنزال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأنقال ، وإعفاء فلاحيها
 ومزارعيها من جميع ذلك ، وإطلاق كل ما يصل من مغالات الأوقاف والأملاك
 المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤن على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من
 البضاعات والبياعات والتجارات مفضة مطلقه لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى
 شىء منها يد ذى يد . وليتول ذلك على عادته المشكوره ، وأمانته المشهوره ، بنظر
 كاف شاف ، وكريم وافير واف ، وورع من الشوايب صاف ، وعزوف عن الدنيايات
 بالدنيايات متجاف ، وسداد لرُكن المصالح شائد ، وتذكر لترقى مواد المناجح رائد ،
 ورأى فى ذمة الصواب راجح ، وسعى برتبة الرُشاد ناجح ، وهمية عالية فى نشر العلم
 بالمدرسة وإعلاء مناره ، وإزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ،
 ومروية تامة فى الأشمال على إخوته ومُخلفى أبيه بما يصل به الرحم ، ويظهر به
 الكرم ، ويحيى من مفاخر آباءه الرّم ، ويقوى لهم من معاهد مكارمه العِصم . وسبيل
 الولاية والنواب وكل واقف على هذا المشال إمضاء ذلك كله على سبيل الاستمرار ،

وتصرم الأعمار ، وتصرف الأعصار ، وتقلب الأحوال والأدوار ، وحفظه فيهم
وفي أعقابهم على العصور والأحقاب ، ووصل أسبابه عند انقطاع الأسباب ،
من فسح ينفض مبرم معاقده ، أو تسخ يقوض محكم مقاعده ، أو تبديل يكدر صفى
موارده ومشارعه ، أو تحويل يقلص ضايف ملبسه ومدارعه . وليبدل لهم المساعدة
في كل ما يعزده ولجماعته بصلاح الحال ، وفراغ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه
في جميع الأحوال . والعمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على التوقيع الأشرف
به إن شاء الله تعالى .

الصف الثالث - أرباب الوظائف الديوانية

هذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض بني الأئير ، وهى :

الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزد ياديه ،
وجعلنا من استخلفه فى الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إيراده .

نحمده ولسان أنعمه أفصح نقالا وأفسح مجالا ، وإذا أختلفت خواطر الحامدين
زوية كآثرها أرتجالا ، ونسأله أن يوفقنا لتلقى أوامره ونواهيته بالاتباع ، وأن يصغى
بقلوبنا إلى إجابة داعى العدل الذى هو خير دواع ، ويثقتنا من تبعات ما أسترعانا
يوم يسأل عن رعيته كل راع .

أما بعد ، فإن الله قرن استخارته برشده ، وجعلها نورا يهتدى به فى سلوك جده ،
ويستمد من يمن صوابه ما يبنى عن رأى ومدده . ومن شأننا أن نتأدب بأداب الله
فى جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمرا على عمله دلّ عملنا على توفيقه ،
فمن عنوان ذلك أنا أصطفينا لوزارتنا من تحمدا الأيام من أجله ، وتحسدا الملوك
على مثله ، ويعلم من أتى فى عصره أنه فات السابقين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيد الصدر الكبير، جلال الدين، شرف الإسلام، مجتبي الإمام نجر الأنام،
وليست هذه النعوت مما تزيد مكانه عرفاً، ولا تستوفى من أوصافه وصفاً،
وإن عدها قومٌ جل ما يدخرونه من الأحساب، ومعظم ما يخلفونه من التراث
للأعقاب، ولا يفخر بذلك إلا من أعدم من ثروة شريفه، ورضى من الجوهر
بصدفه، وأنت فقير فاحر به ولا بما ورثته من مجد أبيك الذى أضحيت الأيام به
شهوداً، والجُدود له جُدوداً، وغدا وكان عليه من شمس الضحى نوراً ومن الصباح
عموداً، وقد علمت أنه كان إليه نسب المكارم وسيمها، وكان ما بلغه منها أعظم
ما بلغه من دنياه على عظيمها، أنك خلفت لنفسك مجداً منك ميلاده، وعنك
إيجاده، وإذا آقرن سعى الفتى بسعى أبيه فذلك هو الحسب الذى تقابل شرفاه،
وتلاقى طرفاه، وغض الزمان عنه طرفه كما فتح بمدحه فاه، وإذا استطرفت سادة
قوم بنيت بالسؤدد الطريف التليد، ولقد صدق الله لهجة المثني عليك إذ يقول:
إنك الرجل الذى تضرب به الأمثال، والمهدب الذى لا يقال معه: أى الرجال،
وإذا أوزرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها، وسد ثغرها، وأصبحت وأنت
صدر قلبها وقلب لصدرها، فهى مزدانةً منك بالفضل المبين، معانةً بالقوى
الأمين، فلا تبيت إلا مستخدماً ضميرك فى ولائها، ولا تغدو إلا مستجدياً كفايتك
فى تمهيدها وإعلائها.

ومن صفاتك أنك الواحد فى عدم النظر، والمعدود بألف فى صواب التدبير،
والمؤازر عند ذكر الخير على الإعانة وعند نسيانه على التذكير، ولم ترق إلى هذه
الدرجة حتى نكحت عقبات المعالى فقضيت أجلها، وأنست من طور السعادة نارا
فهديت لها، ولم تبلغ من العمر أشده، ولا نزع عنك الشباب برده، بل أنت
فى ريعان عمرك المتجمل بريعان سؤدده، المتقمص من سيم الخلال ما أبرز وقاراً.

المشيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك محلاً ، وتلوه عقداً وحلاً ؛ فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ؛ وأصبح وشخصك في أرجائه مناراً ، ورأيك وفضلك من حوله سور وسوار ؛ وله من قلمك خطيب يجادل عن أحساب الدولة فيفتحها فخراً ، وسيف يجادل عن حوزتها فيمنحها نصراً ؛ ولقد كان من قبلك وقبل أهلك مكرها على إجابة خاطبه ، والنزول إليه عن مراتبه ؛ فلما جثته استقر في مكانه ، ورضى بعلو شأنك لعلو شأنه ؛ وقد علم الآن بأنك نزلته نزول الليث في أجبه ، واستقلت به استقلال الرمح باخدمه (؟) ؛ وما زالت المعالي تسفر بينك وبينه وأنت مشتغل بالسعي للسيادة وآدابها ، عن السعي للسعادة وطلابها . فخذ بما وصلت إليه بأستحقاق فضلك ومناقبه ، لا باتفاق طالعك وكواكبك .

وأعلم أن هذه النعمة وإن جاءتك في حفلة ، وأناخت بك بصاحبها وأهلها ؛ فلا يؤنسها بك إلا الشكر الذي يجعل دارها لك داراً ، وودها مستملاً لك لامعاً ؛ وقد قيل : إن الشكر والنعمة تويمان ، وإنه لا يتم إلا باجتماع سر القلب وحديث اللسان ؛ فاجعله معروفها الذي تُمسكها بإحسانه ، وتقيدها بأشطانه .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله ، وترد فضله على آبناء مجيدك وفضائله ؛ وذلك شيء عائد على الدولة طيب سمعته ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعته ؛ وإذا حمت مناهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وكل ما تضمنته تقليد غيرك من الوصايا التي قرعت له عصاها ، ونبتت له حصاها ، فانت مستغن عن استماعها ، مكثف بأطلاع فكرك عن اطلاعها ؛ غير أنا نسألك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاننا ، ونسأل الله أن يجعل لك

من أمرِك يُسرا ومن عزِمِك نفاذا ، وقد أجاينا لسانُ حالك بانك تأخذ بتقوى الله
التي ضمنَ لها العاقبه ، وجعل شيعتها الغالبه ، وأنتك تجعلها بينك وبينه سببا ممدودا ،
وبينك وبين الناس خُلقا معهودا ، حتى تُصبح وقد أمنتَ من دهرِك عثارا ، ومن
أبنائه أسماعا وأبصارا — ومن شرائطها أن يكونَ الرجلُ المسلم الذي سلم الناسُ
من يده ولسانه ، وفي هذين كفاية عن غيرهما من الشيم ، التي تُحفظ بها سياساتُ
الأمم : فإن العدل هو الميزان الذي جعله الله تانى الكتاب ، والإحسان الذي هو
الطينة التي شاركها القلوبُ في جيلتها مشاركة الأحاب .

وأما ماسوى ذلك من سياسة الملك في تقرير أعموله ، وتدير محصولة ، كالبلاد
وأستعمارها ، والأموال وأستثمارها ، وولاية الأعمال وأختبارها ، وتجنيد الجنود
وأختيارها ، فكل ذلك لا يصدر تديره إلا عن نظرك ، ولا يمشى فيه إلا على
أترك ، وأنت فيه الفقيهُ ابنُ الفقيه الذي سرى إليك علمه نفسا ودرسا ، وثمره
وغرسا ، فهذا كتابُ عهدنا إليك : نخذه بقوة الأمانة التي أبتِ السموات والأرض
حملها ، وما أطاقَت ثقلها ، والله يسلك بك سُددا ، ويتحرى بك رَسدا ، ويلزمك
التوفيق قلبا ولسانا ويذا ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة توقيع باعادة النظر بشعر الإسكندرية لابن بصاصه في شهر
سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهي :

الحمد لله الذي أضحك الثنور بعد عبوسها ، ورد لها جمالها وأنار أفتها بطلوع
شموسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُسرف على دروسها ، وأقام
لمصالح الأمة من يُشرق وجهه الحق بياض آرائه ، وتلتدُ الاسماع بتلاوة أوصافه

الجميلة وأنبائه ، حمد من أسبغت عليه النعماء ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبته
لنفسها العلياء .

وبعد ، فأحق من س في أندية الرياسة عطفاً ، وأستجراً وجوه السعادة من
حجب عزها فأبدت له جمالا ولطفاً ، وأصطفته الدولة القاهرة لمهمات ما رأته
خير كافل ، وتنقل في مراتبها السنية تنقل النيرات في المنازل ^(١) .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأوحد ،
الكامل ، المجتبي ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نخر الأنام ، شرف
الأكابر ، جمال الصدور ، قدوة الأبناء ، دُخر الدولة ، رضى الملوك والسلاطين ،
الحسين ابن القاضى زكى الدين أبى القاسم - أدام الله رفعتيه - ممن أشارت إليه
المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سؤال نعم الوسيله - رُسم بالأمر العالى ،
المولوى ، السلطانى ، الملكى ، العادلى ، البدرى ، - ضاعف الله علاءه ونفاذه -
أن يفوض إليه نظر ثغر الإسكندرية المحروس ونظر متاجره ، ونظر زكواته ونظر
صادره ، ونظر قوة والمزاحمتين ، فيقدم خيرة الله تعالى ويباشر هذا المنصب المبارك ،
بعزماته الماضيه ، وهيمه العاليه ، برأى لا يساهم فيه ولا يشارك ، ليصبح هذا الثغر
بمباشرة باسمه حالياً ، وتعود بهجته له بحملى نظره ثانيا . وينتصب لتدبير أحواله على
عادته ، ويقتر قواعده بعالى همته ، ويبتهد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ،
وأستخراج زكاته وتمية متاجره ، ومعامله التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا
ألفوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ، فإنهم هدأيا البحور ، ودوالة

(١) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم النسخ وأصله « من اشتهر بمحاسن الخلال ، ومحمد الخصال ،

وساس الأمور برأيه الراجح ، ودبرها بسعيه الناجح ، فلما » الخ أو نحو ذلك فتنبو .

الثغور، ومن أَسْتَمَّحَ يُطَّلَعُ عَلَى مَا يُجِنُّهُ الصُّدُورُ، وَإِذَا بَدَّرَ لَهُمْ حَبَّ الْإِحْسَانِ
نَسَرُوا لَهُ أَجْنَحَةَ مَرَآئِكِهِمْ وَحَامُوا عَلَيْهِ كَالطُّيُورِ . وَلِيَعْتَمِدَ مَعَهُمْ مَا تَضَمَّتْهُ الْمَرَاسِيمُ
الْكَرِيمَةُ الْمُسْتَقِرَّةَ الْحُكْمَ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، وَلَا يَسْلُكُ بِهِمْ حَالَةً تُوجِبُ لَهُمُ الْقَلَقَ وَالنَّظْمُ
وَالْمَقْتُ ؛ وَلِيُوَاصِلَ بِالْحُمُولِ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ ، وَنِيْمَلًا الْخِزَانَتَيْنِ السُّلْطَانِيَّةِ
مِنْ مَسْتَعْمَلَاتِ الثَّغْرِ وَأَمْتَعَتِهِ وَأَصْنَافِهِ بِكُلِّ مَا يُسْتَفْنَى بِهِ عَنِ الْوَاصِلِ فِي الْبُرُورِ
وَالْبُحُورِ ؛ وَلِيُصِرَفَ هَمَّتُهُ الْعَالِيَةَ إِلَى تَدْيِيرِ أَحْوَالِ الْمَتَّاجِرِ بِهَذَا الثَّغْرِ بِمِثْلِ تَرْفِيعِ
رُءُوسِ أَمْوَالِهَا وَتَنْمِي ، وَتَجُودِ سَحَابِ فَوَائِدِهَا وَتَهْمِي ؛ وَلِيَرَاعَ أَحْوَالَ الْمُسْتَعْذِمِينَ
فِي مَبَاشَرَاتِهِمْ ، وَيُكْشِفَ عَنِ بَاطِنِ سَيْرِهِمْ فِي جِهَاتِهِمْ ؛ لِيَتَحَقَّقُوا أَنَّهُ مَهَيَّمٌ عَلَيْهِمْ ،
وَنَاطِرٌ بَعِينَ الرَّأْفَةِ إِلَيْهِمْ ؛ فَتَنْكَفُ يَدُ الْخَائِنِ مِنْهُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ ، وَتُتَحَلَّى أُنَامِلُ الْأَمِينِ
بِمَحَاسِنِ الصِّيَانَةِ ؛ وَلِيَتَّفِقَ فِيهَا يَاثِيهِ وَيَدَّرُهُ ، وَيَقْدِمَهُ مِنَ الْمُهْمَاتِ وَيُوَخَّرُهُ ، مَعَ الْمَجْلِسِ
السَّامِيِّ ، الْأَمِيرِ ، الْأَجَلِّ ، الْكَبِيرِ ، الْمَجَاهِدِ ، الْمَقْدَمِ ، الْأَوْحِدِ ، النَّصِيرِ ، شَمْسِ الدِّينِ ،
مَتَوَلَّى الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فَإِنَّهُ نِعْمَ الْمُعِينُ عَلَى تَدْيِيرِ الْمُهْمَاتِ ، وَنِعْمَتِ
الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ فِي ظُلْمِ الْمَشْكَالَاتِ . وَلِيَطَالِعَ بِالْمَتَجَدِّدَاتِ فِي الثَّغْرِ الْمَحْرُوسِ ، لِيَرِدَ
الْجَوَابُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَا يَشْرَحُ الصُّدُورَ وَيُطَيِّبُ النُّفُوسَ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مِنَ الْجَامِكِيَّةِ
وَالْجَرَايَةِ عَنِ ذَلِكَ فِي غَزَّةِ كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ مَبَاشَرَتِهِ مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ
لِمَنْ تَقْدِمُهُ مِنَ النُّظَارِ بِهَذِهِ الْجِهَاتِ ، وَهِيَ نَظَرُ الثَّغْرِ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ عَلَى مَا شَرَحَ
أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(أن تفتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كذا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والموتى ، ثم يذكر ما سنع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه »)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة ما كان يكتب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

أما بعد ، فإننا لما منحنا الله إياه من معجزات النصر المستنطق الألسنة بالتسبيح ،
وآتانا من نظرحمي ناصر عيش الأمة من التصويح ، وأبسناه من ثياب العظمة
المخصوصة بأحسن التوشيح والتوشيح ، ووقفنا له من أصطفاء من نُقيل عليه بوجه
التأهيل للهمات والترشيح ؛ وقواه من عزائمنا التي تُرجُّ بها أرض الكفر وتُدوخ ،
ووسعه لنا من الفتوح التي أنبأؤها خير ما تُصدر به السير وتؤرخ - لانزال نبالغ فيما
ضان الحوزة وحاطها ، ومد رواق الأمانة ومهد بساطها ؛ وقرب نوازع المصالح
وجمع أشتاتها ، وأوجب أنصرام حبال اختلال الأمور واقتضى آئنتانها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديرة بمتابعة الاعتناء ومولاته ، وإعراق كرم التعهد
فيما يحفظ نظامها بمغالاته ؛ وأحقها بأن تُصرف إلى صونها وجوه الهيم الطوامح ،
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعي تذليل الجامح ؛ إذ كانت أجدر الأعمال
بِكلاءة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذي لا يجب أن يدخله إلا من
أذن له في القُدوم إليها والوصول ؛ ويتعين التحرز على الطرقات التي منها إليها
الإفضاء ، ويؤكل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أيها الأمير أشدَّ الأمرء باسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجميل لباسا؛
وأكثرهم لمهج الأعداء آخِلاسا، وأجمعهم للحاسن المختلفه ضُروبا وأجناسا؛ وقد
تناصرت على قُصودك الحسنة وإِصحات الدلائل، وتحلّت أجيادُ خِلاك من جواهر
المفآخر بقلائد غيرِ قلائل؛ وأستطار لك أجملُ سُمعه، وفطمتُ سُيوفك أبناء الكُفر
عن ارتضاعها من الملة الإسلامية تَدَى طمعه؛ ولا آستبهمت طُرق السياسة
إلا هُديت إلى مجآهلها، ولا حلاًّ التقصيرِ سِواك عن شِرائع النعم إلا غَدوت بِكفآيتك
وإِردَ منآهلها؛ وكَم شَهدتَ مَقامَ جِلاَد، ومَوقِفَ جِهاد؛ فمَزقتَ ثوبَ مارقته نَسجا،
وأدلت في ليل قَسَطله عِوادي صِوارِمك شِرجا، وقُمتَ فيما وُكل إليك من أمور
الفاؤوسية وقلعتى صَدْرِ وأيلة حرسهما الله تعالى قيامًا أحظاك بالثناء والنواب؛
وأستنبت في كلِّ منها من أجرى أمورَها على الصواب — خرج أمرُ الملك الناصر بِكُتب
هذا السجَل بتقليدك ولاية الأعمال الشريعة المقدم ذكرها .

فاعتمد مباشرتها عاملاً بتقوى الله التي مَغْنَمها خيرُ ما آقتاده مبستشعروها لأنفسهم
وأستاقوه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنكُمْ مَلَأُوهُ ﴾
وَأَبْسَطَ العَدْلَ على أهل هذه الولاية ، وأَخْصَصَ أهلَ السَّلامَةِ بما يُسِيلُ عليهم
سِترَ الحِياظَةِ والحِمايَةِ ؛ وتَطَلَّبَ المُفسِدِينَ أتمَّ تَطَلَّبٍ ، وأَحْضَرُ عليهم التَّنْقِلَ في هذه
البلاد والتَّغَلُّبَ ؛ وَمَنْ ظَنِّمَتْ بِهِ مِنْهُمْ فِقْايِلُهُ بما يُوجِبُهُ حَكمَ جَرِيرَتِهِ ، وَيَقْتَضِيهِ
مَوقِعُ جَرِيمَتِهِ ، وَيَجْعَلُهُ مُزْدَجراً لِسائِكِي طَرِيقَتِهِ . وَشُدَّ مِنَ المُستَخَلَفِ على الحَكمِ
العَزِيزِ شِدَا يَنْصُرُ جانِبَ الشَّرعِ وَيُعِزُّهُ ، وَيَكْتَرِبُهُ على الباطلِ تَرْويحُ الحَقِّ وَأَزهْ ؛
وَأَعْيَنَ المُستَخْدَمِينَ في المَنِّ على أَسْتِيفانِهِ مِنْ جُوهِهِ عِندَ وُجُوبِهِ ، وَبَلَّ كَلَّامَهُمْ
مِنْ الإِعانَةِ على تَجْصِيلِهِ أَفْصَى مَطْلُوبِهِ ؛ وَقَوَّ أَيْدِيَهُمْ في تَخْضِيرِ البلادِ وتَعْميرِها ؛

وأبعث المزارعين على مباشرة أحوال الزراعة وتقرير أمورها، وفيما يستترعون من مصالح الأعمال، ويعود عليهم في موجبات الرجاء بمنأج الآمال. وراع أمر السبل والطرق، وأجعل احتراسك عليها الآن موفياً على المتقدم من سالف الأوقات، ولا تن في إنفاذ المتخبرين، إلى بلاد العدو، وتحذيمهم في الرواح والعدو، بما يسمعهم من الهدو، وكشف أخبارهم، وتتبع آثارهم، وتسير الحواسيس إلى ديارهم، حتى لا تحمى عنك من شئونهم خافية، ولا يجدوا سبيل عزة يهتأونها - والعباد بالله - بالحملة الكافية. وطالع مما يتجدد لك وما يرد من الأنباء عليك، وعير ذلك مما يحتاج إلى علمه من جهتك، وما تجرى عليه أحكام خدمتك، فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المرتبة، وهي :

أما بعد، فإننا لما آتانا الله من سعادة لطرق الإرادات فيها تعبيد، وأسبغنا من نعم لا يعدها التحديد، ولا نحذها التعديد، وأهجننا به من اكتناف المطالب بحاج لا يعقبه تعسير ولا يفسره تعقد، وأمصاه من عرائنا التي ما فتكت قط بالأعداء فقيدتهم فقيد، ولقناه الأمانة بظننا من بضرة عيش جانب الجفاف دوحه المخلص، وأحداه بتصيرنا من أنوار الهدى المتقدمة كل دى جهل ظل ممن ضل - لا تزال سنوئح أمور أمراء دولتنا متصفحين، وبلو أخبار المؤهلين منهم لسياسة الرعية المرشحين، ونكشف شؤمهم غير منجورين ولا متسمحين، ونظهر في أحوالهم آثار الإيثار لرفع درجاتهم، وأمارات الرفع منهم مقابلة على حياطة أمواب من نكون عليه وصون منعاتهم، ونبوئهم مبنوا صدق من تصديق آمالهم وتحقيقها، وتزف إليهم

عقائل المنح المانع شكرهم من تسبب سببها وتطرق تطليقها؛ ونحل لكل منهم ما يؤمله من اجتهاده ويؤثره؛ ولا نلغى الأهتمام بما يوطئ لهم مهاد الطول الجزيل ويؤثره؛ عملاً بأداب الله سبحانه في إجزال حظوظ المحسنين من إحسان المجازاه، وإيلائهم المزيد الحاكم بنقص اعتدادهم عن الموازنة له والموازاه، كما قال سبحانه وقوله هدى ونور وشفاء لما فى الصدور: ﴿ وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً زِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

ولما كان الأمير (والنعوت وللدعاء) من أنجحهم فالأ، وأرجمهم مصالاً، وأصلحهم أعمالاً، وأوضحهم كلاً؛ وما زالت أغصان نهاء متتابعة في بسوقها، وضرائب نافقة أعلق المحامد بسوقها؛ وعزائم في إذلال الفرق المبالغة في فسوقها، مشمرة عن سوقها؛ وما برح في شوط الفخر راكضاً، ولعقود مكروه الأمور التي تزيغ الأمانة رافضاً، وبأعباء القيام بفرائض الآلاء ناهضاً؛ وما أنفكت مناقبه تعي بيان الواصف وبنان العاد، ومساعيه مدركة وهي وادعة ما يعجز عن أقله جد الحاد؛ ورأيه [يرتق] كل متفق ومنبثق من الأمور المهمة بسداد الراق للساد، وجميل ذكره يفوح بما يفوق المسك فيثوب إليه من الثواب بالنأي الناد؛ وما قتي داب شيمته الإعراض، عن المويق من الأعراض؛ واختيار الرفق، والإغراق فيما يديه إلى فك أعناق أسرى المسلمين من سرى العتق - نرج أمر الملك الناصر بكتب هذا السجل له بتقليده ولاية الأعمال الغربية .

فليتقلد ما قلده معتمداً على تقوى الله التي صرف عن معتمدها شرب التكدير، ومنحه من المكارم عنده ما يوفى على التقدير؛ وليجر على عادته في بسط ظل المعدلة عومد رواقها، وصون مساحى الرعايا عن إملاقها منها وإخفاقها؛ والمساواة بها بين

الأقوى والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبادى والحضار، والمناوين والأنصار؛
والخاص والعام، والأجنبي ورب الحُرمة والذمام: لينام المستورون على مهاد الأمن،
ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن. وليعامل المستحلف على الحكم
العزيم بما يستوجبه مثله من نُصرة الأحكام « ووكل إليه أمر الأُمراء لمن آثرها
والإحكام» والإكرام الشامل لقدره، والأهتمام الشارح لصدره. ولينوح المستخدمين
في الأموال بما يكون لعلهم مُريحاً، ليصل إليهم ما يرومونه نحيحاً. ويلزم من
جرت عادته بلزوم الحدود وأجتناب تعديها، والتوفر على حفظ مسالكها والمترددين
فيها، وليطالع بما يتجدد قبله من الأحوال الطارئة، وما لم تزل الرسوم بإنهاء مثيلها
جاريه، إن شاء الله تعالى.

المرتبة الثالثة

(أن تفتح الولاية بلفظ «رُسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح،

ثم يقال «وسبيل كل واقف عليه»)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشد ناحية، وهي:
رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالإتمام على الأمير فلان بما يُفيض عليه
ملايس الأصطفاء ويضيفها، ويُسمى لقدمه في الثبات مدارج الارتقاء ويُسيبها،
ويُعرب عن اختصاصه بالمنزلة التي يفصل بها على مُباريه، واستخلاصه للمرتبة التي
يفوت بها شأؤ مجاريه، ويؤهله لتغري حريم المحروس وشده، وتوليّه أموره بكفايته
ونهضته وحزامة وجدته، وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما يختص
بها ويضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه، والتعويل في ولايتها وتعميرها وتثريها

(١) كذا في غير نسخة ولا معنى له وقد تقدم لهذا المقام أمثال ونظائر يفهم منها المقصود.

عليه ، بموجب ما يُفَعَّل من الديوان على ما كان جارياً فى الإقطاع المحروس للحال ،
وسبيل أهل الديوان - أيدهم الله - العمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم بشد وقف ، وهى :

رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالتعويل على الأمير فلان فى تولى
الوقوف بالجامع المعمور بحلب المحروسة ، والبيارستان ، والمساجد ، والمشاهد
بالأماكن والمواضع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتفويضها إليه ، والاعتماد
فى جميعها عليه ، سكوناً إلى نهضته وكفايته ، ووثوقاً بخبرته ومعرفته وعلمها بنزاهته ،
وسداده وأمانته ، وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وخمسة .

فليتول ذلك بكفاية كافية ، ونهضة وافيه ، وهمة لأدواء الأحوال شافية ، ونظر
تام ، لشمل المصالح ضام ، وتدير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعام ،
وتقوى لله عز وجل تقوى بها يده ، ويضح بالاستقامة على سنتها جدده ، ناظراً
فى الوقوف ومصارفها ، وتتبع شروط واقفها ، بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتثير
أموالها ، وتدير أحوالها ، مطالباً بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكبلاً وإضافة ،
وأحساباً وسياقه ، وليطلب شواهد ، وليبين على الصحة قواعد ، وليتمس ما يصح
من بواقبه من جهاتها ، وليكشف بما يوضحه من سبل الأمانة وجوه شبهاتها ، وقد أذن
له فى استخدام من يراه من النواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ،
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسبيل التواب - أيدهم الله - العمل بالأمر
العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

المرتبة الرابعة

(أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت صفته كذا» وما أشبه ذلك)

فمن ذلك نسخة منشور بنقابة الأشراف، وهي :

مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ شَائِعَةً بَيْنَ الْأَنْامِ ، وَكُنْفُ فِضَائِلِهِ مَنشُورَةً لَدَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، مَعَ شَرَفِ نَسَبِ شَايِخِ الْأَعْلَامِ ، وَتَوَقُّعِ فَخْرٍ بِهِ عَلَى الْأَنْامِ ، وَعِلْمِ يُجْلَى بِهِ صَدَأُ الْأَفْهَامِ ، وَعِقَّةٍ مَرَاتِمُهَا مُحْكَمَةُ الْإِبْرَامِ - كَانَ حَدِيرًا بِإِفَاضَةِ سَبْجَالِ النَّعْمِ عَلَيْهِ ، وَقَبِينَا بِإِرْسَالِ سَيْلِ الْمَوَاهِبِ إِلَيْهِ .

ولما كان الشيخ فلان متصفاً بهذه الصفات الحميلة ، ومتخصصاً بمزاياها الحليّة ، وضارماً فيها بالسهم المعلن ، ونازلاً منها في الشرف الأعلى ، ومتقماً ثوب الإخلاص والصفاء ، ومتشجعاً بوشاح العفة والولاء - أختصصناه بزيادة التقدير والاجتهاد ، وحبوناه بوفور الكرامة والإصطفاء ، وأحريناه على مستمتر ربه بالرعاية على ذرية أهل العباء ، حسب عادته المستقرّة إلى آخر عهد من كانت الإيالة إليه وإلى رحمة الله مضى : ليسبر فيهم بكتاب الله العظيم وسنة رسوله ، ويسلك حدّ الحق الذي بوصله من الزلفى إلى أقصى مناه وسوله ، ويحضهم على تلاوة القرآن ، ومعرفة ما يوضح للأديان . وليسوّى الحكم بين الضعيف فيهم والقوى ، ويعمّ بالإنصاف الفقير والغنى . وليُحسِن إلى مُحْسِنِهِمْ ، وليُجِر على فضله لمُسيئِهِمْ ، بعد أن يقدم إليه زجراً ووعيداً ، ويوسعّه إنذاراً وتهديداً ، فإن وعى وأرعوى وإلا سلط عليه أسباب الأذى ، وتولاه بما يستحقّه من الحرّاء ، ويعبده إلى حالة الاستقامة والأستواء ، ويكفه عن ذراعى انصوى . ومنّ وجب عليه حد أقامه فيه ، وبأدر إلى أعماده ، وتوخّيه ، حسب ما يوجبّه حكم الشرع ويقتضيه .

ولیکن رُؤفًا بهم ما استقاموا، ومتقیًا منهم ما أعوجوا ومالوا؛ وإن وجب علی أحدہم حق لىّ أو دینى، استخلصه منه ولم یمنعه تعلقه بنسب شریف علی؛ وإن أفتىٰ منهم مفسر علی أحد من الملل، قابله علیہ بما یزجره عن قبیح العمل: فإن الناس فی دار الإسلام ومن هو تحت الذمام سواسیة وأقربهم إلى الله تعالى من كانت سیرتہ فی الإسلام رضیہ، وطویئہ فی الإیمان خالصةً نقیہ، ومن حکم علیہ حاکم من الحکام، بحق ثبت عنده بالبینة العادلة أو الإعلام، أنترعه منه أو سجنه علیہ، إلى أن یرضى خصمه أو یرد أمره إلى الحاکم ویفوضه إلیہ .

ولیحرس أنسابهم بإثبات أصولها، وتحقیق فروعها؛ ومن رام دخولاً فیہ بدعوى یبطل فیہا نقب عن کشف حاله، وإظهار محالہ؛ وإجازاه بما یرتفعه أمثاله؛ یرتدع فیما بعد مثاله: لیخلص هذا النسب الکریم، من دعوى المجهول، وأندماجه فی أسرة الرسول؛ علیہ أفضل الصلاة والتسليم . وینمغ من اتصال أیم من الأسرة إلى عامی، ولا یفسح أن یعقد علیها عقد إلا لکفء ملى: لیراً هذا المجد الشریف من التکدیر، ولا تریفه شوائب التغیر .

ولینظر فی الوقوف علی المشاهد والذریه، نظراً یجده علیہ من یعلمه من البریه، ویحظیه بالثواب عند مالک المشیه . ویبتدئ بعارة أصولها وأستکمال فروعها، وقسمه مغالها علی ما تضمنه شرط الواقفین لها . ولیحتط علی الذور، وینفقها علی عاداتها فی المصالح والجمهور؛ عالمًا أن الله تعالى سائله عمّا توخاه فی جمیع الأمور، وأنه لا یخفی علیہ کل خفی مستور . قال الله سبحانه: ﴿ یَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا یَخْفَىٰ عَلَی اللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لَمَنْ الْمُلْكُ الْیَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ .

وأذنا له أن يهتنيب عنه في حال حياته ، وبعد وفاته - فسح الله له في المهل ،
 وخوله صالح العمل - الأرشد من بنيه ، ومن يختاره لهذا الأمر وله يرتضيه . وقد
 أنعمنا عليه بإجراء ما كان باسمه مستمرا إلى الآن ، وأضفنا إليه ما يُعينه على النظر
 في مصالح الأسرة أدام الله له علو الشأن ، من تملك وإدراة وتيسير ، وجعلناه له
 مستمرا ، وعليه مستقرا ، ولمن بعده من نسله والأعقاب ، على توالي الأزمان
 والأحقاب ، وحظرنا تغييره وفسخه ، وتبديله ونسخه : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
 فَأَمَّا إِمُّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وهو معين من ديوان الأستيفاء
 المعمور ، بهذا المنشور المسطور ، بالأمر العالى أعلاه الله وأمضاه ، عما كان قديما ،
 وما أنعم عليه به آخرا ، وهو القديم الذى كان له وشهد به الديوان المعمور ، وهو
 الإقطاع من ناحية كذا ، ويجرى على عادته فى إطلاق ما قرره من ناحية كذا
 بشهادة الديوان الفلانى ، والمحدد الذى أنعم به عليه لأستقبال سنة سبع وسبعين
 وما بعدها . وسبيل كافة الأسرة الطالبين بمدينة كذا الأنقياد إلى تباعته ، والامثال
 لإشارته ، والتوفر على إجلاله وكرامته ، فإنه زعيمهم ، ومقدمهم ورئيسهم ، ومن
 خالفه منهم قابلناه ، وبألم العقاب جازيناه ، والاعتماد فى ذلك أجمع على التوقيع
 الأشرف العالى أعلاه الله ، والعلام الديوانية فيه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولايه الشرقية ، وهى :

لما كانت الأعمال الشرقية أجدد البلاد باكيد الأهتمام وأخلق ، وأولاها بإضفاء
 سربال الأهتبال الذى لا يُخلق إذا رث سواه وأخلق ، وأقمنها بحسن نظير يُرسل
 لرسول على الرسم الأعنة فى إدامة نضرة العماره عليها ويطلق ، وأحقها بأن يُرم لها

سَبَبُ تَفْقُدِ لَا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَنْتَلِقُ ؛ وَأَجْرَاهَا بِاعْتِنَاءٍ يَقْضِي لِأَمْرِهَا بِالْإِطْرَادِ ،
 وَأَوْلَاهَا بِتَعَهُّدٍ يَجْمَلُ مَصَالِحَ الشُّنُونِ آفَةً لِلنَّوَاءِ بِهَا وَالْمُقَامِ عَائِفَةً لِلنَّشُوزِ عَنْهَا
 وَالشَّرَادِ ؛ لِأَنَّهَا بَابُ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرِدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرَّةِ الْإِيَّامِ ؛ وَمِنْهَا
 يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِعَ وَالْمُتَخَبِّرِينَ ، وَبِمَوَاصِلَةِ التَّفَقُّدِ تَعَلَّمَ الْأَحْوَالُ
 الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ ؛ فَتَجِبُ الْمَبَالِغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرَفَ
 الْهِمَمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَعَامَّةِ أَنْقَابِهَا وَأَتِّجَاهِهَا ، وَيَوْضَعُ بِنَاءَ الْحَزْمِ فِي صَوْنِ
 أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسِّسُ ، وَيَسَالِّغُ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ
 لِلْعَدُوِّ الْمَلْعُونِ وَيَتَجَسَّسُ ؛ وَكَانَتْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،
 وَذَوِي الْكِنَايَةِ الْمُؤَفِّي تَرَاوُهُمْ فِيهَا [عَلِي] عَارِضَ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زِلْتَ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِ
 الْأَتْرَاكِ الْأَعْيَانِ لِسَمِّهِمْ (؟) ، الْمُقْتَصِرِ مَجَارِوَهُمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَّالَةِ عَنِ التَّلْحَاقِ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ
 وَقَدْ تَقَدَّمَتْ وَلَايَتُكَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ فَقَصَدْتَ مِنْهَا قَصْدًا سَدِيدًا ، وَأَلْحَقْتَ الرِّعَايَا
 ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - نَحْرَجُ الْأَمْرَ بِإِيدَاعِ هَذَا الْمَنْشُورِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ إِعَادَتِكَ
 إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغٍ فِي أَسْتِضَاحِ الْأَنْبَاءِ وَكَشْفِهَا ، وَرَفْعِ الْوَيْبَةِ فِي ذَلِكَ وَصَرَفِهَا ؛
 وَوَكَّلَ بِهِ عَزْمَةً لَا تُنْمِ سِنَّةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضْيِيقِ سَعَةِ الْقَوْلِ بِوَصْفِهَا ؛
 وَتَابِعَ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَائِعِ وَنَدْبِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبِ الْمُسْتَنْهَضِينَ عَلَى
 شَهْمِهَا وَنَدْبِهَا ؛ وَأَجْتَهَدَ فِي حِفْظِ الطَّرُقَاتِ وَالْمَنَاطِلِ ، وَأَسْتَنْهَضَ لِلتَّحْرُزِ عَلَيْهَا
 مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ؛ وَتَحَفَّظَ مِنْ جَلَالِ يَتَطَّرَقُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَلَى الْبِلَادِ
 وَخَلَّالِ يَتَخَالَفُهَا ، وَأَنْتَضَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بِصَارِمٍ حَدِّ تَسْلَمَ مَضَارِبُهُ مِنْ عَجْزِ يَفَالُهَا ؛
 وَلَا تُتْبَقِ مَمَكَا فِي إِنْفَازِ الْمُتَخَبِّرِينَ ، وَإِرْسَالِ مَنْ يُغِيرُ عَلَى بِلَادِ الْعَدُوِّ مِنَ الْخَيْبَرِينَ ،
 بِمَا [أَنْ] هَذِهِ سَبِيلُ التَّدْرِيبِ ، وَأَنْزِمَ أَرْبَابَ الْحُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَفْطَارِ حِرَاسَةَ
 حُدُودِهِمْ ، وَخُدْمَهُمْ بِاسْتِنْفَادِ وَسْمِهِمْ فِي الْأَحْثِيَاطِ وَأَسْتِيفْرَاغِ مَجْهُودِهِمْ ؛ وَطَالِعَ

بما يُورد قبلك ، وأنه ما يُزيح بسُرعة إجابتك عنه في الخدمة عليك ؛ فاعلم هذا
وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المُرْتاحية ، وهي :

نخرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جَوْهره
السُّبك ، وارتفع في إشكائه بالإنصاف عن كل شاك الشك ، وحصل عنده [من]
الخلال الزكية نظم لا يتحلل وعقد لا ينفك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المفرج
به عن الرعية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتجعل إليه كلاءتهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمد عند سحر عزمه ، وتجريب نصل حرمة ؛ وأعتبر
فصل مقاله ، واختيار أصل أصلته ؛ وشكر استمراره على الاتصاف بمحض الولاء ،
وأستدراره أخلاف غرر الآلاء ، وأستناره أصناف جنى الثناء ، وأستقراره أبناف
وهي الأعتناء ؛ ولم تزل في رفعتك وجيها ، وما برح جميل الرأي يديم بغنا لتحف
الإحسان نحوك وتوجيهها ؛ وما أنفكت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تنويرها ،
وشجاعتك متينة على الكفار كل كفاح يلتقون منه كلاً ثقيلاً ويوماً كريهاً ؛ - أودع
هذا المنشور ما رسم من استخدامك في ولاية الأعمال المُرْتاحية .

فاشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التي تشوى بها أسباب توفيقك وتناؤه ،
وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك وينكد . وأعتد العدل على من
تستعمل عليه هذه الولاية وتحمويه ، وبالبح فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ؛ وأقصد
ما يقضى لسربهم بالتأمين ، ويبلغهم من تحصين أوطانهم غاية التأميل . وأجعل
أيدي المفسدين مكفوفة عن كافتهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إحاقهم ؛

وتطلب الأشرار ، وتتبع الدُّعار . ومن ظفرت به منهم فلا تكن عن التنكيل به ناكلا ، ولا تنصّر في الحوطة عليه والمطالعة به عاجلا . وعامل النساء في الحكم العزيز بإنهاضه ، وصون مديد باعه في تنفيذ الأحكام عن انقباضه ، وأعضده في إنفاذ قضاياه ، واختصاصه بإكرام يقبل عليه مطلق مجاه . وشد من الضامن في استيداء حقوق الديوان واستنطافها على أحسن حال من غير خروج عن الضرائب المستقره ، وعوائد العندل المستمره . وتحرز أن يكون لناهضة العدو طروق إلى ناحيتك أو آتياك ، وشمّر للتحفظ من مكايدهم تسميرا يزول عن حقيقته عارض الأرتياك ، ولا تبقى شيئا يمكن لأدل ولايتك قواعد الأمانة منهم ، وتبتل لوقايتهم أذاهم . تبتل من لا ينام عنهم . وطالع بما يحتاج إلى علمه من جهتك إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية السمنودية ، وهى :

إن أولى من ولى الأعمال ، وتعلقت بكفائته الآمال ، وعدقت به المهمات ، وأسندت إليه الولايات ، من نطقت بمعدته الأليته ، وانتفت عن عين خبرته السنه ، وكان حسن السياسة لرعيته ، كثير العبارة مدة توليته ، شهما في استخراج الحقوق من جهاتها ، صارما في ردع المجرمين عن زلات النفس وهفواتها ، حسنة سيرته ، خالصة مناصحته وسيريرته .

ولما كنت أيها الأمير فلان - أدام الله تأييدك وتسديدك ، وحراستك وتمهيدك - أنت المتوشح بهذه الصفات الحسان ، المتصيف بما تقدم من الشرح والبيان ، الذى نطقت شمائلك بشهامتك ، وشهدت مخايلك بنباهتك - خرج الأمر الفلانى بأن فتولى مدينة سمنود وضواحيها ، وما هو معروف بها ومنسوب إليها ، بشرط بسط

العدل ونشره، وإعباق عرف الحق ونشره؛ وأن تُخفف الوطأة عنهم وتفعل ما هو أولى، وتعلم أنك تُسال من الله تعالى في الأخرى ومنا في الأولى؛ وأن تصون الرعايا وتجلب لنا أذعيتهم، وتعاملهم بما يُطيب نفوسهم ويبلغهم بغيتهم؛ حتى يتساوى في الحق ضعيفهم وقويهم، ورشيدهم وغويهم، ومليهم ودنيهم؛ وأن لا تُقيم الحدود على من وجبت عليه إلا بمقتضى الشرع الشريف، والعدل المنيف؛ وأن تُشد من ثواب الحكم العزيز، وتفعل في ذلك فعل المهذب ذى التميز؛ وأن تحسّر عن ساعد الاجتهاد في الجمع بين استخراج جميع الحقوق الديوانية والعمارة، وتجعل تقوى الله هى البطانة لك والظاهرة؛ وأن تبدل النهضة فى استخراج الأموال، وتحصيل الغلال على التمام والكمال؛ بحيث لا يتأخر منها الدرهم الفرد ولا القدح الواحد، وتفعل في ذلك فعل المشفق المشمر الجاهد؛ وأن تُديم مباشرتك للأقصاب فى حال برشها وزراعتها وتربيتها وحماها، واعتصارها وطبخها، وتزكية أثمارها؛ بحيث لا تكل الأمر فى شيء من ذلك إلى غير ذى ذمّة بمفرده، ولا إلى من ليس بذى خبرة لا يعلم مشق التصرف من مسعده. وقد جعلنا لك النظر على جميع النواحي الجارية فى ديواننا بالوجه البحرى خاصة لتنظر فى أمرها، وتزجر أهل الجنايات بها، وتفعل فيها كل ما يحمده به الأثر، ويطيب بسماعه الخبر.

فتقلد ما قلدت، وقم حق القيام بما إليه نذبت؛ واعمل فيه بتقوى الله فى سرك وجهرك، وقدم الخوف من الله على جميع ما تأتبه أو تذرّه من أمرك؛ وتسلمه شاكرًا لما أسديناه إليك، متمسكا بما أوجبناه عليك؛ فإن الشكر يُوجب مزيدك، ويكثر عايدك.



وهذه نسخة بولاية النستراوية، وهى :

من عادتنا فى التدير وشمتنا، وسنتنا فى السياسة وسيرتنا؛ إسباغ المواهب والنعم،
وتتقىل عبيدنا فى مراتب الخدم؛ أسترشادا بأسلافنا الملوك وأقنداء، وأستضاءة
بانوارهم المشرقة وأهتداء.

ولما كنت أياها الأمير من أيرفت بسالته، وأشهرت شجاعته وصرامته؛
وأستحق أن يلحظ بعين الرعايه، وأن يشرف بالإرتضاء للتمويل عليه فى ولاية، -
وأينا - وبالله توفيقا - أستخدامك فى ولاية الأعمال النستراوية، وخرج أمرنا إلى
ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك، وتضمينه ماتعمد عليه، وتنتهى
إلى المثل لك فيه .

فتقلد ماقلدته حاملا بتقوى الله فيما تُسره وتعلمه، معتمدا فيها غاية ماإستطيعه
المكلف ونهاية ما يمكنه؛ فالله تعالى يقول إرشادا للمؤمنين وتفهيما : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وساو بين القوى من هذه الولاية والضعيف،
ولا تجعل فى الحق فرقا بين المشروف والشريف؛ وأمدد على كافتهم رواق الشكون
والأمنة، وأجرهم فى المعدلة على العادة الجميلة الحسنه؛ وأفعل فى إقامة الحدود على
من تجب عليه ما يوجبه كتاب الله الكريم، وتفضى به سنة نبيه عهد عليه أفضل
الصلاة والتسليم؛ وأداب فى حفظ السبل والمسالك، وأجتهد فى ذلك الاجتهاد
الذى يجب على أنظارك وأمثالك؛ ومتى ظفرت بمن يؤذى مسافرا، أو يخيف واردا
أو صادرا؛ فطالع بحاله ليمثل لك فى التمثيل بما تعتمده، وتؤمر فى شأنه بما تنتهى

إليه وتقصده . وراع المستخدمين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما بإعزازة يقوم
منار الإسلام . وتجرى أمور الشريعة على أجمل وضع وأحسن نظام . وخذ
المستخدمين في الأموال الديوانية بالأجتهد في العماره ، وحمل الماملين على ما توجبته
المعدلة والحرص على ما وفر الارتفاع ، وحماه من أسباب التفريط والضياح ؛
واستنهض الرجال المستخدمين معك فيما ترى نذبهم إليه ، واستهاضمهم فيه ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية ، وهي :

أهتامنا بما حاط ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحصنه ، ومنحه أتم حظ
التفقد وأكمله وأجمل وضع التعهد وأحسنه ؛ وقوى سبب استقامة شؤنه وأتساق
أموره ومكثه ، ومد ظل الدعة والسكون على كافة من تديره وسكته ؛ وحفظ
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ؛ وأنام أهله على مضجع
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلالهم نجود الاتحاد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ؛
وحمل سوام أموالهم من مشروب وريد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وحباهم من
رسوم الإحسان وعوائده مالا ينطق لسان على زوائده يترخيم ؛ وملا آمال الأعداء
عن التطرق إليه إخفاقا ، ورد نصول سهام مكايدهم عنه على ما عهد من فضل الله
سبحانه أفواقا - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزارا ، وأسبقها إلى غاية
التفضيل آتدارا ، وأكثرها بمن حواه من صدور الدين وأئمة المسلمين أفتخارا ،
وأفضلها محلا ولم يزل مفرع السفار من كل جهة رسلا وتجارا - أوجب أن تسند
ولايته ، وورد كلاءته ، إلى من يجرى في التدبير على حكم سياسته المعلوم ؛ الحسنی

الأخذ بيدي المظلوم ، ويقومُ بنحسن التفويض والإيثمان ، ويعطى ببدل السلامة من حقوق انتقامه عهدة الأمان ؛ ويسلكُ فيما يُعَدَّق به طريق السداد ويلزم نَهجه ، ولا يمكنُ أن يكونَ له على غير الصواب معاجٌ ولا عرجه ؛ ويأخذُ في كل أحواله بوثائق الحزم ، ويُحِلُّ له أعماله الصالحةُ من مثوى المنازل الرفيعة ما هو على غيره من الحرام الحزم .

ولما كان الأميرُ المعنى بهذا الوصف الواضح البيان ، المتكافئة في ذكر مناقبه شهادة السماع والعيان ، الكالِي ما يَناطُ به بقلب المعنى وطرف بَقْظان ، الحال من الورع في أسمى مكان وأعلى مظان ، الجامع في إقامة شرع الإخلاص بين الفرائض والسُنن ، الموفية عزائمهُ على مضارب المهتدة التي لا تقي منها مانعات الجُنن ؛ الفائح من نبئه ما تُؤثر صحاحُ الأنباء عن عليل نُسبِهِ ، الجدير بما يُزف إليه من عقائل جزيل الإنعام وجسيمه ؛ وقد أبان في ولايته بمطابقتِهِ بين شدته ولينه ، وإقامة منار الإنصاف المعرب عن امتدادِ باعه في الحرب وأنقباضِ يمينه ؛ وإروائه كافة أهلها من تمير العون على أستبواب الأمور ومعينه - خرج أمرُ الملك العادل بتقليده ولاية نجر الإِسْكَندرية حماه الله تعالى والبحيرة .

فليتقلدْ ما قلده إِيَّاه ، وبياسرهُ منشرحاً صدرهُ متهللاً مُحْيَاه ؛ وليعتمدْ على تقوى الله التي هي خير عتاد ، وأفضل ما اعتمد عليه في الحياة الدنيا ويوم يقومُ الأشهاد ؛ وهي نجاةُ أهل اليقين ، وفوزُ المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليبالغ في شراسة العدل ومدِّ جناحه ، وتغية أذى الجور وأجتياحه ؛ وليشمل الصغير والكبير من أهل هذه الولاية بردها للنصفه ، ويعاملهم بالجميل الموفى على

الصفه ، ويقم الحدود على مستوجبها ، وينته إلى الغاية في تجنب إضاعتها وتوقيها ،
 وليدل على المفسدين عين من يتبع وقوعهم في قبضته ويتطلب ، ويقابل كلاً منهم
 بما يرى متعقبا بما يماض برق المعاقبة غير خلب ، ولا يبقى ممكنا في التنقيب على
 مرتكبي الآثام ، والمرتكبين على سفك الدم الحرام ، ومن ظفربه منهم فليحكم فيه
 شبا ظفر الانتقام ونابه ، ويقابله من الردع بما يؤمن من معاودة عادات التعدي
 على كل سحير ونابه . وليجر على عادته فيما يسير عنه أحسن السمع ، ويشهد له بالتزهر
 عن خبيث الطعمة وقبيح الطمعه . ويشد من القاضي متولي الحكم فيما يصدده
 ويورده ، ويحله ويعقده ، ويمضيه من الأحكام الشرعية ، ويعتمده في القضايا بما
 لديه من الألية . ويعاضد المستخدمين في الأموال معاودة ثمره ، وتمي الأرتفاع
 وتوفره ، وتعود على الديوان بالحظ الوافي ، وتغرب عن كونه بمثل هذه الولاية نعم
 الكف الكافي . ويعامل التجار على تباين بلدانهم ، واختلاف ألسنتهم وأوانهم ،
 معاملة يجمل أثرها ويحسن ، ويتلقاهم ببشر وطلاقة تنطق بشكر أستبشارهم بها
 الألسن ، ويحفظهم في أنفسهم وبضائعهم ، ويستنفد الوسع في دفع مضارهم
 وروائعهم . ويعتمد بعث رجاله على الاستعداد للجهاد ، والتأهب لقراع الأضداد .
 وينته إلى الغاية فيما يزيل منهم أعتادا ويزيح أعتلالا ، ويوجب لهم الأقتدار على
 مكافحة عدو إن طرق الثغر والعياد بالله تعالى .



وهذه نسخة بولاية برقة ، وهي :

من حق الأطراف المتناهية في بعد أقطارها ، والبلاد الشاسعة عن ثواء المملكة
 ومحل استقرارها ، التي أنتظمت في سلك أعمال المملكة الناصرية وأنخرطت ،

وأستدركت مِعْدَاتُهَا لِمَنْ حَوَتْهُ فَوَائِتُ الْفَوَائِدِ الَّتِي سَلَفَتْ وَفَرَطَتْ - أَنْ يُدِيمَ أَيْدِيَهُ
الْإِهْتِمَامَ لَهَا التَّحْصِينَ وَالتَّحْسِينَ ، وَلَا يُغَيَّبُ أَهْلَهَا مَا يَغْشَاهُمْ مِنَ الْمَلَاخِظَاتِ مُصْبِحِينَ
وَمُمَسِّينَ ؛ وَتُزَجِّجُ لَهَا سَحَابُ كَرَمِ التَّعَهُدِ عِهَادَهُ غَدَقًا ، وَبُعْمَلِ الْأَوْلِيَاءِ فِي حَيَاظِهَا
مِنَ الْعُمُودِ أَلْسِنَةً وَيُذَكِّرُونَ دُونَهَا مِنَ الْقَنَائِدِ حَادِقًا ؛ وَيَنْوِضُ أَمْرَهُمْ إِيَّاهُ مَنْ تَخَفُ
عَلَى يَدِهِ كَلْفَتَهُمْ ، وَتَجْتَمِعُ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ أَلْفَتُهُمْ ؛ وَيَشْتَمِلُ مِنْ عِنَايَتِهِ عَلَيْهِمْ أَشْتِمَالُ
الصَّدَقَةِ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَتَنْبَلُهُمْ مَهَابَتُهُ مِنْ كَفِّ عَدْوَى الْعِدَا كُلِّ مُؤَثِّرٍ مَطْلُوبِ .

ولما كنت أيتها الأمير من أمير سالكى هذه الطرائق ، وأمثل فرسان الحروب
وحماة الحقائق ؛ وأشجع المجاهدين فى الله حق جهاده ، وأجسرهم على إصلاء الشرك
ضرام فى لا يخشى إصلاذ زناده ؛ ولك السياسة التى ترتب بين الأسود والظباء
أصطحابا ، والمخالصة التى لا تُناجى إذا وُصِفَتْ بالتغالى فيها ولا تُجابى - خرج أمر
الملك العادل بكتب هذا المنشور لك بما أنعم عليك بولايتيه وإقطاعه : وهو بركة
بجميع أعمالها وحقوقها : من العقبة الصغرى وإلى آخر حدودها ، وبما أمر به كافة
العربان المقيمين بهذه البلاد ، وجميع أهلها من حاضر وباد : من الإعلان لك بشعار
الطاعة ، وصون ما يلزمهم أداءه إليك من فروض النصح عن الإضاعة ؛ وأن يبدؤوا
فى موافقتك غاية الاجتهاد ، ويعتمدوا من أمثال مراسيمك أحسن اعتماد ؛ ويحذروا
من العدول عن أمرك ، ويحتملوا مخالفة نهيك وزجرك

فاستمسك بجبل التقوى الفاتر من يعتصم به ويتعلق ، وأستشعر من خيفة الله
ما يشرق لأجله عليك نور الرضوان ويتألق ، قال الله تعالى فى كتابه المكنون :
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) . وعامل أدل هذه الولاية بالإنصاف ؛
وإياك ومكره العدول عن محجة العدل والإيمراف ؛ وتوق العسف بهم والحيف

عليهم ، وأجتنب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بعدوان إليهم ؛ وسرفهم
 سيرة ترؤف بهم وترؤق ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق أخلاق المتخرفين
 وتتفق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة
 عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغل عنهم أيدي حاضري المفسدين وباديتهم ،
 وأينهم بالمهابة عن إصرارهم على المنكرات وتماديهم ؛ وكل بهم عزما رادعا لهم
 وإزعا ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنكلا يزجر من يظل ببحر الضلال نازعا . وشد
 من خلفاء الحكم العزيز في تنفيذ قضاياه ، وخصهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة
 مناره وإنارة مزاياه . وأعتد ما يعيد الحقائق بوجوه ناضره ، ويرد الأباطيل
 بصفة خاسره . وراع أمور التجار والحجاج مراعاة تشملهم في السفر والإقامة ،
 وتحميهم من تطرق استهانة إلى أحد منهم وأستضامه ؛ وطالع بما يتجدد من أحوال
 خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية الفرما ، وهي

نحن لما ضاعف الله لدينا من إحسانه وأجزله ، وعدفه بنا من تدبير أمور الخلق
 وأسنده إلينا ووكله ، نعتمد عبيدنا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يعمرهم
 من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فنقدم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، ونوهل
 بآرب من أبانت شيمه عن خبرته ومناصحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايعته وموالاته ، وحسنت في مكافئة
 الاعلاء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أفعاله دلائل النصح وبانت عليه سيماته ؛
 ولك تساع مشكوره ، ومواقف مشهوره ، ومقاصد هي من ما ترك معدودة

وفي فضائلك مذكوره؛ رأينا - وبالله توفيقنا - أستخدمك في ولاية الفرما والحفار: (١)
سكوناً إلى رضا مذهبك، وثقةً بانتظام الحال فيما يرد إليك ويُنَاطُ بك، وخرج
أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمينه
ما زامر به ونزومه، مما يهديك إلى الصواب فتتمسك به وتعكف عليه وتلزمه .

فقلد ما قلده شاكرًا على هذه النعمى، عاملاً بطاعة الله تعالى ومراقبته في السر
والنجوى؛ وأعدّها زاداً إلى الآخرة تطمئن به القلوب. وتقوى، قال الله عز من
قائل في كتابه: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . وأعتد في أهل هذه الولاية
نصفه تعمهم ومعدله، وسنهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة ولسنة الجور
مبدله . ومائل في الحق بين قويهم وضعيفهم، ولا تجعل مزية في الواجب
لشريفهم على مشروفهم؛ وأنتصف للظلم من المعتدى الظالم، وأعمل بالكتاب
والسنة في الحدود التي تُقيمها على ذوى الجبرائر والجرائم؛ وأنتصب لحفظ
الطُرُقَات، وصون الصادرين والواردين في جميع الأوقات؛ ونكل بمن تظفر به من
المفسدين، وأجعله عظةً لأمثاله من الظالمين والمعتدين؛ وعاضد النائب في الحكم
العزيم معاضدةً تقضى بإعزاز الجانب، وساعده مساعدةً تنفذ بها أحكامه على قضية
الواجب؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية فهى مصباح الزمان، وبإشادة ذكره تقوى
دعائم الإيمان؛ فاجتهد في تمييز متولّيها وإكرامه، وبلغه في ذلك غاية مطلوبه
ومرامه . وتوفر على الشد من المستخدمين في الأموال، وراع [ما يحسن] لدينا فيما
تنظر فيه من الأعمال؛ وأحرص على ما عاد بوفور ارتفاعها، وأجر أحوالها على أفضل
رُسومها وأوضاعها؛ بحيث يكون العدل منبسطاً منبثاً، والحيف منحسماً مستأصلاً
مجتنباً؛ وأجل صحة الرجال المستخدمين معك، وأحسن معاشرتهم مع مطالبتهم بملازمة

(١) كانت عذرة فرى رس مدنها العريش والرزادة ورخ وقطية وقس والزعنا . انظر معجم البلدان .

الخدمه ، وأستنهاضهم في الأمور الشاقّة المهيّمه ، فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما تحتاج إلى المطالعة به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية عسقلان ، وهي :

من شيمنا التي غدّت للصالح ضوا من ، وعلت فكلّ متطاوّل عندها متطامن ؛
 وهمينا الكافلة [للرعيّة] بما يُقرّ عيونها ، والقاضية للخاصّة والعامة بما يوجب طمأنينتها
 وسكونها ؛ أنعمنا النظر فيما نزعها به ونسوسها ، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها
 ويزول معه بوسها ؛ فيقف [بنا] الاجتهاد في ذلك على محجة الصواب التي لا ضلال
 في سلوكها ، ويُفصى منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبري الدول وملوكها ؛
 فننتخب لخطير الخدم من كان قنوما بها مستقلا بأصارها ، وننتجب لجليل الرتب
 الأعيان من أمراء دولتنا وأنصارها ؛ حفظا لما استُحفظناه من أمور العباد والبلاد ،
 ورفعاً لعماد الصلاح ووحسنا لمواد الفساد .

ولما كنت أيها الأمير من الأولياء الذين صفت في المخالصة ضمائرهم ، وحسنت
 في الطاعة عقائدهم وسرائرهم ؛ ونالوا من نبيه الحظّ ما أطبّ الواصف فيما يذكره منه
 ويرويه ؛ وأحمدوا المناصحة فيما رَقوا فيه من درج التنويه ؛ وقد استكفيت مهمات
 من الخدم فكفيت همها وخففت ثقلها ؛ وأهلت لولايات سنيّة فحملت كلفها ،
 وكنت مستحقا لها وأهلها ؛ فلك موات حميدة من حسن المقاصد ومشكور المساعي ،
 وحرّمات أكيدة ظلّت على أصطفائك من أوفى البواعث وأقوى الدواعي ؛ وكانت
 مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - ثغر الإسلام الذي لا تُغرله في الشام سواه ،
 والرباط الذي من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه ؛ وهو في عيون
 الكفار - خذلهم الله - نكته ، وأسباب طمعهم فيه منقطعة بحاماته منبته ؛ ونحن

نُوفِّرْ أَهْتَامَنَا عَلَيْهِ رَعَايَةً لِمَكَانِهِ الْمَكِينِ ، وَنَنْتَصِي ^(١) الْكُفَاةَ لِتَوَلِّيهِ تَوْصِيلاً إِلَى النَّكَايَةِ
فِي الْمَشْرُوكِينَ ، وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلْمُسْلِمِينَ الْمَجَاهِدِينَ وَرِدّاً ، وَجُبَّارٌ رَوْهُ قَوْمٌ لُدّاً ، وَأَمْرُهُمْ
أَمْرٌ إِتَادَ ، فَيَجِبُ أَنْ يُرْتَادَ لَضَبْطِهِ النَّدْبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ غِرَّتُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ
الْعَضْبُ الَّذِي لَا تُتَّقَى ضَرْبَتُهُ ، وَيُخْتَارُ اصْوَنُهُ الشَّهْمُ الَّذِي تَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ
هَمَّتُهُ ، وَتَنْمُدُ فِيهَا عَرْمَتُهُ ،

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مَحْسُوبَةً مِنْ خِلَالِكَ
مَعْدُودَةً ، رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُنَا - مَا خَرَجَ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْسَاءِ مِنْ كِتَابِ
هَذَا السِّجْلِ بِتَقْلِيدِكَ وَوَلَايَةِ هَذَا الثَّغْرِ وَضَمَانِيهِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَاحِيهِ ، ثَقَّةً بِمَشْهُورِ
مَضَائِكِ ، وَعِلْمًا بِإِبْرَارِكَ عَلَى نَظَرَائِكَ .

فَتَقَلَّدْ هَذِهِ الْخِدْمَةَ عَارِفًا قَدْرَ مَا خُوِّلَتْ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخِيفَتِهِ فِي جَمِيعِ
مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى ، فَإِنْ تَقَوَاهُ الْجُنَّةَ الْوَاقِيَهُ ، وَإِنْ خِيفَتَهُ الذَّخِيرَةَ الْبَاقِيَهُ ، وَقَدْ وَعَدَ
اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَيْسِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأُجُورِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :
(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) . ثُمَّ قَالَ : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
سَبِيلًا وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ،
وَيَجْرِي عَلَيْهِ تَوَلِّيكَ وَنَظْرُكَ ، وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيِّ ، وَمَائِلٌ فِي الْحُكْمِ
بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْقَاصِيِّ ، وَإِذَا ثَبَتَ عَلَى شَرِيفِ حَقٍّ فَلَا تُحَايِهِ لِرُبَّتِهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ
لَوْضِعِ نَخْذِهِ مِمَّنْ لَزِمَهُ وَأَسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالنَّهْيِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةُ
الْمَادِحِينَ ، وَيَنْظِمُكَ فِيمَنْ عَنَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ « أَنْتَصَيْتُ » أَي بِالضَّادِ الْمَهْلَاةِ « الرَّجُلُ أَخْتَرَنِي » فَتَبَهُ .

ويأمرُون بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

وأقيم الحدود على من لزمته بما أمر الله به إقامة [تجرى بها] مجراها ، وتوق الزيادة فيها والنقص توقى من يمثّل المجازاة كأنه يراها . وهذا النفر لملئه رسمو مقداره ، وقرب العدو منه ودنو داره ، لا يقع له بمركر يته ، ولا يكفى في حقه بمرابطته وقراريته ؛ فنحن نسير إليه العساكر المظفرة دفعتين في كل سنة على حكم البذل : فيردده عسكراً جديداً مزاح العلة ، كثيف العدة ، وافر العدة ؛ يؤثر أن يظهر أثره ، ويحافظ على ما يطيب به ذكره وخبره ؛ فبث السرايا وشن الغارات ، وضيق على العدو فسبح النواحي والجهات ؛ وجهز إليه من يخيفه في مآميه ، وأبعث عليه من يطرفه في أحرز أمانه ؛ وانذب من يطالعك بخفي أخباره ، ويظهر لك باطن أموره ومستور أسراره ؛ لتنتهز فيه الفرصة إذا لاحت تخالفاً ، وتبادر الحفلة منه إذا ظهرت دلائلها . وأجعل للتطوعين من الكفائيين نصيباً من ثواب الجهاد ، وأحملهم على استفرار الوسع بغاية الحرص والاجتهاد ؛ وأفعل في هذا الباب ما تتضاعف به مواد الأجر ، وتتسخ به الأوزار كما يتسخ الظلام بضياء الفجر ؛ وأعضد متولى الحكم العزيز عضداً يعلى أمره ، ويشد أزره ؛ ويحرس نظامه ، وينفذ قضاياه وأحكامه ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية - ثبتها الله تعالى - فاعتمده بما يشرح صدره فيما يوصحه للأومنين ، ويهدي به المستجيبين والمتدينين ؛ ووفر موفر اهتمامك على مرافدة من يتولى أمر المسال وما يحرى في الخاص لتدبر أخلاقه ، ويزكو ارتفاعه ، وتغزر مادته ، ويتوفر مستخرجه ؛ ويحتمى من خيانة وتحيف ، ويسلم استبدأؤه من ترث وتوقف . وأستنهض الرجال المستخدمين في الأمور السوانج ، وصرفهم فيما ترى تصرفهم عليه من أسباب المنافع والمصالح ؛ وأستطير

الإحسان لمن أهدت طريقته ، وقوم بالتأديب من ذممت فعله وكرهت سيرته ،
فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع بما يحتاج إلى المظالعة بمثله ، إن شاء الله عز وجل .



ومن المكتتب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر
الدواوين ، وهى :

أحق الأعمال بأن ينعم فيها النظر الشافى ، ويندب لحمل عبئها الأمين الكافى ،
ويجآن النظر فى تقليدها للقيم بأمرها ، ويعمل الرأى لأرتياد النوى على ضبطها
وحصرها ، ما كان منها جامعاً لمصالح الدولة ، حائزاً لمهام المملكة : وهى أعمال
الديوان ، والنظر فى حفظ وجوه الأموال وما يعين على استئنائها ، ويعود بالزيادة
فى أصول أبوابها ، إذ كان ذلك ملاك الأمور ، وزمام التدبير فى حفظ الجمهور ،
والمعونة العظمى على الاستكثار من الرجال الذين بهم يتم حفظ البلاد وحماية الثغور .

ولما سلطنا البحث على استصلاح من توكله لهذه المنزلة ، واستخلاص من نخله
بهذه المرتبة ، أدانا الاختبار والانتقاد ، وانتهى بنا الاعتيام والارتياح ، إلى اختيار
الشيخ فلان : حين سقرت له النباهة فى الكفاية ، والوجاهة فى الخبرة والدراية ،
ويجب ... (١) على اختصاصه بالفضل الذى تحلى بأدبه ، والعفاف الذى أشتهر من
مذهبه ، من الخصال الحميدة ، والخلال الرشيدة ، والفضائل الموروثة والمكتسبة ،
والخلاق المتقاة المهدية ، ورأينا أهلاً لإحلال هذه المكانة ، وعذلاً قياً باحتمال
هذه الأمانة ، وعلمنا أن الصنعة عنده زاكية المغارس ، والنعمة المفاضة عليه
ضافية الملابس ، فقلدناه أمر الديوان بحلب وما معها من البلاد المضافة إليها

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

والداخلة في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ، مقدمين الاستخارة فيما بُدئ به من قول ، ونعزم عليه من فعل .

وأمرناه أن نستشعر تقوى الله سبحانه فإنها الجنة الواقية ، والذخيرة النافعة الباقية ، ويعتاق أسبابها فإنها المنجية من المهالك ، الهادية إلى السبل الواضحة إذا أشبهت المسالك ، محققا ما توهمناه فيه من تخاليل الأصالة ، ودلائل الجزالة ، مصدقا ما استأبحناه من كفايته وغنائه ، وأستوضحناه من استقلاله وأستقصائه . وأن يبدأ فيرتب في كل معاملة أمينا من الثقات الكفاه ، مشهودا له بالنهضة والأمانة المستوفاه . وأن يزم الأعمال القاصية والدانية ، والبلاد القريبة والنائية ، بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفى ، وبمن يرتبه عليها من الكتاب الأمانة ، ويستصلحه لها من الحفظة النصحاء . ويتتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفاية ، ودل الاختبار منه على العفة والأمانة ، أستدامه في خدمه المنوطة به ، وطالع من حاله بما يقضى له حسن النظر بحسبه ، ومن ألفاه متنجبا سبيل الأمانة ، مقارفا طريق العجز والحيانه ، بادر إلى الاستبدال به ، وتجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سببه . وأن يسترفع البواق من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذي تليه مباشرته ، ويتصل بآخره مبدأ نظره وفاتحته ، موشحة أوراق ذلك بخطوط الأمانة ، مفصلة جهاته بأسماء المعاملين والضماناء ، حتى إذا حلت إليه ، وصارت حجة على رافعها في يديه ، طالبه بمواقفة من هو في ذمته ، وتقدم بعد تصديقه على ذلك بمضايقته بعد المطالعة بجلى الحال وحقيقته . ثم يسترفع من مستوفى الديوان وعماله شروط الضمان ورسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم : ليكون علم ذلك عنده مبينا ، ووقت مساس الحاجة إليه حاضرا . ويطلب بجرائد الضياع خاصها ومقطعيها المشتملة على ذكر رسومها وحقوقها ، وعدد فدنها

(١) الأول بل الصواب ميسر الحاجة .

ومقاييسها . وجرائد الخراج اللازم لأرباب الأملاك على أملاكهم ، وتحقيق المصفوح عنه والمسايح به والباقي على الأداء في جهته . وجرائد الجزية مفصلة في نواحيها ، وأسماء أربابها إلى حين رفعها - وأن يطالب ثواب الجزية في كل شهر بخزينة تتضمن ذكر مصارف ما يحول إليهم ، وإقامة وجوه المال الذي جمع عليهم ؛ مفصلة مميزة الإبتاعات عن الإطلاقات ، والضيافات عن السفرات والإصطبلات ؛ وكذلك ثواب الأهرام يسترفع منهم ما يدل على مثل ذلك ، وسائر المتولين في سائر الخدم يطالبهم بهذه المطالبه ، ويضيق عليهم في مثل ذلك سبيل المغالطة والمواربه ؛ ويجعل مواخذتهم بذلك من الأمور الراتبه ، والوظائف اللازمة الواجبه ؛ حتى يتبين له الكافي من العاجز ، والأمين من الخائن .

وليتأمل وجوه الإنراجات ، ومبلغ الإطلاقات والإدرات ؛ ويسترفعه من مظانه مفصلا بجهاته ، منسوبا إلى أربابه ؛ ويتقدم بكتب مؤامرة جامعة لذلك التفصيل ، دالة على المقدار المطلق في كل سنة محكم النظر الدقيق دون الجليل ؛ وليعتمد في إطلاق ما يُطلق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم ، ويلزمه كل من ثواب الديوان .



ومن المكتتب منها بالوظائف الدينية نسخة تقليد بولاية الحسبة ، من إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأثير ، وهي :

(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

هذا أمرٌ يشتملُ على معنى الخُصوص دونَ العموم ، ولا يختصُّ به إلا ذُو الأوامر المُطاعة أو ذُو العُلوم ؛ وقد منحنا اللهُ هذين الوصفينِ كليهما ، وجعلنا من المستخلفين عليهما :

فلنبداً أولاً بحمده الذي هو سبب للزيد ، ثم لناخذُ في القيام بأمره الذي هو على كلِّ نفسٍ منه رقيبٌ عتيدٌ ؛ ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى الأرض حتى تزكو بطونها ، وتتمو عيونها ، ويشارك في بركات السماء ساكنها ومسكونها ؛ والأمرُ بذلك جميل إن لم تتوزعه الأكفُّ ثقل على الرقاب ، وإذا أنتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقرُ إلى مساعدةٍ من مستنيبٍ ومستناب ؛ وقد اخترنا لمدينة كذا رجلاً لم نال في اختياره جهداً ، وقد منّا فيه خيرة الله التي إذا صدقت نيتها صادفت رُشداً ، وهو أنت أيها الشيخ فلان .

فابسط يدك [بقوة] ^(١) إلى أخذِ هذا الكتاب ، وكُن حِسنةً من حسناتنا التي ثم يرجح بها ميزانُ الثواب ، وحقق نظراً فيك فإنه من نور الله الذي ليس دونه من حجاب .

وأعلم أن أمر الشريعة مبنى على التيسير لا على التعسير ؛ ولا يضعُ اللسان موضع السوط إلا من أوتي زيادةً في التفسير ؛ وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوحةٌ لمن لزمها ، وهي هدى لمن عمل بها ونورٌ لمن علمها ؛ ويكفي من ذلك قصةُ الأعرابي الذي أتى حاجته في المسجد فسارع الناس إليه ، فهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « إنما بغثم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، ثم دعا بذنوب من ماء فصبه عليه وقال : يا أبا العرب إن المساجد لم توضع لشيء من هذا وإنما وضعت للصلاة وقراءة القرآن » .

(١) الزيادة من "المثل السائر" ص ٤١٦ .

فانظر إلى هذا الرفق النبوى الذى شفى وكفى، وعفى على أثر المعصية لك عفاً، ولو عاد ذلك الأعرابى لمثلها لنقل عن لين التهذيب، إلى شدة التأديب، وكذلك فكن أنت فى الرفق الذى حدثت عنه، ومن عاد فينتقم الله منه.

ونحن نأمرك أن تحتسب أولاً بلى القول لا بالألف [و] النكير، وأن تترقق فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتذكير، وأن لا تكون باحتسابك مدلاً بأنك على الصراط المستقيم، وأن الناس بين يديك على سنن التثيف والتقويم، فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب، والأولى لك حينئذ أن تعود على نفسك بالاحتساب^(١)، ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره بالمعروف مع التقوى لاعم هواه، وأن لا يفرق فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحد سواه، وإذا كنت كذلك قرنك الله بمن أنزل السكينة على لسانه ويده، وقوم له أود الناس لتقويم أوده، والله ينظر إلى قلب ابن آدم لا إلى عمليه ولا إلى جسده. وعليك بالمجاهدين الذين سلب عنهم ثوب العافية، ومن آخنى منك بالاستتار فلا تكشف عن حاله الخافية. وأما ذوو الهيئات فإن عثراتهم تُقال، وأعراضهم لا تُدال، ولربما كان التجاوز عنهم داعياً إلى الإنتقال، وفى قصة أبى محجن وسعد ما ينبئك أن الحياء أغنى فى الأزديجار، وفى الناس أذنب لا قدر لها تذب عنه ورءوس تذب عما لها من الأقدار. وهاهنا من ضروريات الوصايا ما يؤتى فى مثله بتوكيد الأقوال، وأكثر ذلك يدور فى المعاملات التى ألقها قوم دون قوم، وأستمروا عليها يوماً دون يوم، وقد أتى منها ما اتفق على العمل به كل فريق، وأيسر ذلك إزالة النخامة من المسجد وإمطاة الأذى عن الطريق.

(١) فى القاموس احتسب طبعه أنكروا المحتسب.

وهذه الوصايا كلها لا تفتقر فيها إلى التوقيف ، وأنت عالمٌ بوضع كلامها في موضعه
 وغيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأت بالحسن ؛ وسو بين
 حالتك في السر والعلن ، وكن من خوف الله ورجائه بين رحلة سفر وقرارة وطن .
 وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جميلاً ، وستحمل غداً منه عبئاً ثقيلاً ؛
 وقد فرضنا لك عن حق سعيك فريضةً تجذبها كفافاً ، وتمنعك أن تمتد عينيك إلى
 غيرها استشرافاً ، فإن العمل الذي توليته يستغرق أوقاتك أن تكون للدينا كاسبه ،
 وتشغل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملةً ناصبه . وإذا نظرت إلى ما يبطئ
 بك وجدته قد استحصى الزمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده .
 « وكل بناء على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمر ولاتنا على اختلاف مراتبهم
 أن يرفعوا من قدرك ، ويسددوا من أمرك ، وإذا استوعر عليك أمر من
 الجوانب سهواً من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض
 من الأعدوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
 الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

الجملة الرابعة

(مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ما عليه مصطلح كتاب الزمان

بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف

والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسيم والتفويض والتواقيع ،

على ما سياتى بيانه ، وفيه [ثلاثة^(١)] مقاصد)

المقصد الأول

(فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيمان)

المهيمع الأول

(فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى)

قد تقدم فى أول الكلام على العهود أن السلطنة فى زماننا دائرة بين إمارة

الإستلاء : وهى أن يقلده الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تديرها فيستولى

عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه

تدير الأمور برأيه وفصلها على آجتهاده ، وأنها بإمارة الإستلاء أشبه ، على ما تقدم

بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا كمل فى المستولى

على الأمر بالقوة بعد تولى الخليفة له مع أشتماله على الصفات المعبرة فى المولى

فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والأمانة ، وصديق

اللّهجة ، وقلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشحاء ،

والذكاء ، والفطنة - جازله ما يجوز للخليفة من تولى وزارة التفويض وغيرها من

سائر النيات ، وجرى على من أستوزره أو أستنابه أحكام من أستوزره الخليفة

(١) . بياض بالأصل والتصحيح من الآفة .

أو استنابه ؛ وإن لم يستكمل الصفاتِ المعبرة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة ،
استناب له الخليفة لكل ولاية من تتكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبني سلجوق مع غلبتهم على أمر الخلفاء
ببغداد وأستبلائهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف
في الأموال ، ويكفون أمر الولايات إلى الخليفة يباشرها بنفسه ، ونكتب عنه
العهود والتقاليد على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابي وغيره - وكذلك
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة ووزرائهم على الأمر من لدن خلافة المستنصر
وإلى أنقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيك ^(١) في وزارته
للفائز والعاقد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذي كانت الولايات تصدر عنه
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتوبة
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بغلبة الشوكة
والأستبلاء على الأمر بالفهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحا للأحكام
الشرعية الصادرة عن المستولي بالشوكة : من العقود والفسوخ وإقامة الحدود
وغيرها ، على ما هو مذکور في باب الإمامة . وحينئذ فتكون جميع الولايات الصادرة
عن السلطان صحيحة شرعا وإن لم يستنبه عنه الخليفة ؛ وكذلك ما يترتب عليها ،
على ما الأمر جارٍ عليه الآن .

(١) ضبطه المجد في ناموسه فقال « كقيط » . ونقل عن الحافظ ابن حجر ضبطه بكسر الزاي وصوبه
شارح القاموس وبه ضبطه ابن خلكان في تاريخه .

المهَيِّعُ الثَّانِي

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات)

وأعلم أنه يجب على الكاتب فى ذلك مراعاةُ أمورٍ .

الأمر الأول - براعة الاستهلال بذكر اسم المولى أو نعتيه أو لقبه أو الوظيفة ، أوحال الولاية ، مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من الأفتاحات ، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حسن التوسل" كما تقدم ذكره فى الكلام على البيعات والعهود .

الأمر الثانى - مراعاة قطع الورق فى الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتب والولايات وغيرها . والذى يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة ، وهى خمسة متداير : - أحدها قطع الثلثين ، ويختص فى الولايات بكبار التقاليد دون غيرها - وثانيها قطع النصف ، وفيه تُكتب صغار التقاليد ، والمراسيم المكبرة ، والتفويض ، وكبار التواقيع - وثالثها قطع الثلث ، وفيه تُكتب صغار المراسيم المكبرة ، والتواقيع المتوسطة - ورابعها قطع العادة المنصورية ، وفيه تُكتب صغار التواقيع والمراسيم التى لأصحابها بعض ميزة لا تنهى بهم إلى رتبة قطع الثلث - وخامسها قطع العادة الصغير ، وفيه تُكتب صغار التواقيع والمراسيم التى هى فى الرتبة الأخيرة .

الأمر الثالث - معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام . وقد تقدم فى المقالة الثالثة نقلاً عن "التعريف" ما لكل مقدار من الأقلام . والمتعلق بهذا الموضوع من ذلك أن لقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة مطلقاً قلم الرقاع .

الأمر الرابع - معرفة اللَّقب المطابق لرتبة كل ولاية وصاحبها من الألقاب الأصول المتقدِّم ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهي المقر، والحناب، والمجلس، ومجلس كذا على الإضافة؛ وما يُناسب كل لقب من هذم الألقاب من الفروع المرتبة عليها، كوصف المقر بالكريم العالى، ووصف الحناب تارةً بالكريم العالى، وتارةً بالعالى مجرداً عن الكريم، ووصف المجلس تارةً بالعالى، وتارةً بالسامى، وإضافة مجلس فى حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس الأمير، وفى حق أرباب الأقلام من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضى فيقال : مجلس القاضى ، وفى حق الصلحاء إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ ، وإن لمن دون هؤلاء الصّدر ويوصف بالأجل فيقال الصّدر الأجل ؛ وأن لكل أصل من هذه الأصول فروعا شتى ترتب عليه . وتقدم أيضا فى المقالة الرابعة فى الكلام على المكاتب الصادرة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية فى زماننا إلى أهل المملكة مكتبة كل واحد ممن جرت العادة بالمكاتب إليه، وما يختص به من الألقاب الأصول والفروع .

وأعلم أن الولايات أعم من المكاتب : فقد يكون للشخص ولاية من الأبواب السلطانية وليس له مكتبة، إذ المكاتب إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب الولايات . إذا علم ذلك فكل من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب السيوف والأقلام ممن تقدم ذكره فى الكلام على المكاتب إذا كتبت له ولاية نعت بالقبه ونعوته التى بها يكتب عن الأبواب السلطانية، إلا أن الدعاء المصدّر به للمكاتبه يجعل فى الآخر دون الأول : فإذا كانت المكتبة إلى أحد « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » قيل فى ألقابه فى الولاية « المقر الكريم » إلى آخر ما يقتضيه الحال، ثم يقال : فلان أعز الله تعالى أنصاره؛ وكذلك فى البواقى . أما من لم تجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية ممن يُولى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم . ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكاتب، ليُجرى كل من أرباب الولايات على ما يناسبه من الألقاب

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة أنواع :

النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بديوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى - المقر الكريم مع الدعاء بعز الأتصار، وهى : المقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، العالى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغيائى، المناغرى، المرابطى، المهدي، المشيدى، الظهيرى، العايدى، الناسكى، الأتابكى، الكفيلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، فلان (باسمه) الفلانى (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية - الجناب الكريم مع الدعاء بعز النصرة، وهى : الجناب الكريم، العالى، الأميرى الكبيرى العالى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغيائى، المناغرى، المرابطى، المهدي، المشيدى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، عين الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش

الموحدين ، مقدّم العساكر ، ممهّد الدول ، مشيدّ الممالك ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمَّة ،
 ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب)
 (الإضافة إلى لقب السلطان) أعزَّ الله تعالى نصرته .

المرتبة الثالثة — الجنبُ العالی مع الدعاء بمضاعفة النعمة ، وهي : الجنبُ
 العالی ، الأميری ، الكبیری ، العالی ، العادلی ، المؤیدی ، العونی ، الرعیمی ،
 الممهّدي ، المشیدي ، الظهيري ، الكافلي ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ،
 سيّدُ الأمراء في العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوشِ الموحدين ، ممهّد
 الدول ، مشيدّ الممالك ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمَّة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ
 أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى السلطان) ضاعفَ الله
 تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجنبُ العالی مع الدعاء بدوام النعمة ، وهي : الجنبُ العالی
 الأميری ، الكبیری ، العالی ، المؤیدی ، الأوحدي ، النصيري ، العونی ،
 الهمامي ، المقدمي ، الظهيري ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ، سيّدُ الأمراء
 في العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كهفُ المِلَّة ، ذخرُ الدولة ،
 عمادُ المملكة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ،
 أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلسُ العالی والدعاء بدوام النعمة ، وهي : المجلسُ العالی
 الأميری ، الكبیری ، العالی ، المجاهدي ، المؤیدی ، العونی ، الأوحدي ، النصيري ،
 الهمامي ، المقدمي ، الظهيري ، الفلاني ، عزّ الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء
 في العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، مقدّمُ العساكر ، كهفُ المِلَّة ، ذخرُ الدولة ،
 ظهيرُ الملوك والسلاطين ، حُسامُ أمير المؤمنين ، فلان الفلاني ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاءُ بدوام التأييد ونحوه، وهى :
المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، الذخرى ، النصيرى ، الأوحدي ،
المؤيدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، ذخر المجاهدين ،
عضد الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بغير ياء، والدعاءُ أدام الله رفعتَه ونحو ذلك، وهى :
المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ،
المرتضى ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نخر الأمراء ، زين المجاهدين ،
عمدة الملوك والسلاطين ، أدام الله رفعتَه .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير ، والدعاءُ أدام الله سعدَه ونحوه، وهى : مجلس
الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ، المرتضى ، فلان
الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ،
أدام الله سعدَه .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه، وهى : الأمير ، الأجل ،
«وربما زيد فيه فقل الكبير، المحترم، ونحو ذلك .

النوع الثانى

(ألقابُ أرباب الوظائف الديوانية ، وهى على ست مراتب)

المرتبة الأولى — الجنب العالى مع الدعاء بمصاعفة النعمة . وفيها أسلوبان :

الأسلوب الأول — ألقاب الوزير وهى : الجنب العالى ، الصاحبى ،

الكبرى ، العالى ، العادى ، الأوحدي ، الأكلى ، القوامى ، النظمى ، الأيرى ،

البيهقي، المنفذي، المسدي، المتصرفي، المهدي، العوني، المدبري، المشيري،
الوزيري، الفلاني، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء في العالمين، رئيس
الكبراء، كبير الرؤساء، أوجد الأصحاب، ملاذ الكتاب، قوام الدول، نظام الملك،
مفيد المناجح، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد المائة، عون الأئمة، مشير
الملك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثاني — ألقاب كاتب السر، عند ما استقر ما يكتب له تقليداً
في قطع الثلثين، وهي: إجناب العالي، القاضوي، الكبير، العالي، العادلي،
العلائي، الأفضلي، الأكلبي، البيهقي، المسدي، المنفذي، المشيدي، العوني،
المشيري، اليميني، السفيري، الأصيلي، العريبي، الفلاني، صلاح الإسلام
والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العالمين، جمال البغاء، أوجد
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكتاب، يمين الملكة، لسان السلطنة، مشير
الأمة، سليل الأكاره، مشير الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني،
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت: وقد كان رتبته: المجلس العالي عند ما كان يكتب له توقيع في قطع
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالي مع الدعاء بدوام النعمة، وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأول — ألقاب كاتب السر على ما كان الأمر عليه في كتابة توقيع
في قطع النصف، ويدعى له: أدام الله نعمته، وهي: المجلس، العالي، بالألقاب
المتقاربة له مع إجناب العالي، على ما استقر عليه الحال .

الأسلوب الثانى — ألقاب ناظر الخاص ، وهى : المجلس العالى القاضى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الأكلى ، الرئيسى ، البلىغى ، البارعى ،
القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المنفذى ، المسددى ، المتصرفى ،
الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ، قوام المصالح ، نظام
المآج ، جلال الأكار ، قدوة الكُتاب ، رئيس الأصحاب ، عماد الملة ، صفوة
الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث — ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة ، وهى :
المجلس العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأجلّى ، الكبرى ، العالمى ، العادلى ،
المؤيدى ، الأوحدى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المشيرى ،
الفلانى ، صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ، رئيس الكبراء ، كبير
الرؤساء ، بقية الأصحاب ، ملاذ الكُتاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك
والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع — ألقاب ناظر النظار بالشام ، إذا لم يكن وزيراً ، وهى :
المجلس العالى ، القضاى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ، الرئيسى ،
الأثيرى ، القوامى ، النظامى ، المنفذى ، المتصرفى ، الفلانى : مجد الإسلام
والمسلمين ، شرف الرؤساء فى العالمين ، أوجد الفضلاء ، جلال الكبراء ، حجة
الكُتاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة - المجلس السامى بالبناء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،
 وهى : المجلس السامى ، القَضَائى ، الأَجَلِّ ، الكَبِيرِ ، العَالِمِ ، الفاضِلِ ،
 الكَامِلِ ، الرَّئِيسِ ، الأَوْحَدِ ، الأَصِيلِ ، الأَثِيرِ ، البَلِيغِ ، الفَلَانِ ؛ مُحَمَّدُ
 الإسلام ، شرفُ الرؤساء فى الأَنَامِ ؛ زَيْنُ البُلغَاءِ ، جمالُ الفُضلاءِ ؛ أُوحدُ الكُتَّابِ ،
 نَحْرُ الحُسابِ ؛ صفوةُ الملوكِ والسلاطينِ ، أدام اللهُ تعالى رِفْعَتَهُ
 فإن كان من كتاب الإنشاء ، أسقط منه « نَحْرُ الحُسابِ » .

المرتبة الرابعة - السامى بغيرياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :
 المجلس السامى ، القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ، الصَّدرُ ، الرَّئِيسُ ، الأَوْحدُ ، البارِعُ ،
 الكَامِلُ ، الأَصِيلُ ، الفاضِلُ ، فلان الدين ؛ جمالُ الإسلامِ ، بهاءُ الأَنَامِ ؛ شرفُ
 الأكابرِ ، زَيْنُ الرؤساءِ ، أُوحدُ الفُضلاءِ ؛ زَيْنُ الكُتَّابِ ، صفوةُ الملوكِ والسلاطينِ ،
 أدام اللهُ تعالى رِفْعَتَهُ .

المرتبة الخامسة - مجلسُ القاضى ، وهى : مجلسُ القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ،
 الفاضِلُ ، الأَوْحدُ ، الأَثِيرُ ، الرَّئِيسُ ، البَلِيغُ ، العَرِيقُ ، الأَصِيلُ ، فلان الدين ؛ مُحَمَّدُ
 الإسلامِ ، بهاءُ الأَنَامِ ؛ شرفُ الرؤساءِ ، زَيْنُ الكُتَّابِ ، مُرتضىُ الملوكِ والسلاطينِ ،
 أدام اللهُ رِفْعَتَهُ .

المرتبة السادسة - القاضى ، وهى : القاضى الأَجَلُّ . ورُبَّما زيد فى التعظيم
 الصَّدرُ ، الرَّئِيسُ ، الكَبِيرُ ، ونحو ذلك .

النسوع الثالث

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ الدِّينيةِ - وهى أيضا على ستِّ مراتبِ)

المرتبة الأولى - الجنبُ العالى - وهى لمن استقر له كتابةٌ تقليدٍ فى قطع
الثنين من قضاة القضاة بالديار المصرية وهو الشافعى ؛ وهى : الجنبُ العالى ،
القاضوى ، الشيخى ، الكبرى ، العالمى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ،
البليغى ، الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الورعنى ،
الخاصى ، الناسكى ، الإمامى ، العلامى ، الأصيلى ، العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛
جمالُ الإسلام والمسلمين ، شرفُ العلماء العاملين ، أوجدُ الفضلاء المفيدين ؛ قُدوة
البلغاء ، حجةُ الأمة ؛ عمدةُ المحققين ، نخرُ المدرسين ، مفتىُ المسلمين ؛ جلالُ الحكام
بركةُ الدولة ، صدرُ مصر والشام ؛ معزُّ السنة ، مؤيدُ الملة ؛ شمسُ الشريعة ، رئيسُ
الأصحاب ، لسانُ المتكلمين ، حَكَمُ الملوك والسلاطين ، ولىُّ أمير المؤمنين ؛ فلان
(بفسيد) أعزُّ الله تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاة الحنفى بالديار المصرية عند ما استقر المكتوبُ له تقليداً .
المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاة الشافعى
قبل أن يستقر ما يكتب له تقليداً ، بالألقاب والنعوت السابقة له مع الجنب ؛
وكذلك الثلاثة الباقون باختصارٍ فى الألقاب والنعوت ؛ وهى : المجلس العالى ،
القاضوى ، الكبرى ، العالمى ، العاملى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدى ، البليغى ،
الفريدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ، الحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصيلى ،
العريقى ، الحاكى ، الفلانى ؛ جمالُ الإسلام والمسلمين ، سيدُّ العلماء العاملين ،
أوجدُ الفضلاء المفيدين ؛ قُدوةُ البلغاء ، حجةُ الأمة ، عمدةُ المحققين ، نخرُ المدرسين ،

مفتي المسلمين؛ جلال الحكام، حكم الملوك والسلاطين، فلان الفلاني (بنسبه)
أعز الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بإياء، وهي : المجلس السامي، القضائي،
الكبرى، العالمى، الفاضل، الأوحدي، الرئيسي، المفيدى، البليغى، القدوى،
الأثيرى؛ مجد الإسلام والمسلمين، جمال العلماء العامين، أوجد الفضلاء، صدر
المدرسين، عمدة المفتين، خاصة الملوك والسلاطين، فلان الفلاني : أدام الله
تعالى تاييده .

المرتبة الرابعة — السامي بغيرياء، وهي : المجلس السامي، القاضي، الأجل،
الكبرى، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، مجد الصدور،
زين الأعيان، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الخامسة — مرتبة مجلس القاضي؛ وهي : مجلس القاضي، الأجل،
الكبرى، العالم، الفاضل، الأوحدي، الصدر، الرئيس؛ مجد الإسلام، بهاء الأنام،
زين الأعيان، نحر الصدور، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أعزه الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضي؛ وهي : القاضي، الأجل . وربما زيد
في التعظيم نحو الكبرى، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

النوع الرابع

(ألقاب مشايخ الصوفية - وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالى . وبها يكتب لشيخ الشيوخ بالديار المصرية،
وهي : المجلس العالى، الشيخى، الكبرى العالى، العاملى، السالكى، الأوحدي،

الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، المفيدى، القدوى، الإمامى، النظامى،
 الملاذى، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء فى العالمين، شيخُ شيوخ
 الإسلام، أوجد العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان،
 أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بالياء، وهى : المجلس السامى، الشيخى،
 الكبرى، الأوحدي، الأكلي، العابدى، الخاشعى، الناسكى، جمال الإسلام،
 زين الأنام، صفوة الصلحاء، نحر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى
 من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بغير ياء، وهى : المجلس السامى، الشيخ،
 الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،
 مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله
 تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهى مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد،
 العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك
 والسلاطين : أدام الله تعالى بركته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهى : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد،
 ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .

النوع الخامس

(ألقاب من قد يكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجار وغيرهم)

وفيها أربع مراتب :

المرتبة الأولى - المجلس السامى بالياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلانى .

المرتبة الثانية - المجلس السامى بغير ياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدر ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم .

المرتبة الثالثة - مجلس الصدر ، وهى : مجلس الصدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة - مرتبة الصدر ، وهى : الصدر ، الأجل . فإن زيد فى تكريمه قيل بعد ذلك : الكبير ، المحترم .

النوع السادس

(ألقاب زعماء أهل الذمة ، وهم ثلاثة)

الأول - بطرك النصارى اليعاقبة ، وهى : الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كنز الطائفة الصليبية .

الثانى - بطرك الملكاوية ، وتختصر ألقابه عما يكتب به لبطرك اليعاقبة بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحذ، الأجل، الأعز، الأخص، الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سنده الله فى أقواله، وثبته فى أفعاله .

قلت : وما يجب التنبه له أن ما تقدم من الألقاب والنعوت المفرعة على الألقاب الأصول ليست مما يوقف عند حد، بل محتملة للزيادة والنقص بحسب ما تقتضيه الحال، ويحتمله المقال . بل ربما ولى بعض المناصب من فيه صفات تستحق ألقابا ونعوتا خاصة، فيكتب له بذلك مرابطة لما يقتضيه حاله، ويستوجبه مقامه، ثم بلى ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والنعوت التى تخص المتقدم، فيؤتى بها للثانى : كما أتفق فيما كتب به فى نيابة الشام حين وليها الأمير بيدمر الخوارزمى رحمه الله، وكان من الليانة على ما لا يوجد فى غيره . فكتب فى ألقابه حينئذ : العايدى، الناسكى، الخاشعى . فلزمت فىمن بعده وصارت مما يكتب به إلى الآن، سواء أنصف نائبها يدين أم لا - وكما أتفق فى الصحاح علم الدين بن زنبور حين اجتمع له الوزارة ونظر الخاص والجيش، فكتب له بالألقاب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما يكتب به لكل من ولى الوزارة بعده إلى الآن؛ حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير الآن « مرتب الجيوش » وهو من الألقاب الخاصة بناظر الجيش استطرادا لما كتب به لابن زنبور : لانضمام نظر الجيش إليه على ما تقدم - وكما أتفق فيما كتب به للشيخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدار، الرفيعة المكانة، فى قضاء الشام لرفعة مقامه، واتساع باعه فى العلم، وعلو مكانته فى الخاصة والعامة فلزم كتابة ذلك لقاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية، من حيث إنه لا يليق بالحال

أن يكون قاضي الشام أعلى رتبةً من قاضي الديار المصرية . ثم سرى ذلك في كل من ولي المنصب بعد ذلك ، وهلمَّ حراً إلى زماننا .

ومما يلتحق بذلك أنه قد جرت العادة في الزمن المتقدم وهلمَّ حراً إلى زماننا أنه كان يكتب في الطرة لأرباب السيوف بعد الأميري « الكبيرى - الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقلام فإنه لم تجر العادة بأن يكتب لهم ذلك في شيء من طرة تقاليدهم ولا تواقعهم ، إلى أن ليس القاضي سعد الدين بن غراب الكاوتية ، وأستقر إستاندارا في الدولة الناصرية فرج ابن برقوق ، ثم أستقر مشيراً وكتب له تقليد بالإشارة كتب له في طرة تقليده بعد الكبيرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكُتاب على مثل ذلك في غيره من أرباب الأقلام الأكار : كالورير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن في معناهم من أرباب الوظائف الديوانية . والحجة فيه ظاهرة من حيث إن كلاً من لهد كورين إذا كُتب عنه كتاب ، كُتب في أعلاه تحت البسمة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصة ، كتب فيها تحت البسمة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب الساطنة في تقليده أو توقيعته على ما تقدمت الإشارة إليه من فعل بعض الكُتاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة ما يناسبه من الأوصاف التي يقع بها تقريره ومدحه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والنجدة، وقوة العزم، والشهامة،
 وشدة الشكيمة، ونصرة الدين، وكف [الأيدى] العادية، وإرهاب العدو، وقمع
 المصدين، وإرغام أهل العدوان، وحماية الثغور - إن كان في ثغر - ووفور الهبة،
 وبعث الصيت، وطيران السمعة، مع تسط المعدلة والرفق بالرعية، والرأفة بخلق الله
 تعالى، والشفقة عليهم، والإحسان إلى الكافة، والأخذ بقلوبهم، والوقوف مع
 أحكام الشريعة، وبذل الطاعة، والمناصحة، والمخالصة، وقدم هجرته في الدولة - إن
 كان قديم هجرة - ومرور الدول عليه - إن كان قد مرت عليه دول - ، وأنه نشأ
 الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحذق، واليقظة، وقوة الحزم، وشدة
 التحرز، والمعرفة بأحوال الحصار وضروب القتال وطرق التحصين والمدافعة،
 ونحو ذلك .

وإن كان وزيراً وصفه بحسن التدبير، وبجزالة الرأي، والإحتياط في الأمور،
 والقيام بمصالح الإسلام، وعمارة البلاد، والنهوض في المهمات، وكف الأيدى
 العادية، والأخذ على يد المتعدى، وتمية الأموال وتثريها، وتسهيل ما يجرى من
 الأرزاق على يده، وبذل الجهود في معاضدة الشريعة، وشبه ذلك مما يجرى
 هذا المجرى .

وإن كان كاتباً وصفه بالفصاحة والبلاغة، وقيام أقلامه في التأثير
 في العدو مقام للسيوف والرماح، وكثيحه في تفريق الكائب مقام الجيوش
 والنساكر، وسداد الرأي، وكتم الأسرار، وحماية المالك بنتائج أفكاره،
 وما شاكل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأمر الجيوش وترتيبها ، واصناف
الأمراء ، والجند ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان ناظر الخاص وصفه بالمعرفة بأمر الحساب ، والنهضة في المهمات ،
والمعرفة بأحوال ديوان الخاص وجهاته ، والقدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ،
ومعرفة ما يحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطرز وغيرها ، مع الأمانة والعفة ،
وما يجرى مجرى ذلك .

وإن كان مستوفى الصحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحسابات ،
والاحتياط في استرفاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعفة وما هو من هذا
القبيل .

وإن كان ناظر خزانة الخاص وصفه بالأمانة ، والعفة ، والمعرفة بأصناف
الخزانة : من الأقمشة ، والتشريف ، والطرز ، معرفة مراتب أربابها ، وما يناسب
كل واحد منهم من أنواع التشريف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بغزارة العلم ، وسعة الفضل ، ونصرة السنة ، وقمع
البدعة ، والعدل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من
القوي ، والزاهية عن المطاعم الوخيمة ، والمطامع الرديئة ، والبعد عن الأهواء
في الحكم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعفة ، والأمانة ، وعلو الميعة ،
وقوة العزم ، والصرامة ، ووفور الهبة ، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
والنظر في مصالح المسلمين ، وعدم محاباة أهل الدنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرق
في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان وكيل بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،
 والتثبت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعلار
 ومواقع ابداء الدافع ونفيه ، وأنه يقدم مصالح المسلمين على مصالح نفسه ،
 وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرسا وصفه بسعة العلم ، والتضلع بالفنون ، والأخذ من كل منها
 بحدّ وافر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم
 الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتاديبهم ، والتقريب على من عسر على فهمه
 شيء من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتنزيلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من
 برع منهم .

وإن كان خطيبا وصفه بالفصاحة ، والبلاغة ، وقوة اللسن ، وشدة الشكيمة
 في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب الدموع من وقع عظامه ، وما
 أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من
 الدنيا ، وتربية المريدين وتسليكهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالحدق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على
 غيره في الفن ، والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعلل
 وطرق العلاج ، وما يجرى مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكحالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء
 صنعته فيه ، والمعرفة بحال العين وأمراضها ، وأصناف الأكلان ، وما يوافق كل
 عملة من ذلك ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأمور ملته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاونة العدل في جماعته، والتزام شروط الذمة، والوقوف عند حدّها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حدّاه، ونحو ذلك .

الأمر السادس — بما يجب على الكاتب مراعاته وصية ربّ كل ولاية من الولايات المعترّة بما يناسبها .

وأعلم أن كل ما حسن وصية الموثى به، حسن وصفه به . والوصايا مختلفة باختلاف موضوعاتها، إلا أن الجميع يشترك في الوضعية تقوى الله، فهى الأسس الذى يبنى عليه، والركن الذى يستند إليه . وهذا الباب هو الذى يطول فيه سبح الكاتب، ويحتاج فيه إلى سعة الباع، فإنه ما لم يكن الكاتب حاذقا بما يلزم ربّ كل ولاية ليوفّيها في الوصية حقها، وإلا ضلّ عن الطريق، وحادّ عن جادة الصنعة . ولذلك يقال للكاتب : « القلم الأكبر » : لأنه بصدد أن يعلم كل واحد من أرباب الولايات ما يلزمه في ولايته .

وحينئذ فإن كان الموثى « نائب سلطنة » وصّى بتفقد العساكر، وعرض الجيوش، وإنهاضها للخدمة .. . للوظائف من يليق بها، وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومعاونة حكام الشرع الشريف، وإجراء الأوقاف على شروط واقفيها، وملاحظة البلاد وعمارتها، وإطابة قلوب أهلها، والشّد من مباشرى الأموال، وتقوية أيديهم، وملازمة العدل، وعدم الأنفكالك عنه، وتخصين ما لديه من القلاع، وأستطلاع الأحبار والمطالعة بها، والعمل بما يردّ عليه من المراسيم

(١) بياض بالأصل قدركلة ولعله « وأنفانه » للوظائف الخ .

السلطانية، وأن ما أشكل عليه يستضىء فيه بالآراء الشريفة، والإحسان إلى الجند،
وتعيين إقطاع من مات منهم لولده إن كان صالحا، ونحو ذلك .

وإن كان « نائب قلعة » وصى بحفظ تلك القلعة، وعمارة ما دعت الحاجة
إلى عمارة منها، والأخذ بقلوب من فيها، وجمعهم على الطاعة، وأخذ قلوبهم
بالإحسان إليهم، وتحصينها بالآلات الحصار، وأدخار آلات الحرب: من المجانيق
والقسيّ وسائر الآلات: من السهام، واللُّبوس، والسُّنَّار، وغير ذلك . وكذلك
آلات أرباب الصنائع، كالآلات الحدادين، وصنّاع القسيّ ومن في معانهم مما
يحتاج إلى عمله في آلات القلعة، والأعتناء بفتح أبواب القلعة وفتحها، وتفقد
متجددات أحوالها في كل مساء وصباح، وإقامة الحرس، وإدامة العسس،
وتعريف أخبار المجاورين لها من الأعداء، وإقامة نوب الحمام بها، والمطالعة بكل
ما يتجدد لديه من الأخبار .

وإن كان « وزيرا » وصى بالعدل وزيادة الأموال وتبويرها، والإقبال على تحصيلها
من جهات الخلل، واختيار الكفاة الأمانة، وتجنب الخونة، وتطهير بايه، وتسهيل
حجابه، والنظر في المصالح، وأنه لا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو خيانتُه،
والنظر في أمر الرواتب وإجرائها على أربابها .

وإن كان « كاتب سر » وصى بالأهتمام بتلقى أخبار الممالك وعرضها على المواقف
الشريفة، والإجابة عنها بما تبرز به المراسيم الشريفة، وتعريف النواب في الوصايا
التي تكتب في تقاليدهم عن المواقف الشريفة ما أتهم عليهم، ويبيّن لهم ما يقفون

(١) جرى على اللغة القليلة والكثير الشائع إطلاق فنه .

عند حده ، والنظر في تجهيز البريد والنجابه ^(١) ، وما يبعث فيه من المصالح وينفذ فيه من المهمات والقصاد ، ومعرفة حقوق ذوي الخدمة والنصيحة ، وإجرائهم في رسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتم العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بمخاطبهم ؛ والنظر في أمر الكشافه والدياب والنظاره والمناور والمحرقات وأبراج الحمام ؛ وإصرف نظره إلى رسل الملوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صون سر الملك وكتابه حتى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والأحتراز فيما تؤخذ عليه العلامة الشريفة ؛ ومراعاة كتاب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه بكتان السر كما يثق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وصى بالأحتراز في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الجند ، والإقطاعات ، وتحرير الكشوف والمحاسبات ، وأستيضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والنقباء ، والأحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يترتب عليها من المناشير ، والنظر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والتركان ، والأكراد ، ومن عليه تقدمه أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وصى بالأحتراز لديوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتسميتها وتتميرها ، وزيادتها وتوفيرها ؛ والتحرز فيما يرفع من حساباتها ، والأهتمام بأمر التشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التشاريف ،

(١) جرى العامة في هذا الاستعمال .

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار، والأخذ في ذلك كله بالخطم الأوفى للديوان السلطاني، وما يجرى بجرى ذلك .

وإن كان «مستوفى صحبة» وصى بالزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها، وعمل المكلفات وتقدير المساحات، وتمييز ما بين تسجيل الفدان في كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة، وتمييز قيم بعضها على بعض، ومستجد الجرائد، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والأجاس وغير ذلك .

وإن كان «ناظرًا لخزانة الخاص» وصى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاص وتشاريف أرباب السيوف والأقلام : العرب، والتركيان، والأكراد، وغيرهم، وهدايا الملوك وما يجرى بجرى ذلك : من العتابي والأطلس، والمشر بش، والمقندس والمتمر، والطرازات على اختلافها : من الزركش، والباهي، وأنواع المستعملات، وما يحمل من دار الطراز، وما يتباع للخزانة العالية، وما هو مرصده لها من الجهات التي يحمل إليها متحصنها : لينفق في أثمان المبيعات ومصروف المستعملات، والاحتراز فيما ينفق من الأثمان وقيمة المبتاع، وشهادات الرسائل المكتتبة إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات، وأن يحصل كل شيء هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان «قاضيا» وصى بالتروى في أحكامه قبل إمضاءها، وأن يراجع الأمر مرة بعد أخرى، واستشارة أهل العلم، والرُّجوع إليهم فيما أشكل عليه، واستشارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم، والقضاء بحق الخصم بعد وضوحه، والتسجيل له به، والإشهاد على نفسه بذلك، والتسوية بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إلى الخصمين، والتحرى في ابتداء الشهادات، وأن لا يقبل من الشهود إلا من عرف

بالعدالة : من ربّ قلم أو سيف ، والتنقيب عما يصدر من العقود ، ولا يقول من شهود القيمة إلا على كل عارف بالقيم خبير بها ، والنظر في أمر الرسل والوكلاء ، والنظر في أمور أهل مذهبه ، والأعتناء بشأنهم .

ويزاد « الشافعي » التوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومحاكماته ، والأحتراز في قضاياها ولا يقبل فيها بينة لو كمل بيت المال فيها مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المتحدثين فيها بالإحسان إليهم ، وكذلك أموال الصدقات الجارية تحت نظره ، والتهيؤ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهبه إلا بما نص عليه إمامه أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحا ولا ما تفرد به قائله ، وأن لا يولي في البرّ نائبا إلا من عُرِف استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويزاد « الحنفي » التوصية بالعمل بما اقتضاه مذهبه من الأمور التي فيها صلاح لكثير من الناس : كترويح للّعصرات ، وشفعة الجوار ، ونفقة المعتدة البائن ، وعدم سماع بينة الإعسار إلا بعد مضيّ المدة المعتبرة في مذهبه ، والإحسان إلى من ضمنه نطاق ولايته ممن نزع إليه من أهل الشرق وأقصى الشمال .

ويزاد « المالكي » التوصية بالتحزّي في بينات الدماء ، والإعذار إلى الخصم ليديّ مآلديه من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهبه مما فيه فسحة للناس : كالثبوت بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرّيع ، الوقف المستردّ بعد البيع ، والإحسان إلى من لديه من غرباء أهل مذهبه ، لاسيّما من أتاه من بلاد المغرب .

ويزاد « الحنبلي » التوصية بالأحتياط في بيع مآثر من الأوقاف والاستبدال بها ، ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والفسخ على من غاب عن زوجته

الغيبۃ المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التي يحصل بها التخفيف عن ضعفاء الناس ، والمعامل على الزرع بالحرق ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب عدّة وأنزرتهم وظائف وأوقافاً ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصى بنحو ما يوصى به [القاضى] وأن يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وأن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة ، فإن الشهود المعدّين لتحمل الشهادة يعزّ وجودهم فى العسكر ، وأن يكون له منزل معروف يقصد فيه إذا نصبت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ، وأن يكون مستعداً للأحكام التي يكثر فضلها فى العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقسمة ، والمبيعات ، والردّ بالعيب ، وأن يسرع فى فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون فى ذلك تشاغل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وإن كان « محتسباً » وصى بالنظر فى أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير والتحذير من الغش فى الطعام والشراب ، وأن يتعرف الأسعار ، ويستعلم الأخبار فى كل سوق من غير علم أهله ، وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاييش من يتوب عنه فى النظر فى أمورهم من الأمناء المأمونين ، وأن لا يمكن أحداً من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يستراب به بنخط متطبب لمريض ، وأن يمنع المتحيلين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطرقيّة وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تعاطى ما يتعاطونه من ذلك ، ويقمعهم ويحسم آدتهم ، والتصدي للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمنع من الغش

(١) أى المنجمين الذين يدعون معرفة المنجات بمقتضى النظر فى النجوم .

واختبار المشتري بأزيد مما اشترى به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعالمات من النساء ، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عرفت أمانته ، وأثرت صيانتة ، وأن لا يستنيب إلا أهل العفة والأمانة والنزاهة من بعد عن الطمع ، ونأى عن مطامع السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وصى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن من مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكلفهم ثبوتا فيه تعنت ومدافعة عن حقهم ، والتشديد في أمر من كانت قصته منكرة ، والتحرز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يباع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يوثق به ممن يكون عنده معرفة بقيمة الأشياء ، وينبه على أن له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والاحتياط في حق بيت المال ، وليختر للاستنابة في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرسا» وصى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جهد استطاعته ، ويربيهم كما يربي الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يجب تقديمه ، ويؤزل كل واحد منهم منزلته ، ليهزم ذلك إلى الإيجاب على الاشتغال والأزدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرس بما ياسبه من أمور العلم الذي يدرس فيه إن كان يدرس في علم خاص .

وإن كان «خطيبا» وصى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالوعد والوعيد ، ويلين القلوب القاسية ،

وأن يُعَدَّ لكلِّ مقامٍ يقومه مقالاً يقوله ، وأن يخفَّف الخطبة ، ويأتي بها بليغة مفهومة ، إلى غير ذلك من متعلقات الخطابة .

وإن كان «شيخ خانقاه» وُصِيَ بالاجتهاد في العبادة ، والمشى على طريق السلف : من الزهد ، والورع ، والعفاف ؛ وأن يأخذ جماعته بما أخذه في الأمور ؛ وأن يعرف لجماعة مكانه حقوقهم الواجبة لهم ويُنزِلهم منازلهم خصوصاً أولى السابقة منهم ، ويأخذ في الرفق بهم ومداراتهم ، مع ترتيب من استجد منهم ، وإجرائهم على طرائق الصوفية ، وتعريفهم الطريق إلى الله تعالى ، وتدرج المريدين على قدر ما تحتمله أفهامهم ، دون أن يهجم عليهم من أحوال الطريق بما لا تحتمله عقولهم . و [اتباع] سبيل الكتاب والسنة اللذين من جاد عنهما ضلَّ ، ومن خرج عن جادتهما زلَّ ، وكفَّهم عن ارتكاب البدع والجرى على منهاجها ؛ ومن أتى ذنبا نخذه بالتوبة والاستغفار ؛ والإنكار على من أخذ في الشطحات ، والخروج عن قانون ظاهر الشريعة ، ومنع من نحا هذا النحو أو جرى على هذه الجادة ، والإحسان إلى من يقدم عليه من الآفاق ، وحسن التلقئ له ، وإكرام نزله بعد أن يعجل له بالإذن ، والأمر بأخذ عكازة ، وفرش سجادة ، وما ينخرط في سلك ذلك .

وإن كان «رئيس الأطباء» وُصِيَ بالنظر في أمر طائفتيه ، ومعرفة أحوالهم ، ويأمر المعالج أن يعرف أولاً حقيقة المرض وأسبابه وعلاماته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ، وحينئذ يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوة ؛ وأن لا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ، ولا يُقدِّم على الأبدان إلا ما يلائمها ، ولا يخرج عن عادة الأطباء ولو غلب على ظنه الإصابة حتى يتبصر فيه برأي أمثاله ؛ ويتجنب الدواء ، ما أمكنته المعالجة بالغذاء ، والمركب ما أمكنته المعالجة بالمفرد ؛

ويتجنب القياس إلا ما صح بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،
وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء؛ وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
عنه؛ ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف
جديده من غتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل .

وإن كان «رئيس الكهان» وصى بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة
أحوالهم، وألا يصرف منهم إلا من عرف بحسن المداراة والملازمة في العلاج،
ويأمر كلاً منهم أن لا يقدم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن
يلاطفها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين وجلاء
البصر، وأن يستشير الأطباء الطباعية فيما أهم، مما لا يستغنى عن رأى مثلهم فيه،
من تخفيف المادة بالاستفراغ أو نقص دم أو غير ذلك .

وإن كان «رئيس اليهود» وصى بضم جماعته، ولمّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد
مليته، والنظر في أمور الأنكحة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يفتقر
إلى الرضا من الحائنين في العقد والطلاق، والنظر فيمن أوجب حكم دينه عليه
التحريم، والتوجه في صلاتهم تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم، وإقامة حدود
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،
وآتباع ما أعطوا عليه العهد مع إلزامه لهم [ما الترموه] من حكم أمثالهم من أهل الذمة
الذين أقرؤا في دار الإسلام على الصغار والإذعان لأهل الإسلام، وعدم مضايقتهم
للسانين في الطرق، وتميزهم بشعارهم في الحمام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل
شعار الذمة على رؤوسهم: وهى العائم المصفر؛ يأخذهم بتجديد صبغه في كل حين،
عدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بُسوء، أو إظهار الخمر أو معتقدتهم في العزير عليه السلام . وله أن يرتب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التحدث في كنائس اليهود المستمرة إلى الآن بأيديهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل ما لم تُعقد عليه الذمة ويقترهم عليه السلف الأول .

وإن كان « بطرك النصارى المليكانيّة » وصى بما عليه بناء شرعته من المسامحة والأحتمال والصبر على الأذى، وعدم الأكرات به، وأخذ نفسه بهذه الآداب، وأنه يُقدم المصالحة بين المتحاركن إليه قبل فصلها على البت فإنه قاعدة دينه المسيحي، ولم تُخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقّ صدور إخوانه من الغل، ويتخلق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويتزّه عن أموال جماعته والتوسل إلى أخذها، وأن إليه أمر الكنائس والبيع، وعليه أن يتفقدها في كل وقت، ويرفع مافيها من الشبهات، ويحذر رهبان الديارات من جعلها مصيداً للال، وأن يتجنبوا فيها الخلوة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحداً من الغرباء القادمين عليه يكون فيه ريب، ولا يكتم ما أطلع عليه من ذلك عن المسامع الشريفة السلطانية، ولا يخفى كتاباً يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جواباً، ويتجنب البحر وما يرد منه من مظان الرّيب .

وإن كان « بطرك اليعاقبة » قيل في وصيته نحو ما تقدم في وصية بطرك المليكانيين، إلا أنه لا يقال: « وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال: « وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، ومساو له في الأمر والنهي والتحليل والتحريم . ويقال بدل قوله « وإتجنب البحر »: « وليتوق ما يأتيه سراً من تلقاء الحبشة » .

قلت : وهذه الوصايا مدخلة إلى ما يرضى به أصحاب الولايات ممن تقدم ذكره والأمر في الزيادة والنقص في ذلك بحسب المناسبة راجع إلى نظر الكاتب . على أن المقر الشهابي ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عدة وصايا ليست مما يكتب الآن ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتورد برمتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والتواقيع ونحوها ، مع النسخ التي تورد هناك على صورة ما أوردها ، لينسخ على منوالها إن أمر بكتابة شيء منها .

المقصد الثاني

(في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكل صنف منها)

على سبيل الإجمال

وهي على أربعة أنواع :

النوع الأول

(التقاليد)

جمع تقليد . يقال : قلده أمر كذا إذا وليته إياه . قال الجوهري : وهو مأخوذ من الفلادة في العنق ، يقال قلدت المرأة فتقلدت ، قال : ومنه التقليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تشتمل على طرة ومن ، فأما الطرة فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعنوانها "تقليد شريف لفلان بكذا" . وأوضح ذلك في "التحقيق" فقال :

وصورته : ان يكتب : تقليد شريف بان يفوض الى المقر الكريم ، او الى الجناب
الكريم ، او الى الجناب العالى الاميرى الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، اعز الله
تعالى انصاره ، او نصرته ، او ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة
بالشام المحروس ، او بحلب المحروسة ، او بطرابلس المحروسة ، او نحوها ، على اجمل
العوائد فى ذلك واكل القواعد على ما شرح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : ان كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل ،
كُتِبَ فى طرة تقليده : تقليد شريف بان يفوض الى المقر الكريم العالى ، الاميرى ،
الكبيرى ، الكفيلى ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلقب الإضافة الى لقب السلطان ،
كالناصرى مثلا ، كقالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى
على اجمل العوائد فى ذلك واكل القواعد ، على ما شرح فيه .

وان كان التقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كُتِبَ : تقليد شريف بان يفوض
الى المقر الكريم العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، الكفيلى ، فلان الناصرى ،
مثلا كقالة السلطنة بالشام المحروس على اتم العوائد فى ذلك واكل القواعد ، على
ما شرح فيه .

وان كان التقليد بِنِابة السلطنة بحلب ، كُتِبَ : تقليد شريف بان يفوض الى
الجناب الكريم العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى ،
اعز الله تعالى نصرته ، نيابة السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، على اجمل العوائد
فى ذلك واكل القواعد ، على ما شرح فيه .

وان كان التقليد بِنِابة طرابلس ، كتب : تقليد شريف بان يفوض الى الجناب
العالى ، الاميرى ، الكبيرى ، الكافلى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرأبلس المحروسة، على أجمل العوائد و ذلك
وأكل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِحَمَاءَ، أُبْدِلَ لَفْظَ طَرَابُلُسٍ بِحَمَاءَ .

وإن كان بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِصَفَدَ، أُبْدِلَ لَفْظَ طَرَابُلُسٍ وَحَمَاءَ بِصَفَدَ، وَالباقى على
ما ذكر فى طرابلس .

وإن كان التقليد بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِغَزَّةَ - حَيْثُ جُعِلَتْ نِيَابَةُ - كُتِبَ : تَقْلِيدُ
شَرِيفُ بَانَ يَفْوُضُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي، الْأَمِيرِيِّ، الْكَبِيرِيِّ، الْكَافِلِيِّ، الْفَلَانِيِّ،
فَلَانِ النَّاصِرِيِّ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ، نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِغَزَّةَ الْمَحْرُوسَةِ، عَلَى
أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ، عَلَى مَا شَرِحَ فِيهِ .

فإن كان مُقَدِّمُ الْعَسْكَرِ كَمَا هُوَ الْآنَ، أُبْدِلَ لَفْظَ نِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِقَظِ
« تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ » وَالباقى على ما ذكر .

وإن كان التقليد بِنِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِالكَرْكِ، كُتِبَ : تَقْلِيدُ شَرِيفُ بَانَ يَفْوُضُ إِلَى
الْمَجْلِسِ الْعَالِي، الْأَمِيرِيِّ، الْكَبِيرِيِّ، الْفَلَانِيِّ، فَلَانِ النَّاصِرِيِّ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى
نِعْمَتَهُ، نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالكَرْكِ الْمَحْرُوسِ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ،
عَلَى مَا شَرِحَ فِيهِ .

وإن كان التَّقْدِيمُ بِالْوِزَارَةِ، كُتِبَ : تَقْلِيدُ شَرِيفُ بَانَ يَفْوُضُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي
الصَّاحِبِيِّ، الْفَلَانِيِّ، فَلَانِ النَّاصِرِيِّ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ، الْوِزَارَةَ الشَّرِيفَةَ
بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ، بِالْمَعْلُومِ
الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانِ الْمَعْمُورُ، عَلَى مَا شَرِحَ فِيهِ .

وإن كان التقليد بكتابة السر، كُتِبَ : تقليدُ شريفُ بأن يفوض إلى الجنب
العالى، القاضوى، الكبيرى، اليمينى، الفلانى، فلان الناصرى : ضاعف الله
تعالى نعمته، صحابة دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله
تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور،
على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتِبَ : تقليدُ شريفُ
بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعز الله
تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل
القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنيفة، كتب كذلك، إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية
بلفظ الحنيفة .

وإن كان التقليد لأمير مكة، كتب : تقليدُ شريفُ بأن يفوض إلى المجلس
العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلان الفلانى : أدام الله تعالى نعمته
بإمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكتها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام،
كتب كذلك إلا أنه يُبدل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدُ شريفُ بأن يفوض إلى المجلس
العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته بإمرة آل فضل،
على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

هذه جملة ما عُوهدت كتابته من التقاليد المكتتة من ديوان الانشاء بالأواب الشريفة، فإن حدث كتابة ما يستحق أن يكتب له تقليدًا، كالأتاريكية ونحوها، كتب بالألقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدم نقلا عن "التعريف" أنه يكتب في العنوان الذي هو الطرة : «تقليد شريف لفلان بكذا» فإن كتب تقليدًا بكفالة السلطنة مثلا، كتب : «تقليد شريف للمقرّ الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى»، الفلانى، بكفالة السلطنة الشريفة بالملك الإسلامية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

الثانى - أنه اقتصر في "التعريف" على قوله في آخر الطرة، على أجمل العوائد في ذلك وأكمل القواعد، وليس الأمر منحصرًا في ذلك، بل لو عكس بأن قيل : تقليد شريف بأن يفوض إلى فلان كذا، أو تقليد شريف لفلان بكذا على أكمل القواعد وأجمل العوائد على ما شرح فيه، لكان سائغا .

فإن كان صاحب التقليد على الرتبة : كالنائب الكافل، ونائب الشام، ونائب حلب، والوزير، وكاتب السر، ونحوهم، كتب على أجمل العوائد وأتمها، وأكمل القواعد وأعمها، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها، على ما شرح فيه .

ولما منن التقليد، فقد قال في "التعريف" إن التقاليد كلها لا تفتح إلا بالحمد لله وليس إلا، ثم يقال بعدها : أما بعد، ثم يذكر ما سنع من حال الولاية وحال الموتى، ويختم للكوفيين بصلح، وأنه لم ير أحق من ذلك الموتى ويسمى، ثم يقال ما يفهم أنه

هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يقلد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأول أجل؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه تارةً جُملياً وتارةً تفصيلاً، وينبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يختم بالدعاء للمولى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه.

قال: ولفضلاء الكتاب في هذا أساليب، وتفنن كثير الأماجيب، وكل مالوف غريب، ومن طالع كلامهم في هذا وجد ما قلناه، وتجلّى له ما أهتمناه.

وذكره في "التثقيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصنبر بخطبة معاسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويذكر ما يرى ذكره من حال الولاية والمولى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقر، أو الجناب، وألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له: أعز الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يزداد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: آقتضى حُسن رأينا الشريف، ويذكر ما يقتضى تكريمه وتعظيمه؛ ثم يقال: فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعا) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلد ذلك، أو فليتلق هذا التفويض، أو نحو هذا؛ ثم يوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه، ويحرص أن ينبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يختم بالدعاء للمولى بالإعانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأكثرها أربع، وأقلها اثنتان؛ ثم يقال: بعد الخطّ الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والحمدلة، والحسبة على العادة . ولم يقل فيه : وسيل كل واقف عليه ، كما قال في "التعريف" .

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين : الأول - قطع الثلث بقلم الثلث الثقيل . وفيه يكتب لتوابع السلطنة بمصر والشام مطلقا، وكذلك الوزير، والمشير، وكاتب السر، وقاضي قضاة الشافعية والحنفية بالديار المصرية .

الثاني - قطع النصف بقلم الثلث الخفيف . وفيه يكتب لذوي التقاليد من أمراء العرب : وهم أمير مكة المشرفة ، وأمير المدينة الشريفة ، وأمير آل فضل من عرب الشام على ما تقدم ذكره . ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون هذا المقدار من قطع الورق بحال . وسياتي الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(مما يكتب في الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم ، أخذا من قولهم : رسمت له كذا فارتسمه إذا أمثله ، أو من قولهم : رسم على كذا إذا كتب ، ويحتمل أن يكون منهما جميعا . وهي على ضربين :

الضرب الأول

(المراسيم المكبرة)

! يتعرض لها المقز الشهابي ابن فضل الله في "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة في زمنه وإنما حدثت بعده .

قال في "التثيف" : وهي على نمط التقاليد ليس بينهما اختلاف إلا في أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شيء من المراسيم في قطع الثلثين بل في قطع النصف أو الثلث . الثاني - أنه لا يقال فيها «تقليد شريف» بل «مرسوم شريف» .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر في طرة المرسوم على «الأميري» دون «الكبيري» بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها «الأميري الكبير» . الثاني - أنه يقال في المرسوم : «أن يستقر» ولا يقال : «أن يفوض» ولا : «أن يُقَدَّ» . الثالث - أنه لا يقال : «على أجل العوائد وأتم القواعد» بل يقال : «على عادة من تقدمه وقاعدته» . الرابع - أنه لا يقال في الصدر : «أما بعد» بل «وبعد» .

قال : وهي تختص بنواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية، وأمراء العُربان^(١) أو من بالشام وحلب، وشاذى مراكز البريد وغيرهم .

ثم هي على طبقتين :

الطبقة الأولى - ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للنواب بالقلاع : من مقدمي الألو ف والطبلخانات : كتاب خمص ، والرجبة ، والبيرة ، وقلمة المسلمين ، وملطية ، وطرسوس ، وأذنة ، وبهسي ، والفتوحات الجاهانية وغيرها ممن يكتب له المجلس العالي والسامي بالياء أو بغيرياء على ما تقدم بيانه في المكاتبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العُربان وهم أمير آل علي ، وأمير آل ميرزا ، وأمير بني عُقبه . قال في "التثيف" : وصورة ما يكتب في الطرة أن يكتب :

(١) لعله من بالنام الخ . تأمل .

« مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العالى أو السامى الأميرى ، الفلانى ، فلان (ويدعى له بما يناسبه) فى النيابة فى الجهة الفلانية على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه . »

فإن كانت النيابة مقدمة ألف : كنيابة الرّحبة ونحوها ، كُتب فى طرّة مرسومٍ نائبها : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العالى الأميرى الفلانى فلان ، أدام الله تعالى نعمته ، فى المكان الفلانى على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته . »

وإن كانت النيابة طبلخاناه كتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلس السامى الأمير فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته . » أو كتب : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته . »

وإن كانت نيابة قلعة دمشق ، كتب : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقر المجلسُ العالى ، الأميرى ، فلان ، أدام الله تعالى نعمته فى النيابة بالقاعة المنصورة بدمشق المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه . » وكذلك كلُّ قلعة بحسب ألقاب نائبها التى يكتب بها .

ثم يكتب فى الصدر بعد البسملة خطبةً مفتحةً بالحمد لله ، ثم يقول : وبعدُ « ويأتى بنحو ما تقدم ذكره فى التقاليد ، ثم يقال : ولما كان المجلسُ العالى أو السامى إلى آخر ألقابه ، ثم يقال : فلان ، ويدعى له بما جرت به عادته ، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدم ذكره من المدح والأوصاف السابقة ، ثم يقال : فلذلك رُغم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقر المشار إليه في كذا على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، فليتلق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها، ويختم بنظير ما تقدم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المكبرة ما يكتب في قطع الثلث قلم التوقيعات . قال في "التتيف" : صورته في الطرة والصدر على ما تقدم في الطبقة الأولى، إلا أن خطبته تفتح بأما بعد حمد الله، وتختتم بما تقدم ذكره . قال : وقد تكتب لنواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب نغراس، ونائب الدرّسّاك، ونائب كركر، ونائب الكختا، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات، مثل شادّ الدواوين بالشام وحلب، وشادّ مراكز البريد بهما، ونحو ذلك؛ وبعض أمراء العرب : كأمير بنى مهدي، ومقدم عرب جزم، ومقدم عرب زبيد على نكرة فيه . فإن كان المرسوم بناية من النيابات المذكورة وغيرها، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامى، الأمير فلان الدين أعزه الله تعالى، فى النيابة بِنغراس، أو بالدرّسّاك، أو بكركر، وما أشبه ذلك على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بشدّ بالشام أو بحلب، كتب : «مرسوم كريم أن يستقر المجلس السامى، الأمير، فلان الدين : أعزه الله تعالى فى شدّ الدواوين بالمكان الفلانى، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشدّ مراكز البريد، أبدل لفظ «شدّ الدواوين» بلفظ «شدّ مراكز البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بنى مهدي، كتب : «فى إمرة بنى مهدي، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب جزم، كتب : «فى تقدمة عرب جزم، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد، أبدل لفظ جزم بزبيد، وعلى ذلك .

الضرب الثاني

(من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة)

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صنفان :

الصنف الأول - ما يترك فيه أوصال بياض بين الطرة والبسملة، وهي أعلاها، ويكتب بالسامى بغيرياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسوم شريف أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصدر بعد البسملة ماصورته : « رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى » (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويُدعى له بما فيه براعة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد « أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، الأجل » (إلى آخر ألقابه) ، أو أن يستقر مجلس الأمير ، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال : فليباشر ذلك ، أو فليتلق ذلك ، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك . ثم يوصى بما يليق به ، ويُدعى له بدعوتين فقط ، ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصنف إن روى صاحبه ، كتب في قطع العادة المنصوري ، وإلا ففي قطع العادة الصغير . قال في "التثيف" : ومما ينبه عليه أنه لا يكتب

مرسوم شريف في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشقيف بصفد وصرخد ومجلون^(١) والصبيبة ، فإنه لا يؤتى فيها إلا مقدم حلقة او جندي ، ومثل هذا لا يكتب عن المواقف الشريفة إلا نادرا ، فإن كُفَّال الممالك يستبدون بالتولية في ذلك .

الصفحة الثاني — ما يكتب في هيئة ورقة الطريق ، ويكون في ثلاثة أوصال ، وصورته أن يكتب في الطرة ماصورته : «مرسوم شريف أن يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان في كذا وكذا ، على ما شرح فيه» ويكون ذلك في سطرين ، ولا يكتب في أعلاه الأسم الشريف كما يكتب في غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب في هذا إلا الأسم الشريف فيستغنى عن ذكره ، ثم يكتب في آخر ذلك بالوصل : «رسم بالأمر الشريف» على نحو ما تقدم ، إلا أنه لا يحتاج في الدعاء إلى ما يكون فيه براعة استهلال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه في الآفاق وصرفه» ونحو ذلك «أن يستقر فلان في كذا أو يرتب في كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد انخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

النوع الثالث

(مما يكتب في الولايات السلطانية التفاويض)

جمع تفويض ، وهو مصدر فوض الأمر إلى زيد إذا رده إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أي أركه إليه . قال في «التعريف» : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعني ممن تون أرباب التقاليد ، وهي من تخط التقاليد ، غير أنها يقال في تعريفها «تفويض شريف لفلان بكذا» . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

(١) لعله صفد بواو المطف .

كتب « تفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلا » يكتب في الطرة :
 « تفويض شريف للجلوس العالي ، القاضوي ، الكيرى ، بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان
 المعمور على ما شرح فيه » ثم يأتي بنحو ما تقدم ترتيبه في التقاليد ، إلا أنه
 يكون أخصر .

قلت : ولم أقف على نسخة تفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقر الشهابي
 ابن فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا تفويضا بقضاء قضاة المالكية
 بالديار المصرية لقاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي ، حين ولي على أثر
 ولاية قاضي القضاة جلال الدين البلقيني^(١) قضاء قضاة الشافعية ، أفتتحه بلفظ :
 « الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله » وكتبت له به ، وكتبت في طرته :
 « تفويض شريف للجلوس العالي ، القاضوي ، الجمالي ، يوسف البساطي المالكي ،
 أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد ،
 وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .
 وسيأتي ذكر نسخته في الكلام على النسخ في المقصد الثاني من هذا الطرف ،
 إن شاء الله تعالى .

(١) بُلَيْيَة بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف كما في المعجم والقلموس .

النوع الرابع

(التواقيع ، جمع توقيع)

قد تقدم في مقدمة الكتاب عن ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكُتاب : أن التوقيع معناه في اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : نافقة موقعة الجنب^(١) إذا أثر فيها الرجل تأثيراً خفيفاً ، وأنه يحتمل غير ذلك . وفي اصطلاح الأقدمين من الكُتاب أنه أسم لما يكتب في حواشى القصص تحط الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم ، وخط كاتب السر الآن ؛ ثم غلب حتى صار علماً على نوع خاص مما يكتب في الولايات وغيرها . قال في " التعريف " : وهى على أنموذج التفاويض . قال : وقد يقال : أن يرتب ، وأن يقدم ، ثم قال : وعنوانها « توقيع شريف لفلان بكذا » ولا يقال فيها على اختلافها : « ومبيل كل واقف عليه » كما في التقاليد ، بل يقال : « فليعمد ما رسم به فيه بعد الخط الشريف أعلاه » . وقد ذكر في " التعريف " أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليها وحقيرها ، وكبيرها وصغيرها ، حتى الطبلخانات اللاحقين بشأو الكبار فن دونهم . وقال في " التثقيف " : إنها مختصة بالمتعمنين من أرباب الوظائف الدينية والديوانية ، ولا يكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر بیمارستان ، ونظر الجامع الحديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، يعنى حرم القدس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه في زمن صاحب " التعريف " كانت التواقيع تكتب بالوظائف لأرباب السيوف من الثياب وغيرها قبل أن تحدث المراسيم المكبرة المقنعة الذكر ، ثم خصت التواقيع بعد ذلك بالمتعمنين دون أرباب

(١) الجنب والجنب والجنبه محركة شق الانسان . قاموس .

السيوف . ومضى الأمر على ذلك في زمن صاحب "التثقيف" بخرى على حكمة ولم يبق ممن يكتب له توقيع من أرباب السيوف سوى نظار الجهات الثلاث المتقدمة الذكر : من البيارستان المنصوري . والجامع الحديد الناصري بمصر، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف، وحرم الخليل عليه السلام . والحكم باق على ذلك إلى الآن .

ثم التوقيع على اختلافها لا تخرج عن أربع طبقات .

الطبقة الأولى

(ما يفتح بخطبة مفتحة بالحمد لله، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التثقيف" : صورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقلام أن يكتب في الطرة : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي، القاضوي، الكبير، الفلاني (ويدعى له دعوة واحدة) بما جرت به عادته، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخروقت على ما شرح فيه » .

قال : فإن كان حاكماً، كتب له بعد الكبرى، الحاكمي . وإن كان كاتب السر، كتب له بعد الكبرى، اليميني، لا غير . ثم يكتب في الصدر خطبة مفتحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد، والسمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان يكتب بملك للقضاة الأربعة بالديار المصرية، والقضاة الأربعة بالشام، وكاتب السر بمصر

(١) لم يذكر المفوض به إليه للعلم به من نظائره والأصل أن يفوض إلى المجلس ... نظر الجامع

الحديد الناصري مثلاً بما جرت به الخ فنبه

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصُّحبة الشريفة ،
وهو ناظرُ الدولة .

وحيثُذ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمرُ
عليه أولاً ، كتب فى الطرزة « توقيعُ شريفُ بأن يستقرَّ المجلس العالى ، القاضى
الكبرى ، الفلانى ، فلان : أعزَّ الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار
المصرية ، على أجمل العوائد وأتمها ، وأكمل القواعد وأعمها ، بما لذلك من المعلوم
الشاهد به الديوانُ المعمور ، على ما شرح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمرُ عليه أولاً أيضاً ، كتب
له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمرُ مستقرُّ عليه الآن ، كتب له
كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء
قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكتاب السرِّ على ما كان الأمرُ عليه أولاً ، كتب : « توقيع
شريفُ بأن يُفوض إلى المجلس العالى ، القاضى ، الكبرى ، اليمينى فلان ،
ضاعف الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية
أعلاها الله تعالى ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوانُ
المعمور ، على ما شرح فيه » .

وإن كُتِبَ به لكَاتِبِ السَّرِّ بِالشَّامِ، أُبْدِلَ لَفْظُ المَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ بِ«الشَّامِ المَحْرُوسِ» .

وإن كُتِبَ به لِنَاظِرِ الجَيْشِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ، كُتِبَ : « تَوَقَّعُ شَرِيفٌ بَأَن يَفُوضَ إِلَى المَجْلِسِ العَالِيِّ ، القَاضِيَّ ، الكَبِيرِيَّ ، الفِلاَنِيَّ ، ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، نَظَرَ الجُيُوشِ المَنْصُورَةَ بِالمَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ ، أَعْلَاهَا اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ مَا شُيِّرِحَ فِيهِ » .

وإن كُتِبَ به لِنَاظِرِ الجَيْشِ بِالشَّامِ ، أُبْدِلَ لَفْظُ المَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ بِ«الشَّامِ المَحْرُوسِ» .

وإن كُتِبَ به لِنَاظِرِ الدَّوْلَةِ، كُتِبَ : « تَوَقَّعُ شَرِيفٌ بَأَن يَفُوضَ إِلَى المَجْلِسِ العَالِيِّ ، القَاضِيَّ ، الكَبِيرِيَّ ، الفِلاَنِيَّ ، فِلاَنٌ ، ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ ، نَظَرَ الدَّوَاوِينَ المَعْمُورَةَ وَالصُّحْبَةَ الشَّرِيفَةَ ، عَلَيَّ أَجْمَلَ العَوَائِدِ ، وَأَكْمَلَ القَوَاعِدِ ، بِالمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِه الدِّيَوَانُ المَعْمُورُ عَلَيَّ مَا شُيِّرِحَ فِيهِ » .

وإن كُتِبَ به لِنَاظِرِ البِيَارِسْتَانَ لِصَاحِبِ سَيْفٍ^(١)، كُتِبَ : « تَوَقَّعُ شَرِيفٌ أَن يَفُوضَ إِلَى المَقَرِّ الكَرِيمِ ، أَوِ الجَنَابِ الكَرِيمِ ، أَوِ العَالِيِّ (عَلَيَّ قَدْرُ رُتْبَتِهِ) الأَمِيرِيَّ ، الكَبِيرِيَّ ، الفِلاَنِيَّ ، فِلاَنٌ النَاصِرِيَّ مِثْلًا : أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ ، أَوِ نُصْرَتَهُ ، أَوْ ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ (بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهِ) نَظَرَ البِيَارِسْتَانَ المَعْمُورِ المَنْصُورِيَّ ، عَلَيَّ أَجْمَلَ العَوَائِدِ ، وَأَكْمَلَ القَوَاعِدِ ، بِمَا لَنَدُكُ مِنَ المَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِه الدِّيَوَانِ المَعْمُورِ عَلَيَّ مَا شُيِّرِحَ فِيهِ » . وَكَذَلِكَ نَظَرَ الجَامِعِ الجَدِيدِ وَنَظَرَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ كُلِّ بِمَا يَنَاسِبُ الأَلْقَابِ . وَعَلَيَّ ذَلِكَ .

(١) لعله ودان صاحب سيف .

المرتبة الثانية من التواقيع - ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال في "التثقيف" : صورته في الطرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لنقيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرک ، وكذلك لقضاة العسكر بالممالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، ووكلاء بيت المال بها ، والمحتسبين ، ونظار الجيش بها ، وكتاب الدست بمصر والشام ، وناظر البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزائن السلاح ، ومستوفى الصحبة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخاص ، وناظر الأحباس ، ومشايخ الخوانق الجبار : كسعيد السعداء ، وبيبرس بالقاهرة ، والشميمصاتيبة بدمشق . وكذلك مقدمة التركمان بالشام ، ومقدمة الأكراد به ، ومشيخة العائد .

فإن كتب بذلك لنقيب الأشراف ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه» .

وإن كتب لقاضى قضاة الشافعية بحلب ، كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه . » وإن كتب للحنفى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» وكنا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة بغيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصفد ، والكرک ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحد من قضاة العسكر بالممالك المذكورة ، كتب « توقيع شريف »
بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الشافى ، مثلا أو نحو ذلك : أيد الله
تعالى أحكامه ، فى قضاء العسكر المنصور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه
فى ذلك وقاعدته .

وإن كتب بإفتاء دار العدل بشىء من هذه الممالك ، أبدل لفظ « قضاء العسكر »
بلفظ « إفتاء دار العدل » والباقى على حكمه .

وإن كتب لأحد من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف » أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت
المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته .

وإن كتب لأحد من المحتسبين بهذه الممالك ، كتب « توقيع شريف » أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الحسبة
الشريفة بالمكان الفلانى على عادة من تقدمه وقاعدته .

وإن كتب لأحد من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف » أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت
المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته .

وإن كتب لأحد من نظار الجيش بها ، كتب « توقيع شريف » أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الجيوش
المنصورة بالملكة الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته .

وإن كتب لأحدٍ من كُتَّاب الدَّست بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه، فى كتابته الدَّست الشريف بالأبواب الشريفة» . ثم إن كان عن وفاة عينه أو بتزول عينه .

وإن كان بالشام، أبدل لفظ «بالأبواب الشريفة» بلفظ «بالشام المحروس» .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر البيوت المعمورة» .

وإن كتب لأحدٍ بنظر خزان السلاح بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى خزان السلاح المنصورة، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب باستيفاء الصُّخبة، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى استيفاء الصُّخبة للشريفة، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر بيت المال، كتب «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر بيت المال المعمور، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر الخزانة للكبرى، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر الخزانة العالية الكبرى، على عادة من تقدمه وقاعدته» .

وإن كتب بنظر خزانة الخاص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخاص الشريف ، والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بنظر الأحباس ، كتب « توقيع شريف ان يستقر المجلس السامي » ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعة ، في نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة الخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الشيخي ، الفلاني : أعاد الله تعالى من بركاته ، في مشيخة الخانقاه الصلاحية ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة خانقاه بيبرس ، أبدل لفظ « الخانقاه الصلاحية » بلفظ « الخانقاه الركنية بيبرس » والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بمشيخة الشميصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخانقاه الشميصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التركان بالشام ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي ، الفلاني : أعزه الله تعالى ، في تقدمه التركان بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التركان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي : الفلاني : أعزه الله تعالى ، في مشيخة العائد ، على عادة من تقدمه وقاعدته » . وعلى ذلك .

الطبقة الثانية

(من التواقيع ما يُفتح بلفظ « أما بعد حمد الله » وهو لمن رُتبته

السامى بغيرياء ، وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى - ما يُكتب في قطع الثلث ، وهو الأصل فيما يُكتب في الثلث ثم تُرقى عنه إلى رتبة الأفتاح بالحمد . ألا ترى أن المناشير التى تُكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات تفتتح كلها بلفظ « أما بعد » على ما سياتى بيانه في المقالة السادسة ، في الكلام على المناشير ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يكتب في الطرة « ترقيع شريف بان يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » ثم يكتب فى الصدر « أما بعد حمد الله » ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « فإن أولى الأمور بكذا من هو بصفة كذا » أو « إن أولى الناس بالتقديم من هو متصف بكذا » ونحو ذلك ؛ ثم يقال : « ولما كان المجلس » ويؤتى بنحو ما تقدم فى المفتح بالحمد لله .

قلت : وقد قل استعمال هذا الضرب بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأصل فيما يكتب فى هذا القطع ، حتى لا يكاد يكتب به إلا فى النادر ، تغالبا فى رفة المكتوب لهم ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية - ما يُكتب فى قطع العادة المنصورى .

والأمر فيه على ما تقدم فيما يكتب من هذه الطبقة فى قطع الثلث . قال فى « التثيف » : وهو قليل جدا لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظير وقف

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛
أو لرجل كبير قديم الهجرة في الخدمة الشريفة، إلا أن الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن
تكون في قطع الثلث .

الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتتح بلفظ «رُسم بالأمر الشريف» وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن
رتبته السامي بغير ياء ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال في «التشيف»: وصورته
أن يكتب في الطرة «توقيع شريف» بأن يستقر المجلس السامي القاضي فلان الدين:
أعزه الله تعالى في كذا، أو أن يُرتب، أو أن يُقدم» ويذكر ما تضمنه الشاهد
من قصة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخاص أو غير ذلك «على ما شرح فيه». قال:
ثم يكتب في الصدر بعد البسملة «رُسم بالأمر الشريف العالي، المولوى،
السلطاني، الملكي، الفلاني، الفلاني، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»: مثل
الناصرى، الزينى، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تناسب الوظيفة
والتولى لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامى، القاضي،
فلان الدين فلان، أو مجلس القاضي فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى في كذا،
لما له من صفات هي كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام)
ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليتلق هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة»
ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجعتين فقط . ثم يقال:
«بعد الخط الشريف أعلاه». ثم قال: وبذلك يكتب لكتاب الدرج، ومستوفى

الدولة ، وناظر الأهراء ، وناظر المطابخ ، ومشايخ الخوانق الصغار ، والتدريس
الصغار ، وأنظار الأوقاف الصغار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حصر .

وحيث إن كُتِبَ بذلك لكتاب درج ، كتب فى الطرة « توقيع شريف
أن يستقر مجلس القاضى فلان الدين فلان : أعزّه الله تعالى فى كتابة الدرج
الشريف » .

وإن كتب به لمستوف من مستوفى الدولة ، كُتِبَ « أن يستقر المجلس السامى ،
القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله نعمته ، فى استيفاء الدولة للشريفة على عادة
من تقدمه » .

وإن كُتِبَ لناظر الأهراء ، كُتِبَ « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ،
فلان الدين فلان : أدام الله رفعة ، فى نظر الأهراء السعيدة » .

وإن كتب بنظر مطابخ السكر ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ،
فلان الدين فلان : أدام الله تعالى رفعة ، فى نظر المطابخ السعيدة » .

وإن كتب بمشيخة خانقاه صغيرة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ،
فلان الدين فلان ، أو مجلس الشيخ فلان الدين فلان : نفع الله تعالى بركته ، فى مشيخة
الخانقاه الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كُتِبَ بتدريس صغير ، كتب « أن يستقر فى تدريس المدرسة الفلانية ،
على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر وقف ، كتب « أن يستقر فى نظر الوقف الفلانى »
ونحو ذلك .

فَمِنْ إِنْ كَانَ لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ مَعْلُومٌ يَشْهَدُ بِهِ الدِّيْوَانُ السُّلْطَانِي ككِتَابَةِ الدَّرَجِ
وَأَسْتِيفَاءِ الدَّوْلَةِ ، كُتِبَ بَعْدَ قَوْلِهِ وَقَاعِدَتِهِ : « بِمَا لَدُنْكَ مِنَ الْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ
لِلدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ » .

وَإِنْ كَانَ الشَّاهِدُ بِالْمَعْلُومِ كِتَابٌ وَقَفَ ، كَتَبَ « بِمَا لَدُنْكَ مِنَ الْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ
كِتَابُ التَّوَقُّفِ الْمَبْرُورِ » . وَيَقُولُ فِي آخِرِ طَرْتِزَةِ كُلِّ وِلَايَةٍ مِنَ التَّقَالِيدِ ، وَالتَّفَاوِيصِ ،
وَالْمَرَايِمِ ، وَالتَّوَاقِيْعِ عَلَيَّ اِخْتِلَافِهَا : « عَلَيَّ مَا شَرِحَ فِيهِ » .

الطبقة الرابعة

(التواقيع الصغار؛ وهي لأصغر ما يكون من الولايات:

من نظر وقف صغير ونحو ذلك ، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها)

وهي على ضربين

الضرب الأول — ما يكتب على مثال أوراق الطريق .

وصورتها أن يكتب في أعلى الدرج : « توقيع شريف بأن يستقر فلان في كذا ،
على ما شرح فيه » . ويكون ذلك في سطرين ؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل :
« ريسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني » إلى آخر ما تقدم في الطبقة الثالثة .
ويقال في الدعاء : « أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه وصرته » ونحو ذلك . ثم يقال :
« أن يستقر فلان في كذا » ويشرح ما تضمنه الجواب في هامش القصة . ثم يقال :
« فليعتد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من
غير عدول عنه ولا خروج عن معناه ، بعد الخط الشريف أعلاه » .

الضرب الثاني - ما يكتب على ظهور القصاص .

وكيفيته أن تُلصق القِصَّة التي شملها جوابُ كاتب المرء أو غيره على وُضْئِن من ورق العادة الصغير . قال في "التثقيف" : صورتها أن يكتب في ظاهر القِصَّة بغير بَسْمَلَة قبل الوصل الذي وصله نحو أربعة أصابع ما صورته : « رُسم بالأمر الشريف العالی المولوی السلطانی » على نحو ما تقدم . ويدعى له : « أعلاه الله وشرّفه ، وأنفذه وصرّفه » على ما تقدم في الضرب الأول . ثم يقال : « أن يتأمل ما أنهاه رافعها باطنا ، ولتقدم بكذا وكذا » ويشرح ما تضمنه الجواب في هامش القِصَّة . ثم يقال : « فليتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخطّ الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافع القِصَّة ممن هو متميّز بعض التميّز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد في قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاصي أو المجلس السامي القاضي » إن كان من هذه الرتبة ، وتذكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليقدم » ويكمل إلى آخره .

وأعلم أن المقرّ الشهابي ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" افتتاحات أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رسم بالأمر الشريف» فقال : بعد الأفتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : «من حسنت طرائقه ، وحمدت خلائقه» أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الأفتتاحات كانت مستعملة في الدولة العباسية ببغداد ، وفي الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم في الدولة التركية إلى زمن المقرّ الشهابي

المشار إليه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك، وَتُرِكَ استعمالُها بالديار المصرية البتَّة، فلم يكن أحدٌ من كُتَّاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها .

المَقْصِدُ الثَّالِثُ

(في بيان كيفية وضع ما يكتب في هذه الولايات في الورق ،
ويتعلق به عشرة أمور)

الأمر الأول — الطُّرَّة، وهي في اصطلاحهم عبارة عن طَرَف الدَّرَج من أعلاه، ثم أطلقوه على ما يُكْتَب في رأس الدَّرَج مجازاً، تسميةً للشيء باسم محله .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنه في الأصل مأخوذٌ من طُرَّة الثوب . وقد ذكر الجوهري وغيره أن طُرَّة الثوب هي طَرَفُه الذي لاهُدَب فيه، والذي لاهُدَب فيه من الثوب هو حاشيته، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون مأخوذةً من الطَّرْبِ بمعنى القطع ، لأن الطُّرَّة مَقْتَطَعَةٌ عن كتابة المتن ، يفصل بينهما بياضٌ ، ومنه سُمِّي الشَّعْر المرسل على الصُّدغ طُرَّة . وقد جرت العادة في كل ما يكتب له طُرَّة أن يكتب في أعلى الدَّرَج في الوَسْط بقلم الرِّقَاع بكل حالٍ ماصورته « الأسم الشريف » ثم تكتبُ الطُّرَّة تِلْوَ ذلك من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، دون هامشٍ عن يمينٍ ولا شمالٍ : بحيث تكون أطراف المتصبات من أول السطر الأول ملاصقةً لأسفل ما كُتِب في أعلى الدَّرَج مما تقدم ذكره . ويأتي بالطُّرَّة المناسبة : من تقليدٍ ، أو مرسومٍ ، أو تفويضٍ ، أو توقيعٍ ، بالقلم المناسب لمقدار قَطْع ذلك الورق على ما تقدم بيانهُ، ويأتي على ما يكتب في الطُّرَّة على ما تقتضيه

الحال، على ما سبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره فإن انتهى فى أثناء سطر، ترك باقىه بياضا، وكتب فى آخره «على ما شرح فيه» بحيث يوافق آخر ذلك آخر السطر . وإن انتهى ما يكتب فى الطرقة فى آخر السطر، كتب تحت ذلك السطر على حبال آخره «على ما شرح فيه» كما تقدم، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية، إلا فيما يكتب على ظهور القصاص فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طرقة، ولا يكتب فى أعلاه الأسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الأسم الشريف، فلم يحتج إلى تنبيه على ذلك .

الأمر الثانى - البسمة الشريفة . ومن شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْزَمٌ» . يعنى ناقص البركة . ومحلها من كتب الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصال البياض . أما مالا بال له من كتب الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصاص وما هو منها على صورة أوراق الطريق، فقد جرى الإصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسمة أصلاً، بل تفتح «رسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكركى حين ولى كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسمة لطيفة المقدار، طلباً للتبرك، ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسمة بما يكون له بال من الأمور، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه بسمة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسمة قبل قوله «رسم بالأمر

الشريف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسمة، وفيه ما لا يخفى. بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثاني من البسمة، على ما سيأتى بيانه.

الأمر الثالث - الأفتاح الذى يلى البسمة. وقد علمت مما تقدم أن الذى استقر عليه أفتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف:

أحدها - الأفتاح بالحمد لله، وهو أعلاها. ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق: إذ هو تارة تفتح به التقاليد، وتارة تفتح به المراسيم المكبرة، وتارة تفتح به التفاويض، وتارة تفتح به كبار التواقيع.

الثانى - الأفتاح بأما بعد حمد الله. وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبرة، والتواقيع الكبار. وتكون فى قطع الثلث تارة، وفى قطع العادة المنصورية أخرى.

الثالث - الأفتاح برسم بالأمر الشريف. وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع، وهى أدنى رتبها. وتكون فى قطع العادة الصغير، وربما كتبت بها فى قطع العادة المنصورية.

الأمر الرابع - البعدية فيما يفتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين.

الأول - أن يقال بعد التحميد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: أما بعد، وهو الأعلى. وتكون فى التقاليد خاصة.

الثانى - وبعد، وهى دون أما بعد. وتكون فى التفاويض وكبار المراسيم والتواقيع. وقد مر القول على ذلك مستوفى فى الكلام على الفواتح فى المقالة الثالثة.

الأمر الخامس - وصف المولى بما يناسب مقامه ومقام الولاية من المدح والتقريظ . وقد مرّ القول على ذلك فى المقصد الأول من هذا الطّرف، فى الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السادس - الألقابُ المختصة بصاحب الولاية . قد تقدم أنه يذكر فى الطّرة بعض الألقاب التابعة للقب الأصيل : من المقرّ والجناب وغيرهما، مع التصريح باسم المولى والدعاء له بما يناسبه، على ما تقدم بيانه هناك . أما فى أثناء الولاية، فإنه يُستوعب جميع ألقابه ويعاد ذكر الأسم والدعاء المذكور فى الطّرة . وقد تقدم ذكر الألقاب مستوفى فى المقصد الأول من هذا الفصل فى الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السابع - وصية صاحب الولاية بما يناسب ولايته . وقد تقدم التنبيه على ذلك فى الكلام على مقدمات الولايات أيضا .

الأمر الثامن - الدعاء لصاحب الولاية بما يناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر فى " التعريف " أن من استصغر من المولّين لا يدعى له فى أول ولاية ولا آخرها، وربما قيل بدّل الدعاء أو بعده : « والخيرُ يكون » .

الأمر التاسع - الخواتم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمستند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدم فى المكاتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب فى آخر مكتوب كل ولاية : « إن شاء الله تعالى » فى سطرٍ منفرد .

وأما التاريخ، فإنه يكتب فى سطرين كما تقدم فى المكاتبات، فيكتب « كُتِبَ فى يوم كذا من شهر كذا » فى سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » فى سطرٍ تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . فإن كان بتلق كاتب السر، كُتب في سطرٍ واحد « حسب المرسوم الشريف » . وإن كان برسالة الدوّادار، كتب « حسب المرسوم الشريف » في سطر، ثم كتب في سطر تحته « برسالة الجناب العالي الأميرى، الكبيرى، الفلانى الدوّادار، الناصرى » مثلا . وإن كان بخط السلطان، كتب « حسب الخط الشريف » . وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب « بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الفلانية » في سطر، وكتب « كافل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » في سطر تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب « بالإشارة العالية الصحابية الوزيرية الفلانية » في سطر، ثم كتب في السطر الثانى « مدبر الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب سيف، أسقط منها « الصحابية » . اللهم إلا أن يكون مرسوما صغيرا أو توقيعاً صغيرا مما كُتب في هيئة ورقة الطريق أو على ظهر القصة، فإنه إن كان بتلق كاتب السر، كُتب المستند على حاشية التوقيع على سمت ما بين السطر الأول والثانى . وإن كان بإشارة النائب الكافل كُتب هناك « بالإشارة العالية » سطرين، على نحو ما تقدم فيما يُكتب تحت التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدوّادار، كتب على الحاشية هناك « حسب المرسوم الشريف »، ثم كُتب تحت التاريخ « برسالة الجناب العالي » إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ففي سطر تحت المستند، كما في المكاتبات، يكتب فيها « الحمد لله وحده » ثم يخلّى بياضا، ثم يكتب « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » .

وأما الحسبة ، ففى سطر تحت ذلك يكتب فيه « حسبنا الله ونعم الوكيل » على ما تقدم فى المكتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع فى كُتب الولايات ، وله ستة مواضع :
الأول — فيما بين الطرة والبسمة ، وهى ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطرة ، لا يتجاوز ذلك فى مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما أقتصر على وصلين فيما استُصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقيع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسمة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش ، ولم أجد له أصلا فى اللغة . وقد تقدم القول عليها فى المقالة الثالثة ، فى الكلام على متعلقات قطع الورق وما ينخرط فى سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ؛ على أن ملوك الروم يجعلون لكُتبهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القول عليها فى الكُتب الواردة عن صاحب القسطنطينية .

الثالث — بيتُ العلامة ؛ وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يلي البسمة ، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون فى آخر وصل البسمة . وقد تقدم فى الكلام على مقادير الورق فى المقالة الثالثة أن مقداره فى الزمن القديم كان قدر شبر ، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كُتب به فى الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" على ما يشهد به الموجود من تواقيمهم ؛ ثم تناقص قليلا . فلما غلا الورق وقُصرت الأوصال نقص مقداره حتى صار نحو شبر^(١) ، وهو على ذلك إلى الآن . ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه فى القطع الكبير يكون الوصل أطول منه فى القطع الصغير .

(١) لعله نحو "نصف شبر" كما لا يخفى .

الرابع - ما بين الأسطر في متن الولاية ، وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضابقاً حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوقه .

الخامس - ما بين أسطر اللواحق فيما بعد «إن شاء الله تعالى» فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون برسالة الدوادار ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس - ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوقين أو ثلاثة أصابع مطبوقات وما قارب ذلك .

المهيع الثاني

(في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة والتفاويض والتواقيع)

قلت : وقد كنت هممت أن أجعل آيات التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الأفتاح «الحمد لله» أو «أما بعد حمد الله» أو بـ «رسم بالأمر الشريف» في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الأبتدآت المناسبة للاسم أو اللقب ونحوهما ثم بين القصد المتعلق بالوصف . ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمر : منها - أن في تضييع النسخة إفساداً لصورتها وضياع فضيلة المنشئين

(١) بياض بالأصل في غير نسخة ولعله «في فصل على حدة ليختار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ» .

وإشاعة ذكرهم . ومنها - أن يعرف أن الصورة التي تُورد مما كُتب به في الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد أصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشى ترتيب من تقدم لينسج على منواله . وإذا أراد من لأدربة له بالإنشاء أخذ تحميدة من تقليد أو توقيع وغيرهما ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يُعجزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ولايات وظائف الديار المصرية ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(الولايات بالحضرة ، وهي على ستة أضرب)

الأضرب الأول

(ولايات ارباب السيوف ، وهي على طبقتين)

الطبقة الأولى

(ذوات التقاليد ، وهي ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الكفالة ، وهي نيابة السلطنة بالحضرة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف المملكة في المقالة الثانية أن الكفالة هي أعلى رتب نيابة السلطنة ، وأن النائب الكافل يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويُعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ؛ بخلاف غيره من النواب فإن كل نائب لا يعلم إلا على ما يختص بخاصة نيابته . وقد تقدم في مقدمة الولايات أن لقبه «المقر الكريم» على ما استقر عليه الحال .

وهذه نسخةٌ تقليد بكفالة السلطنة، كُتِبَ بها من إنشاء الشَّهاب محمود الحلبي
رحمه الله، وهي :

الحمد لله الذي جعل رُكنَ الدولة في دولتنا القاهرة ثابتَ القواعد، على فرقد
الفراقد، راقياً في رتب العلو الآخذة من أفق التأييد بالمنطالع ومن نطق العز بالمعاهد،
حالياً بعقود المهابة التي لا تزال لرُعبها على الأعداء طلائع خيل في المراقب وورائع
خيال في المراقد، حاوياً من أنواع المفاسد ما لو كآثرته الدراري غدت وهي
لمجموعه فراقد، أو فآثرته الدرر ثقتها الأفكار النواقد، مقلداً من سيوف الظفر
ملا تنبو في نصرة الإسلام مضاربه وكيف تنبو وأوامرنا لعقود حمائلها على عواتق
مجده عواقد .

نجمه على نعمه التي عدت أمور دولتنا بمن يرفع بأسه منارها، وعقدت قواعد
ملككتنا بمن يوالى فضله أنوارها، وعضدت هم أوليائنا بمن إذا تخيلت أعداء الدين
مواقع صوارمه كان أمنع صونها إسارها وأنفع سلاحها فرارها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشرق الهمم، بلوأمعها، وتُسرف
الكلم، بجوامعها، وتزكو الأمم، بما تنقل الألسنة منها عن القلوب إلى مسامعها،
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا الله لنصر دينه، وألهمنا تفويض مصالح
أمتيه إلى كل ولي ما رفعت راية نصر إلا تلقاها عرابه مجده بيمينه، وعضدنا
في جهاد أعدائه بأعز صفي ينوب بأسه للجيش عن طبيعته ويقوم رأيه في الحرب
مقام كمينه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آخثارهم لصحبته وأرتضاهم،
وأرهنهم لإقامة ملته وأنتضاهم، فمنهم من فاز بمزيتي سبقه وتصديقه، ومنهم من
كان الشيطان يُنكب عن طريقه، ومنهم من آخثار الشهادة على الانتصار بفريقه

ورَفِيقَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَهُ بِشَرَفِ الْأُخُوَّةِ مَعَهُ مُقَامَ شَقِيقِهِ . صَلَاةٌ يَبْلُغُهُ إِخْلَاصُ
مُقِيمِهَا، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ إِيمَانُ مُدِيمِهَا، وَاسْمٌ .

أما بعدُ، فإننا من حين أورشنا الله مُلْكَ إِسْلَامٍ لَاعِنِ كَلَالِهِ، وَأَلْبَسْنَا فِي مَوَاقِفِ
الذَّبِّ عَنِ دِينِهِ حُلَّ الْعِزِّ الْمُعْلَمَةِ بِالْجَلَالَةِ، وَمَكَّنْ لَنَا فِي أَرْضِهِ، وَأَنْهَضْنَا بِمَسْنُونِ
الْجِهَادِ وَفَرَضِهِ، وَنَشَرَّ دَعْوَةَ مُلْكِنَا فِي طُولِ الْوُجُودِ وَعَرَضِهِ - لَمْ نَزَلْ نَرْتَادُ لِكِفَالَةِ
الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَأْوِيٍّ مِنْهُ إِلَى رُكْنِ شَدِيدٍ، وَرَبِي سَدِيدٍ، وَحَزْمٍ يَقْرَبُ مِنْ
مَوَاهِبِ النَّصْرِ كُلِّ بَعِيدٍ . وَعَزْمٌ إِذَا أَرْهَفَ صَوَارِمَهُ مِنْ أَدْنَى الصَّعِيدِ، وَجَفَّ لَهْوُلِ
مَوَاقِعِهَا بَابُ الْحَدِيدِ، فَهُوَ الْمَطْوِيُّ فِي أَشْيَاءِ ضَمَائِرِنَا وَإِنْ تَقَلَدْنَا قَبْلَهُ سِوَاهُ، وَالْمُنْوَى
فِي أَحْيَاءِ سَرَائِرِنَا وَإِنَّمَا لِأَمْرِي مَانَوَاهُ بِقَدِّ حَلَبِ قَدِيمِ هِجْرَتِهِ، أَلْذَهْرَ أَشْطَرِهِ، وَكُتِبَ
حَسَنُ خَيْرَتِهِ، مِنْ عُنْوَانِ السَّيْرِ أَشْطَرِهِ، وَتَمَثَّلَتْ مَرَاةُ الزَّمَانِ لِفِكْرِهِ فَاجْتَلَى صُورَ
الْوَقَائِعِ فِي صَنَائِهَا، وَتَرَدَّدَتْ تَجَارِبُ الْأُمَمِ عَلَى سَمْعِهِ فَعَلِمَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُّ فِي تَرْكِهَا
وَأَقْفَائِهَا، وَأَسْتَقْبَلَ دَوْلَةَ أَسْلَافِنَا الشَّرِيفَةَ مِنْ فَوَائِحِهَا : فَكَانَ لِسَانٌ مَحَاسِنِهَا، وَبَنَانٌ
مِيَامِنِهَا، وَخِزَانَةٌ سَرَّهَا، وَكِنَانَةٌ نَهَبَهَا وَأَمْرُهَا بِوَطِيعَةٍ تَأْيِيدِهَا، وَذَرِيعَةٌ أَوْلِيَائِهَا إِلَى
عَوَارِفِهَا وَجُودِهَا، وَعُنْوَانٌ أَخْبَارِهَا، وَعِزَانٌ سَوَابِقِهَا الَّتِي لَا تُدْرِكُ مَا تُرُّ مِنْ سَلَفِ
شَقِّ غُبَارِهَا، وَيَمِينٌ قَبْضَتِهَا الْمَصْرَفَةُ بَيْنَ الْبَاسِ وَالنَّدَى . وَأَمِينٌ آرَائِهَا الْمُؤَيَّدَةُ
بِالتَّوْفِيقِ اللَّذِي عَلَى الْعَدَا بِوَرُكْنِهَا الْمُشِيدِ بِالْأَسْلِ وَهُوَ، تُبْنِي عَلَيْهِ الْمَمَالِكُ،
وَحَصْنِهَا الْمَصْفَحُ بِالصَّفْحِ فَلَا تَسْتَطِيعُ الْأَهْوَاءُ أَنْ تَتَوَقَّلَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْمَسَالِكُ . وَزَعِيمٌ
جِيوشِهَا الَّتِي آجَنْتَتْ مِنْ قَصَبِ قَوَائِمِهِ ثَمَّ النَّصْرِ غَيْرَ مَرْدٍ، وَمُقَدِّمٌ عَسَاكِرِهَا الَّتِي
آجَنْتَتْ بِهِ وَجُوهَ الظَّفَرِ الْخُلُوعِ فِي أَيَّامِ الْكَرْيَةِ الْمُتَرَّةِ .

ولما كان المقتر الكريم (الفلاّني) هو معنى هذه الصفات المبهمة ، ومبنى هذه القواعد المحكمه ، وطرّاز حُلّ هذه الأحوال المُعلّمة ، وسرّ المقاصد الظاهره ، وسلك هذه [النجوم] الزاهية بل فلك هذه الدراريّ الزاهره ، تُخلّق صَوادِحُ البراعة ، فتقع دُونَ أوصافه بمراحل ، وتغوصُ سواجِحُ اليراعة ، فيلقبها العجزُ عن استخراج دُررِ نعوتِه بالسواحل ، فأوصافُه تُذكر على وجه الإجمال لضيق نطاق الفصاحة عن تفصيلها ، ومناقبُه تُشكر بلسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووصولها ؛ فلذلك اقتضت آراؤنا الشريفة أن نُفسح مجال الهدى ، بتفويض إيالة الممالك إليه ، وأن نَقطع آمال العدا ، بالأعتماد في زعامة الجيوش الإسلامية عليه ، وأن نُقرّ عيون الرعايا باللقاء مقاليد العدل والإحسان إلى يديه ؛ وأن نصون عقائل الممالك من مهابته بما يغدو سورا لعواصمها ، وسوارا لمعاصمها ؛ وشنباً تفتّر ثغورها عن بروقه ، أو لها يقطع طريق أمل العدا عن تخيل خيالها في طرده ؛ : ليعتضد الدين منه برُكنه ، ويتغلب [على] الشرك في حاليّ حربه ووهنه ، ويتقلب كل من رعايانا بين وهادٍ يمينه ومهادٍ آمنه - رُسم بالأمر الشريف - لا زال مُلكه على الأركان ، راقياً من أفق النصر إلى أعلى مكانة وأرفع مكان - أن تُفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالديار المصرية ، والممالك الإسلامية ؛ على أكمل العوائد ، وأجمل القواعد ؛ تفرّضاً تمضي أحكامه في الممالك الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ؛ فلا يخرج منها شيء عن أوامره وأحكامه ، ولا يُعدل في سلمها وحربها عن حكمي سيوفه وأقلامه .

فليستقر في هذه الرتبة العالية استقرار الأركان الموائم ، والأطواد الأوابث ؛ والأصول النوابث ، والنجوم الثوابث ؛ مؤثلاً قواعدها برأيه السديد ورايته ؛ معوّداً كلماتها بسيف النصر وآيته ، مبتدئاً في إعلاء منارها من العدل بأقلامه

ومن الإحسان بغايته ، مكثرًا أعداد الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقربًا من مطامح النصر النائية كل بعيد ، مؤكلاً بحركات العدو وسكاته جفناً لا يالف^(١) الفرار ، وسيفًا لا يعرف الفرار ، وعزماً لا يرضى من عدوه دون اصطلامه الفرار ، فلا تزال جيوش الإسلام بجميل تعاوده مزاحمة العوائق ، مزالة العلائق ، لا مانع لها عن الركوب ، ولا قاطع عن الوثوب ، قد أعدتها عزائمها ، فكل زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأمدت بأسها صوارمه ، فهي لا تسأل عن عدد عدوها بل عن مكانه ، مقيمًا منار العدل الذى هو أساس الملك وديعامة ، ورأس الحكم بأمر الله فى خلقه وهامته ، ونور الحصب الكافل بمصالح العباد والبلاد وعامته ، ناشرًا له [فى] أقطار الممالك ، ماحيًا بنور إقامته آية ليل الظلم الحالك ، معاضدًا أحكام الشريعة المطهرة بالانقياد إليها ، والاعتماد فى الحل والعقد عليها ، والاحتفال برفع منارها : فإن ذلك من أفضل ما قدمته الدول الصالحة بين يديها ، مقدمًا عمارة البلاد على كل مهم : فإنها الأصل الذى تتفرع عنه المصالح على أفراقها ، والمادة التى تستطيل الجيوش الإسلامية على العدا بتوسعها فى إنقادها وإنفاقها ، والأسباب التى تُعين الغيوث على نماء ما بسط الله لعباده من أرزاقها ، وأكد مصالحها الرفق الذى ما كان فى شيء إلا زانه ، والعدل الذى ما أنصف به ملك إلا حفظه وصانه ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطاع ، واقتصرنا عن ذكر الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حُسن الاضطلاع وجميل الاطلاع ، واكتفينا بما فى خلايقه الجميلة من محاسن لو تخير نفسه لم يزد لها على ما فيه من كرم الطباع ، والله تعالى يؤيده وقد فعل ، ويجعل ركنه من أثبت قواعد الدين وقد جعل ، إن شاء الله تعالى .

(١) الفرار النوم القليل أو القليل من كل شيء . انظر اللسان ج ٦ .

(٢) العامة قبض الحصد إذا اجتمعت بعد حصدها وجمعها عام . كذا يؤخذ من اللسان .



وهذه نسخةٌ تقليد بكفالة السلطنة أيضا، وهي :

الحمد لله الذى زان دولتنا القاهرة من حُسامِها بتقليده ، وصان حمى ممالكنا الشريفة من أوليائنا بمن تغدو مواقعُ سيوفه من كل عدو قلائد جيده ، وزاد جلاله الملك بمن إذا ركب فى مواكب نيابته أورد جساد رُعبه من كل متوج من ملوك العدا مناهل وريده ، وفوض تقدمه جيوشنا المنصورة إلى من تُضاعف منابته فى عيون العدا عدد جنوده ، وتغزوه سرايا خيله فى يقظته وتطلع عليه طلائع خياله فى مجوده ، وإذا صلت سيوفه فى موقف ونغى أغرت رأس كل مستكبر لم يعرف الله قبل ركوعه بسجوده ، مشرف أقدار أوليائنا من المراتب بما تشرف به أقدار المراتب فى نفسها ، ومفضل أيام دولتنا على الدول بما ألفته من جلالة ملكنا فى أمسيها ، ومجمل سير أصفياننا من المعدلة بما إذا غرسته فى قلوب الرعايا كان الدعاء الصالح ثمرة غرسها ، ومقلد خواصنا من إيالة الملك ما إذا خطبت به الأقلام على منابر الأنامل نقلت البلاغة فى تلك الأوصاف عن قسها ، ومفيض حلال الأنبياء المرقومة بأسنى الرتب على من إذا زانت حبرها اللابس زانها بلبسها ، وإذا أشرفت به هالة المواكب لوغى سقطت فوارس ملوك العدا عن مراكبها وأضطربت الأسيرة بملوك فرسها ، وإذا كتمته الأعداء أنباءها نطقت السنة رياحه بأسرار أهل الشرك والأيمن أسمع من صمها ولا أفصح من خرسها ، وإذا تطاولت أبطال الوقائع للقبائه أفترت ثغور سيوفه عن شنب النصر لإلفنها بمعانقة الأعناق وأنسها .

نحمده على نعمه التى أعادت شرف أسمائنا إلى أسمع المنابر ، وأنطقت بمضاعفة الأنبياء لأوليائنا ألسنة الأقلام فى أفواه المحابر ، وأعادت بسيف النصر حقوق ملكنا الذى تلقيناه مع الأولية والألوية من أسلافنا الكرام كابرًا عن كابر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء منارها
 ناهضة ، وجيادُ جهادنا لنشر دَعْوَتِها في الآفاق راكضة ، وموادُ نِعْمَتِنَا ونِقْمَتِنَا لآمال
 حاملها باسطة ولأرواح جاحديها قابضة ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى
 ايدته الله تعالى بنصره ، وآتاه من معجزاته ما يحول البصر دون حصره ، وجعله أمام
 الأنبياء وإمامهم مع تأخر عصره ، ونصره بالرعب الذى زحزح كل ملك عن سريره
 وأنزل كل متوج من قصره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا فى نصرته ،
 ماؤف الأوطان والأوطار ، وركبوا فى إقامة ملته ، مخوف الأحوال والأخطار ،
 وفتحوا بيمين دَعْوَتِهِ ، ما أشملت عليه المشارق والمغارب من الأرجاء الممتدة والأقطار ،
 صلاة لا يزال سيفُ جهادنا لدوامها مقياً ، وحكمُ جلالنا لإقامتها مديماً ؛ وسلم
 تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من سميت التقاليد بأوصافه ، وصرفتُ أمورُ الممالك بين بأسه
 وإنصافه ؛ وحلت موافقُ الخدمة الشريفة من جواهر مهابته ، بما هو جدير بحلى
 السيف ، وزينت مجالس العدل من إيالته ، بما هو مبرأ من الميل والهوى متزه عن
 الظلم والحيف ؛ ومائت القلوب من مخافته ، بما يمنع ذا القوة فى الباطل من توهم
 البطش وذا الصبوة فى الهوى من استزاره (؟) ويحسن لها الفرار ، ويهون عليها
 فى جنب ما نتوقعه من مواقع سيوفه السبي والإسار ، وعديق به من مصالح الأقاليم
 ما يصرفه بيمين دأبها اليمن ويسار شأنها اليسار ؛ وفوضت زعامة الجيوش منه إلى إمام
 يقوم بأمرها على ما يجب ، وليت لو لم ينهض بألوفها المؤاففة فى الوقائع لكان من
 نفسه وحدها فى بحفل لحب ؛ ومقدام آلاف العدا فى شجاعته آحاد ، وضرغام
 قسور أهل الكفر بين يدي وثباته وأسودهم تقاد ؛ من لم نزل نعه فى أركان
 البيت الشريف المنصورى بالخصر ، ونعه للمواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد

اللهِ وَحَدَّ السِّيفِ نَاصِرًا ، وَنَدَّخِرُهُ مِنْ مَعَادِنِ أَوْلِيَانَا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا مِنَ الْإِنْسَاءِ إِلَيْنَا بِأَمَكْنِ الْأَسْبَابِ وَأَقْوَى الْأَوَاصِرِ ، وَنَقَلَدُ أَعْطَافَ الْأَوَاصِرِ مِنْهُ سَيْفًا يُرْمَى مِنْهُ بَيْتُ الْعِدَا وَمَعَاقِلُهُمْ بِأَفْتِكَ حَاصِدٍ وَأَفْلَلِ حَاصِرٍ ، فَكَمْ مِنْ مَوَاقِفَ شَفَعَتْ فِيهَا الشُّجَاعَةُ بِالْحَضُوعِ لِرَبِّهِ ، وَمَوَاطِنَ لَيْسَ فِيهَا قَلْبُهُ عَلَى الدَّرْعِ إِذَا لَيْسَ غَيْرُهُ الدَّرْعُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَمَسَالِكَ سَلَكَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالسُّيُوفُ تَنْفِرُ مِنْ قُرْبِهَا ، وَمَشَاهِدَ شَهِدَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالتَّلُوبُ تَنْفِرُ مِنْ حُجْبِهَا ، وَإِيَّائِي قَطَعَهَا فِي خِدْمَتِنَا لَمْ يَصْحَبْ غَيْرَ أَلْسِنَةِ أَسْنَتِهِ وَأَعْيُنِ شُبُهَيْهَا ، وَمَقَاصِدَ لِلَّذِينَ بَلَّغَهَا وَالسَّهَامُ لَا تَحْمِلُهَا مِنَ الْفَرَقِ قَوَادِمُ النُّسُورِ ، وَسَرَايَا وَقَفَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِدَا فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ مِنْ شُجَاعَتِهِ بِسُورٍ ، وَبِحَارِ حَرْبٍ لَمْ تَجْبَسِرِ السَّوَابِجُ عَلَى قَطْعِهَا حَتَّى مَدَّ عَلَيْهَا مِنْ مَعْوَجَاتِ سَيْوفِهِ قَنَاطِرَ وَمِنْ مَقُومَاتِ ذَوَابِلِهِ جُسُورَ ، وَكَمْ أَنَامَ الرِّعَايَا فِي مِهَادِ عَدُوِّهِ فَلَمْ يَطْرُقْهُمْ طَيْفٌ ظَالِمٌ فِي الْكِرَا ، وَلَا رَوْعٌ سَرَّيَهُمْ خِيَالُ مُغِيرِ أَوْهَمَهُمُ السَّرِي ، بَلْ كَانُوا مَحْفُوظِينَ بِمَهَابَتِهِ مَحْفُوفِينَ بِمَوَاهِبِهِ ، وَادْعِينَ فِي ظِلِّهِ الَّذِي مَادَجَا عَلَيْهِمْ لَيْلُ خَطْبٍ إِلَّا أَطْلَعَ لَهُمْ بَدُورَ الْأَمْنِ فِي غِيَابِهِ .

ولما كان (فلان) هو الذي سار بذكر مهابته المثل ، وصار له في قلوب الأعداء من الرعب ما تشابه فيه القاتلان الوجل والنجل ، وجمع محاسن الصفات فما أخذ عنه أو نطق به أو نظر إليه إلا وجد (ملء المسامع والأفواه والمقل) ، ولا جرد على العدا سيفًا إلا وودعت أرواحهم الأجساد ، ولا أرهف في مجالس العدل والإحسان قلما إلا وضمنت له الآجام التي نشأ بها (كرم السيول وسطوة الآساد) ، ولا طلع في أفق مواكب إلا وهالت العدا هالة بذره ، ودلت على عظم سلطاننا رفعة قدره ، وشهدت له بحسن طاعتنا طاعة أمرائنا لأمره ، وأسلف من خدمة والدنا السلطان الشهيد ما لم تزل له به عندنا حقوق مرعيه ، وسوابق مرضيه ،

ورتبة تقديم سديّه ، ومزية تقريب جعلته مشاهداً بالعيان مقدّما في النبيّ - اقتضت
 آراؤنا الشريفة أن نرّوع العدا بسيفه ، ونزيهم من تدميته على الجيوش بقطة
 ما كانوا يرونه حلماً من طينه ، وإيعلّم الأعداء معاجلة أخذهم بالعتف والحيف ،
 وأنا لا تأخذنا في الله لومة لائم فليس بيننا وبين أعداء الله ورسوله (صلى الله عليه
 وسلم) إلا السيف .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت ممالك الإسلام به مفتّرة المباسم ، عالية
 مدى المهابة إذا طرقتها عواصف رياح العدا وقفت دون بلوغها دامية المناسم -
 أن تُفوّض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية على العادة في ذلك
 والقاعدة تفويضاً يفيض على الممالك حلّ المهابة ، ويسلب أعداء الدين رداء
 الأمن فلا ينفعهم الخضوع ولا الإنابة ، ويضاعف لنا أدعية الرعايا الصالحة بإجرائهم
 على ما ألقوه من العدل والإحسان فمنهم الدعاء الصالح ومن كرم الله الإجابة .

فليقلّد هذه الرتبة الدالة على ارتفاع قدره لدينا . الشاهدة له باحتفالنا بما أوجبه
 إخلاصه من حقوق الطاعة والولاء علينا ، المنبهة على أنه سيفنا الذي تصون الممالك
 بحده ، ونصول على العدا بمضائه الذي تهال وجوه النصر كلما أسفر من غمده ،
 وليستقر في ذلك نافذاً في المصالح الإسلامية أمره ، مُغيّراً على جيوش الأعداء
 ذكره ، معامة في حماية الدين بيضه المرفقة وشمه ، مجلّة بإشراق طلعه مطالع
 المواقب ، مسيرة نجوم أسنّه إلى قلوب أعداء الذين مسير الكواكب ، مخففة
 بحقوق رايته مساعي الكفر الصادرة عن آمالم الكواذب ، ليعلّم عدو الله أنه أشد
 طلباً له من أجله ، وألزم لعنقه من عمله ، وأسبق إليه من رجع صوته ، وأنزل عليه
 من مفاجاة موته . وليجمل النظر في مصالح الجيوش الإسلامية بما أضعف عدتها .

ويبقى على توالي الأحقاب حداثها وجديتها، ويأخذهم بإدامة التمرن في الحروب، وإطالة عنان التأهب للركوب؛ ويعين كلاً منهم بملاحظة حاله على استدامه قوته وإمكانه؛ ويجعلهم بالآقتباس من شجاعته من القوم الذين لا يسأون عن عدد عدوهم بل عن مكانه. وليكن لكلمة الشريعة الشريفة رافعا، ولشبهه من يمتنع عن الانقياد إلى الأحكام دافعا؛ وعلى يد من يتطرق إلى الخروج عن أحكامه آخذا، ولمن لم يسلك الأدب بين يدي حكامه بما يقتضيه تعظيم الحكيم العزيز مؤاخذا. وليأمر النواب بإقامة منار العدل الذي يوم منه خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما، ويصرف إلى مصالح الثغور الإسلامية وحمايتها فكرا لم يختر دعة ونظرا يأنف أن يآلف نوما؛ وملاك الوصايا تقوى الله وهي من خصائص نفسه الكريمة، وراحة روجه التي هي للفكر في مصالح الإسلام مديمه؛ فليجتهد في المحافظة عليها ما استطاع، ويؤمض بها في مصالح الإسلام أمره الذي جعلناه من أمرنا مطاع.



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، كتبت به عن السلطان الملك أبي بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون للأمير طغرلدمش أمير مجلس، في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، بعد أن بطلت النيابة في دولة أبيه الملك الناصر عدة سنين، وهي:

الحمد لله الذي أصطفى لسلطاننا المنصور من ينوب عنا في رعاية الجمهور أحسن مناب، وأضفى على ملكنا المعمور من رياسته أسر سربال ومن حراسته أجل جلاب، وكفى دولتنا الشريفة بسياسته مهمات الأمور فلتأيدها بقيامه دوام ولتشيدها باهتمامه استصحاب، وشفى الصدور بصدور إشارته المباركة التي لها بأوامرنا العالية اقتران ومن ضمائرنا الصافية اقتراب، وأوفى له من برنا العميم بحقه

الذى [له] بهذه استحقاقاً للتقديم وإيجاب ، وسبقه القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرم أتشاج ومن حميد المظاهرة أكرم أنتساب .

نحمده على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسبل الصواب ، ونشكره على أن نضر راياتنا فى الآفاق : فقلوب العدا من خوفها إرهاب وإرهاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة عن الشك والارتياب ، موجهة إلى قبلتها التى ترضاها الألباب ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أظفر عزمه بالثبات وقهر خصمه بالتباب ، ووفر قسمه من الإنجاد ويسر حربه للإنجاب ، وأظهر اسمه بعد اسمه فخلا فى الأفواه ذكره وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاة متصلة الأسباب ، موصلة إلى خير مآل متكفلة بنعم باب (؟) لا يزال لسحب جودها فى الوجود أنصباب ، ولقترب وفودها ورود إلى مظان الرضوان من غير إغباب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيف سطا يقدر الرقاب ، وأورد إنعامنا الأولياء بحر ندى زاخر العباب . وجدد قيامنا بعلم هدى مرت عليه الأعوام وما لمح له أثر ولا فتح له باب ، وأعتمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولى وأعلى جناب ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من أعمدنا فى الإنجاب والإنجاح على ديانته ، وأنجدنا فيما أردنا من الاستصحاب للصالح بإعانتة ، وأعتضدنا فى تقطين الممالك وتأمين المسالك بصياليته وصيانتة ، ورعيانا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكتفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بخشيته من ربه واستكائته - من حمدت سبحاياه ، وتعددت مزاياها ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضاياه ، ووجدت منه
 الزهد والرفق رعاة الإسلام ورعاياه ، فهو المدوح فعله ، من جميع الألسنة ، المنوح
 فضله ، في سائر الأزمنة ، الملموح عليه أنار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه
 من الخير لخلق الله وأبطنه ، فهو عاصد السلطنة الذي حل من العلياء موطنه ، وكافل
 الملكة ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ، وسيف الدولة ، الحامي الحوزة البادية
 الصولة ، ومن له أشتمال على العلياء ، ومن يقارن التحقيق له رأيا ، ولا يبين التوفيق
 له سعيًا ، ويعاون الهدى والنهى على طول المدى له أمرا ونهيا ، ويعين الورع
 لسلطاننا المنصور منه مهديًا يجمل لدولتنا حفظًا ويحسن لملكنا رعيا .

وكان فلان هو الذي لم يزل متعين المحاسن ، متبين الميامن ، متمكن الرياسة في كل
 الأماكن ، فحلّمه إذا اضطربت الجبال الرواسي ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع
 السياسة وأنواع النفاسة للوجود من بهجته زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد
 صائن ، ورعيه للخلق بالحق : القوي منه خائف والضعيف إليه راكن ، وبشره هادٍ
 للرائي وبادٍ للعائن ، وذكره الجميل سائر في الآفاق والأقطار والمدائن ، حتى أظهر
 الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بدره الكامل ما هو في سر الغيب كامن ،
 وشهر سيفه الذي يغدو الإيمان من مهابته في كنف منيع وحرم آمن .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة في أيام والدنا الشهيد بضع سنين ،
 وانقضت الأيام والليالي والدهر بموهبتها ضنين ، ولا وطيت لها ربوه ، ولا امتطيت
 لها صهوه ، وكانت في سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطنته مترجه ، إلى أن قضى
 عليه الرضوان النخب ، وأفضى من الجنان إلى المحل الرحب ، رأينا بعده بمن كان
 يتحقق وده أن نستأنس ، وأمضينا وصيته المباركة في اختيار ثمرة الإخلاص بمن

كان له الاختصاص يفرس ، وأفضينا إليه بالمناب عما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسديد يقتبس ، ومن الاستثناء يجالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أمره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخبير الذى لا ينبهم عليه شئ من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاء وديعة هذا الأمر العظيم إلى صونه وعونه وتشدده ، وإيفاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للنسبة مناسبة لسؤدده .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال يجمع شمل الإسلام بتعيينه وتفريده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى مأمون الرأى رشيد سفايح السيف مهتده ، منصور العزم مؤيده ، ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرافة والرحمة ومن أولى من أبى بكر بان يخص أصحاب محمد عند الخلافة بإعذاب منهل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة محيطه ، كاملة بسيطه ، تعنى كل أمير ومأمور ، وتُدنى أمرها الذى يعامل بالإجلال ويقابل بالسرور ، برأ وبحرا ، وسهلا ووعرا ، غورا ونجدا ، بعدا وقربا ، شرقا وغربا ، وما منحه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويدنر لسلطاننا المنصور ويحجى : تستوعب أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمنا ، ويمثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ، ويؤمل فيه فتحه ونصره ، وينقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منحه ويره ، ناظرا فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائرا فيها السير الجميل من الدربة والإلهام ، ناشرا ظلال المعدلة على من سار أو أقام ، مظاهرا بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحسنى ، كل وصف يُسنى ، وثيق منه بذى الصدر السليم الذى هو على

المقاصد يُعان وبالمحامد يُعنى ، فلسنا نُخِلُّ بالوصية التي نَعَامُ أنْ له عنها آسْتِغْنَا ،
ولكننا لا نترك بها التبرك ولا ندع ماسن الله تعالى منها وشرع ، ولا نُغْفِلُ ، ما يجب به
أن يحتفل به فقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره
المسموع كل ذي رجوع إلى الله تعالى منهم وإنا به ، فقد أولاه الله تعالى كل جميل
قبل أن ولّاه ، وحلّاه بالسّيات والمكرّمات قبل أن رفع علاه ، واعطاه ما أُرهب
العدا من سَطّاه ، وهداه إلى كل رُشد تأتم به الهداه .

فأهم ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مجبول ، وأمرها عنده متلقى بالقبول .
والعدل فهو منه مأمول ، والاتصاف بالإنصاف فهو دأبه فيما يفعل ويقول ،
والجهاد : فعزائم في ميدانه تجول ، وصوارمه بها من قراع فرسانه قلول ، والزعماء
والأكابر فلهم من محافظته اعتناءً وبملاحظته شمول . والعساكر الإسلامية فتأبده
تبطش أيديهم بالعدا وتصول . وزعماء البلاد فلهم إلى ظل رحمة إيواء وبكنف
نعمته ظلل . وممالك الإسلام فما منها إلا معمور بما أوتته كفالته ماهول ، وتغوره
فكأها بسام بفتكاته التي ألقى رعبها في البحر فهو بين كل فاجر وبين البحر يحول ،
وما هو بذلك من حميد المسالك موصول ، ومحلّه المقدم لأنه أهم الأصول : من أكرام
الحكام ، وإبرام الأحكام ، وأستيفاء الحدود ، وأقتفاء السنن المعهود : من إنجاز
الوعود ، وإحراز السعود ، والإجهاز على كل كفور وجحود ، والأحترار من فظاظة
الناس بإفاضة الجود ، فكل ذلك على خاطره مشرود ، ولما آثره مورود ، وفي ذخائره
موجود ، ومن خبرته معلوم معهود ، وغن فكرته مشهور ومن فطرته مشهود ، فليسع
أمرنا هذا جميع الأمراء والجنود ، ويُرجع إليه كل من هو من جملة الملة معدود ،
ويقابل مرسومنا بالسمع والطاعة ، أهل السنة والجماعة ، ساعة الوقوف عليه وحالة
الورود . والله تعالى يُصاح ببقائه الوجود ، ويمنح باهتمامه المقصود ، ويفتح المعامل

باعترامه الذى ليس بمردود عن مراده ولا مصدود ، بل يُصبح الكفر من خوفه محصورا ويُنسى وهو بسيفه محضود ، والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى " التعريف " قال :

يُوصى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاوضة حكامها ، واستخدام السيف لمساعدة أقلامها ، وتفقد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ، والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ، والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها ، وإطابة قلوب سكانها ، ومعاوضة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ، وتحسين مآلديه ، وتحسين كل مأموره إليه ، واستطلاع الأخبار والمطالعة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها ، وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قتل من الجند أو مات وخلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه .

الوظيفة الثانية

(الوزارة لصاحب سيف)

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَطْلِقَ عَلَيْهِ لِقَبُ الْوِزَارَةِ فِي الْإِسْلَامِ "أَبُو حَفْصِ الْخَلَّالِ" وَزَيْرُ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّنَّاحِ أَوَّلُ خَلَفَائِهِمْ كَمَا ذَكَرَهُ التُّضَاعِيُّ فِي "عَيُونِ الْمَعَارِفِ فِي أَخْبَارِ الْخَلَائِفِ" ثُمَّ صَارَتِ الْوِزَارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْخَلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ دَائِرَةً بَيْنَ أَرْبَابِ السُّيُوفِ

والأقلام ، تارةً يليها صاحبُ سيف وتارةً يليها صاحبُ قلم ، إلا أنها في أرباب
الأقلام أكثر. وعلى ذلك جرى عُرف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن .
ومما ينبه عليه أن الوزير إذا كان صاحبَ سيف ، كان في مجلس السلطان قائماً
في جملة الأمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلم ، كان جالساً كما يجلس أرباب
الأقلام : من كاتب السر وغيره .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأمير سيف الدين بكتمر . وهي :

الحمد لله الذي شدَّ أزرَ دولتنا القاهرة ، من أوليائنا بامضى سيف ، وعضد أيامنا
الزاهرة ، من أصفينائنا بأعدل ولي لا يوجد في حكمه حيف ، وعدق تدير أمور
ممالكنا الشريفة بمن تحجب مهابته ذوى الأطباع الطامحة عما لا يحب فلا يلزم بهم فيها
خاطر [ولا] يطرقهم بها طيف ، جاعل التأييد لآرائنا مصاحباً ، والتوفيق موافقاً
لأوامرنا التي لا تُحمل من مصالح الإسلام مندوباً ولا تدع من مهمات الملك واجباً ،
والإقبال تالياً لمراسمينا في آرتياد من يغدو قلب المحق من حيفه سائناً وقلب المبطل
من خوفه واجباً ، واليمن تابعا لاستخارتنا في انتخاب من لم يزل في خدمتنا الشريفة
للأدعية الصالحة جالياً ، ولمنافع الإسلام والملك طالبا ، ولمضارهما حاجباً .

نحمده على نعمه التي عضدت أيامنا بمن جمعت أدواته ، رتبت سيف والقلم ،
وعدقت تدير ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، منرتي العلم والقيم ، وشدَّ أزرَ دولتنا
بمن يبيض بمعدلته من صحائف أيامنا ما هو أحب إليها من حمر النعم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعدّها للقائه ، ونتيمن بها
في أفقاد من نعتضد به في مصالح أهلها وانتقائه ، ونقدمها أمام كل أمر ندخره
لأعتلاء ولينا بالتقى وأرتقائه ، ونشهد أن مهدي عبده ورسوله الذي أرسله إلى الأمم

طُرًا، وخصَّه بالأمة التي جعلَ أمارَةَ سبقها إلى الخيرات أن غَدَتُ مَحْجَلَةً غُرًا،
 وأيدَه بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا مَنْ أعرَضَ عن زُحُوفِ الدنيا وإن كان
 حُلُوا وقال الحقَّ وإن كان مُرًا؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الذين وَلُوا أُمَّتَهُ
 فعدَلُوا، والذين نَمَسُوا بِسُنَنِ سُنَّتِهِ فما حادُوا عنها ولا عدَلُوا؛ صلاةً لا تزال الألسُنُ
 لإقامتها مُدِيمَةً، والقلوبُ لإدامتها مُقِيمَةً؛ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً .

وبعدُ، فإن أولى من أبرزت الضمائرُ، في الاعتضاد به مكنون طَوِيَّتِهَا، وأَعْتَمَدتِ
 الخواطرُ، في تصريح عَلَانِيَتِهَا بأولويَّته لمصالح الإسلام على نِيَّتِهَا، وتَسَوَّفَتِ البلاغَةُ
 لرقم مَفَاحِرِهِ، وتنافست المعاني في تخليد مآثرِهِ؛ وهنأت المعدلة نفسها، برفع لوائِهَا،
 وأبدت الدولة أنسَهَا، بناشِرِهَا في الأقطار والآلِهَا؛ وأفترت ثغورُ الأقاليم المحروسةِ
 بمن تَلَهَّجَ بمصالحها ألسنةُ أقاليمِهِ، وأخضرت رُبى آمالِ الأولياءِ بما يُسْفِرُ عنه من
 تهلل بهاء غُررِ أيامِهِ؛ مَنْ هزرتنا منه لمصالح الإسلام سيفًا يصل ما أمر الله به أن
 يُوصَلَ، ويفصل من مهمات الممالك ما يقتضى الحق أن يفصل؛ ويبرز من معادن
 العدل والإحسان ما هو في سرِّ خلائقه كامن، ويُنزِل من استقامت سيرته في الحمى
 المُخَصَّبِ والحرمِ الآمن؛ ويصون الأموال بمهابة فلا تمتد إليها هواجس الأطماع،
 ولا تتجاسرُ أبصارُ غير الأمناء أن تقصَّ نَبأَ رُوِيَّتِهَا على الأسماع؛ ويضاعفها بخبرته
 التي تهديها الأمانة إلى معادنها، وتدُّهَا النزاهة على مواطنها، وتبدي لها ظواهرُ
 الأعمال أسرارَ بواطنها، ويعمر بيوتَ الأموال بعبارة البلاد، ويثمر فروعَ الطواريفِ
 من مصالحها بحفظ أصولِ التلادِ؛ ويكفُّ أكَفَّ الظلم عن الرعايا فلا يخشى حقُّ
 على حقه، ولا يخاف مستقيمٌ على ما قسم له من رزقه؛ ولا يطمع قويٌّ إلى من
 يستضعف جانبه، ولا يطمع باعٌ في الحيف على أحدٍ مخالطه في نسب كان أو مُؤنَّبِهِ.

ولما كان الجَناب العان (الفلاني) هو الذي أُشِيرَ إلى مناقبه ، وأَعْتُضِدَ منه بمطيع لله في السرِّ والعلان ومراقبه ؛ وفُؤِضَ تديرُ الممالك منه إلى مَنْ لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وأَعْتَمَدَتْ أيامنا الزاهرةُ منه على مَنْ طالما سرى في مصالحها على جِياد العزائم ؛ وشَدَّ أزرَ الملك من موازرتِه بمن يكسودست الوزارة أبهةً وجمالا ، ويُلْبِسُ منصبها سنا لو ملكته الشمسُ مارامت عن بروج شرفها أنتقالا ؛ ويمدُّ على الرعايا لواء عدل لا يُقلِّص له هجيرُ الظلم كما تتقلَّص الظلالُ ظلالا ؛ وتطلُّع به شمسُ الأرزاق على أولياءِ دولتنا لكن لا ترهب كالشموس غروباً ولا زوالاً ؛ مع مهابة تُخيف الأسد في أجماتها ، ومعدنة تُعين الغيوث على رفعِ محول البلاد ودفعِ أزماتها ؛ وديانة زانها التقى ، وخبرة صانها الورع وهما أفضل ما به يرتقى .

وكانت الوزارة الشريفةُ نظامَ الملكة وقوامها ، وذروة الدولة وسنامها ؛ وتاج المراتب وإكليلها ، وعتاد الخزائن الجامع دقيق المصالح الإسلامية وجليلها - أقتضت آراؤنا الشريفةُ أن تُزيّن هذه الرتبةُ بجوهرِ فينده ، وأن يصدرَ منصبها عن مناقب لا تصدر إلا عن جهته ومفاحِر لا تُرد إلا من عنده ؛ وأن يطلقَ في مصالحها قلمه ، ويمضيَ في قواعدِها إشاراته وكلمه ؛ ويُطلِّعَ في أفقها شمسَ تديره ، ويُعدِّقَ به ما يراه في أمورِها من صغير الأمر وكبيره ؛ وأن نجعلَ مسمعَ الأقاليم على سعتها إلى أوامره ونواحيه مُصغيه ، وأن نصُدَّ بسُمتِه عن بعد عوارض الإمهال الملهية ومواقع الإهمال المُطغية .

فلذلك رُسمَ بالأمر الشريف - لازالت سحائبُ بره مستبلةً ، وركائبُ المحامد إلى حرمِ نعمه مهلةً - أن تفوضَ إليه الوزارةُ الشريفةُ بالممالك الإسلامية على أكمل القواعد ، وأجمل العوائد ؛ تفويضاً يُعلَى مرامه ، ويمضي مضاءً السنة الأسنة أقلامه ،

ويُسْطُ في مصالِح الأقاليم المحروسة يَدَه ولسانَه ، ويلقى إليه من مهمَّات كلِّ قُطْرٍ
أزِمَّتَه ليصَرِّف على ما يراه من المصالح عِناَنَه .

فليستقر في هذه الرتبة السنية استقرار الدُرر في أسلاكها ، والدَّرارى في أفلاكها ،
نافذ الأمر في مصالِح شَرْقِها وغَرْبِها ، مُطاع القول في بُعد أمانها منه وقُربِها ،
ناشراً كلمة العدل في أرجائها ، محققاً بالإحسان آمال أممٍ قصرت على كرمنا ممدودَ
رَجائِها ، مُعلِّياً منارَ الشرع الشريف بمعاضدة حُكَّامه ، والوقوف عند أوامره المُطاعة
وأحكامه ، حافظاً أقدار الرتب بأكنائِها ، معتمداً على ذوى البيوت المحافظين على
أتباع سِيرِ أسلافهم وأقتفائها بـ معولا على ذوى الخبيرة التامة مع الديانة ، مُراعياً
مع ظهور المعرفة جانبَ العِفَّة والنَّزاهة والصَّيانة ، مُوكِّلاً بمصالح بيوت الأموال
والخزائن المعمورة موادَّ الأموال ومَعِينِها ، صارفاً إلى عمارة البلاد جميل تدير تعضد
البحار والسُّحب منه بمساعدِها على رى الأرض ومَعِينِها ، ميسراً موادَّ أرزاق خدَم
دولتنا القاهرة وأولياها بجميل يشره وحسن روائِها ، مسهلاً مطالبَ أرباب الرواتب
والصدقات بطلاقة وجهٍ لو تأمله أمرؤ صادى الجوانج لا رتوى من مائه ، : ليتوفر
أهل الوظائف على خدَمهم بقلوب منبسطة الآمال ، ويُناضل عنها الفقراء بسهام
الليل التي لا تطيش إذا طاشت النبال ، فقد جعلنا أمره في ذلك جميعه من أمرنا
فليكتب يمتثل ، وليقل في مصالِحنا بما يراه يسر كلامه سِرِّ الرياح ويسر قوله
سِرِّ المثل ، ولا يُمض عقد ولا حل ، ولا ولاية ولا عزل ، ولا رفع ولا خفض ،
ولا إبرام ولا نقض ، إلا عن رأيه وإشارته ، وبنص خطه وعبارته .

وفي سيرته السريه ، وديانته التي هى من أسباب الهوى عريه ، ما ينبنى عن وصايا
تملى على فكره ، وقواعد تُجلى على ذكره ، وملاكها تقوى الله : وهى من أخص

(١) المراد دعوات الشعركة لا الجنى .

أوصافه ، ونشر العدل والإحسان وهما من نتائج إنصاته لأُمور الرعايا وإنصافه ؛
لكن على سبيل الذكْرِ التي تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجى
خاطيره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يعلي قدره وقد فعل ؛ ويجعله من عباده المتقين
وقد جعل ؛ بمنه وكرمه . والأعتاد [على الخط الشريف أعلاه] إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(الإشارة) ، وهي وظيفة قد حدثت كاتبها ولم يُعهد بها كتابةً في الزمن القديم
وهذه نسخةٌ تقليد أنشأته بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاشي إستاندار
في الدولة الناصرية فرج ، حين فوّضت إليه الإشارة مضافةً إلى الإستدارية ،
وكتب له به المقر الشمسي العمري كاتب الدست الشريف ، في شعبان سنة تسع
وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جدد للديار المصرية بالمحاسن اليوسفية رونق جمالها ، وأعز جانبها
بأجل عزيز ملأت هيبته الوافرة فسيح مجالها ، وأسعد جدّها بأسعد مشير أدارت
أراؤه الصائبة متقاعس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم مآبها بأمثل كاف عاد
حسن تدبيره بضروب من المصالح أنام الخلق في ظلالها ، وأجاب سُؤلها بأكمل
لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال في مطالها .

نحمده على أن أغان الدولة القاهرة بمن أخصب به بعد الإحمال ربُّعها ، وطال
بطوله بعد القصور فرُّعها ، وحسن في المناظر بحسن تأتبه لدى التأمل ينعها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع المشورة وحث عليها ،
وعدق أمور السيف والقلم بها فردهما عند اختلاف الرأي إليها ؛ شهادةً ترفع قائلها إلى
أسنى المراتب وتعليه ، وتقرب المخلص في آتجالها من مقام الاستخلاص وتُدنيه .

ونشهد أن عبدا عبده ورسوله الذى ورد واردا الأمة من منهل شرعته المطهرة
 ما عذب مشرعه وردا وسادرا . والتقطت السيرة أحاديث فضله فصيرتها للرفاق
 سمرا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تقبلوا مساحب أذيانه فى العدل فعدلوا ،
 ولزموا منهج سننه الواضح فما حادوا عن سواء السبيل ولا عدلوا ، صلاة تفوق العد
 حصرها ، وترفع بركتها عن الأمة حصرها وتبدل العسر يسرا ، فتعيد عجاف الزمان
 سمانا وسنبلات الوقت بعد اليبس خضرا . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن للمملكة قواعد تبنى عليها ، وأركان تستند إليها ، ودعائم يشد
 بالاعتقاد بها بُنيانها ، وعمادا يعتمد عليها فى المهمات سلطانها ، وهذه المباني وإن
 اتسع نطاقها ، وأمتد بامتداد المملكة رواقها ، فإن بالسيف والقلم قوامها ، وبالتعلق
 بجبالها بقاءها ودوامها ، إذ كانا قُطبين عليها مدار فلكها ، ونقطتين عنهما ينشأ
 الخط المستقيم فى تدبير ملكها ، وزعيمين يترافع إليهما عند التخاصم ، وحكّمين يرجع
 إلى حكمهما عند التحاكم ، إلا أنهما لا يستقلان بأنفسهما عند التحالف ، ولا يقوم
 أحدهما برأسه لدى التخالف ، بل لهما إمام يرجعان إليه ، ويعولان عند اضطراب
 الأمور عليه ، وهو الرأى الذى لا يُقَطع أمر دون حكمه ، ولا يهتدى سار فى مهامه
 المهمات إلا بنجمه ، إذ كان على الشجاعة مقدما ، ودليله من المعقول والمنقول
 مسلما ، والمتسم به لا يزال عند الملوك مبعثا معظما لا يتقدمون عليه ولدا ولا والدا ،
 ولا يؤثرون على معاضدته عضدا ولا ساعدا ، إن أشار برأى تمسك الملك منه بالحبل
 الدين ، أو محضه كلام نصع قال : (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) .

ولما كان الجنب العالى ، الاميرى ، الكبيرى (إلى آخر ألقابه) يوسف
 الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته ، هو الذى حنكته التجارب و « حلب الدهر

أشطره». وعرف بتقليب الأمور على ممر الزمان مخبره. مع ما أشتمل عليه من الرأي الصائب، والفكر الذى إذا أبدت قريحته فى الارتياح عجباً أتت فطرته السليمة بالعجائب.

هذا وقد علا فى الدولة القاهرة مقامه، ورشقت أغراض مقاصدها بانقضاء الآجال فى الوقائع سهامه، وساس العساكر فأحسن فى سياستها التدبير، وبذل فى نفقاتها الأموال فمال فيها إلى الإسراف دون التقدير، وأستجلب الخواطر فأخذ منها يجمع القلوب، وأقتاد النفوس الأبيسة فهرا فاطاعه من بين الشمال والجنوب، وقام من المهمات الشريفة بما لم يسبقه إليه سابق، وأتى من خوارق العادات فى التنفيذ بما لم يلحقه فيه لاحق، وبادر إلى ترتيب المصالح فرتبها ولم يعقه فى آتهاز الفرصة عن دفع المفسد عائق، وأخذ فى حط الأسعار فورد منها من المعروف صافيا، وأمر بإبطال المعاملين فكان له عملا على توالى الأزمات باقيا، ولازم بعد رضا الله تعالى رضا ملكه ففاز بأشرف المآثر فى الحديث والقديم، وتأسى فى تعريفه بنفسه بيوسف عليه السلام فقال: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ - أقتضى حسن الرأي الشريف تنوينا بذكره، وتقديمه على غيره ممن رام هذه الرتبة فحجب دونها ﴿والله غالب على أمره﴾.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الناصرى، الزينى - لزال يجمع لأوليائه شمل المعالى، ويرقى أصفياه فى درجات العز على ممر الأيام والليالى - أن تُفوض إلى المشار إليه الإشارة الشريفة التى هى أسنى المقامات وأعلاها، وأقصى المرامات لدينا وأغياها، مع ما أنضم إلى ذلك من النظر فى الوزارة الشريفة التى جل قدرها، وعلا فى المناصب ذكرها، والخاص الذى أختص بمهماتنا

الشريفة ، والديوان المفرد الذى عمّر من ممالك السعيدة ذا الوظيفة وغير ذى الوظيفة ،
وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً ، واوازمها المنترقة بعداً وقرباً .

فليتلق ما فوض إليه بيمينه التى طالما ربحت فى الطاعة صنفتها ، ويقابله بالقبول
الذى محله من القلوب مهجتها ، متقدماً تقوى الله تعالى فيما خفى من مقاصده وظهره ،
مؤثراً رضاه فى كل ما يأتى ويذّر ، معتمداً فى المصالح اعتماداً ذى اليقظة الساهر ،
أتيا من غرائب الرغائب بما يحقق قول القائل : « كم ترك الأول للآخر » .

والوصايا كثيرة ومن بحره تُستخرج دُررها ، ومن سوابق آرائه تُستوضح أوضاعها
وغررها ، والله تعالى يُديم عليه نعم إقبالنا الباطنة والظاهرة ، ويتولاه من العناية
بما يحقق له دائم قوله : (أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) . والاعتماد على الخط
الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع ، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)

(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خدمتنا الشريفة كريم الخلال ، ومُعلي درجة من
أضفى عليه الإخلاص فى طاعتنا العلية مديد الظلال ، ومجدد نعم من لم يُخصه
اعتناؤنا بغاية إلاقته هممه فيها إلى أسنى رتب الكمال ، ومفوض النظر فى قرب

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكاً لنسبة القول الى منشه كما يأتى فى نظيره بعد .

الملوك السالفة إلى من لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلا سرنا ما نشاهد فيه من الأحوال الخوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومناهيله التي لا تبحر تستعمل على الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تسد آراءنا في تفويض القرب إلى من إذا بشرها سر بسيرته السرية مستحقتها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أداها بمواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بخصوص الشفاعة العظمى ، المقصود في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به المواتف نثرا ونظما ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرتب الفاخره ، وحازوا بالإخلاص في محبته . سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يألوا على خدع الدنيا للساحره ، صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر في مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها وأعماد مناجحتها ، أمر جنات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور (قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتنوع في إنشائها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أن ذلك من أنس الذخائر التي أعدتها بين يديه ، وحل منها في أكرم بقعة نقله الله بها عن سريره إلى متعد صدق عند ربه ،

وعمر بها مواطنَ العبادة في يومِ سلمه بعد أن عفى بها معاقِلَ الكفر في يومِ حربهِ ؛
 وأقام بها منارَ العلوم فعلا منالها ، وأعد للضعفاء بها من موادِّ البرِّ والإلطف مالو
 تعاطته الأغنياءُ قصرت عن التطاولِ إليه أموالها ؛ وأن نرتادَ لها من إذا فوضنا إليه
 أمرا تحققتنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه ، واعتقدنا تنمية أمواله ، وأعتمدنا في مضاعفة
 ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ، وعلمنا من ذلك ما لا نحتاج فيه إلى اختبار
 ولا اعتبار ، ولا يُحتاج في بيان الخيرة فيه إلى دليلٍ إلا إذا احتاج إليه النهار ،
 لكونَ في ذلك بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسبابَ ثوابها ، أو جدد لها وقتها ؛
 لكونه أتى بيوتَ الإحسان في آرتياد أ كفاء النظر لها من أبوابها .

ولما كان فلان هو الذى نبهت أوصافه على أنه ماوِليَ أمرا إلا وكان فوق ذلك
 قدرا ، ولا أعتمد عليه فيما تضيق عنه هممُ الأولياء إلا رَحِبَ به صدرا ، ولا طلع
 في أفق رُتبة هلالا إلا وتأمَّنته العيون لأجل رُتب الكمال بدرا ، يدرك مانأى من مصالح
 ما يليه بأدنى نظر ، ويسبق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع
 الفكر . ونحن نزداد غبطة بتديره ، ونحقق أن كل ما عدقنا به إليه من أمرٍ جليل فقد
 أسدناه إلى عارفه وفوضناه إلى خبيره . اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعدق بحمِل نظره
 هذا المهيم المتدم لدينا ، وأن نفوض إليه نظر هذه الأوقاف التي النظر في مصالحها
 من أكد الأمور المتعينة علينا .

فُرِسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عميا ، ويره يقدم في الرتب من كان من
 خواتم الأواباء كريما - أن يفوض إليه كيت وكيت .

فأيل هذه الرتبة التي أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهم ، وفِصد بها النفع
 المتعدى إلى العلماء والفقراء والضعفاء ومراعاة ذلك من أخص المصالح وأعم .

ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسد خلتها ، ويُرِيح عَالَمَهَا ، ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ، ويحفظ في أماكنها أموالها ، ويقم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستزل بها مواد الرحمة لساكنها بألسنة قرائها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الذخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ، ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ، وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره باستكمال ذلك على أكل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعز وجودها ويحتلب ، وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق ، من أيدي أمنائه وثقاته ، ولا مودع لها أوفق ، من أمانة من يتقى الله حق ثقته ، فلذلك وكلناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطلاعه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجامع الطولوني)

من إنشاء المقرّ البدرى - ابن المقرّ العلاءى بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، في الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقرّ الشمسى - العمرى - كاتب الدت الشريف لأبى يزيد الدوادار ، وهى :

الحمد لله الذى أقام من أوليائنا خير ناظر ، يقربه كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهر وحسنه الباهر ، وأنام الأنام فى مهاد الأمن بانتقاء ولى لسان الكون حامد له ومادح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة باصطفاء صنفى طاب بسفارته كل خاطر من مقيم وخاطر ، ومنع أسباب السيادة بأوفى وفى عمر بوجوده

الوجودَ وغمرَ بجلوه كلِّ بادٍ وحاضرٍ، وأبصرَ بالدينِ المتينِ والفضلِ المبينِ فأقنناه
للنظرِ على بيوتِ الله تعالى لأولوئيته بذلك : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نحمدُه على نِعَمِهِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِالْمَزِيدِ فَسَرَّتِ السَّرَائِرَ، وَظَهَرَتْ بِنُورِ الرُّشْدِ الْمَدِيدِ
فَأَشْرَقَ بِهَا الْبَاطِنُ وَالظَّاهِرُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ
الْقَادِرُ، شَهَادَةً صَدَقَتْ فِي الْإِخْلَاصِ بِهَا الْأَلْسِنَةُ وَالضَّمَائِرُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مَعْدِنُ الْأَسْرَارِ، وَبِحُرِّ الْجُودِ الزَّائِرِ، وَمَنْبَعِ الْأَنْوَارِ، صَاحِبِ الْآيَاتِ
الظَّاهِرَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْمَفَاحِرِ، الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ الْأَوَائِلُ
وَالْآوَاخِرُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ النُّجُومِ الزُّوَاهِرِ، الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ فَكَانَ كُلُّ مِنْهُمْ لِلَّذِينَ الْحَنِيفِ أَعْظَمَ مَجْتَهِدٍ وَمُؤَيِّدٍ وَنَاصِرٍ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدَ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ أَلْقَيْتُ إِلَيْهِ مَقَالِدُ الْأُمُورِ، وَصَرَفْنَا فِي جَمِيعِ مَصَالِحِ
الْجُمْهُورِ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَعْمُرَهَا بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ وَتُضَاعَفَ لَهُ
الْأَجُورُ، وَمَكَتَّ لَهُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ حَتَّى صَارَ قُطْبَ فَلَكِهَا عَلَيْهِ تَدْوِيرُ، وَبَسَطْنَا
يَدَهُ وَلِسَانَهُ فَهُوَ يَنْطِقُ عَنَّا وَيَأْمُرُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرَ فِي الْوُرُودِ وَالصُّدُورِ، وَقَيَّدْنَا
الْأَرْزَاقَ بِقَلَمِهِ، وَالْمِهْمَاتِ بِكَلِمِهِ، فَلَا فَضْلَ إِلَّا مَنْ فَيَضُهُ الْمُنْشُورُ - مِنْ أَمْتَارِ
عَلَى غَيْرِهِ بِفَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ، وَتَقَدَّمَ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ بِأَثْبَتِ قَدَمٍ، كَانَ بِهَا
مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّابِينَ مِنَ الْقِدَمِ، وَأَتَّصَفَ بِالشَّجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْمَعْرِفَةِ التَّامَّةِ وَالْحِلْمِ
وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمِ، فَهُوَ التَّرْجُمَانُ عَنَّا النَّاطِقُ بِفَضْلِ الْخَطَابِ فِي السَّرِّ لِلتُّرْكِ وَالْعَرَبِ
وَالْعَجَمِ، وَعُرِفَ بِالرَّأْيِ السَّعِيدِ، وَالنَّظَرِ السَّعِيدِ، وَالتَّدْبِيرِ الْحَمِيدِ، وَالْقَوْلِ الْمُفِيدِ،

(١) ظهرت بالمزيد قويت به وظهرت بنور الرشد وضحت وبنات .

والجود والكرم ، وطبيع على الخير الجزيل ، والدين الجميل ، عمره في الحق قائم ،
لا تأخذه في الحق لومة لائم ، طالما أحيأ بحسن السفارة من العدم .

هو واحد في الفضل والنظر السعيد لأبي سعيد .

فمن الذي يحكيه في الشرف العتيدي بطل الوغى أبو يزيد .

قد تفرد في العفة والديانة ، والثقة والأمانة ، والتحف بالصفاء ، وتردى بالوفا ،
وشفى بالخير والجر من كان بالفقر على شفا فحصل له الشفاء ، ووفى بالعهود والمواثيق
وذلك أمر ماخفي ، ولحق في الجود والدين بسميه أبي يزيد البسطامي الولي :

قالوا : الولي أبو يزيد قد مضى ، وهو الفريد بفضله والصادق !

قلت : الأمير أبو يزيد مثله * هناك سابقه وهذا الألاحق !

ولما كان فلان هو المشار إليه بهذه الصفات الحسنه ، والمناقب التي تنوعت
في مدائحها الأيسنه ، وعرف بالجود فملك حبه الأفتدة فارتفعت الأصوات بالدعاء
له معلنه ، طالما أنال النعم ، وأزال التعم ، وجبر القلوب ، وكشف الكروب ، وجلا
ظلام الخطوب ، ونشر المعروف ، وأغاث المنكوب ، وأنقذ من المهالك ، وعمر
بتديده الممالك ، ووصل الأرزاق ، وأجرى الأطلاق على الإطلاق - اقتضت
أراؤنا الشريفة أن نعتمد في جميع الأشياء عليه ، ونأق مقاليد الأمور إليه ، وتنوط
به المهيمات وغهها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازل يحف بالمزيد من كرمه ، ويسبغ جلايب
نعمه ، ويجرى بحر فضله الواسع ، ويعم بنظره المقربين من أوليائه كل جامع للخير
جامع ، أن يستقر

(١) جرى على لغة طي ، نظر السجع فتنه .

(٢) يباض بالأصل والمراد "في نظر الجامع الطولوني" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فليتلق هذا التفويض الحليل بقوله ، ويبلغ الجامع المذكور ما يرتقبه من عمارته
التي هي غاية مأموله . ومنه تؤخذ الوصايا لأنه لساننا الناطق ، وسفير مملكتنا العالم
بالحقائق والدقائق ، فلا يحتاج أن يوصى ولا أن نفتح معه في الوصية باباً ، وما يصلح
ان يقال لغيره لا يجوز أن يكون له خطاباً :

ومثلك لا يدل على صواب * وأنت تعلم الناس الصواباً!

والله تعالى يؤيده في القول والعمل ، ويعم بوجوده وجوده الوجود وقد فعل ،
ويبقى مدي الدهر ، ويستخدم لسعوده الساعة واليوم والجمعة والشهر ، ويجعل
بابه الطاهر مفتوحاً للقاصدين على الدوام ، ويقيم واسطة عقد الملك فإنه مبارك
أينما كان ورحمة للأنام ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(تقابة الأشراف)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية في المقالة الثانية أن
موضوعها التحدث على الأشراف ، وهم أولاد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى
الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد جرت العادة أن الذى يتولى هذه الوظيفة يكون من رؤوس
الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأقلام ، وإنما أوردته مع أرباب السيوف
لأن المقر الشهابى بن فضل الله قد ذكر فى بعض دساتيره الشامية أنه يكتب
لقب الأشراف « الأميرى » ولا يكتب له « القضاى » ولو كان صاحب قلم .

وقد رأيتُ له عدّة توقيعٍ على ذلك مكتتبهً من الأبواب السلطانية وعن نائبي الشام وحلب وغيرهما، معبراً عنه فيها بـ «الأميرى» وتوقيعه في قطع الثلث مفتوح بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله» .

(١) وهذه نسخة [توقيع] بنقابة الأشراف، وهي :

الحمد لله مشرف الأنساب، وموفى الأحساب، حقوق ملاحظتهم بغير حساب، وجاعل أيامنا الشريفة تحمداً لا اكتساباً .

نحمده بحامد حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شك في مقالها ولا آرتياب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه الذي أنزل عليه الكتاب، وشرف به الدرارى من شجرته المباركة الأعقاب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تتوارى شمسها بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صيرفت الهمم إلى تشييد مبانيه، وتفييد مهمل رواعيه وملاحظة قاصيه ودانيه، المحافظة على كل ما يرفع قدر الآل ويعليه، ويرد إليهم عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت العترة الطاهرة النبوية ورث الوحي الذين آل إليهم ميراثه، وأهل البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته، وقد سأل الله وهو المسئول لهم القربى، وخصهم بمزايا حقيق بمثل متصرفهم أنه بها يُجى وأنما لهم نُجى : لما في ذلك من بركات ترضى سيد المرسلين وتعجبه، ويسطر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه، وكان لا بد لهم من رئيس ينضد سلكهم وينظمه، ويعظم نخرهم ويفخمه، ويحفظ أنسابهم،

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

وَيُصْتَلُّ بِمَكَارِمِهِ أَحْسَابَهُمْ ؛ وَيُنْمَى بِتَدْيِيرِهِ رَعِيَهُمْ ، وَيُتَابَعُ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
 الزَّيْكِيَّةِ مَا زَكَّى يَنْعَمُ بِهِمْ ؛ وَيَحْفَظُهُمْ فِي وَدَائِعِ النَّسْلِ ، وَيَصُدُّ عَنْ شَرَفِ أَرْوَاقِهِمْ مِنْ
 الْأَدْعِيَاءِ الْمُدْعِينَ بِكُلِّ بَسَلٍ^(١) ؛ وَيَحْرُسُ نِظَامَهُمْ ، وَيُؤَالِي إِكْرَامَهُمْ ؛ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَكَارِمِ
 الْأَخْلَاقِ ، وَيَمُدُّهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِرْفَادِ وَالْإِرْفَاقِ ؛ وَيَتَوَلَّى رَدْعَ جَانِبِهِمْ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ ،
 وَيَتَدَبَّرُ فِيهِ قَوْلَهُ : « أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعٌ » .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمَشَارُ إِلَى مِنْ بَنِي هَذِهِ السُّلَالَةِ ، وَلَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مِيزَةٌ بَاطِنَةٌ
 وَظَاهِرَةٌ وَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ شَيْئًا وَاحِدًا فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، فَقَدْ تَمَيَّزَتْ مِنْ بَيْنِ
 الْأَنْوَامِلِ السَّبَابَةُ عَلَى الْخَنْصِرِ وَالْبَنْصِرِ وَالْوَسْطَى وَالْإِبْهَامِ ، وَكَمْ ثَمَرٌ جَنِيٌّ فَضْلُ بَعْضِهِ
 عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ وَهُوَ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ، وَقَدْ آمَنَّا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ
 عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الْمُنِيفِ ، أَنْتَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ
 الشَّرِيفِ - لَا يَرْحُحُ يَخْتَارُ وَيَنْتَقِي ، وَيَجْتَبِي مَنْ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِي - أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ
 نِقَابَةُ الْأَشْرَافِ الطَّالِبِينَ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ مِنَ النَّبِيَّاتِ السَّادَةِ .

فَلْيَجْمَعْ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُبْهِجُ الزَّهْرَاءَ الْبَتُولَ فَعَلُهُ ، وَيَفْعَلْ مَعَ أَهْلِهِ وَقَرَابَتِهِ
 مِنْهُمْ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَلْيَحْفَظْ مَوَالِيدَهُمْ ، وَيَحْرَزْ أَسَانِيدَهُمْ ؛ وَيَضْبِطْ أَرْوَاقَهُمْ ،
 وَيَعْتَمِدْ إِنْصَافَهُمْ ؛ وَيَتَمَرَّ مَتَحَصِّلَاتِهِمْ ، وَيَكْتَرُ بِالتَّدْيِيرِ غَلَاتِهِمْ ؛ وَيَأْخُذْ نَفْسَهُ
 بِمُسَاوَاتِهِمْ ، فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِمْ ؛ وَيَأْخُذُهُمْ بِالتَّجْمُعِ عَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ ، وَالْعَمَلِ بِمَا
 يَزِينُ ؛ حَتَّى يُضَيِّفُوا إِلَى السُّؤْدَدِ حُسْنَ الشِّيمِ ، وَإِلَى الْمَنَاحِرِ فَاحِرَ الْقِيمِ ؛ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ
 مَعَهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ هُوَ لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ مِنْ خَلْفِهِ وَمَنْ بَيْنَ
 يَدَيْهِ ، بِعَمَّةٍ وَكْرَمَةٍ ! .

(١) البسل الشدة كما في اللسان . ووقع في الاصل «نسك» بالنون والكاف وهو تصحيف .



وهذه نسخة وصية لنتيب الأشراف أوردها في "التعريف" فقال :

و نحن نُجَلِّك عن الوصايا إلا ما نتبرك بذكره ، ويُسرك إذا أشمكت على سره ،
فأهلك [أهلك ، راقب] ^(١) الله ورسوله جدك صلى الله عليه وسلم فيما أنت عنه من
أمورهم مسؤل ، وأرفق بهم فهم أولاد أمك وأبيك حيدرّة والبتول ، وكف يد من
علمت أنه [قد] ^(١) أستطال بشرفه فمد إلى العناد يداً ، وأعلم أن الشريف والمشروف
سواء في الإسلام إلا من اعتدى ، وأن الأعمال محفوظة ثم معروضة بين يدي الله
فتقدم في اليوم ما تفرح به غداً ، وأزل البدع التي ينسب إليها أهل الغلو في ولأئهم ،
والعلو فيما يوجب الطعن على آبائهم ، : لأنه يعلم أن السلف الصالح رضى الله عنهم
كانوا متزهدين عما يدعيه خلف السوء من افتراق ذات بينهم ، ويتعرض منهم أقوام
إلى ما يجزهم إلى مصارع حنينهم ، فالشيعة عثرت لا تقال ، من أقوال ثقّال ، فسد
هذا الباب سدّ لبيب ، وأعمل في حسم موادهم عمل أريب ، وقم في نهيمهم والسيف
في يدك قيام خطيب ، وخوفهم من قوارعك [مواقع] ^(١) كل سهم مصيب ، فما دعى
« بحى على خير العمل » إلى خير من الكتاب والسنة والإجماع [فانظّم في نادى
قومك عليها عقود الاجتماع] . ومن اعتزى إلى اعتزال ، أو مال إلى الزيدية في زيادة
مقال ، أو ادعى في الأئمة الماضين ما لم يدعوه ، أو أفتى في طرق الإمامية بعض
ما ابتدعه ، أو كذب في قول على صادقهم ، أو تكلم بما أراد على لسان ناطقهم ،
أو قال : إنه تلقى عنهم سرّاً ضنوا على الأمة ببلاغه ، وذادوهم عن لذة [مسأغه] ^(١) ،
أو روى عن يوم السقيفة والجمل غير ماورد أخباراً ، [أو تمثّل بقول من يقول :
عبد شمس قد أوقدت لبي هاشم ناراً] ^(١) أو تمسك من عقائد الباطن بظاهر ، أو قال

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٠ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

إنَّ الذَّاتَ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِيرَ، أَوْ تَعَلَّقَ لَهُ بِأُتْمَةِ السُّتْرِ رَجَاءً، أَوْ أَنْتَظِرَ مُقِيمًا بَرَضُوى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ، أَوْ رَبَطَ عَلَى السُّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ، أَوْ تَلَفَّتْ بِوَجْهِهِ يَظُنُّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي الْغَمَامِ، أَوْ تَنَلَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي آشْرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ، فَعَرَفْتَهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِسَادِ أَذْهَانِهِمْ، وَسُوءِ عَقَائِدِ أَدْيَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا فِي التَّقَرُّبِ بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ عَنِ مَطْلُوبِهِمْ، وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُمْ طَلَبُوا فَقُلْ لَهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ .

وَأَنْظُرْ فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظْرًا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلرَّيْبِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَسَاوِقِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ وَأَحْفَظْ لَهُمْ كُلَّ حَسَبٍ. وَأَنْتَ أَوَّلِيٌّ مِنْ أَحْسَنِ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مُرَادٍ قَائِلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِيبًا، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يُوَصَّلُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا. وَنَكَّلَ بَيْنَ عِلْمَتِهِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَرَقًا، وَطَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغِلِّ وَغَلَبَ مِنْ أَجَلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا، [وَجَارَ وَقَدْ] ^(١) أَوْضَحَّتْ لَهُمُ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلِّيَّ طُرُقًا، وَأَرَدَعْتَهُمْ إِنْ تَعَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نِضَالِ نِضَالٍ، وَأَمْنَعْتَهُمْ فَإِنْ فَرَقْتَهُمْ كُلَّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ خَابِطَةٌ فِي ظِلَامٍ ضَلَالٍ، وَقَدَّمَ تَقْوَى اللهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ، وَأَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ" عِدَّةَ وَصَايَا لِلْجَمَاعَةِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ، لَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا، بَلْ رُفِضَ اسْتِعْمَالُهَا وَأَهْمَلُ . وَنَحْنُ نَذَكُرُهَا حِفْظًا لِذِكْرِهَا، وَأَحْتِيَاطًا أَنْ يَقْتَضِيَ الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من التعريف ص ١٣٢ .

إحداها - وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن أصله أتابك بالطاء المهيمنة ومعناه الأب الأمير ، وأن أول من لقب بذلك زندي أتابك صاحب الموصل ، ثم غلبت فيه التاء المثناة بدل الطاء ، وهي :

وأنت ابن ذلك الأب حقيقه ، وولد ذلك الوالد الذي لم تُعمل له إلا من دماء الأعداء عقيقه ؛ وقد عرفت مثله بثبات الجنان ، وصلت بيدك ووصلت إلى مالم يصل إليه رُح ولا قدر عليه سنان ؛ ولم يُزاحمك عدو إلا قال له : أيها البادي المقاتل كيف تُزاحم الحديد ، ولاسُمي أسمك لجبار إلا قال له : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) . وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة ، وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلّم بها حالم إلا وبات يُرعدُ خيفه ؛ فليأخذ هذا الأمر بزمامه ، وليعمل لله ولإمامه ؛ وليرم في حبّ البقاء الدائم بنفسه على المنيه ، ولينادم على معاقره الدماء زهور سكاكينه الحنيه ؛ وأطبع منهم زبرا تطاول السيوف بسكاكينها ، وتأخذ بها الأسود في عرينها ؛ وتمتد كأنها آمال ، لما تُريد ، وترسل كأنها آجال ، ولهذا هي إلى كل عدو أقرب من جبل الوريد ؛ وأذك منهم شعلا إذا دعيت بأحسابها لا تجيد إلا متحاميا ، وأرم منهم سهاما إذا دعيت (؟) بأنسائها الاسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان راميا ؛ وفرج بهم عن الإسلام كل مضيق ، وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر في الطريق ؛ وصرف رجالك الميامين ، وتصيّد بهم فإنهم صقور ومناسرهم السكاكين ؛ وأخطف بهم الأبصار فبايمانهم كل سكينه كأنها البرق الخاطف ، وأقطف الرؤوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف ؛ وأعرف لهم حقهم وضاعف لهم

تكريماً، وأدم لهم بناً رِ عَمِيًّا ، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله ، وفضل الله
المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً .

وأعلم أنهم مثل الأوحوش فزد في تأنيبهم ، وأشكر إقدامهم فطامنا فتحموا على
الملوك وما هابوا يقظة حرسهم ، وأرفع بعضهم على بعض درجات في نفقات تسافيرهم
وقعود مجاسيمهم ، ولا تسو بينهم فما هم سواء ولا يستوى القاعدون من المؤمنين
غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . وأصل هذه الدعوة
ما زالت تنقل بالمواريث حتى آتت إلينا حقوقها ، وأومضت بنا حيث خلعت
هيا كاتها بجرعاء الحمى بروقها ، والله تعالى يوفقه ويرشده ، ويطول باعه لما قصرت
عنه سواعد الرماح ووصلت إليه يده .



الثانية - وصية أستاذ الدار .

وليتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها ، وأنواع وظائفها ، وأيرتبها
في الخدمة على ما يجب ، وينظر في أمورهم نظراً لا يخفى معه شيء مما هم عليه
ولا يحتاج ، وليبدأ بهم الساط المقدم الذى يقدم . وما يتنوع فيه من كل مطعم ،
وما يمد منه في كل يوم بكرة والعصر ، وما يستدعى معه من الطوارئ التي لا يخذها
الحد ولا يحصرها الحصر ، وأحوال المطبخ الكريم الذى منه ظهور تلك المخاني ،
ووفاء ذلك الكرم الوافى ، والتقدم إلى الأمانة والمشرفين فيه بأمانة الإنفاق ، وصيانة
الماكل مما يعاب على الإطلاق . ثم أمر المشروب وما تغلة عاهه أساء الله
ن - س - كوي ومشروب ، وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا

عزَّ المطلوب ، ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوائنها ، وتُسبُّ لطبخه من حُرِّ
اليواقيت كوائنها ، وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للتفرقة ، وما لا يصرف
إلا بخط الطبيب ولا يسلم إلا إلى ثقه . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة
اللباس ، وموضع ما يبرز به من الزينة للناس ، وما يحتاج إليه من آلات التطيب ،
وما يعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقره ،
ويؤخذ منها مستدره ، ومن يُستخدم بها ممن برئ من الريب ، وعُرف بالعقاف
والأدب ، وعلم أنه من أهل الصيانة ، وعلى ما سلم إليه ومن خالطه الأمانة .
ثم الفراش خاناه وما ينصب فيها من الخيام ، وما يكون فيها من فرش سفر ومقام ،
وشمع يفضض كافور كافوريته آبنوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والنجاة
وإن كان إلى سواه استخداهم ، ولدى غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما خرجوا
من عديده ، ولا يروقهم ويروعهم إلا حسن وعده وخشن وعيده . ثم المناجات
السلطانية وما بها من جمال ، وما يسرح فيها من مال وجمال ، ومن يُستخدم فيها
من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مزدوج وفرد . فيوفر لهذه الجهة نصيباً
من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأقطار ، وتفرقت كالسحب يلزمها القطار
القطار ، وليكونوا على باله فإنهم يسرقون الذرة^(١) من العين ومعهم الذهب العين مجلاً
بالقنطار ، فليحسن منهم الارتياح ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازمتهم الإبل
مثلها حتى في غلظ الأجداد . وطوائف المعاملين ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،
وزرائب الغنم وخولها ورعاها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ،
ونفقات الأمراء الممالك السلطانية في إهلال كل هلال ، وما يُصرف في كساهم

(١) في "التعريف" « ذرة الكحل » .

على جارى عاداتهم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطه من
 وصلوات تكتب ، وأستدعات تُعَسَّب من لوازمه وهى للكثرة لا تُحَسَّب ؛ فليكن
 لهذا كله مراعىا ، ولأُمُورِهِ وإِعياء ، ولما يجب فيه دُونَ ما لا يجب مُستَدْعِياً وإليه
 دَاعِياً ؛ وهو ككبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومُستخدَم ، وبأمره يؤخَّر
 من يؤخَّر ويقدم من يُقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم ؛ وعصاه على الكل محمولة
 على الرقاب ، مبسوطة فى العنق والعقاب ، ومكانه بين يدينا حيث نراه ويرانا ولدينا
 قاب قوسين أو أدنى من قاب .

وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكال الشروط ، والأمر بها فعصاه محكمة
 وأمره مبسوط ، وكل ما يُناط بنا : من خاصّة أمورنا فى بيتنا - عمره الله ببقائنا وزاد
 تَعْمِيرَهُ - بتديره مُنوط .

الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أنه مرَّكَّبٌ من لفظين :
 عَرَبِيٍّ وهو أمير ومعناه معروف ، وأخُور فارسي ومعناه العلف ، والمعنى أمير العلف .
 وكأنه فى الأصل كان هو التولى لعلوفة الخيل ، ثم ارتفعت وظيفته حتى صار صاحبها
 من أكابر الأمراء المُفدِّين ، وهو يتحدث فى الإصطبلات السلطانية وما حوته
 من خيل وبنغال ودواب وجمال وأثاث ، وغير ذلك .

وهذه نسخة وصيته :

وليكن على أكل ما يكون من إزاحة الأعدار ، والتأهب لحركاتنا الشريفة فى ليل
 كان أونها ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور ، والأبداً فالأبداً من [تقديم] ^(١) مرَّا كبتنا

(١) الزيادة عن "التعريف" وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور، وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد، والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، والحشرات السعيدة، وخيل البريد، والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد، وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يركب منها ويجنب مما يسيم الأرض بالبدور والأهله من كل حافر ومنم، وما هو برسم الإطلاق، وما يعد للمالك الطباقي، وخيل التلاد، وما يجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويحيى من كل بلد من البلاد، والمشتري مما يباع من الموارث ويستعرض من الأسواق، وما يعد للمواكب والسباق، وليجل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والأحتراز في التلاد مما لعله يبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات، وليجتهد في تحقيق ما نفق، [وليحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما اتفق^(٢)] وكذلك فليكن فخصه ممن يستخدم عنده من العلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان، ولا يستخدم إلا من شكر سيرته في أحواله، وتعرف خبرته فيما يراد من أمثاله، وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أعنة هذه الكرائم، والتحرز في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم، والأوشاقية الذين هم مثل مماليكهم وهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإسطبلات السعيدة ديوانه، وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويعلمهم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك، ولا يسمع لأحد منهم في أمر يفضي إلى إخلال، ولا يفتضي فرط إذلال، وليقيم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال، وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السمع،

(١) في اللسان من معاني "القود الخيل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيُتَخَوَّفُ مِنْهُمْ السَّرْعَةَ ، فَلْيُكُنْ لِمَنْ مِنْكَ أَعْظَمُ زَاجِرًا ، وَمَنْ شُكِيَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَسَارِعْ
إِلَى التَّنْكِيلِ بِهِ وَبَادِرْ ، وَأَشْهَرِ مِنْ فَعْلِكَ بِهِمْ مَا يُوجِبُ مِنْهُمْ الطَّمَأْنِينَ ، وَلَا يَعُودُ
أَحَدٌ بَعْدَهُ يُكْذِبُ بِقِيَّتِهِ ، وَأَمْرَاءُ أَخَوْرِيَةِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ ، وَبِهِمْ يَمْتَسِدُ بِاعُكَ ،
هَمْ بِحَسَبِ مَا تَجْعَلُهُمْ بِصَدَدِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ [أَنْ] يَتَعَدَّى حَدَّهُ فِي مَقَامِ
قَدَمِهِ وَبَسْطِ يَدِهِ ، فَاجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَامًا مَعْلُومًا ، وَشَيْئًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ تَحْكِيمًا .
وَتَمِينًا الْخِيُولَ الْمَشْتَرَاةَ وَالتَّقَادِيمَ قَوْمَهَا بِأَهْلِ الْخَبْرَةِ تَقْوِيمَ عَدْلٍ ، وَقُلِ الْحَقُّ
وَلَا يَأْخُذُكَ فِيهِ لَوْمٌ وَلَا عَدْلٌ ، وَمَا يُصْرَفُ مِنَ الْعَلِيقِ بِرَسْمِ الْخِيُولِ السُّلْطَانِيَّةِ
وَمَنْ لَهُ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلِيقٌ ، مُرُّ بِصَرْفِهِ عِنْدَ الْأَسْتَحْقَاقِ وَأَضْبِطْهُ بِالتَّعْلِيقِ ،
وَتَصْرَفْ فِي ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تُتَصْرَفْ إِلَّا تُصْرَفَ شَفِيقٌ ، وَصُنِّهِ بِأَقْلَامِ جَمَاعَةِ الدِّيَّوَانِ
وَلَا تَقْنَعْ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الضَّرُورَةِ بِرَفِيقٍ عَنِ رَفِيقٍ ، وَكَذَلِكَ الْبِرَاسِمُ السُّلْطَانِيَّةُ أَصْلًا
وَزِيَادَةً ، وَلَا تُصْرَفْ إِلَّا مَا نَامُرُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَخْرُجْ فِيهِ عَنِ الْعَادَةِ ، وَتُزَلَّأُوكَ مِنْ
أَمْرَاءِ الْعُرَبَانِ عَامِلِهِمْ بِالْجَمِيلِ ، وَزِدْ فِي أَخْذِ خَوَاطِرِهِمْ وَلَوْ بَسْطَ بِسَاطِ الْأَنْسِ لَهُمْ
فَمَا هُوَ قَلِيلٌ ، : لِتَضَاعَفَ رَغْبَتُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلِيَسْتَهْلُوا بِشَاشَةِ وَجْهِكَ لَهُمْ عَلَى
مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ ، وَبِغَالِ الْكُؤُوسَاتِ السَّعِيدَةِ وَالْأَعْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ، وَأَثْقَالِ الْخِزَانَةِ
الْعَالِيَةِ الْمَعْمُورَةِ ، أَجْعَلْنَاهَا مِنَ الْمَنَاهِمَاتِ الْمَقْدَمَةِ ، وَالْمَقْدَمَاتِ لِتَنَاجِ أَيَّامِ النُّصْرِ
الْمُعَلَّمَةِ ، وَرَتَّبْنَاهَا فِي مَوَاقِفِهَا ، وَأَتَمَّهَا أُمَّمًا مَا يَكُونُ مِنْ وَظَائِفِهَا ، فَبِهَا تَثَبَّتْ مَوَاقِفُ
الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهَا يَأْوِي كُلُّ مُسْتَظِلٍّ وَرَحَى الْحَرْبِ تَدُورُ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ
مِنْ قُمَاشِ الْإِصْطِبَاتِ السَّعِيدَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِيرِ ، وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ،
بِأَشْرِهِ مَبَاشَرَةً مِنْ لَا يَتَحَلَّى ، وَأَحْصِيهِ تَخْرُجًا وَدَخَلًا ، وَإِيَّاكَ وَالْأَخْذَ بِالرَّخْصِ ،
أَوْ إِهْمَالَ الْفُرْصِ ، أَوْ طَلَبَ فَائِتِ جُرْمِ أَهْمَتِهِ حَتَّى نَكْصِ .

الرابعة - وصية مُقَدَّم الممالك .

وقد تندم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحتم في أمر الممالك السلطانية والحكم بينهم، ويركب خلفهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليُحَسِّن إليهم ، وليُعلم أنه واحد منهم ولكنه مُقَدَّم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُخَيِّل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين يديهم ، وليُزِم مُقَدَّم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم : من ترتيب الطباق ، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السواق ؛ وليكن لأحوالهم متعهدا ، ولأمورهم متفقدا ، وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيره ، وليُعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلا فإنهم جيره ؛ وليأمر كلا منهم ومن مقدميهم والسواقين لهم بما يلزمهم من الخدمة ، وليرتبهم على حكم مكائهم من أن فإن تساوا فليقدم من له قدمه ؛ وليعدل في كل تفرقه ، وليُحسن في كل عرض وتنفقه ، وليفرق فيهم ما لهم من الكسوى ويُسبِّل عليهم رداء الشفقة ؛ وليُعد منهم لغنا المحمي سباعا تفرس العاديه ، وليُجمل النظر في أمر الصغار منهم والجبار أصحاب الطبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العاده ، وليُسدِّرهم في أوقات البيا كير والأسفار نطاقا دائر الدهلز المنصور ، وليأمرهم أمرا عاما بأن لا يركب أحد منهم إلا بدستور ولا ينزل إلا بدستور ؛ وليحترز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروفا بالخير ويقيم عليهم الضمان ؛ وليحرر على من دخل عليهم وخرج ، ولا يفتح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للريبة بينهم مجالاً للأضطراب ، وليوص مقدميهم بتفقد ما يدخل إليهم فإن الغش أكثره من الطعام والشراب ؛ وليدم مراجعتنا في أمرهم فإن بها يعرف الصواب ، وليعمل بما نامره به ولا يجد جوى في جواب .

الضرب الثانى

(ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب الوظائف الدينية،

وهو على طبقتين)

الطبقة الأولى

(أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالى)

وتشتمل على عدة وظائف

الوظيفة الأولى

(القضاء)

قد تقدم فى المقالة الثانية فى الكلام على ترتيب الوظائف أن الديار المصرية كان يلبها قاض واحد، إلى أن كانت الدولة الظاهرية «بيبرس» فى أوائل الدولة التركية، وقاضى القضاة يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرز الشافعى، فاضطرب الأمر لإختلاف المذاهب، فاقضى رأى السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاض، وقرر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرز فى قضاء قضاة الشافعية على حاله، وكتب لكل منهم تقليد بذلك، ثم خص قاضى القضاة الشافعية بالتولية فى بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة، وأستمر الأمر على ذلك إلى الآن. إلا أنه لما حدث بديوان الإنشاء تنوع ما يكتب لأرباب الأقاليم إلى تقاليد، فى قطع الثلثين، وتفاوت يرض، وتواقيع، فى قطع النصف، تقرر الحال على أن يكتب للقضاة الأربعة تواقيع فى قطع النصف ب«المجلس العالى»، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولى القاضى عماد الدين أحمد الكركى الأزرق قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين علي كاتب السر ، فعني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين «الجناب العالي» . وبقى الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التوقيع إلى أن ولي القاضي جمال الدين محمود الحلبي القيسري المعروف بالعجمي رحمه الله قضاء قضاة الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليد في قطع الثلثين بالجناب العالي أيضا ، وبقى المالكي والحنبلي على ما كانا عليه من كتابة التوقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ولي قاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي قضاء قضاة المالكية في الدولة الناصرية «فرج بن الظاهر برقوق» فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحد ممن عاصرناه كتب له تفويض غيره . ثم لما ولي الشيخ جمال الدين عبد الله الأقفهسي قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كتب له «الجناب العالي» كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على النمط الأول سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكي والحنبلي أيضا تقليد : لمساواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا للفتق وتقريرا للمأخذ .

وهنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

الأول (قضاء القضاة الشافعية)

وهذه نسخة تقليد بقضاء القضاة الشافعية ، كتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرز رحمه الله ، حين استقر أحد القضاة الأربعة بعد انفراجه بالوظيفة على ما تقدم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من اعتدى، وموسع مجاله لمن راح إليه وأغتنى،
وموضح طريقه لمن اقتاد وأقتدى، ومزین سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية ينبوعا، وأقامها أصلا مدينا
الرشد فروعا .

نعمه على نعمه التى ألزمتنا لتشييد مبانيها شروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة نعلم بها من القلوب والأفواه ربوعا . ونصلى على سيدنا محمد الذى
أرسله الله إلى الخلائق جميعا، وقام بعيب الأمر يصنع حسنا ويحسن صنيعا،
صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يبرح برقها ملموعا، ولا ينفك وترها بالتسليم مشفوعا .

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقريض، وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء
التفويض، وريش جناحه وإن لم يكن المهيض، وفصح مجاله وإن كان الطويل
العريض، ورفع قدره على الأقدار، وتقسمت من سحابه الأنواء ومن أشمته
الأنوار، من غزر مده بخرت منه فى رياض الحق الأنهار، وغدا تخشع لتقواه القلوب
وتنصت لتوله الأسماع وترنو لمحياء الأبصار، قد أوفد من إرشاده للأمة لطفًا فطفا،
وأوقد من علمه جذوة لا تحبوقبسا بالموى لا يظنى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل
أحد معه طرفا ولا يمد إليه من حياته طرفا، وأحتوى من علوم الشريعة على ما تفرق
فى غيره، وغدا خير دليل إلى الحق فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى آجتهاده
ولا يهتدى فى المذاهب إلا بسيره، وكان لتلك الشريعة المحمدية قطبا، وجئانها
قبا ولسوارها قبا . ولدليلها برهانا، ولإنسانها عينا ولعينها إنسانا، فكم أرضى نبي
الأنام عن الأيام . وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام، وكم أمضى لله حكما
لا انفصال لعروته ولا انفصام، وكم قضى بالجوهر فى ماله وبالعدل فى الأيتام،

فلو استعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه، ولم يُداجه لما ستره عليه من تعديه في دياجيه، فهو الصادع بما أمر الله به ولو على نفسه، والمسترد الحقوق المذاهبة من غير محاباة حتى لغده من يومه وليومه من أمسه .

ولما كان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب من هو في أحسن هذه السمات قد تصور، وكادت نجوم السماء بأنواره تتكثر، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقة هو التاج المجوهر، وله مزايا السؤدد التي لا يسك فيها ولا يرتاب، وسجايا الفضل التي إذا دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عدة أبواب، وهو شجرة الأحكام، ومصدق كليم الحكام، ومطلع أنجم شرائع الإسلام، ومهبط وحي المقدمات والأرتسام، ومجتمع رفاق القضايا في الحلال والحرام - خرج الأمر الشريف بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق ما هو مآل باستصحابه، وليستمر على إقامة منار الحق الذي هو موثق عراه ومؤكده أسبابه، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حفله آجتهاده ليد احتلابه، عالمًا بأن كل إضاءة إنارتها من قبسه، وإن استضاء بها في دياجي المنى، وكل ثمرة من مغترسه، وإن مد إليها يد الاجتينا، وكل جدول هو من بجره وإن بسط إليه راحة الاعتراف، وكل منهج هو من جادته وإن ثنى إلى سلوكه عنان الانصراف لا الانحراف، وهو بحمد الله المجتهد المصيب، والمادة للعناصر وإن كان نصيبه منها أوفر نصيب، وسجاياه يتعلم منها، كيف يوضي ويعلم، ومزاياه تقوم الأود، كيف ينوم، والله الموفق بمنه وكرمه ! .

الناني - قاضي قضاة الحنفية على ما استقر عليه الحال من لدن القاضي جمال الدين محمود التيسري وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر في الأحكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويختص نظره بمصر والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تتايد بقضاء قضاء الحنفية كُتب به لمن لقبه شمس الدين ، وهى :
الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين الحنيف شمساً منيرةً ، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيرة ، وقلد أمور الأمة لمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم أقدم الأئمة فسار فى مذهبه المذهب أحسن سيره ، الذى أدخر للحكم فى أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لاختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق بأستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المدد اليسير ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عدم النظير نصيره ، وأفتح دولته برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الأمتداد إليه قصيره ، وخص المناصب فى ممالكه بالأكفاء فإذا تلبست بها همم غيرهم عادت خاسئة أو أمتدت إليها أبصار من دونهم رجعت حسيه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصلح العلى والسريه ، وتصبح بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مشيره ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل محبرة وأنزل الكتب بمبعثه بشيره ، وأجتباه فى خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشير ، وأظهر أنوار ربه إلا لمن أعمى الغى بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهير ، وخصه بالأئمة الذين وفقهم للاستعانة بالصبر

والصلاة وإنما لكبيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أدعيت لأحكامهم العصمة لكانت بذلك جديره، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتقرب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده، وتُعهد معاهدته، ويعلى مناره، وتفاض بطلوع شمسه أنواره، ويحلى به بعد العطل جيده، وينظم في سلك عقود الأمة فريده، وتكلم به قوى الدين تكلمة الأجساد بقوى الطبائع الأربع، وتعمر به ربوع الملة التي ليس بعدها من مصيف للملة ولا مربع، وثبتت به قوائم الشرع التي ما للباطل في إمالة بعضها من مطمع، وتجلى به عمن ضاق عليه المجال في بعض المذاهب الغم، ويستقر به عدد الحكم على عدد الأئمة المستقر على عدد الخلفاء الراشدين من خلفاء الأمة، ويمد به على الخلق جناح الرحمة وافر التوادم وارف الظلال، ويجمع به عليهم ما جمع الله في أقوال أئمتهم من الحق وما ذا بعد الحق إلا الضلال، - أمر القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه الذي اشتق الله له من الملة الحنيفة نسبة سرت في الآفاق، وأفاض عليه من مواد القياس الجلي كنوزاً نمت على الإنفاق، وعضد أيامه بولي عهد قولهما حجة فيما تفردا به من الخلاف أو اجتمعا عليه من الوفاق، وعد من التابعين لقدم عهده، وسُمي «سراج الأمة» لإضاءة نوره بهما من بعده .

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى، توقفت مدة على آرتياد الأكتفاء، وأرتيائه من هو أحل الأصطفاء، واختيار من تكلم به رفعة قدره، ويعيد لدسته بتصدده على بساط سليمان بهجة صدره، ويندولس إمامه بعد إماتة هذه الفترة باعنا، ويصبح وإن كان واحد عصره لأبي يوسف ثانياً ولمحمد بن الحسن ثالثاً،

وَيُسَبَّهُ بِهِ الْبَلِيحِيُّ زُهْدًا وَعِلْمًا ، وَالطَّحَاوِيُّ تَمَسُّكًا بِالسُّنَّةِ وَفَهْمًا ، وَيُعْتَرَفُ الْقَلْبُورِيُّ مِنْ بَحْرِهِ ، وَيُعْتَرَفُ الْحُصْرِيُّ بِالْحَصْرِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهِ وَحَصْرِهِ ، وَيَقِفُ مِنْ مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى أَثْبَتِ قَدَمٍ وَيَتِمِّي مِنْ قِتْمَةِ النُّعْمَانِ إِلَى فَرْعِ زَاكِ وَأَصْلٍ ثَابِتٍ ، وَيُنْشُرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا إِنْ وَافَقَ الْأُئِمَّةَ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَمَحْجَّةٌ سَاطِعَةٌ ، أَوْ خَالِفُهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَسِعَتْ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطَّرِيقِ فَارِقَةً فَإِنَّهَا عَلَى الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسَ بَعْدَ الْفَسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبُ لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بَوَادِرُ اسْتِحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمُعْطُوفُ عَلَى مَنْ وَصِفَ مِنَ الْأُئِمَّةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ النَّسَقُ ، وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَعْدِلُ دَمَ الشَّهَدَاءِ مَدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أُجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعْيِ أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِإِنَّمَا ، وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجْعَاتُهُ لَقَلَّمَا ، وَهَجَرَ فِي إِحْرَازِ الْفَضَائِلِ فَتَيَّدَ أَوَائِدَهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ، وَجَلَّجَ فِي بِيحَارِ الْمَعَانِي فِعَاصَ عَلَى جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ نَحَائِلَ الْفَضَائِلِ فَاسْتَوَى عَلَى أَزَاهِيرِهَا ، وَآتَهَى إِلَيْهِ عِلْمٌ مَذْهَبِيهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَنَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ يَعْتُوبُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثِ لَانْصَرَفَ ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةَ لَا فَرَضَ عَيْنَ ، وَقَدَّمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هَمْزَةً اسْتَفْهَامٍ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ بَيْنَ - أَقْنَضَى رَأْيًا الشَّرِيفَ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّبْيِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

(١) يريد الإشارة إلى قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

فذلك رُسم أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتول هذه الرتبة التي أصبح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نائبا وبشرعه قائما ، ويتقلدها تقلد من يعلم أنه قد أصبح على حكم الله مقدما وعلى الله قادما ، ويتثبت تثبت من يعتصم بالله في حكمه فإن أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته وإن كان ظالما ، ويلبس لهذا المنصب حلة تمنع المبطل من الإقدام عليه ، وتدفع الظالم عن التطاول إلى أمر نزع الشرع من يديه ، وتؤمن الحق من امتداد يدي الجور والحيف إليه ، وليسوي بين الخصمين في مجلسه ولحظه ، ويعيد بينهما في إنصاته ولفظه ، ليعلم ذو الجاه أنه مساوٍ في الحق لخصمه ، مكفوف باستماع حجته عن الطمع في ظلمه ، ولا ينقض حكما لم يخالف نصا ولا سنة ولا إجماعا ، وليشارك فيما لا يجهله من القضايا غيره من العلماء ليزيد بذلك مع اطلاعه اطلاعا ، وليغتنم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإن الله تعالى لا ينتزع هذا العلم انتزاعا ، وليستد مسالك الهوى عن فكره ، ويصرف دواعي الغضب لغير الله عن المرور بذكره ، وليجعل العمل لوجه الله نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله . والله يحكم لا معقب لحكمه . إن شاء الله تعالى .

الثالث - قاضي قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة المالكية ، لقاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي المقدم ذكره ، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله ، وناط أحكامه الشرعية بمن أقرن بحميد مقالته جميل فعاله ، وخص مذهب عالم المدينة بنجر حاكم ما جرى حديثه

الحسن يوماً إلا وكان معدوداً من رجاله ، وعدق النظر في أحكامه بأجل عالم لو طلب له في الفضل مثل لعجز الزمان أن يأتي بمثاله .

نحمده على أن أخلف من النبعة الزكية صنواً زاكياً ، وأدال من الأخ الصالح أخاً للعلوم شافياً ، ولمنصبه العليّ والله الحمد وإفياً . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مجرد سيف الحق على كل مبطل معاند ، ومرهف حده القاضى لكل ملحد عن سوا السبيل حائد ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي فاق الأنام بفضله وعم البرية بعدله ، وسد باب التوبة على متنقسه فلم تكن لتقبل توبة مثله ، وكان إلى مالك مصيره فلا جرم قضى بإهدار دمه وتحتم قتله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ذبوا عن حمى الدين وذادوا ، وسلكوا سبيل المعدلة إذ حكموا فما ضلوا عن سنن الطريق ولا حادوا ، صلاة تبقى بقاء الدهور ، ولا تزول بهجة جمالها بتوالى الأعوام والشهور ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى ما قصر عليه النظر ، وأستغرقت فيه الفكر وعرا العيون فيه السهر ، وصيرت إليه الهمم ، ورغبت في البراءة من تخلفه الذم - النظر في أمر منصب الشرع الشريف الذى يأوى الملهوف إلى ظله ، ويلجأ المستجير إلى عدله ، ويتعلق العناة بوثيق عروته ومئين حبله ، وبرهبتة يكف الظالم عن ظلمه ، ويتصف الخصم من خصمه ، ويذعن العاصى إلى طاعته وينقاد الأبي إلى حكمه ، وإثم به الحائر في دجى الجهل فيستضى بنوره ويهتدى بنجمه ، لاسيما مذهب مالك الذى لم يزل للدين من أهل الإلحاد مثيراً ، وللقصاص من أهل العناد مبتدراً ، وبسل سيف الحق على الطغاة المتمردين مشتيراً ، ففاز من سطات برزهاب بأرفع المراتب ، وعلا رقاب الملحدين بأرهم القواضب ، وخص من

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُبْطِلِينَ عَلَى الْبَيْتِ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ، فَوَجَبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مَنْ يَنْصُ الْأَخْتِبَارَ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِخْتِبَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسُ أَنَّهُ الرَّاجِحُ وَزَنَا عِنْدَ الْإِعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنَاقِبُهُ الْبَسِيطَةَ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَنْفَدُ إِذَا نَفَدَتْ مَنَاقِبُ غَيْرِهِ الْمُرَكَّبَةُ عِنْدَ الْإِخْتِصَارِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالتَّنَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِالْأَسْتِحْقَاقِ خِصْمُهُ فَيَتَمَسَّكَ مِنْ عَدَمِ الدَّافِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى . وَيُحْكَمُ لَهُ بَعْلُو الرُّتْبَةِ مُنَاوِنُهُ فَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَتَنْقَطِعُ النَّجْوَى ، وَيَسْجَلُ لَهُ حَاسِدُهُ بِبُيُوتِ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصِحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظْرِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى ، وَتَنْفِذِ أَحْكَامِهِ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا مُخَالِفٌ ، وَتَحَذَرُ شَيْعَةُ الْبَاطِلِ سَطْوَتَهُ فَلَا يَرَى الْبَاطِلَ مُخَالَفٌ ، وَيَشْتَهَرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْمَنُ مَعَهُ الْمُسْتَضْعَفُ الْخَائِفُ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمَ الْخَائِفَ ، وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لُزُومِ الْحَقِّ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ، وَلَا يَمَيِّزُ فِي حَمْلِ الْأَعْبَاءِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الشَّاقِّ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ، وَلَا يُخَانِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَلِيلًا لْجَلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَلَمِهِ وَلَا إِذَا اسْتَطَالَتْ لَاسْتِطَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرِيه ذُو لَسَنِ لَلْسَنَةِ وَلَا يَبْلُغُ لِبَلَاغَتِهِ ، وَلَا يُخَالَفُ بَيْنَ الصَّدِيقِ الْمَلَاطِفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعِ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

ولما كان المجلس العالي القاضوي ، الكبيرى ، الإمامى ، العالى ، الصدري ،
الرئيسى ، الأوحدي ، العلامى ، الكاملى ، الفاضلى ، المنيدى ، الفريدى ، الحجى ،
القدوى ، الخاشعى ، الناسكى ، الحاكى ، الجمالى ، جمال الإسلام ، شرف الأنام ،
حاکم الحکام ، أوحده الأئمة ، مفيد الأمة ، مؤيد الملة ، معز السنة ، شمس الشريعة ،
سيف المناظرين ، لسان المتكلمين ، حاکم الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ،

أبوالمحسن «يوسف البساطى» المالكى - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات ، التى وقعت من محله الكريم موقعها ، والمقصود من هذه السمات ، التى ألفت من سيرته الفاضلة موضعها ؛ وقارع صفات هذه الذروة التى ما كان ينبغى لغيره أن يقرعها ؛ وشمس الفضل الحقيق بمثلها أن لا يتوارى جمالها بحجاب الغروب ، وفاصل مشكلات القضايا إذا أشد إشكالها وعظمت فى فصلها الخطوب ، ومتعين الولاية التى إذا كانت فى حق غيره على الإباحة كانت فى حقه على الوجوب ؛ وقد درّب الأحكام وخبرها ، وعرف على التحقيق حالها وخبرها ، وورد من مشاربها الرائقة أصفى المناهل فأحسن ورددنا وصدرها ؛ ونقست جواهر فوائده ففاقت جواهر المعادن ، وغطت محاسن فضله فضائل غيره ولا تُشكر المحاسن «يوسف» وهو «أبوالمحسن» ، فعلموه المدونة بالبيان والتحصيل كافله ، ومقدمات تنبيهاته بنتائج النوادر الحسنة متواصله ؛ وتهذيب ألفاظه المنقحة تؤذن بالتحريز ، وعيون مسائله المتواردة لا تدخل تحت حصر ولا تقدير ؛ فلوراه «مالك» لقال : ما أعظم هذه الهمة ، أو أدركه «أبن القاسم» لو فر من الشاء عليه قسمه ، أو عاصره «أبن عبدالحكم» لحكم له بأن سهمه قد أصاب الغرض وغيره أطاش الريح سهمه ؛ أو عاينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الشهباء أثنى يلحق ، أو سمع «أبن وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربانية وبمثله لم يسبق ؛ أو بلغ «أبن حبيب» خبره لأحب لقاءه . أو بصر به «سحنون» لتحقق أنه عالم المذهب ما وراءه ؛ أو استشعر بقدمه «أبن سيرين» لبشر به ، أو جاوره «أبن عوف» لعاف مجاورة غيره أو مجاوزة ضيقه . أو جالسه «أبن يونس» لتأس مجالسته ، أو حاضره «أبو الحسين بن القصار» لأشجى قلبه بحضرتة ؛ أو جازاه «القاضى عبد الوهاب» لقضى بعلو مكانته ، أو اتصل ذكره «بالمازرى» لزرى على «مازر» لبعدها عن دار إقامته ؛ أو أطن

«القاضي عياض» على تحقيقاته لأستحسن تلك المدارك، أو ناظره «أبن عبد السلام»
لسلم أنه ليس له في المناظرة نظير ولا في تدقيق البحث مشارك، أو مر به
«أبن الجلاب» بلطب فوائده إني بلاده، أو حضره «أبن الحاجب» لتحقق أنه
جامع الأمهات على أفراده .

هذا وقد حُفَّ بجلال لا عهد لأحد بمثله ، ولا طاقة لفاضل بمقاومة فضله ،
ولا يسمع الزمان بنظيره من بعده كما لم يسمع به من قبله ، فاجتمع من جمال الجلال ،
وجلال الجمال ، ما لم يكن ليدخل تحت الإمكان ، وعزز عددُهما من أعلام الأئمة
بثالثٍ ورابعٍ فقام بناء الدين من المذاهب الأربعة على أربعة أركان ، ولا عبرة
بما يذهب إليه الذاهبون من كراهة التربع تبعاً للنجمين في اعتقادهم الفاسد ، فقد
ورد أن زوايا الحوض على التربع وذلك فيه أعظم دليل وأقوم شاهد .

وكان مذهب مالك رحمه الله هو المراد من هذه الولاية بالتخصيص ،
والمجاس الجمالي المشار إليه هو المقصود بهذا التفويض بالتخصيص - أقتضى حسن
الرأى الشريف أن نوفي مرتبته السنية حقها ، ونبوي النعم مستحقها ، ونملك رقاب
المعالي مسترقها ، ونقدم على طائفة المالكية من أضحى لهم بحمالة ، ونخففهم بمن
أسمى لعزهم كمالاً ، ونفوض قضاء مذهبهم إلى من إذا جرى في ميدان حكمه قالت
محاسن قضاياه : (هكذا هكذا وإلا فلألا) . ونسند الأحكام الشرعية إلى من هو
بها أعرف ، ونقفها على من عرف أنه على الحقائق ماض وعند السنة يتوقف ،
ونعقد أمرها بمن ألف النزاهة فنكرة المطامع عند . لا
بمس أمسي نسروط الاسديجاب جامعاً ، ونقدم في ولاية هذا المنصب من شفع
له أستحقاقه وكفى بالأستحقاق شافعا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يَبْسُط لأوليائه من بساط الأُنس ما كان مَطْوِيًا ، وَيُنِيلُهُم من رغائب الآمال ما كان عنهم في سالف الأزمان مَزْوِيًا - أن يُفَوِّضَ إليه قضاءُ قُضَاةِ مذهبِ عالمِ المدينة ، وإمامِ دارِ الهجرة ، مالكِ بنِ أنسِ الأصبجى : قدس الله تعالى روحه . فليتلَّق ما فُوِّضَ إليه بأفضل تلقٍّ يليق بمثلِه ، ويتقبَّله تقبُّلاً يناسب رفعة محله ، ويتنهج بأجلِّ تفويض لم يُسمَحَ بتمنيه لآخر من قبله .

ومن أهمِّ ما نُوصِيه به ، ونوجِّه القول إليه بسببه ، تقوى الله تعالى التى هى مِلاكُ الأمرِ كله ، وقوامُ الدين من أصله ، والاشتمالُ عليها فى سرِّه وجهره والعملُ بها فى قوله وفعليه ، ثم برُّ الخلق والإحسانُ إليهم ، والتجاوُزُ عنهم إلا فيما أوجبه الشرعُ من الحقوق عليهم ، فى التقوى رضا الله وفى البرِّ رضا الخلق وناديك بجمعهما من رُتبة فاعره ، إذ لا شك أن من حصل رضا الله ورضا الخلق فقد حصل على خير الدنيا والآخرة ، ووراء ذلك قاعدةٌ فى الوصايا جامعها ، وتذكُّرٌ لذوى الذكرى نافع ، وهى أن يتأمل أحوال غيره تأمل من جعلها لنفسه مثالا ، ولنسجه منوالا ، فما استحسنه منها أتى مثله ، وما استقبحه تجنب فعله ، ووفقا فى ذلك عند ما وردت به الشريعة المطهرة بنص صريح أو تأويل صحيح ، معرضا عن العقليات المحضة فلا مجال للعقل فى تحسين ولا تقييح .

وأما أدبُ القضاءِ الجارى ذكرُ مثله فى العهود ، والنظرُ فى أمرِ الثوابِ وكُتابِ الحكمِ والشهود ، فهو به أدربُّ وأدرى ، وبمعرفة ذلك لهم وعليهم أحقُّ وأحرى ؛ فإن ذلك لمادة القلق فيها أحسم ، ومن تبعاتها فى الدارين أسلم ، والوصايا كثيرة

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تؤخذ وإليه تُعاد؛ والله تعالى يتولاه، ويحوطه فيما
ولاه، ويُديم عليه هذه النعمة فما فوق منصبه منصبٌ يتمناه، والاعتمادُ ... (١) ...
إن شاء الله تعالى .

وكتب لست إن بقين من شهر رجب الفرد عام أربع وثمانمائة، حسب
المرسوم الشريف، بمقتضى الخط الشريف .



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق، من إنشاء القاضي ناصر الدين
آبن النشائي، وهي :

الحمد لله الذي جعل منار الشرع الشريف مستمرا على الدوام، وشمل منصب
الحكم العزيز للعالم بعد العالم على ممر الأيام، وأجل انتخاب من يقوم بأعباء القضايا،
ومن تدوم به مزايا السجايا، فتخير لذلك الإمام بعد الإمام، وأقبل بوجه آجتابه
على ولي نتأكد بإنصاته وإنصافه إحكام الأحكام، وعدل باعتنائه إلى تعيين من
ترفع به في العلوم أعلام الإعلام، ومن يتأيد به الحق في كل نقض وإبرام .

نحمده على نعمه الوافرة الأقسام، السافرة [اللثام] عن وجوه الزيادة الوسام،
ونشكره على مننه الحسام، ومواهبه التي لا تبرح ثغور إحسانها لنوى الاستحقاق
واضحة الأبتسام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كفيلة بالمرام، منيلة للإكرام،
جميلة التلغظ والإلتزام، جريلة الكنف والإعتصام؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
الذي أقام الله به شعائر الإسلام، وأظهر شرائع الدين الحنيف بحسام نصره الحسام،

(١) أى إلى آخر ما يكتب في مثله، وحذفه من باب الاختصار .

وأورث من أهله من أمته كنوز العلوم التي لا تنفد فوائدها مع كثرة الإنفاق مدى السنين والأعوام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هدوا المؤمنين بإلهام الكلام، وعدوا على المشركين بسهام الكلام، وأبدوا من إرشادهم إلى خفايا القضايا ما يظهر بتهديبهم ظهور بذر التمام، صلاة دائمة باقية تُجزل لقائلها الأجر التام، وترسل إليه سحاب المواهب هائلة الغمام، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من تذهب به مذهبه، وتحل به محل الشرع الشريف ومنصبه، وأثار بنور إرشاده ليل الشك وغيبه، وسهل بتقريبه على فهم الطالب مطلبه، وهى به وإبل العلم وصيبه، وأتيح به لاستفيد كثر الفوائد التي يدنو بها أربه، وشيم من برق شيمه بالشام ما وجد في الجود صادق وفقد خلبه - من علا في العلوم نسبه، وتأكد في الدين سببه، وشيد مبنى المعالي معربه، وصقل مرآيا الأفهام مهديه، وزاحم منكب الجوزاء في ارتفاع القدر منكب، وجمل مواكب المباحث في الأصول والفروع موكبه، وسحت بدقائق الحقائق سحبه، وأشتاق إلى قربه موطن الحكم العزيز فما زال يرتقبه، وأرتاح الزمان إلى عفاه وإنصافه فأرشد حيث نختاره لذلك ونتخبه .

(١) ولما كان المجلس العالى أيد الله أحكامه هو الذى أرشد الطالبين
(٢) فى البداية، وأفاد المتبين درجات النهايه، وأفهم المستفدين صواب الهدايه،
وغدا سابقا [فى] حلبة العلماء إلى أقصى غايه. كم قرب إلى الأذهان تامض المشكل
وأوضح مفهومه، وكم أشاع فرائد فوائده التي طبق الأرض بها علومه، وكم أباح لقط
ألفاظه المشحونه بالحكم فتحل الناس بدورها المنثورة والمنظومه، مع ماله من دين

(١) يياض بالأصل متروك لكلمة الألقاب المعلومة كالأميرى الكبيرى الخ .

(٢) فى المصباح ما نصه : "والبدايه بالياء مكان الهمز عاى نص عليه ابن برى وجماعة" .

متين ، وأستحقاق للتقدم ميين ، وصلاحي بلغ به درجات المتقين المرتقين ، وآتباع
لسن الحق في الحكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يُقرن
منصب القضاء بحاله ، وأن يعوّض عن إمامه المفقود بإمامه الموجود ليستمر
الأمر على حاله .

فذلك رُسم ... - لا زالت أئمة العلم الشريف في أيامه يخلف بعضهم بعضا ،
وأقدارهم تدوم رفعتها مدى المدد فلا تجد نقضا ولا تقضا - أن يفوض ... (١)

فليأشر ذلك بعلمه المأثور، وحكمه المشهور، وإنصافه الذي يعدل فيه، وأنصافه
بالحق الذي ما برح يوفيه ، قاضيا بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مراقبا
لخشية الله على عادته ، مديعا للملّة الخفيفة أنواع إفادته ، قاطعا بنصل نصه مشكل
الإلباس ، جامعا في أحكامه المسددة بمقتضى مذهبه بين الكتاب والسنة والقياس .
والوصايا كثيرة وملاكها التقوى وهي مادته ، وطريقه المستقيم وجادته ، وما زالت
عمدته التي يعتمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ، والله تعالى يجمل
الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مراده ومرامه ، إن شاء الله
تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضا، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين
البساطي المذكور عند عودته إلى الوظيفة، لأربع بقين من ذى القعدة سنة
سبع وثمانمائة . وقد وافق عودته عود شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البلقيني
إلى قضاء قضاة الشافعية أيضا، وهي :

(١) بياض في الأصل والمراد واضح مما تقدم .

الحمد لله الذى أعاد لرتبة القضاء رونق « جمالها » وأسعد جدّها بأسعد قرآن
 ظهرت آثاره بمنه بما آثرته من ظهور « جلالها » ، وأجاب سؤالها بأجل حاكم
 لم تعدل عنه يوما فى سؤالها ، وأسعد طلبتها بأكل كفى لم تنفك عن خطبته وإن
 أطلال فى مطالها ، وأكرم مآبها بأكرم كاف مافاتا منال ماض إلا أدركته به
 فى مآلها .

نحمده على أن أعطيت القوس باريها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى مجاريها ،
 وردت الشاردة إلى مالك ألفت منه بالآخرة ما ألفت من خيره فى مبادئها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يخفق بالإخلاص منأطها ،
 ويزداد مع طول الأمد نشاطها ، ولا ينطوى على ممر الأيام - إن شاء الله تعالى -
 بساطها . ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رفع قواعد الدين وشاد ،
 وقام فى الله حق القيام فحسم بسيف الشرع مادة الفساد ، وأحكم بسد الذرائع
 سدّ الأمور بخرت أحكام شريعته المطهرة على السداد ، صلى الله عليه وعلى آله
 وصحبه الذين استنشق من معدلتهم أطيب عرف ، وخصوا من صفات الكمال بأحسن
 حلية وأكل وصف ، صلاة توهى عمرا الإلحاد ، وتفصمها ، وتبك أعناق أهل
 العناد ، وتفصمها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فلاخفاء فى أن الأبصار تشوف لرؤية الهلال مع قرب الغيبة للأخذ منه
 بنصيبها ، والشمس يترقب طلوعها فى كل يوم وإن قرب زمان مغيبها ، والمسافر
 يسر بإيابه وإن تكرر قدومه من بعيد المسافة وقربها ، والسهران يتطلع من ليلته
 الطويلة إلى طلوع فجرها ، والمناصب السنية تارز إلى مستحقها كما تارز الحية
 إلى بخرها .

ولما كان المجلسُ العالی، القاضوی، (إلى آخر القابه) أعزَّ الله تعالى أحكامه هو الذي حُمدت في القضاء آثاره، وسارت بحسن السيرة في الآفاق أخباره، وحسن بحسن تأتیه في الورد والصدور إرادته وإصداره، وتنافس في جميل وصفه الطرس والقلم، وظهرت فضائله (ظهور نار القری لیلًا علی علم)؛ ونشرت الأيام من علومه ما تطوى إليه المراحل، وجادت مواطر فكره بما يُحصب به جناب المربع الساحل؛ وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهدته، وجرت بقضايا الخير في البدء والعود عوائدُه؛ ونفذت بنفاد أوامره في الوجود أحكامه، ورقيم في صحائف الأيام على توالي الدهور نقضه وإبرامه؛ وسجل بثبوت أحقيته فانقطعت دون بلوغ شأوه الأطماع، وحكم بموجب فضله فانهقد على صحة تقدمه الإجماع؛ ففرائد فوائده المدونة تؤذن بالبيان والتحصيل، ومقدمات تنبيهاته المحققة، تكفي نتائج إفضالها عن الإجمال والتفصيل؛ وجواهر ألفاظه الرائقة، نعم الذخيرة التي تُقنى، ومدارك معانيه الفائقة، حسبك من ثمرة فكر تجتني؛ وتهذيب إراداته الواضحة تُغنى في إدراكها عن الوسائل، وتحقيق مسائله الدقيقة تُحقق فيها أيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية في رفيع رتبته، ووافر حرمتها، قد ألفت إليه مقاليدها، ورفعت بالانتماء إلى مجلسه العالی أسانيدَها، وعرفت محله الرفيع فتعلقت منه بأعز منال، وحظيت بجماله اليوسفي المرة بعد الأخرى فقالت: لا براح لي عن هذا الجمال؛ وعجمت بتكرار العود عوده فأعرضت عن السوى،

«فألفت عصاها وأستقر بها النوى» - أقتضى حسن الرأي الشريف أن نعيد الوظيفة المذكورة إليه، ونقول في اسحساب

على ما لديه، إقراراً للأمر في نصابه، ورداً له بعد الشراد إلى مثابه، وإسعافاً للمنبص بطليته وإن أتعب غيره نفسه في طلايه.

فأذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُبدى المعروف ويُعيدُه ، ويوفّر نصيب الأولياء ويزيده - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه قضاء القضاة بمذهب عالم المدينة وإمام دار الهجرة «مَالِكِ بْنِ أَنَسِ الْأَصْبَحِيِّ» رضى الله عنه ، على جارى عادته المتقدمة فى ذلك . وأن يُضاف إليه تدريس قبة الصالح والأنظار الشاهد بها توقيعه الشريف ، وأن لا يقرّر أحدٌ فى دروس المالكية من مدرّس ومعيد إلا بتعيينه ، على أتم العوائد وأجملها ، وأعم القواعد وأكملها .

فليعد إلى رُتبته السنية برفع قدره وعلى همته ، ويقابل إحساننا بالشكر نُحْفَه بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على رُتبته . ثم أول ما نُوصيه به ، ونؤكد القول عليه بسببه ، تقوى الله التى هى ملاك الأمور كلها ، وأولى المفترضات فى عقد الأمور وحلّها ، فهى العِصمة التى من لجأ إليها نجأ ، والوقاية التى ليس لمن حاد عنها من لحاق قوارع الله مُلتجأ . ونُتبع ذلك بالتلويح إلى الاحتياط فى المسائل التى تفرّد بها مذهب الشريف ضيقا وسعة ، وأختص بها إمامه الأصبحى دون غيره من الأئمة الأربعة ، وهى مسائل قليلة ، آثارها فى الورى كثيرة جليله ، منها سَفْكُ دِمِ الْمُتَقِصِّ والسَابِّ ، وتَحَمُّ قِتْلِهِ عَلَى الْبَتِّ وإن تاب ، فعليه أن يأخذ فى ذلك بالإهتمام ، ولا يُعطى رُخصة فى حق أحدٍ من الأنبياء والملائكة عليهم السلام ، ليكون ذلك وسيلة إلى الخلوص عن القذى ، وذريعة إلى سلامة الشرف الرفيع من الأذى ، إلا أنا نُصيه الترسُّ - ن الله - . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات قايه لا يمكن تداركه بعد أن يفوت . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات من كُتِبَ الأوقاف والأملك ، وتقريب ماشط فلا يقبل فيه إلا اليقظ الواقف مع تحقّقه دون حدسه ، ولا يطلق عنان الشهود فإن الكاتب ربما أشتبّه عليه خط

نفسه - ومنها : ثبوت الولاية للأوصياء، فيجربها على اعتقاده، ولكن إذا ظهرت المصلحة في ذلك على وفق مراده - ومنها : إسقاط غلة الوقف إذا استرد بعد بيعه مدة بقائه في يد المشتري، تحذيرا من الإقدام على بيع الوقف وعقوبة رادعة لبائعه المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الأفراد، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لموافقة الاعتقاد، فيمضى الحكم فيه بأقوى العزائم، ويلزم فيها بما استبان له من الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى أدب القضاء فلديه منها الخبر والخبر، ومنه تستمل فوصيته بها كتنقل الثمر إلى هجر، والله تعالى يعامله بلطفه الجميل، ويحفه بالعناية الشاملة في المقام والرحيل، إن شاء الله تعالى، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة، وهي :

الحمد لله الذي أطلع في أفق الدين القيم شمساً منيره، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره، وقلد أمور الأمة بمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم إمامه الذي أدخر منه للحكم في أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره، وقضى بإرجاء أمره لنختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة، وتوالت عليه المنن الكثيرة في المدد اليسيره، وأخصبت في أيامه رياض الفضائل فهي بكل عالم عدم النظر نصيره،

(١) تقدمت في تقليد حنفي بأطول من هذا ويبيض تغيير .

وَأَفْتَحَ دَوْلَتَهُ بِرَفْعِ مَنَارِ الْعَدْلِ فَأَمَالَ أَهْلَ الظُّلْمِ عَنْ تَعَاطِيهِ قَاصِرَةً وَأَيْدِي أَهْلِ الْبَاطِلِ
عَنِ الْإِمْتِدَادِ إِلَيْهِ قَاصِرَةً ، وَخَصَّ الْمَنَاصِبَ فِي مَمَالِكِهِ بِالْأَكْفَاءِ فَإِذَا تَلَبَّسَتْ بِهَا
هَيْمٌ غَيْرُهُمْ عَادَتْ خَاسِئَةً أَوْ أَمْتَدَّتْ إِلَيْهَا أَبْصَارُ مَنْ ذُوْنَهُمْ رَجَعَتْ حَسِيرَةً .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُصْلِحُ الْعَالَمِينَ وَالسَّرِيرَةَ ،
وَتُصْلِحُ بِهَا الْقُلُوبُ مُوقِنَةً وَاللِّسُنَ نَاطِقَةً وَالْأَصَابِعُ مُشِيرَةً . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرِّسَالَ مَخْبِرَةً وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ بِمَبْعَثِهِ بَشِيرَةً ، وَاجْتَبَاهُ فِي خَيْرِ
أُمَّةٍ مِنْ أَكْرَمِ أَرْوَامِهِ وَأَشْرَفِ عَشِيرَتِهِ ، وَأَظْهَرَ أَوَارِمَتَهُ إِلَّا مَنْ أَعْمَى الْغِيَّ بِصِيرَتِهِ
وَهَلْ تَنْفَعُ الْعُمَى شَمْسُ الظَّهِيرَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَتَقَرَّبُ
بِدَوَامِهَا إِلَى اللَّهِ فَيُضَاعِفُهَا لَنَا أضعافًا كَثِيرَةً ، وَسَلَامًا تَسْلِيْمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى الْأُمُورِ بِأَنْ تُشَادَّ قَوَاعِدُهُ ، وَتُتَعَهَّدَ مَعَاهِدُهُ ، وَيُعْلَى مَنَارُهُ ،
وَتُفَاضَ بِطُلُوعِ شَمْسِهِ أَنْوَارُهُ ، وَتُكْمَلَ بِهِ قُوَى الدِّينِ تَكْمَلَةَ الْأَجْسَادِ بِقُوَى الطَّبَائِعِ
الْأَرْبَعِ ، وَتُعَمَّرَ بِهِ رُبُوعُ الْمَلَّةِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مِنْ مَصِيفِ مِلَّةٍ وَلَا مَرْجِعِ ، وَتُثَبَّتَ
بِهِ قَوَائِمُ الشَّرْعِ الَّتِي مَا لِلْبَاطِلِ فِي إِمَالَتِ بَعْضِهَا مِنْ مَطْمَعٍ ، أَمْرُ الْقَضَاءِ عَلَى مَذْهَبِ
الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ « أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ قَدْ خَلَا بِانْتِقَالِ مَبَاشِرِهِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَوَقَّفَ مَدَّةً عَلَى آرْتِيَادِ الْأَكْفَاءِ ، وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُ
الْأَصْطِفَاءِ ، وَاخْتِيَارِ مَنْ تَكْمَلُ بِهِ رِفْعَةُ قَدْرِهِ ، وَيُعِيدُ لِدَسْتِهِ عَلَى سِلَاطِ سُلَيْمَانِهِ
بِهَجَّةٍ صَدْرَهُ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّثْبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسَ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبُ
لِبُكُوعِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بَوَادِرُ اسْتِحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفَ عَلَى
الْأئِمَّةِ مِنْ أَصْحَابِ إِمَامِهِ . وَإِنْ تَأَخَّرَ زَمَانُهُ - عَطَفَ النَّسَقِ ، وَهُوَ الَّذِي مَا زَالَ

يَعْدِلُ دَمَ الشَّهَدَاءِ مِدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أُجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ
 خُطُوَاتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ
 حُصِرَ بِأَيْمَانًا ، وَهَجَرَ الْمَضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجْمَاتُهُ لِقَلَمًا ،
 وَهَجَّرَ فِي إِحْرَازِ الْفَضَائِلِ فَقَيَّدَ أَوَائِدَهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ، وَبَلَغَ فِي إِحْرَازِ الْمَعَانِي
 فِغَاصِ عَلَى جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَزَارَ نَحَائِلَ
 الْفَضَائِلِ [فَاسْتَوَى] عَلَى أَزَاهِرِهَا ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ،
 وَجَارَى أَسْمَاءَ عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ
 الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةً لِأَفْرَاضِ عَيْنٍ ، وَقَدَّمَهُ التَّرْجِيحُ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هَمَزَةً
 اسْتِفْهَامٍ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ بَيْنٍ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفِ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ،
 وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . فَلِيَتَوَلَّى هَذِهِ الرُّتْبَةَ الَّتِي أَصْبَحَ فِيهَا
 عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَائِبًا وَبَشْرَةً قَائِمًا ، وَيَتَقَلَّدُهَا تَقَلُّدًا مَنْ يَعْلَمُ
 أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدِّمًا وَعَلَى اللَّهِ قَادِمًا ، وَيَتَثَبَّتُ تَثَبُّتًا مَنْ يَعْتَصِمُ
 بِحُكْمِ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ فَإِنَّ أَحَدَ الْخَصْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ الْحَنُّ بِحُجَّتِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا ،
 وَيَلْبَسُ لِهَذَا الْمَنْصِبِ حُلَّةً تَمْنَعُ الْمَبْطِلَ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتُدْفَعُ الظَّالِمَ عَنِ التَّطَاوُلِ
 إِلَى أَمْرِ نَزَعِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مِنْ يَدَيْهِ ، وَيُؤَمِّنُ الْحَقَّ مِنْ أَمْتِدَادِ يَدِ الْجَوْرِ وَالْحَيْفِ
 إِلَيْهِ ، وَلِيُسَوِّيَ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ فِي مَجْلِسِهِ وَلِحِظِهِ ، وَيَعْدِلَ بَيْنَهُمَا فِي إِنْصَاتِهِ وَلِفِظِهِ :
 لِيَعْلَمَ ذُو الْجَاهِ أَنَّهُ مَسَاوِيٌّ فِي الْحَقِّ لَخَصْمِهِ ، مَكْفُوفٌ بِاسْتِمَاعِ حُجَّتِهِ عَنِ الطَّمَعِ
 فِي ظُلْمِهِ ، وَلَا يَنْقُضُ حُكْمًا لِيُخَالِفَ نَصًّا وَلَا سُنَّةً وَلَا إِجْمَاعًا ، وَلِيُشَارِكُ فِيهَا لَا يَجْهَلُهُ
 مِنَ الْقَضَايَا غَيْرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِيَتَرَدَّدَ بِذَلِكَ مَعَ إِطْلَاعِهِ أَطْلَاعًا ، وَلِيُغْتَنِمَ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِعَانَةَ

بآرائهم : فإن الله تعالى لا ينتزع هذا العلم انتزاعاً ، وليس مسالك الهوى عن فكره ،
ويصرف دواعى الغضب لغير الله عن المرور بذكره ، وليجعل العمل لوجه الله
نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) .



وهذه نسخة وصية أوردها في " التعريف " تشمل القضاة الأربعة ، قال :
وصية جامعة [لقاض] ^(١) من أى مذهب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكاياء ، ولا يكون
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، ومتولى الأحكام الشرعية بها
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم علمه ، كذلك ورث حكمه ، وقد أصبح بيده
زمام الأحكام ، وفصل القضاء الذى يعرض [بعضه] ^(١) بعده على غيره من الحكام ،
وما منهم إلا من ينقد نقد الصيرفي ، وينفذ حكمه نفاذ المشرفي ، فليتروا فى أحكامه
[قبل إمضاها ، وفى المحاكمات إليه] ^(١) قبل فصل قضائها ، وليراجع الأمر مرة بعد
مرة حتى يزول عنه الالتباس ، ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ، وما أشكل عليه بعد ذلك فليجأ ظلمه
بالاستخاره ، وليجأ مشكاه بالاستشارة ، ولا يرتقضا عليه إذا استشار فقد أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ومر من أول السلف من جعلها بينه وبين
خطا الاجتهاد سورا ، فقد يئسح للمرء ما عيا غيره وقد أكثر فيه الدأب ، ويتفطن
الصغير لما لم يفتن إليه الكبير كما فطن ابن عمر رضى الله عنهما للنخلة [و] . مأمته
أن يتكلم إلا صغرسنه ولزوما مع من هو أكبر منه للأدب ، ثم إذا وضع له الحق

(١) الزائد من " التعريف " ص ١١٦ .

قضى به لمستحقه ، وسجل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه ، وحكم له به حكماً يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بخير إذا بى وبقي الدهر ما كتبت يده . وليس بين الخصوم حتى في تقسيم النظر ، وليجعل كل عمله على الحق فيما أباح وما حظر ، وليجد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، وليتحرر في استيداء الشهادات قرب قاض ذبح بغير سكين وشاهد قتل بغير سيف ، ولا يقبل منهم إلا من عرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له . وغير هؤلاء ممن لم تجر له بالشهادة عادة ، ولا تصدى للأرتاق بسحتها ومات وهو حى على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، قرب عدل بين منطقة وسيف وفاسق في فرجية وعمامة . ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرأ بالشبهات ويبقى العار . وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ، ويقلد شهاداتهم على كل أمر عظيم ، فلا يعول منهم إلا على كل رب مال عارف لا تخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الحدس وقد صقل التجريب مرآة فهمه على طول القدم . ولينان في ذلك كله أناة لا تفضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة التي تفضى إلى ملل من استحق . وليمهد لرسمه ، ولا يتعلل بأن القاضى أسير الشهود وهو كذلك وإنما يسعى لخلاص نفسه . والوكلاء هم البلاء المبرم ، والشياطين المسؤولون لمن توكلوا له الباطل ليقتضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ، فليكنف بمهاتته وساوس أفكارهم ، ومساوى بخارهم ، ولا يدع لمجنى أحد منهم ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يدأعتداء تمتد إلا مغلولة إلى عنقه أو مقطوعة . وليطهر بابه من دنس الرسل الذين يمشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ود لو حصل في يده ووقع في نار الحريق ، وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمّاه وهو لا يُحصى ، ومنها النظر في أمور أوقاف أهل مذهبه نظر العموم ، فليُمرّها بجميل نظره فربّ نظريّة أُنفع من مواقع الغيوم ، وليأخذ بقلوب طائفته الذين خُصّ من بينهم بالتقديم ، وتفاوت بُعد ما بينه وبينهم حتى صار يُزيلُ عارض الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو جراحه منه التكليم . وهذه الوصايا إنما ذُكرت على سبيل الذّكرى ، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليناه والحمد لله شكراً ، وقد جعلنا له أن يستنيب من يكون بمثل أوصافه أو قريباً من هذه المثابه ، ومن يرضى له أن يحمل عنه الكلّ ويتأسمه ثوابه ، وتقوى الله تعالى هي جماع الخير ولا سماً لصاحب هذه الوظيفة ، ولن وليها أصلاً وفرغاً لا يستغنى عنها ربّ حكم مطلق التصرف ولا خليفه .

ويُزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس ، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيثُ نجلس ، وأنه ذو الطّيلسان^(١) الذى يخضع له ربّ كلّ سيف ويؤيس ، وليتحقّق أنه إنما رفعه علمه وتّقاه ، وأنّ سبب دينه لادّنياه هو الذى رقّاه ، فليقدر حقّ هذه النعم ، وليقف عند حدّ منصبه الذى يودّ لو اشترى سواد مِداده بجمهر النعم .

ويقال فى وصيته : وأمر دعاوى بيت المال المعمور ، ومحاكماته التى فيها حقّ كل فردٍ فرد من الجمهور ، فليحترز فى قضاياها غاية الاحتراز ، وليعمل بما يقتضيه لها الحقّ من الصّيانة والإحراز ، ولا يقبل فيها كلّ بينة للوكيل عن المسلمين فيها مدّفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضرّ عند الله فإنها ما تنفع ، وله حقوق فلا يجِدُ من يسعى فى تملك شيء منها بالباطل منه إلا الياس ، ولا يلتفت إلى من رخص لنفسه وقال : (هو مثل السلطان) فإنّه مالنا فيه إلا ما لواحدٍ من الناس .

(١) ذكر فى "القاموس" أن لام "طيلسان" مثنة .

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات ، وقد مات
 آبؤهم ومنهم صغار لا يهتدون إلى غير الثدى للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات ،
 فليأمر المتحدثين لهم بالإحسان إليهم ، وليعرفهم بأنهم سيجزون في بينهم بمثل
 ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم ، وليحذر منهم من لا ولد له :
 ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ﴾ . وليتصص عليهم
 في مثل ذلك أبناء من سلف تذكيرا ، وليتل عليهم القرآن ويذكّرهم بقوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .
 والصدقات الموكولة إلى تصريف قلمه ، المأكولة بعدم أمانة المباشرين وهي
 في ذممه ، يبتغى لإجرائها على السداد في صرفها في وجود استحقاقها ، والعمل بما
 لا يجب سواد في أخذها وإنفاقها . والمسائل التي تنرد بها مذهبها وترجح عندها
 العمل . وأعد عنها الجواب لله إذا سأل ، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نص
 مذهب إمامه أوعليه أكثر الأصحاب . وروا قد حكم به أهل العلم من تقدمه لرُجحانه
 عنده ولا استصحاب . وتواب البر لا يقدر منهم ، لا من تحقق استحقاقه ، فإنه إنما
 يوليه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشد فقه ، هذا إلى ما يتعرف
 من ديانتهم ومن عفافهم الذى يتجرع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به
 يتحلى ، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقلبة لا يعرف الرجل ما هو
 حتى يتولى .

ويزاد الحنفى :

وليعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه ، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه ،
 وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب ، ومسائل ما لحقه فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يُعَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبُ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَرْوِيحُ الصَّغَائِرِ ، وَتَحْصِينُهُنَّ بِالْأَكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِنَ مِنَ الْكِبَائِرِ ؛ وَشَفْعَةُ الْجَوَارِ الثِّقَاتِ لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رَأْيِهِمْ لَمَّا أَمِنَ جَارُ السُّبُوءِ عَلَى رَغْمِ الْأَنْوْفِ ، وَلَأَقَامَ الرَّجُلُ الدَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَخُوفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمَعْتَدَةِ الَّتِي هِيَ فِي أَسْرِ مَنْ طَلَّقَهَا وَإِنْ بَنَتْ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِيَ بِالَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَرَوَّجَ مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ آسَدَانًا مَالًا فَأَكَلَهُ وَأَدْعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ بَيْنَهُ أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَبْسَ وَلَا أَرْهَقَ مِنْ أَمْرِهِ الْأَعْسَارَ ، وَأَهْلَ مَذْهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَجَّنُ وَيَمُكُّ مُدَّةً ، ثُمَّ إِذَا أَدْعَى أَنْ لَهُ بَيْنَهُ أَحْضَرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ أَوْلًا . فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا فِيهِ عَمُومٌ صِلَاحٌ ، وَعَظِيمٌ نَفْعٌ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ؛ فَلْيَقْضِ فِي هَذَا كُلَّهُ إِذَا رَأَاهُ بِمَقْتَضَى مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْأَرَاءِ وَسِوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبِي حَنِيفَةَ وَشُهِبِهِ ؛ وَيُحْسِنُ إِلَى فُقَهَاءِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أُذْنِي إِلَيْهِ أَكْثَرَهُمُ الْإِعْتِرَابَ ، وَحَلَّقَ بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِرُ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحْتَلِقُ الْبَازِي وَجَنَاحُ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ تَرَكَوْا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّامِ ، وَالْأَمْدَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُدَّتْ الْحَقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

ومذهبه له السيف المصلت على من كفر، والمذهب بدم من طل دمه وحصل به الظفر؛ ومن عدا قدره الوضع، وتعرض إلى أنبياء الله صلوات الله عليهم بالقول الشنيع؛ فإنه إنما يقتل بسيفه المجرد، ويراق دمه تعزيرا بقوله الذي به تفرد؛ ولم يزل سيف مذهبهم بارز الصفحه، مسلما لهم إلى مالك خازن النار من مذهب مالك الذي ما فيه فسحة؛ وفي هذا ما يصرح غدر الدين من القدي، وما لم تطل دماء

هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما نوصيه بالتحري في الثبوت ،
 [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت،^(١)] وإنما هو رجلٌ يحيا أو يموت ، فليتمهل
 قبل بتّ القضاء ، وليعذر إليهم لاحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بفضاء ؛ حتى
 لا يعجل تلافياً ، ولا يعجل بما لا يتلافى ، فكما أننا نوصيه أن لا ينقض في شدّ الوثاق
 عليهم إبراما ، فهكذا نوصيه أن لا يصيب بغير حقه دماً حراماً ؛ وكذلك قبول الشهادة
 على الخط ، وإحياء مامات من الكتب وإدناء ماشط ؛ فهذا مما فيه فسحة للناس ،
 وراحةٌ ما فيها باس ؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال ، لا للترع يد ولا إلزام
 مجردا بمال ؛ وهكذا ما يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرّد به هو دون البقية ، وفيه
 مصلحة وإلا فما معنى الوصية ؛ وهو زيادة احتراز ما تضرّ مراعاة مثلها في الأمور
 الشرعية ؛ وسوى هذا مثل إسقاط الربيع في وقف آسرد وقد بيع ، وعطل المشتري
 من التكسب بذلك المال مدة لا يشتري ولا يبيع ؛ وهذا مما يبتّ قضاءه في مثله ،
 ويجعل عقاب من أقدم على بيع الوقف إجماله مدة البيع من مغلّه ؛ وسوى ذلك
 مما عليه العمل ، ومما إذا قال فيه قال بحق وإذا حكم عدل . وفقهاء مذهبه في هذه
 البلاد قليل ما هم ، وهم غرباء فليحسن ما وأهم ، وليكرم بكرمه مثوالم ؛ وليستقر بهم
 النوى في كنفه فقد ملأوا طول الدرب ، ومعاناة السفر الذي هو أشدّ الحرب ،
 ولينسهم أوطانهم بيرة ولا يدع في مآقيهم دمعا يفيض على الغرب .

ويُزاد الحنبلي :

والمهمّ المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشناعة ، وما رموا به
 من الأقوال التي نتركها لما فيها من البشاعة ؛ ونكتفى به في تغطية آثارها ، وإماطة

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٢١ .

أذاها عن طريق مذهبه لتأمن السالكة عليه من عثارها، فتعالى الله أن يعرف بكيف، أو يجاوب السائل عنه بهذا إلا بالسيف، والآنضمام إلى الجماعة والحذر من الأفراد، وإقرار آيات الصفات على ما جاءت عليه من الاعتقاد، وأن الظاهر غير المراد، والخروج بهم إلى النور من الظلماء، وتأويل مالا بُد من تأويله مثل حديث الأئمة التي سُئِلت عن ربها: أين هو فقالت في السماء، وإلا ففى البلية بإثبات الجهة ما فيها من الكوارث، ويلزم منها الحدوث والله سبحانه وتعالى قديم ليس بحادث ولا محلاً للحوادث، وكذلك القول فى القرآن ونحوه نُحذَرُ من تكلم فيه بصوت أو حرف، فما جزاء من قال بالصوت إلا سوط وبالطرف إلا حتف، ثم بعد هذا الذى يزعج به الجهال، ويرد دون غايته الفكر الجزال، ينظر فى أمور مذهبه ويعمل بكل ما صح نقله عن إمامه وأصحابه: من كان منهم فى زمانه ومن تخلف عن أيامه، فقد كان رحمه الله إماماً حقاً نهض وقد قعد الناس بملك المدد، وقوم نوبة المحنة مقام سيد تيم - رضى الله عنه - نوبة الرد، ولم تهب به زعزع المريسي وقد هبت مريسا، ولا ابن أبي دؤاد وقد جمع له كل ذود وساق إليه من كل قطر عيسا، ولا نكت عهدته ما قدم له المأمون فى وصية أخيه من الموائق. [ولا روعه سوط المعتصم وقد صب عليه عذابه ولا سين الموائق].

فليقف على أثره، وليقف بمسنده [على مذهبه] كله أو أكثره، وليقض بمفرداته وما اختاره أصحابه الأخيار، وليقلدهم إذا لم تختلف عليه الأخبار، وليحترز لدينه فى بيع ما دثر من الأوقاف وصرف ثمنه فى مثله، والاستبدال بما فيه المصلحة لأهله، والفسخ على من غاب مدة يسوغ فى مثلها الفسخ، وترك زوجة لم يترك لها

(١) الزيادة من «التعريف» (ص ١٢٢).

نفقة وخلاها وهي مع بقائها في زوجيته كالمعلقة ، وإطلاق سراحها لتتزوج بعد ثبوت الفسخ بشروطه التي يبقى حكمها به حكم المطلقه ، وفيما يمنع مضارة الجار ، وما يتفرع على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وأمر وقف الإنسان على نفسه وإن رآه سوى أهل مذهبه ، وطلعت به أهلة علماء لولاهم لما جلا الزمان جرح غيبه ، وكذلك الجوائح التي يخفف بها عن الضعفاء وإن كان لا يرى بها الإلزام ، ولا تجرى لديه إلا مجرى المصلحة بدليل الإلزام ، وكذلك المعاملة التي لولا الرخصة عندهم فيها لمبا كل أكثر الناس إلا الحرام المحض ، ولا أخذ قسم الغلال والمعامل هو الذي يزرع البذور ويحرث الأرض ، وغير ذلك مما هو من مفرداته التي هي للرفق جامعته ، وللرايا في أكثر معاشهم وأسبابهم نافع ، فإذا استقرت الفروع كانت الأصول لها جامعته . وقتباء مذهبهم هم الفقهاء لقلة المحصول وضعف الأوقاف ، وهم على الرقة كالرياح المعتدة للثفاف ، نخذ بخواطرهم ، ومد أمالهم في غائب وقتهم وحاضرهم ، وأشملهم بالإحسان الذي يرغبهم ، ويقل به طلبهم لوجوه الفنى ويكثر طلبهم .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب النواقيع ، وتشتمل على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما كان يكتب فى النصف بـ «المجلس العالى» كما كان يكتب

للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تقدم)

المرتبة الثانية

(ما يكتب فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء)

وأعلم أن الأصل فيما يكتب من النواقيع أن يفتح بـ «أما بعد» إلا أن الكُتاب تسامحوا فيه فافتتحوا لمن علّت رتبته حيث أقتضى الحال الكتابة له فى الثلث بـ «الحمد لله» ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الأفتاح بـ «أما بعد» وهأنا أورد ما سنع من ذلك مما أنشأه الكُتاب فى ذلك من الأفتاحين جميعاً . ويشتمل على وظائف .

الوظيفة الأولى

(قضاء العسكر)

وقد تقدم فى المقالة الثانية أن موضوعها التحدث فى الأحكام فى الأسفار السلطانية وأن له مجلساً يحضره بدار العدل فى الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاء العسكر أربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :

الحمد الذي رفع للعلم الشريف في أيامنا الزاهرة منارا ، وزاد بإعلاء رتب أهله
دولتنا القاهرة رفعة ونخارا ، وزان أحكامه الشريفة بحكامه الذين طلعوا في غياهب
مشكلاته بدورا وتدققوا في إفاضته في الأحكام الشرعية بحارا .

نحمده على نعمة التي حلت فحلت ، ومنه التي أهلت الجود فاستهلت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها ذكرا ، وتعلی
للمسك بها في الملا الأعلى ذكرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو أسبق
الأنبياء رتبة وإن كان آخرهم عصرا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أضحووا
للمتدين بهم شمساً منيرة وللمهتدين بعلومهم نجوما زهرا ، صلاة لا تزال الألسن
تقيمها ، والأسماع تستدبمها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من نوهنا بذكره ، ونبها على رفعة قدره ، وأطلقنا ألسنة الأقلام
في وصف مفاخره وشكره ، وأثنا قواعد مجده التي لو رام بنان البيان استقصاءها حال
الحصر دون حصره ، ونقدنا كلم حكمه ورفقنا في أندية الفضائل ألوية فنونه وأعلام
نصره ؛ من لم يزل دم الشهداء يعيدل مداد أقلامه ، ويقيم منار الهدى أدلة فضائله
وشواهد أحكامه ، وتوضح الحق حتى يكاد المتأمل يلحظ الحكم لوضوحه ويُبصره ،
وينصر الشرع بأمداد علمه ولينصرن الله من ينصره ؛ وشيد مذهب إمامه الإمام
الفلاني فأصبح فسيح الأرجاء وإن لم يكن فيه فسحة ، وجدد قواعد العدل في قضايا
عسا كرنا المنصورة فهو مشاهد من كلمه ومن نظره في لَمحه ملحه .

ولما كان فلان هو الذي نعتنا بما تقدم من الخطاب خلانقه الحسنی ، وأثنينا
على ما هو عليه من الإقبال على جوهر العلم دون التعرض إلى العرض الأدنى ؛ مع
ما حواه من مواد فضائل تزكو على كثرة الإنفاق ، وفرائد فوائد تجلب على أيدي

الطَّلبة إلى الآفاق ، وقُوَّة في الحق ، الذى لا تأخذه فيه لومة لائم ، وعدل أحكام في الخلق ، ألدَّ من سِنَّة الكرى في جَفَن نائم - أفتضى حُسْنُ الرأى الشريف أن نوطد في عساكرنا المنصورة قواعدَ أحكامه ، ونوطن كلاً منهم على أنه تحت ما يُمضيه في أفضيته النافذة من نقضه وإبرامه .

فلذلك رَسِم بالأمر الشريف أن يفوض إليه قضاء العساكر المنصورة الشريفة : على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، وأن تُبسَّط كلمته في كل ما يتعلق بذلك من أحكام الشرع الشريف . فليحكم في ذلك كله بما أراه الله من علمه ، وآتاه من حكمه وحكمه ، وبين له من سُبُل الهدى ، وعينه لبصيرته من سنن نبيه صلى الله عليه وسلم التي من حاد عنها فقد جار وأعدى ، وليقف من الأحكام عند ما قررت الشريعة المطهرة من أحكام الله التي لا يعقلها إلا العالمون ، وبأمر كلاً من المتقاضين بالوقوف عند ما حد له : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . والوصايا وإن كثرت فمن مثله تُفاد ، وإن جلَّت فسمعه في غنى عما يُبدأ له منها ويُعاد ، وملا كُها تقوى الله تعالى التي هي شعار أنسه ، وحلية يومه وأمسه ، والله تعالى يستده في القول والعمل ، ويوقته لنا يرضاه ويصونه من الخطأ والخطل .



وهذه وصية لقاضى العسكرا، أوردها في "التعريف" وهي أن يُقال :

وهو الحاكم حيث لا تنفذ إلا أفضية السيوف ، ولا تزدحمُ الغرماء الا في مواقف الصفوف ، والماضى قلمه وكل خطى يمسد بالدماء ، والمضى سحبه وقد طوى العجاج كالكتاب سجيل السماء ، وأكثر ما يُتجأكم إليه في الغنائم التي لم تحل لأحد قبل هذه الأئمة ، وفي الشركة وما تطلب فيه القسمة ، وفي المبيعات وما يرد منها بعيب

وفي الديون المؤجلة وما يُحْكَم فيها بغيب؛ وكلُّ هذا مما لا يحتمل طول الأناة في القضاء،
 وأشتغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء؛ فليكن مستحضرا
 لهذه المسائل ليبت الحكم في وقته، ويُسارع السيف المصلت في ذلك الموقف بته،
 وليعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة، وفيهم من يكون جرحه
 تعديلا له وزيادة؛ فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيما القبول، ولا يرد منهم من
 لا يضره أن يرد هو وهو عند الله مقبول؛ وليجعل له مستقرا معروفا في المعسكر يُقصد
 فيه إذا نصبت الخيام، وموضعا يمشى فيه ليقضى فيه وهو سائر وأشهر ما كان
 على يمين الأعلام؛ ويلزم ذلك طول سفره وفي مدد المقام، ولا يخالفه ليبيهم على
 ذوى الحوائج فما هو بالصالحية بمصر ولا بالعادية بالشام، وليتخذ معه كتابا تكتب
 للناس وإلا فمن أين يوجد مركز الشهود، وليسجل لدى الحق بحقه وإلا فما آتت
 باب المحود؛ وتقوى الله هي التي بها تنصر الجنود، وما لم تكن أعلى ما يكون على
 أعلام الحرب وإلا فما الحاجة إلى نشر البنود.

الوظيفة الثانية

(إفتاء دار العدل)

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات،
 والإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل، وهي وظيفة جلية، لصاحبها
 مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معانهم.

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه «جمال الدين» ينسخ على منوالها، وهي:

الحمد لله جاعل العلم للدين جمالا، وللدنيا عصمة وثمالا، ولأسباب النجاة
 والنجاح شارة إذا تحلى بها ذو التميز كان أحسن ذوى المراتب حالا، وأجلهم

فى الدارين مبدأ ومآلا ، وأحقهم برتبة التفضيل التى ضربت لها السنة المطهرة
فضل البدر على الكواكب مثالا .

نحمده على نعمة التى خصت دار عدلنا الشريف من العلماء بأكفائها ، وأصطفت
لما قرب من مجلسنا المعظم من دل على أن التأييد قرين أصطفائها .

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة يفتر عن شنب الصواب ،
تغرها ، ويتفتح عن فضل الخطاب ، زهرها ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
المخصوص بحكم التنزيل ، المنصوص فى الصحف المنزلة على ذكر أمته الذين
علمواهم كانبيا بنى إسرائيل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم كالنجوم
المشرفة ، من اقتدى بهم أهتدى ، وكالرجوم المحرقة ، من اعتدى وجد منها شهابا
رصدا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أردنا له من رياض العلم من سكا فيه قرعه ، ورحب بتلقى أنواع
العلوم ذرعه ؛ وبسقت فى فنون الفضائل أفنانه ، ونسقت فرائد الفوائد فى سلك
الطروس بنانه - فنيا دار عدلنا الشريف التى أحكامنا لها تابعه ، وأغصان العدل
بثمار فتاويها مورقة يانعه ، وأعيننا إلى أفواه مفتيها زامقة وأذاننا لمقالاتهم سامعه .

ولما كان فلان هو ثمره هذا الارتباد ، ونجبة هذا الانتقاد ، المغرود عليه فى اختيار
العلماء بالحناصر ، والعريق فى أصالة العلوم بأصالة ثابتة الأواصر ، والذى إذا أجاب
تدفقت أنواء الفوائد ، وتألقت أضواء الفرائد ، وأئخذت مسائل فقهاء قواعد
تترتب الأحكام الشرعية عليها ومصادر وحيه موارد - اقتضت آراؤنا الشريفة
أن نزين بهجة هذه الوظيفة بجماله ، وننزه إشراقها بنور فضائله التى لو قابلها بدر الأفق
نازعت حلة جماله .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف واقفه ، ومعدلته الشريفة باقتفاء آثار الحق لمُشْتَكَاة الظلم كاشفه - أن يفوض إليه كذا : فليأشُر هذه الوظيفة السنية مفعراً ينابيع العلوم في أرجائها ، محققاً للفتاوى بتسهيل مواردها وتقريب أوحائها ؛ موضحاً طُرُقها بإقامة براهينه وأدلته ، مُبْدِياً دقائقها التي يُشْرِق بها أفق الفكر ليشراق السماء بنجومها والأفق بأهلتها ؛ مُظهِراً من غوامضها ما يُقَرِّب على الأفهام مناله ، ويُفَسِّح لحياد القرائح مجاله ، وينقح لكل ذى ترو ورويته ولكل مرتجل بديته وأرتجاله ؛ فإنه الكامل الذى قطع إلى بلوغ الغاية مسالك الليالى ، والإمام الذى غاص فكره من كل بحر بلج المعاني فاستخرج منها مكنون الآلى ؛ مع أن علمه المهذب غنى عن تنبيه الوصايا ، ملي بما يلزم هذه الوظيفة من الخصائص والمزايا ؛ فإن البحر يابى إلا تدققاً ، والبدر إلا تألقاً ؛ والله تعالى يزيد من فضله ، ويزين به أفق العلم ويزيد منا دنوا قرب محله .

الوظيفة الثالثة

(الحسبة)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وحاضرة الديار المصرية تشمل على حسبتين :

(١) الأولى - حسبة القاهرة : وهى أعلاهما قدراً ، وأخفهما رتبة ؛ ولصاحبها مجلس بدار العدل مع القضاة الأربعة وقضاة العسكر ومفتي دار العدل وغيرهم . وهو يتحدث فى الوجه البحرى من الديار المصرية فى ولاية التواب وعزهم .

(١) أى والثانية حسبة الفسطاط التى سياتى لها توقيع بعد صفحات .

قلت : ولم تزل الحِسْبَةُ تُوثَى للتعتمين وأرباب الأقاليم إلى الدولة المؤيدية شيخ ،
فولأها للأمر سيف الدين منكلى بغا الفقيه أمير حاجب مضافة إلى الجُوبِيَّة . على
أنَّ في سِجِّلاتِ الفاطميين ما يشهد لها في الزمن المتقدم . وربما أُسندت حِسْبَةُ
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحِسْبَةُ مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجدد عوائد الإحسان ، ومجربى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،
على ما أَلَمَّوه من الرِّبِّ الحِسان ، ومضاعفِ نِعْمنا على من آجتنى لنا بحُسن سيرته
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمدُه على نِعْمه التى لا تُحصى بعِدها . ولا تُحصَر بعِدها ، ولا تُسترادُ بغير شكرِ الآءِ
المنعمِ وحمديها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقيمها فى كلِّ حُكم ، وتحاولُ
سيوفنا جاحديها فتنهض فتنتطق بالحمجة عليهم وهم بكم ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشرف من أتمر بالعدل والإحسان ، وأعدلُ أمرِ أُمَّته بالوزن بالقسط وأن لا يُخسروا
الميزان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين احتسبوا فى سبيل الله جلَّ عتادهم ،
وآجبتسوا أنفسهم فى مقاطعة أهل الكُفر وجهادهم ، فلا تُنتهب جنائبها فى الوجود ،
وتسرى نجائبها فى التهايم والنجود ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أولى من دعاء إحساننا لرفع قدره ، وإنارة بَدْره ، وإعلاء رُتبته ،
وإدناء منزلته ، وإعلامِ مُحْلِصِ الأولياء بمضاعفة الإحسان إليه أن الله لا يضيع أجر
من أحسن عملا ، وأنَّ كرمنا لا يُجيب لمن أسلف سوابق طاعته فى أيامنا الشريفة
أملا ، من لم تزل خدمته السابقة إلى الله مقربته ، وعن طُرُق الهوى منكبه ، وبالله

مُدَّكَرُهُ، وَعَلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ مَوْفَرُهُ، مَعَ مَا أَضَافَهُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرٍ
بِمَعْرُوفٍ، وَإِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنِ مَنَكْرٍ، وَأَحْتِسَابٍ فِي الْحَقِّ أَتَى فِيهِ بِكُلِّ مَا تُجْمَدُ
خِلَافَتُهُ وَتُشْكَرُ، وَأَجْتِنَابٍ لِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ، وَأَجْتِهَادٍ لِمَا يُرِضِي اللَّهَ وَيَرْضِينَا
مِنْ أَتْبَاعِ سِيرَتِنَا السَّرِيَّةِ، وَشِدَّةٍ فِي الْحَقِّ حَتَّى يُقَالَ بِهِ وَيُقَامَ، وَرِفْقٍ بِالْحَلْقِ
إِلَّا فِي بَدْعٍ تُنْتَهَكُ بِهَا حَرَمَةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ غِشٍّ إِنْ لَمْ يُخْصَّ ضَرَرُهُ الْخَاصَّ فَإِنَّ ذَلِكَ
يَعْمُ الْعَامَ.

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَخْصَصَ مِنْ خِدْمَتِنَا، بِمَا رَفَعَهُ لَدَيْنَا، وَأَسْلَفَ مِنْ
طَاعَتِنَا، مَا أَقْتَضَى تَقْرِيْبَهُ مِنَّا وَاسْتِدْنَاءَهُ إِلَيْنَا، وَنَهَضَ فِيهَا عَدَقَتَنَا بِهِ مِنْ مَصَالِحِ
الرَّيَايَا وَكَانَ مَشْكُورَ الْمَسَاعِي فِي كُلِّ مَا عَرِضَ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ عَلَيْنَا - أَقْتَضَى رَأْيُنَا
الشَّرِيفَ أَنْ يَفْوِضَ إِلَيْهِ كَذَا، فَلَيْسَتْ تَمَرُّ فِي ذَلِكَ مَجْتَهِدًا فِي كُلِّ مَا يَعْمُ الرَّيَايَا نَفْعُهُ،
وَيَجْمَلُ لَدَيْهِمْ وَقَعُهُ، وَيَمْنَعُ مِنْ يَتَعَرَّضُ بِالْيَسَارِ - إِلَى مَا لَمْ يَغْيُرْ حَقُّهُ، أَوْ يَضِيقَ
بِالْأَحْتِكَارِ، عَلَى ضَعْفَائِهِمْ مَا بَسَطَ اللَّهُ لِمَنْ مِنْ رِزْقٍ، وَيُدَّبُّ عَنْهُمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ شُبُهَ
تَعْطِيلِهَا، وَيَعْرِفُهُمْ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى الْحَقِّ فِي المَعَامَلَاتِ قَوَاعِدَ تَحْرِيْمِهَا وَتَحْلِيلِهَا، وَيُرِيهِمْ
بِالْإِنصَافِ مَنَارَ القِسْطِ المَسْتَقِيمِ لِعَلَّهُمْ يَبْصُرُونَ، وَيُؤَدَّبُ مِنْ يَجِدُ فِيهِمْ مِنْ
المُطَفِّينَ: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾
وَيَأْمُرُ أَهْلَ الاسْوَاقِ بِإِقَامَةِ الجَمَاعَاتِ وَالجَمْعِ، وَيُقَابِلُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّأْدِيبِ
الَّذِي يَرْدَعُ مِنْ أَصْرَفِهِ عَلَى المَخَالْفَةِ وَبِزَعٍّ، وَيُلْزِمُ ذَوِي المِهْنَاتِ بِالصِّيَانَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ
مَنَاصِبَهُمْ، وَتُؤَافِقُ مَرَاتِبَهُمْ، وَتَنْزَهُ عَنِ الأَدْنَسِ مَكَاسِبَهُمْ، وَتَصُونُ عَنِ الشَّوَابِ
شَاهِدَهُمْ وَغَائِبَهُمْ، وَلَا يَمَكِّنُ ذَوِي البِيُوعِ أَنْ يَغْنُونَا ضَعْفَاءَ الرِّعَايَا وَأَغْنِيَاءَهُمْ،
وَلَا يُفْسِحَ لَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَى الْحَقِّ أَسْعَارَهُمْ وَيَخْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ.

وليحمل كلاً منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التي غدت لها الشريعة
 الشريفة مبيحة ، ويحنبهم العقود الفاسدة ، والحيل التي تغتر بتدليس السلع الكاسدة ،
 وهو أخبر بالبيوع المنصوص على فسادها في الشرع الشريف ، وأدرى بما في عدم
 تحريرهم المكاييل والموازين من الإخسار والتطيف ، فليفعل ذلك في كل
 ما يجب ، ويحتسب فيه ما يدخره عند الله ويحتسب ، ولتكن كلمته في ذلك مبسوطه ،
 ويد تصرفه في جميع ذلك محيطه وبما يستند إليه من أوامره محوطة ، وليوص نوابه
 بمثل ذلك ، ويوضح لهم بإشارة طريقته كل حال حالك ، ويقدم تقوى الله على كل
 أمر ، ويتبع فيه رضا الله تعالى لارضا زيد وعمرو ، والخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع من ذلك بحسبة الفسطاط المعبر عنه الآن بمصر عوداً
 إليها ، وهى :

الحمد لله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، الشاهد بالعدل الذى تقوى به كلمة
 الإيمان وتنتصر به ، والغامر بالجود الذى لا يحصى ، والفضل الذى لا يحصر ، العامر
 ربوع ذوى البيوت بتقديم من آمنت الخناصر على فضله الذى لا يجحد ولا ينكر .
 نحمده على نعمه التى لا تزال السنة الأقلام ترقم لها فى صحف الإنعام ذكراً ،
 وتجدد لها بإصابة مواقع الإحسان العام شكراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع بنورها ليل الشرك
 فيقول بخراً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى قمع الله به من أغتر بالمعاصى
 وغرر ، وأقام بشريعته لواء الحق الأظهر ومنازل العدل الأظهر ، وعلى آله وصحبه

الذين سلكوا من الهداية بإرشاده منهج الحق الأنور ، وأحتبسوا نفوسهم في نصرته
ففازوا من رضاه بالحظ الأوفى والنصيب الأوفر .

وبعد ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصوره ،
وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيدة منصوره ، وأحكامنا المشهورة
بالإنصاف في صحائف الدهر بالمحاسن مسطوره ، وألمنا من أتباع الشرع الشريف
ما غدت به قلوب الرعايا آمنة مسروره - قصدنا أن نختار لمراتب الديانة والعفاف
من لم يزل بيته بالصدارة علياً ، ووصفه بأنواع المحامد والمآدح ملياً .

ولما كان فلان هو الذي ورث السيادة ، عن سلف طاهر ، وتلقى السعادة ،
عن بيت فروعه التقوى فأزرت بالروض الزاهي الزاهر ، وسرت سرائره بحسن سيرته
وسيره ، وأبطن من الديانة ما أظهرته أدلة خيره ، وثنقل في المراتب الدينية فأربي
في حسن السلوك على غيره ، وسلك من الأمانة الطريق المثلى ، وأعتد ما عدم به
مضاهيا ومثالا ، وجنى ما نطق بإنصافه فضل الكيل والميزان ، ورجاه من أهل
الخير كل ذي إحسان وخشية أهل الزيف والبهتان ، وكانت الحسبة المباركة بمصر
المحروسة قد ألفت قضاياها وأحكامه ، وعرفت بالخبر معروفه وشكرت نقضه
وإبرامه ، وفارقها على رعمها منه اختيارا ، وعادت له خاطبة عقيلة تزاهته التي
لا تُجارى .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي أن يفوض إليه كذا . فليقدم خيرة الله
في مباشرة هذه الوظيفة ، وليقيم منازها بإقامة حدودها الشريفة ، ولينظر في الكيل
والميزان اللذين هما لسان الحق الناطق ، ولينشر لواء العدل الذي طالما خفقت
بنوده في أيامنا حتى غدا قلب المجرم وهو خافق ، وليحسين النظر في المطاعم

والمشارب ، وأيردع أهل البدع من هو مستخف بالليل وسارب ؛ وفيه - بحمد الله تعالى - من حسن الأئمة ما يغني عن الإسهاب في الوصايا ، ويعين على السداد في نفاذ الأحكام وفصل القضايا ؛ وكيف لا وهو الخبير بما يأتى ويذر ، والصدر الذى لا يعدو الصواب إن ورد أو صدر ؛ والله تعالى يعمر به للعدل معلما ، ويكسوه بالإقبال فى أيامنا الشريفة ثوبا بالثواب معلما ، والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .



وهذه وصية محتسب أوردتها فى "التعريف" وهى :

وقد ولى أمر هذه الرتبة ، ووكل بعينه النظر فى مصالح المسلمين لله حسبه ، فلينظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ؛ وما يُحصر بالمقادير وما لا يُحصر ، وما يُؤمر فيه بمعروف أو يُنهى عن منكر ؛ وما يُسترى ويُبَاع ، وما يُقرب بتحريره إلى الجنة ويُبعد من النار ولو لم يكن قد بقي بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ؛ وكل ما يُعمل من المعاش فى نهار أو ليل ، وما لا يُعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل . وليعمل لديه معدلا لكل عمل ، وعيارا إذا عرضت عليه المعايير يُعرف من جار ومن عدل ؛ ولينفذ أكثر هذه الأسباب ، ويحذر من الغش فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب ؛ ولتعرف الأسعار ويستعلم الأخبار ، فى كل سوق من غير إعلام لأهله ولا إشعار ، وليقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه فى النظر ، ويطمئن به وإن غاب إذا حضر ؛ ويأمره بإعلامه بما أعضل ، ومراجعتيه مهما أمكن فإن رأى مثله أفضل . ودار الضرب والنقود التى منها تنبت ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول اللبث ؛ فليصد لمهماتا بصدرة الذى لا يخرج ،

وليعرض منها على المحك من رأيه مالا يجوز عليه بهرج ، وما يعلق من الذهب
 المكسور ويروبص من الفضة ويخرج ، وما أكلت النار كل لحامه أو بعضه فليقيم
 عليه من جهته الرقباء ، وليقيم على شمس ذهبه من يرقب منه ما ترقب من الشمس
 الحرباء ، وليقيم الضمان على العطارين والطرقية من بيع غرائب العقاقير إلا ممن
 لا يستراب فيه وهو معروف ، وبخط متطبب ماهر لمريض معين في دواء موصوف .
 والطرقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال
 الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء من هذا القبيل هو في الحقيقة
 شيطان لا إنسان ، امنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا يجبر لهم
 صدع ، وصب عليهم النكال وإلا فما يجدي في تأديبهم ذات التأديب والصفع ،
 وأحسم كل هذه المواد الخبيثة ، وأقطع ما يجدد ضعفاء الناس من هذه الأسباب
 الرئیثة ، ومن وجدته قد غش مسلما ، أو أكل باطلا درهما ، أو أخبر مشترا
 بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ، أشهره في البلد ، وأركب تلك الآلة قفاه حتى
 يضعف منه الجسد ، وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وعالمات النساء وغيرهما من
 الأنواع ممن يخاف من ذنبه العائث في سرب الأطباء والجنادر ، ومن يقدم على ذلك
 ومثله وما يحاذر ، أرشقهم بسهامك ، وزلزل أقدامهم بإقدامك ، ولا تدع منهم
 إلا من آخبرت أمانته ، وأخترت صيانتته . والنواب لا ترض منهم إلا من يحسن
 نفاذا ، ويحسب لك أجر استنابته إذا قيل لك من استنبت فقلت هذا ، وتقوى
 الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عملت فيه
 بمذهب مالك .

الوظيفة الرابعة

(وَكَالَةُ بَيْتِ الْمَالِ)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفيعة المقدار ، وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترواته^(١) : من أرض وأدر وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، وأن متوليها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة ، وأن له مجلساً بدار العدل : تارة يكون دون مجلس المحتسب ، وتارة فوق مجلسه ، بحسب رفعة قدر كل منهما فى نفسه . وقد أضيف إليها فى المباشرة نظركسوة الكعبة الشريفة وصاروا كالوظيفة الواحدة .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية ، لمن خطبته لها رتبتان : العلم والعمل ، ومكمل الرتب السننية ، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والتقوى وعُدت منه خلتان : الحرص والأمل ؛ جاعل اختصاص الرتب بكفائها حلية الدول ، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامّة زينة أيماننا التى نتلفت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمده على نعمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل ، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامد سرى النجوم ويسير به الشكر سير المثل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل نستنطق بها فى الجهاد ، السنة الأسل ، ونوقظ لإقامتها عيون جلاد ، لها الغمود جفون والسهام أهداب والسيوف مقل ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل ، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سيدة

(١) جرى على اللغة العامية والافصواب العربية مشترياته بالياء .

المنتهى وعاد ولم يكمل الليل بين السير والقفل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا في المهاجر إليه الأحياء والحلل ، وشفوا بأسنة سنته العلل والغلل ، وتفرّدوا بكامل المفانر فإذا خلعت الأقلام على أوصافهم حلا غدت منها في أبهى من الحل ، صلاة تتوالى بالعشى والإبكار وتتواتر في الإشراق والطفل ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الرتب بإنعام النظر في آرتياد أكفائها ، وانتقاد فرائد الأعيان لها وانتقائها ، واستخارة الله تعالى في اختيار من يكون أمر دينه هو المهم المقدم لديه ، واستنارة التوفيق في اصطفاء من يكون مهم آخرته هو المرئي المصور بين عينيه ، مع ما أتصف به من محاسن سجايا جُبلت عليها طباعه ، وخصّ به من سوابق مزايا رُحِبَ بها في تلقى المصالح الدينية صدره وباعه ، رتبتان يُعم نفعهما ويخصّ ، ويمسّن وقعهما بما يُبديه من أوصافه ويقصّ ، ويتعلق كل منهما بجماعة الأمة فردا فردا ، ويشتملان على منافعهم على اختلافها بدأ وإعادة وعكسا وطردا ، ويكون التصدي لهما مناقشا على حقوقهم وهم ساهون ، ومفتشا عن مصالحهم وهم عنها لاهون ، ومناضلا عنهم وهم غافلون ، ومشمرا للسعي في مصالحهم وهم في حبر الدعة رافلون ، ومتكفلا لاستماع الدعوى عنهم جوب فلوات الجواب ، ومتكفلا بالتحري في المحاوره عنهم وإصابة شكلة الصواب ، ومؤديا في نصيحهم جهده تقربا إلى مراضينا وله عندنا الرضا وابتغاء ثواب الله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴾ وهما وكالة بيت المال المعمور والحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة : فإن منافع وكالة بيت مال المسلمين عائدة عليهم ، آئلة بأحكام الشريعة المطهرة إليهم ، راجعة إلى ما يعثم مساره ، معدة لما تدفع به عنهم من حيث لا يشعرون مضاره ، صائنة حقوقهم من تعدي الأيدي الغاصبه ، حافظة بيوت أموالهم من اعتراض الآمال

العاملة الناصبه ؛ وكذلك نظر الحسبة : فإنه من أخص مصالحي الخلق وأعمها ،
وأكدر الوظائف العامة وأكملها استقصائية للمصالح الدينية والدنيوية وأتمها ، يحفظ
على ذوى الهيئات أقدارهم ؛ ويبين بتجنب الهنات فى الصدر مقدارهم ، ويصون
بتوق الشبهات إيرادهم وإصدارهم ؛ وينزه معاملاتهم عن فساد يعارضها ، أو شبه
تنافى كمال الصحة وتناقضها ؛ ويحفظ أوقاتهم من غش متلف ، أو غلو مجحف ؛
إلى غير ذلك من أدوية لا بد من الوقوف على صحة ترتيبها وتركيبها ، وتتبع الأقوال
التي تجرى بها الثقة إلى غاية تجريبها ؛ ولذلك لا تجمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادة
العمل ، وأقتصر به ورعه على مادة الحق فليس له فى التعرض إلى غيره أمل ؛
وسمى به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد التيق أفضل ما يرتقى ، وعرضت عليه
أدواته جوهر الذخائر فوجد العمل الصالح أكمل ما ينتقد منها وما ينتقى ؛ وتحلى
بالأمانة ، فصارت له خلقتا وسجيته ، وأيس بالزاهة ، فكانت له فى سائر الأحوال للنجاة
نجية ؛ وأرته فضائله الحق حيث هو فتمسك بأسبابه ، وتشبث بأهدائه ، وأنصف
به فى سائر أحواله فإن أخذ أخذ بحكمه وإن أعطى أعطى به ؛ وأحترز لدينه
فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله متهما ولا عليها بظنين ،
وأجتنب إيمار المحامد الحلوة من كرام الأمانة المره ، وعلم أن رضا الله تعالى فى الوقوف
مع الحق فوقه معه فى كل ما ساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذى أمسكت الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسه
آدابه ، وتجاوزته الرتب للتحلى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحق به من مجالس العلم
ولا أولى به ؛ وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظا ،
ونوهت بذكره العلوم الدينية التى أتقنها بحثا وأكملها دزاية وأثبتها حفظا ؛ فأوصافه
كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وَأَجْتَمَاعِهِ ، الْمُنْبَهَةِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْإِشَارَاتِ الَّتِي وَرَاءَهَا كُلُّ مَا يَجْمَدُ مِنْ
أَصْطِلَاعِهِ بِقَوَاعِدِ هَذِهِ الرُّتَبِ وَأَطْلَاعِهِ ، فَهُوَ سِرٌّ مَا ذُكِرَ مِنْ نَعْوَتِهِ وَأَوْصَافِهِ ،
وَمَعْنَى مَا شَهَرَ مِنْ مَعْدَلَةٍ وَإِنْصَافٍ ، وَرُقُومٍ مَا حَبَّرَ مِنْ حُلَلٍ أَفِيضَتْ مِنْهُ عَلَى أَجْمَلِ
أَعْطَافٍ - رِسْمٍ ^(١) أَنْ يَفُوضَ ^(١) تَفْوِيضًا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ فِي أَحْسَنِ
مَوَاقِعِهِ ، وَنَضَعُ بِهِ الْحُكْمَ فِي أَحْمَدِ مَوَاضِعِهِ ، وَيُجَلُّ مِنْ أَجْيَادِ هَذِهِ الْمَنَاصِبِ مَحَلَّ
الْفَرَائِدِ مِنَ الْقَلَائِدِ ، وَيَقَعُ مِنْ رِيَاضِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ وَقُوعَ الْحَيَا الَّذِي سَعِدَ بِهِ
رَأَى الرَّائِدِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَاتَيْنِ الْوُضُفَتَيْنِ مُرْهَفًا فِي مَصَالِحِهِمَا هَمَّةً غَيْرَ هَمَّةٍ ، مُجْتَهِدًا مِنْ قَوَاعِدِهِمَا ^(٢)
فِيمَا تَبَرَّأَ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَّا وَمِنْهُ الذَّمُّ ، مُحَاقِقًا عَلَى حُقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ حَيْثُ كَانَتْ
مُحَاقِقَةً مِنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ بِذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَّةِ . مَتَحَرِّيًا لِلْحَقِّ فَلَا يَغْدُو لِمَا يَجِبُ
لَهُ مُهْمَلًا ، وَلَا لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مُمَاطِلًا ، وَاقْتِنًا مَعَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى الْجَسِيءِ فِي الْأَخْذِ
وَالْعَطَاءِ فَإِنَّهُ سِيَّانٍ مَنْ تَرَكَ حَقًّا أَوْ أَخَذَ بِأَخْطَا . مُجَرِّيًا عَوَائِدِ الْحِسْبَةِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ
تَدْيِيرِهِ ، وَعُرِفَ مِنْ إِتْقَانِهِ وَتَحْرِيرِهِ . وَشَهَرَ مِنْ أَعْتَادِهِ لِلْوَاجِبِ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ ،
مُكْتَنِيًا بِمَا أَطَّلَعَ عَلَيْهِ قَدِيمًا مِنْ مَصَالِحِهَا ، مُنْتَهِيًا إِلَى مَا سَبَقَتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِ مِنْ
أَسْبَابِهَا وَمَنَاجِحِهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوقِّتُهُ فِي آجْتِهَادِهِ ، وَيُعِينُهُ عَلَى مَا يَدَّخِرُهُ لِمَعَادِهِ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية ويكل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيل في جميع حقوق المسلمين وماله معهم إلا حق رجل واحد، والمكلف
بالمخاصمة عنهم حتى يقر الجاحد ، وهو القائم للدعوى لهم وعليهم ، والمطلوب من الله

(١) بياض في الموضوعين والغرض منه الاختصار والمبيض له مفهوم مما تقدم مرارا . (٢) أي غير ضعيفه .

ومنا بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من يديهم ؛ والمعد لتصحیح العقود ، وترجيح جهة بيت المال فى العقار المبيع والتمن المنقود ؛ والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية الثابتة ، والثابت القدم والأقدام غير ثابتة ؛ والمفسوح المجال فى مجالس الحكماء ، والمجادل بلسان الحق فى الأحكام ؛ والموقوفة كل دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوع إليه فى إمامة كل محاصمة حصل الضجر من طول نزاعها ؛ وإبداء الدوافع ، ما لم يجند بدا من الإشهاد عليه بعمد الدافع ، والانتها إلى الحق كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيل مثقل ولا شفاعة شافع ، وبوقوفه تُحدد الحدود [وتمتحن الشهود]^(١) ويمشى على الطرق المستقيمة ، وتُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ؛ وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لعامة المسلمين ظاهره ، ولهم فيما يوكل عنهم فيه الحظ والغبطة بحسب الأوقات الحاضرة .

ونحن نوصيه فى ذلك كله بالعمل بما علم ، والانتها فى مقتضى قولنا إلى ما فهم ؛ وتقديم تقوى الله فإنه متى قدمها بين يديه سلم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غنم ؛ والعمل بالشرع الشريف كيفما توجهت به أحكامه ، والحذر من الوقوف فى طريقه إذا نفذت سهامه ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحققها ميراثه ، وتحوز بحفظها ثرائه ؛ لا يكلفهم ثبوتاً يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يحتاج [مستحقه]^(١) إلى زيادة ثبت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيته منكراً ، والمعروف من مستحق ميراثه نكره ؛ فأولئك شدد فى أمرهم ، وأوط شهداءهم فى الاستفسار منهم على جرمهم ؛ وتبغ باطن الحال لعله عنك لا يتستر ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكبه ويتبخر ؛ فإن تحققت صحة شهاداتهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٢ .

وإلا فأشهرهم في الدنيا ودعهم في الآخرة لا يُخفف عنهم العذاب ولا يفتّر، وكل ما يُباع أو يُؤجر أرجع فيه إلى العوائد، وتقلد أمر الصغير، وجدّد لك أمراً منّا في الكبير، وذلك بعد مراعاة ما تجب مراعاته، والتأني كلّ التأني حتى يثبت ما ينبغي إثباته، وشهود القيمة عليهم المدار، وبشهادتهم يُقدر المقدار، وما لم يكونوا من ذوى الأقدار، ومن أهل الخبرة بالبر والجدار، ومن اشترى العقار وأستغله وبني الدار، وإلا فاعلم أن مثله لا يرجع إليه، ولا يعول ولا سميّا في حق بيت المال عليه؛ فاتفق^(١) مع ولاة الأمور من أهل الأحكام، على تعيين من تعين لتقاييد مثل هذه الشهادة، وتعرف منهم من له كلّ الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهاده، ولك أن تدعى بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترجّح، وأن بينتهم تكون عنده أوضح، فأما الدعوى عليك فمن عاداتها أن لا تُسمع إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي - أجله الله تعالى - ونحن لانغير العوائد، ولا ننقض ما بنيت الدول السالفة عليه القواعد؛ فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعيّن، وإقامة البيّنات عليها إذا تبيّن، والله الله في حق بيت المال، ثم الله الله في الوقت الحاضر والمآل؛ ومن تستنّبهم عنك بالأعمال لا تقتر منهم إلا من تقرب به عينك، ويوفى به عند الله لا بما تحصّله من الدنيا دينك؛ ومن كان لعماله مُصالحاً، ولأمّته مُنجحاً، لا تغبر عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خافيه؛ ولتستقص في كلّ وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بمن تستصحبه من الأخيار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دنيا ودين.

(١) كذا في التعريف أيضاً والمراد أن المقومين يشترط فيهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقويمهم ولا يعول على كلامهم.

الوظيفة الخامسة

(الخطابة)

وهى من أجل الوظائف وأعلها رتبةً فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .
وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجوامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقاعة الجبل المحروسة ، حيث مُصَلَّى السلطان ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى أنار بالذكر قلوب أوليائه ، وكشف بالذكري بصائر أصفياه ،
وأنال أهل العلم بالإبلاغ عنه إلى خلقه وراثته أنبيائه ، وأختار لإذكارنا بالآلاء الله
من فرسان المنابر من يجاهد الأعداء بدعائه ، ويجاهر الأوداء من مواعظه بما يعلم
كل منهم أن فى مؤلِّم صَوَادِعِهِ دواء دائه ، فإذا أفتح بحمد الله أثنى عليه بهوادة علمه
حق شانه ، ونزهه بما ينبغى لسُبُحات وجهه وجلال قدسه وتقدس أسمائه ، وأثنى
كما يجب على نبيه صلى الله عليه وسلم الذى آدم ومن بعده من الرسل تحت لوائه ،
وإذا تليت على خيل الله خطبته تشوقت بقاء أعداء الله إلى لقائه ، وخطبت الجنان
من بذل نفوسها ونفائسها بما أفتته فى سبيل الله لا لتقائه .

تحمده على أن جعلنا لذكره مستمعين ، ولأمره ونهيه متبعين ، وعلى حمده فى كل
ماد من الأولياء مجتمعين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تختال بذكرها أعطاف
المنابر ، وتتعطر ألسنة الأقلام بما تنقله منها عن أفواه المحابر ، ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله الذى هدى الله من تقدم من الأمة بخبره ومن تأخر بخبره ، وجعل
روضة من رياض الجنة بين قبره ومببره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم

أَوَّلُ مَنْ عُقِدَتْ بِهِمْ مِنَ الْجَمْعِ صَلَوَاتُهَا، وَأَكْرَمُ مَنْ زُهِيتَ بِهِ مِنَ الْجِهَادِ وَالْمَنَابِرِ
صَهْوَاتُهَا، صَلَاةٌ لَا تَزَالُ تُقِيمُهَا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَتُدِيمُهَا فِي كُلِّ مَتْنٍ فِي الْآفَاقِ
وَمُنْجِدٍ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوْلَى الْمَنَابِرِ أَنْ يُرْتَادَ لَهُ مِنْ أُمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَامَةٌ عَصْرُهُ، وَرُحْلَةٌ مِصْرُهُ،
وَإِمَامٌ وَقْتُهُ الَّذِي يَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَعَ، وَعَالَمٌ زَمَانُهُ الَّذِي يَقُومُ فِي كُلِّ مَقَامٍ
بِمَا يُنَاسِبُهُ مِمَّا يَأْخُذُ فِي الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَمَا يَدَعُ، مِنبَرٌ نَذَرَ بِآلَاءِ اللَّهِ عَلَى أَعْوَادِهِ
وَإِنْ لَمْ تَزَلْ لَهَا مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَنُبَّهَ فِيهِ عَلَى شُكْرِ اللَّهِ بِالرَّأْفَةِ عَلَى خَلْقِهِ وَإِنْ لَمْ تَبْرَحْ
لَهَا بِذَلِكَ وَغَيْرِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَتُشَوِّقُ عَلَيْهِ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَنَا
عَلَى ذَلِكَ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْأَجْرِ وَإِنْ كُنَّا عَلَى الْأَبَدِ إِلَيْهِ مُبَادِرِينَ، وَإِلَى إِقَامَةِ دَعْوَةِ
الْحَقِّ بِهِ مُبَاكِرِينَ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَعَيَّنَ لِرُقَى هَذِهِ الرَّتْبَةِ نَخْطَبَ نَخَطَاتِهَا، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ
كُفُوهاَ الَّذِي تَتَشَوَّقُ النَّفُوسُ إِلَى مَوَاعِظِهِ فَتُرْغَبُ فِي إِطَاتِهَا لِإِطَاتِهَا - أَقْتَضَتْ
أَرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَحَلَّ بِفَضَائِلِهِ أَعْطَافَ هَذَا الْمِنْبَرِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ نَخْتَصَّ نَحْنُ وَأَوْلِيَائُنَا
بِسَمَاعِ مَوَاعِظِهِ الَّتِي تُرْغَبُ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يُطَالَعُ فِي أَفُقِ الْمَنَابِرِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ شَمْسًا
مُنِيرَةً، وَيُقِيمُ شَعَائِرَ الدِّينِ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ بِكُلِّ مُشْرِقِ الْعِلَانِيَةِ طَاهِرِ السَّرِيرَةِ -
أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَذَا : فَلِيَحُلَّ هَذِهِ الرَّتْبَةَ الَّتِي لَمْ تُقَرَّبْ لغيرِهِ جِيَادُهَا، وَيَحْتَمِلَ هَذِهِ
العَقِيلَةَ الَّتِي لَا تُرَانَ بِسِوَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ أَجِيَادُهَا، وَيَرِيقَ هَذِهِ الْهَضْبَةَ الَّتِي يَطُولُ
إِلَّا عَلَى مِثْلِهِ صُعُودُهَا، وَيَلْتَقِ تِلْكَ الْعَصْبَةَ الَّتِي تَجْتَمِعُ لِلأَوْلِيَاءِ بِهِ (؟) حُشُودُهَا. وَهُوَ
يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي مَوْقِفِ الْإِبْلَاحِ عَنِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَالْإِعْلَامِ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ لِمَنْ

جاهد في الله حق جهاده ، والإنذار لمن قصر في إعداد الأهبّة ليوم معاده ؛ وهو
 بمحض من حماة الإسلام ، ومشهد من قلدها أمر أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة
 والسلام ؛ فليقصر خطبه على طاعة لله يحض عليها ، وعزيمة في سبيل الله يسوق
 إليها ، ومعدلة يصف ما أعد الله لولاة أمر قدمتها بين يديها ؛ وتوبة يبعث الهيم ، على
 تعجيلها ، وأوقات مكرمة ينبه الأمم ، على احترامها بتقوى الله وتبجيلها ؛ ودنيا يندر من
 خداعها ، ويبين للمفتر بها ما عرف من خلائقها المذمومة وألف من طباعها ؛ وأخرى
 يوضح للمعرض عنها وشك قدومها ، ويحذر المقصر في طلابها من عذابها ويبشر المشمر
 لها بنعيمها . وليعلم أن الموعظة إذا خرجت من الألسنة لم تعد الأسماع ، ولم
 يحصل منها على غير تعقل القرائن والأشجاع ؛ وإذا خرجت من القلوب وقعت
 في مثلها ، وأثمرت في الحال بالمحافظة على فرض الطاعة ونفلها ؛ وسكنت في السرائر
 طباع طاعة نأبى على محاول نقلها ، وقدحت في البصائر من أنواع المعرفة ما لم يعهد
 من قبلها . وليجعل خطبه في كل وقت مناسبة لأحوال مستمعها ، متناسبة
 في وضوح المقاصد بين إدراك من يعي غوامض الكلام ومن لا يعيها ؛ فخير الكلام
 ما قل ودل ، وإذا كان قصر خطبة الرجل وطول صلاته منبئين عن فقهه فما قصر
 من حافظ على ذلك ولا أخل ؛ وليوشح خطبه من الدعاء لنا وللمسلمين بما يرجى
 أن يوافق ساعة الإجابة ، وإذا تونح الغرض بدعائه لعموم الأمة فقد تعينت
 - إن شاء الله - الإصابه ؛ وهذه الوصايا على سبيل الذكري التي تنفع المؤمنين ،
 وترفع المحسنين ، والله تعالى يجعله - وقد فعل - من أوليائه المتقين ؛ بمنه وكرمه ؛
 إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية خطيب أوردتها في "التعريف" :

وليرق هذه الرتبة التي رفعت له ذرا أعوادها ، وقدمت له من المنابر مقربات جياها ، وليصعد منها على أعلى درجة ، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من بكرة يومه المشرق مسرجه ، وليرع حق هذه الرتبة الشريفه ، والذروة التي ماأعدت إلا لإمام فرد مثله أو خليفه ، وليقف حيث تحقّق على رأسه الأعلام ، ويتكلم فتخرس الألسنة وتجف في فم الذرا الأعلام ، وليقرع المسامع بالوعد والوعيد ، ويذكر بأيام الله من (كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .
ويلين القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشد قسوة من الحجارة والحديد ، وليكن قد قدم لنفسه قبل أن يتقدم ، وليسبل عليه درع التوبة قبل أن يتكلم ، وليجعل لكل مقام مقالا يقوم به على رؤوس الأشهاد ، ويفوق منه سهما لا يخطئ موقعه كل فواد ، وليقم في المحراب مقام من يخشى ربه ، ويخاف أن يخطف الوجل قلبه ، وليعلم أن صدفة ذلك المحراب ما أنفلتت عن مثل دترته المكنونه ، وصناديق الصدور ما أطبقت على مثل جوهرته المخزونه ، وليؤم بذلك الجم الغفير ، وليتقدم بين أيديهم فإنه السفير ، وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان ، وأول الأعمال التي توضع في الميزان ، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل أذان ، وليقم بالصلاة في أوقاتها ، وليرخ بها الناس في أول ميقاتها ، وليخفف مع الإتمام ، وليتحمل عن وراءه فإنه هو الإمام ، وعليه بالتقوى في عقد كل نيّة ، وأمام كل قضية ، والله تعالى يجعله من ينقلب إلى أهله وهو مشرور ، وينصب له مع الأئمة المقسطين يوم القيامة عن يمين الرحمن من نور بئنه وكرمه .

الوظيفة السادسة

(الإمامة بالجوامع، والمساجد، والمدارس البكار التي تصدر التولية
عن السلطان في مثلها)

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التي جعلت أيماننا الشريفة تزيد أهل الفضائل إكراماً،
وتخص بالسيادة والتقديم من أنشأه الله تعالى قرة عين وجعله للتقين إماماً، وقدمه
هلى أهل الطاعة الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً .

والشهادة له بالوحدانية التي تكسو مخاطبها جلالاً وساماً، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى أمّ الناس وعلمهم الصلاة وأظهر فى إقامة الدين مقالا محمودا
ومقاماً، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته توثقاً واعتصاماً - فإن خير الرتب
فى هذا العصر وفيما تقدم، رتبة الإمامة حيث تقدم سيد البشر فى محرابها على الأمة
وأم، فاختارها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها، وعلم سناءها ورفعها، فزاد بذلك
سُموا إلى سموه، وحصل على تضاعف الأجر ونموه، وهو فلان .

رسم - لا زالت أيامه الشريفة تشمل ذوى الأصالة والصدارة بجزيل فضائها،
وعوائد إنعامه تجرى بإتمام المعروف فتبقى الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان فى كذا جارياً فيه على أجمل العادات،
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمده من تأهيل معهد العبادات، ورعاية
لتكثير المبارز، وترجيحاً لنا أشتمل عليه من حسن النظر فى كل إيراد وإصدار،
وتوفيراً للمناجح التي عُرفت من بينه الذى كم ألف منه فعل جميل وعمل بار، ووئوقاً

بأنه يعتمد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الاستقرار، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة السابعة

(التدريس ، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة)

وهذه نسخة توقيع بتدريس كتب به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، عوضاً عن والده . في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعائة ، وهي :

أحمد لله ميم فضاه على كل أحد ، ومقر النعمة على كل والد وولد ، الذي خص أوليائنا ببلوغ الغايات في أقرب المدد ، وأستصحاب المعروف فما ينزع منهم خاتم من يد إلا ليد .

نحمده بأفضل ما يحمده به من حمد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باقية على الأبد ، ونصلي على سيدنا محمد نبيه الذي جعل شريعته واضحة الجدد ، قائمة بأعلام العلماء قيام الأمد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شبههم في الهدى بالنجوم وهم مثلها في كثرة العدد ، وسام تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن نعمنا الشريفة لا تتحول ، ومواهبنا الجزيلة ... (١) تتحول ، وكرمنا يمهّد منازل السعود لكل بدر يتنقل ، وشيئنا الشريفة ترعى الذمم لكل من أنفق عمره في ولائها ، وتحفظ ماها من المآثر القديمة بإبقائها في نجباء أبنائها ، مع ما نلاحظه في استحقاق التقديم ، وانتخاب من ترقى منهم بين العلم والتعليم ، وحصل

(١) بياض بالأصل ولعله لا يزال لأوليائنا التحول . وفي اللسان "التحول التعهد وحسن الرعاية" .

فى الزمن القليل العلم الكثير ، واستمد من نور والده وهو البدر المنير ، وعلم بأنه فى الفضائل سر أبيه الذى شاع ، وخليفته الذى لو لم ينص عليه لما انعقد [إلا] عليه الإجماع ، والواحد الذى ساد فى رتبة أبيه وما خلت من مثله - لا أخل الله منه اليقاع ! .

وكان المجلس السامى ، القضائى ، الفلانى ، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجميله ، وتوسمنا أنه لمعة البدر وهى لا تخفى لأنها لا ترد العيون كليله ، ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن يتوه بذكره ، وينبئ على المعرفة بحق قدره ، فأثر الزول له عما باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقوم مقامه ، ويقرر فوائده وينشر أعلامه ، ويعلم أنه قد حلق فى العلياء حتى لحق البدر وبلغ تمامه ، فعلمنا أن البركة فيما أشار ، وأن اليمن بحمد الله فيما رجحه من الاختيار .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - زاد الله فى شرفه ، وجعل أقطار الأرض فى تصرفه - أن يرتب فى هذا التدريس عوضاً عن والده ، أطال الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقت لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز ، وأولى بمصر من سواه لما عرفت به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز .

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصدده ، والمذاكرة للعلم فإنك لا تكاثر العلماء إلا بمدده ، والعمل بتقوى الله تعالى فى كل قصد وتصدير ، وتقريب وتقريب ، وتأهيل وتأثير ، وتقليل وتكثير ، ونص وتأويل ، وترتيب وترتيب ، وفى كل ما تزداد به رفعتك ، وتطير به سمعتك ، ويحسن به الشناء على دينك المتين ، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك المين .

وأعلم بأنك قد أدركت بحمد الله تعالى وبكرمنا وبأيديك وباستحقاقك ما أردت به كثير عن مقامك ، ووصلت في البداية إلى المشيخة في زاوية إمامك ، فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرافعي لك به الراية ، ويأتم بك إمام الحرمين في النهاية ، فقد أمسيت جار البحر فاستخرج جمانه ، وأجهد لتصيب في فتاويك فإن أوليك سهرام رميها من مكانه ، وسبيل كل واقف عليه العدل بمقتضاه والاعتقاد^(١) .



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعي بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء المولى زين الدين بن الخضر موقع الدست ، كتب به لتاج الدين محمد الإخنائي شاهد خزانة الخاص ، بالنيابة عن عمه قاضي القضاة تقي الدين المالكي في أيام حياته ، مستقلا بعد وفاته ، وهي :

أما بعد حمد الله على أن زان مجالس المدارس في أيامنا الشريفة بتاجها ، وأقربها من ذوى الإنابة من يستحق النيابة عن تقي قوى الأحكام بإحكامها وإنتاجها ، ورفع قدر بيت مبارك طالما أشهر علم علمه وصدر عن صدره فكان مادة مسرة النفس وأبتهاجها ، وجعل عوارفنا ترعى الذرية الصالحة في عقبها وتولى كل رتبة من أضحى لأهلها بوجاهته مواجها ، والشهادة له بالوحدانية التي تنهى شرك الطائفة الكافرة ومعلول احتجاجها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي استقامت به أمور هذه الأمة بعد أعوجاجها ، وتشرفت به علماءؤها حتى صارت كأنياء بني إسرائيل بحسن استنباطها للجمل وجميل استخراجها ، وعلى آله وصحبه الذين علموا وعملوا وأوضحوا لهذه الملة قويم منهاجها - فإن أولى الأولياء ببلوغ الأمل ، وتعاهد

(١) أى الى آخر ما يقال في مثله .

مدارس العلم بصالح العمل ، وإظهار سر الفوائد للطالين ، وحل عقود مشكلها
بجميل الإطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من
مذهبه المذهب خير محصول ، ونشأ في حجر الفضائل ، وأقننى بحكام بيته الذين لهم
في العلوم بمصر والشام أوضح البراهين وأقوى الدلائل ، وله في الآباء والأبوة ،
الديانة التي بلغ بها من الإقبال مرجوه ، طالما سارت أحكام عمه - أجله الله -
في الأقطار ، وحكم فابدى الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار ، وله العفاف والتقى والمآثر
الجميلة وجميل الآثار ، والفتاوى التي أدرج بها مشكلا ، وفتح موقفا ، والفصل بين
الخصوم بالحق المحتل ، والبركة التي لدولتنا الشريفة منها نصيب وافر ، والتصميم
الذي آقرن بفزارة العلم والوقار الظاهر ، فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء
العاملين ، وله البشرى بما قاله أصدق القائلين ، في النبي الذي نتم به الزيادة والنماء :
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

ولما كان المجلس السامى هو الذى استوجب التصدير لإلقاء الدروس ، وأضحى
مالكيا مالكا أزمة الفضائل حائزا من أثوابها أنخر ملبوس ، وله بخزانة خاصنا
الشريف وإصطبلاته السعيدة الشهادة البيّنة ، والكأبة التي هي العز الحاضر
فلا يحتاج معها إلى إقامة بيّنة ، والكفالة التي نطقت بها الأفواه مسرة ومعلنة ،
والأمانة التي حدا فيها حدو أبيه وأتبع سننه .

فلذلك رسم - لا زال يُديم النعم لأهلها ، ويُنقى المراتب الدينية لمن أضحى محله
مناسبا محلها ، أن يستقر فإينب عن عمه في هذا التدريس ،
وليقف ما يسر النفوس من أثره النفيس ، وليفد الطلبة على عادته ، وليبد لهم من

التقول ما يُظهر غزير مادته ؛ وليستنبط المسائل ، وليُجِبْ بالأدلة المسائل ؛ ويرجِّح
المباحث ، ولكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ؛ وليستقل بهذه الوظيفة المباركة
بعد وفاة عمه أبقاه الله تعالى ، وايتزید من العلوم ليلبغ من صدقاتنا الشريفة آمالاً ،
والله تعالى يسدّد له بالتقوى أقوالاً وأفعالاً ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لتربة الإمام الشافعي
رضي الله عنه ، كُتِبَ به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين
ابن بنت الأعز . من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافعي البعث بخير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمن الأخير بمن
لو كان في الصدر الأول لأثنى على ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأسماع
من وجيز قوله المحرر ما لولا سبق لما عدل إلى شرح وجيز سواه الرافعي .

نحمده على نعم ألهمت وضع الأشياء في محلها ، وأستيداعها عند أهلها ، وتأتيها
بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يتزين بها المقال ، ويتبين بها
الحق من الضلال ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبئه موضح الطرق إلى الحق
المبين ، وناهجها إلى حيث مجتمع الهدى ومرتبّع الدين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة تهدي إلى صراط الدين ، ورضي الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصدق
وصدق به فقوى سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام
المتقين وسمى أمير المؤمنين ، ومنهم من جهز جيش العسرة فثبت جأش المسلمين ،

ومنهم من أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية فأخذها منه بائمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى «محمد بن إدريس» رضى الله عنه هو شهدة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وبهجة المتلحظ ، وطراز ملبس الهدى ، وميدان الاجتهاد الذى لا تقف أعنة جواده عن إدراك المدى ، وقد تجملت ديار مصر من بركة صاحبه بمن تشد إليه الرحال ، وتفخر جبانة هو فيها حال ، وجيد هو بجواهر علومه حال ، ومن يحسن إلى ذريحه السيف الاستناد ، وإذا قرئت كتبه لديه قيل ما أبعد هذا المرمى الأسنى ! وما أقرب هذا الإسناد ! وما أسعد حلقة تجمع بين يدي جدته يتصدر فيها أجل حبر ، ويتصدى لنشر العلوم بها من عرف بحسن السيرة عند السبر ، ومن لولا نحرق العوائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحب ذلك القبر كما قال : «قال صاحب هذا القبر» - حسن بهذه المناسبة أن لا ينتصب فى هذا المنصب إلا من يحمده هذا السيد الإمام جواره ، ومن يرضيه منه - رضى الله عنه - حسن العبارة ، ومن يستحق أن يتصدر بين نجوم العلماء بدارة تلك الخطة فيقال قد حمل الله به دارة هذا البدر وعمره به من هذا المدرس دارد ، الذى يفتقر إلى تنويل نعمه ، وتنويه قلمه ، من الأئمة كل غنى ، ويعجب ببلاغة خطبه ، وصياغة كتبه ، من يجتلي ومن يجتنى ، ومن يهنا المستفيدون من عدوبة ألفاظه وصفاء معانيه بالمورد الحنى ، ومن إذا سح سحابة المطال اعترف له بالهمم والهمول المزنى ، والذى لسعد جده من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم ببنيه من أشبال ! ، وأعزز به من فاتح أبواب إشكالات تجز عن فتحها القفال ! ، ومن إذا قال سكت الناس ، ومن إذا قام قعد كل ذى شئاس ، وإذا أخذ بالنص ذهب الأقياس ، وإذا قاس قيل هذا بحر المذهب المشار إليه بالأصابع فى مصره حلاله ولا ينكر لبحر المصر الإشارة

بالأصابع ولا القياس؛ ومن يزهُو بتقى قلبه ورقى جوابه لسان التعويل ولسان التعويد، كما يميس بإحاطته وحياطته قلم الفتوى وقلم التنفيذ، ومن يفخر [به] كل عالم مفيد إذا قال : أنا بين يديه طالب وأنا له تلميذ؛ ومن حيثما التفت وجدت له سؤددا جماً، وكيفما نظرت رأيت له من هنا وزارة، ومن هنا خطابة، ومن هنا مشيخة، ومن هنا تدريسا، ومن هنا حكماً !!!؛ فهو الأصل ومن سواه فروع، وهم الأئمة وهو ينبوع؛ وهو مجموع السيادة، المختار منه الإفاده، فما أحسنه من اختيار وما أتمه من مجموع، وكان قاضي القضاة، سيد العلماء، رئيس الأصحاب، مقتدى الفرق، قدوة الطوائف، صاحب تقي الدين «عبد الرحمن» ولد الصاحب قاضي القضاة تاج الدين بن [بنت] الأعز أدام الله شرفه، ورحم سلفه، ذو منتهى رغبة الراغب، ومُشْتَهَى مُنِيَةِ الطالب؛ ومن إذا أضاءت ليالي النقوس بأقمار فتاويه قيل (بياض العطايا في سواد المطالب)، ومن تفتق الآراء على أنه ليس الكهولة شيخ المذاهب؛ ومن عليه يحسن الاتفاق، وبه يجمل الوفاق، وإذا ولي هذا المنصب أتهج بولايته إياه مالك في المدينة وأبو حنيفة وأحمد رضي الله عنهم في العراق؛ وأهترت به وبجواره فوائده من ضريح إمامه جوانب ذلك القبر طرباً، وقالت «الأم» «لقد أبهجت - رحم الله سلفك - بجِدِّك وإبائك جدًا وأبا، ولقد استحققت أن يقول لك منصب سلفك رضي الله عنهم : أهلاً وسهلاً ومرحباً، وهذه نسمات صبا، كانت الإفادة هنالك تعرفها منك من الصبا .

فالحمد لله على أن أعطى قوس ذلك المحراب باربيها، وخص بشق سهامها من لا يزال سعده مباربيها، وجمل مطلع تلك السماء بيدركم باتت [عليه] الدرر تحسد دراريها، وألم حسن الاختيار أن يجرى القلم بما يحسن بالتوقيع الشريف موقعه، ويجمل في أثناء الطروس وضعه وموضعه .

فَرَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَسَالَى الْمَوْلَوَى ، السَّلْطَانَى : - أَجْرَاهُ اللَّهُ بِالصَّوَابِ ،
وَكَشَفَ بَارْتِيَانِيَهُ كُلَّ أَرْتِيَابِ ، وَلَا زَالَ يَخْتَارُ وَيَنْتَقِي لِلنَّاصِبِ الدِّينِيَّةِ كُلِّ عَالِمٍ
بِأَحْكَامِ الشُّنَّةِ وَالْكِتَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ تَدْرِيسُ الْمَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَّةِ النَّاصِرِيَّةِ
الْمَجَاوِرَةِ لَضَرْجِ الْإِمَامِ الشَّافِعَى بِالْقِرَافَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَلْيُخَوَّلْ وَلْيُنَوَّلْ كُلَّ
ذِي اسْتِفَادَةٍ ، وَلْيَجْمَلْ مِنْهُ بِذَلِكَ الْعِقْدِ الثَّمِينِ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ بِأَنْفِمْ وَأَسْطَةِ تَفَخَّرُ بِهَا
تِلْكَ الْقِلَادَةُ ، وَلْيَذْكَرْ مِنَ الدَّرُوسِ مَا يُبْهِجُ الْأَسْمَاعَ ، وَيَرْضَى الْإِتِّجَاعَ . وَيُجَادُ بِهِ
الْإِتِّفَاعَ ، وَيَحْتَلِبُهُ مِنْ أَخْلَافِ الْفَوَائِدِ آرْتِيضَاءُ الْإِرْتِضَاعِ ، وَيَتَنَاوَلُ الرُّوَاةُ
فَوَائِدَهُ إِلَى عِلْمَاءِ كُلِّ أَفُقٍ مِنَ الْبِقَاعِ ، وَلْيَقُلْ فَإِنَّ الْأَسْمَاعَ لِفَوَائِدِهِ مُنْصِتَةٌ ،
وَالْأَصْوَاتُ لِمَبَاحِثِهِ خَاشِعَةٌ وَالْقُلُوبُ لِمَهَابَتِهِ مُجْتَبِتَةٌ ، وَلْيُنْهِضْ قَوَى الْمَسَائِلِ بِمَا
يَحْصُلُ لَهَا أَعْظَمُ انْتِعَاشٍ ، وَلْيُمِثْ مَا أَمَاتَهُ إِمَامُهُ مِنَ الْبِدَعِ فَيُقَالُ بِهِ لَهُ : هَذَا مُحَمَّدُ
أَبْنُ إِدْرِيسَ مَذْهُبَتِ أَنْتَ عَاشَ ، وَلْيُسْمِعْ بِعُلُومِهِ مَنْ بِهِ مِنَ الْجَهْلِ صَمَمٌ ، وَأَيْسْتَنْطِقُ
مَنْ بِهِ مِنَ الْفَهَاهَةِ بَكَمٌ ، وَلْيُحَقِّقْ عِنْدَ النَّاسِ بِتَعْصِبِهِ هَذَا الْإِمَامَ أَنَّهُ قَدْ قَامَ بِالتَّنْوِيهِ
بِهِ الْآنَ الْحَاكِمُ أَبُو الْحَاكِمِ أَخُو الْحَاكِمِ كَمَا قَامَ بِهِ فِيمَا سَلَفَ بِنُوعِبْدِ الْحَاكِمِ .

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا فَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ صَاحِبِ الْهَامِيَا ، وَجَالِبِ أَقْسَامِيَا ،
وَجُهَيْنَةِ أَخْبَارِيَا ، وَمَطْلَعِ أَنْوَارِيَا ، فَلَا يُعَادُ ، عَلَيْهِ مَا مِنْهُ يُسْتَفَادُ ، وَلَا يُنْتَرَعُ عَلَيْهِ دُرٌّ
هُوَ مَنْظَمُهُ فِي الْأَجْيَادِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَمِّرُ بِسِيَادَتِهِ مَعَالِمَ الدِّينِ وَأَكْنَافَهُ ، وَيَزِينُ بِفَضْلِهِ
الْمَتِينَ أَوْسَاطَ كُلِّ مِصْرٍ وَأَطْرَافَهُ ، وَيُضَيِّفُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْتَفِيدِينَ مَنْ يَبَارِقُهُ
وَإِشْفَاقُهُ يَكُونُ عَيْشُهُ خَفْضًا بِتِلْكَ الْإِضَافَةِ ، وَيَجْعَلُهُ لَا يُحْصَى حُنُوهُ بِمَعْهَدِ دُونَ
مَعْهَدٍ وَلَا بِمَسَافَةِ دُونَ مَسَافَةٍ ، وَيُثَبِّتُهُ وَمَنْفَعَتَهُ إِلَى سَارِيَّةِ سَارِيَّةِ الْإِطَافَةِ وَاللِّطَافَةِ ،
وَالْإِطَافَةِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ تَقُولُ لِكُلِّ نَاطِلٍ فِي الْقِرَافَةِ الْقَى رَافَهُ .

قلت : ولما تُوفِّي قاضي القضاة بدرُ الدين بن أبي البقاء - تغمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدرُّس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام في بعض الحركات ، فسافر أبْنُه أفضى القضاة جلالُ الدين حتى ادرك السلطان بالطريق ، على القُرب من غزّة ، فولَّاه الوظيفة المذكورة مكانَ أبيه ، وكان القاضي نورُ الدين بن هلال الدولة الدمشقي حاضراً هناك ، فأشار إليه القاضي فتحُ الدين فتحُ الله كاتبُ السر الشريف - عامله الله بلطفه الخفي - بإنشاء صدر لتوقيعه ، يسطر به للعلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له سَجْعَتَيْن ، هما :

أحمدُ لله الذي أظهر جلالَ العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام ساداتِ الأبناء مقامَ آبائهم في بثِّ علومهم وصلاتهم وصيامهم . ولم يجاوز ذلك إلى غيره ، فسَطَّر التوقيع بهاتين السجعتين ، وعلمَ عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضي جلال الدين المذكور : إنَّ هذا التوقيع يبقَى أبيض : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكلمته على هذا الأسلوب . فسمع القاضي كاتبُ السر كلامه ، فكتب لي بتكلمته على ظهره ، وعاد به القاضي جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرني بكلامِ ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فتلكتُ عن ذلك ، ثم لم أجِدُ بداً من إكمالِه وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان ، فأنشأت له على تينك السجعتين ما أكلته به ، بخاء منه تلو السجعتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخصَّ برياسة العلم أهل بيتٍ رأَتْ كهُولهم في اليقظة ما يمتنئ شيوخُ العلماء أن لوراؤه في منامهم .

وجاء من وسطه :

أقتضى حُسنُ الرأى الشريف أن نُتَوَّهَ بذكره، ونقدمه على غيره ممن رام هذا
المقام فحُجِبَ دُونَهُ رِزْوَانُهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .

وجاء فى آخره :

والله تعالى يرقبه إلى أرفع الذرا، وهذه الرتبة وإن كانت بدايته فهى نهاية غيره
(وإنَّا لَنرجو فوق ذلك مظهرا) .

وقد أعوزنى وجدانُ النسخة عند إرادة إثباتها فى هذا التأليف لضباغ مسودتها
ولم يحضرنى منها غير ما ذكرته . وفيما تقدم من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبدالظاهر
من توقيع القاضى تقي الدين ابن بنت الأعرز مالا ينظر مع وجوده إلى غيره .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية بمصر، المختصة بالمالكية،
المعروفة بالقمحية، بمصر المحروسة، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين الأقفهسى، وهى:
الحمد لله الذى زين معالم المدارس من أعلام العلماء بجبالها، وميز مراتب الكلمة
بإجراء سوابق الأفكار فى ميادين الدروس وفسيح مجالها، وعمّر معاهد العلم بأجل
عالم إذا ذكرت وقائع المناظرة كان رأس فرسانها ورئيس رجالها، وناط مقاصد
صلاح الدين بأكل حبر إذا أوردت مناقبه الماثورة تمسك أهل الديانة منها بوثيق
جبالها .

نحمده على اختيار الجوهر والإعراض عن الغرض، والتوفيق لإدراك المراد
وإصابة الغرض .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خص أهل العلم بكريم حياته ،
 وشرف مقامهم في الخليفة بفعلهم في حمل الشريعة ورثة أنبيائه ؛ شهادة تُعذب
 لقائلها بحسن الإيراد وردا ، وتُجدد لمتحليها بمواطن الذكر عهدا فيتخذها عند
 الرحمن عهدا ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبي علم وعلم ، وأكرم
 رسول فصل الأحكام إذ شرع ونذب وأوجب وحلل وحرم ؛ صلى الله عليه وعلى
 آله وصحبه الذين عنوا بتفسير كتاب الله تعالى فأدرَكوا دقيق معانيه ، وأهتموا
 بالحديث رواية ودراية ففازوا بتأسيس فقد الدين وإقامة مبانيه ؛ صلاة تُحيط من
 بحار العلم بزاجرها ، وتأخذ من الدروس بطرفيها فتقارن الحمد في أولها وتصحب
 الدعاء في آخرها ؛ ما تُتبع بالمنقول مواقع الأثر ، وعول في المعقول على إجابة الفكر
 وإجادة النظر ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما صرفت النفوس إليه هممها ، وأخلصت فيه نيته وخلصت
 من تبعاته ذممها ؛ وتبعته فيه آثار من سلف من الملوك الكرام ، وأعارته كلى نظرها
 وقامت بواجبه حق القيام - أمر المدارس التي هي مسقط حجر الأشتغال بالعلم
 ومستقر قاعدته ، وقطب فلك تطلابه ومحيط دائرته ؛ وميدان فرسان المشايخ ومدار
 رجالها ، ومورد ظمء الطلبة ومحط رحالها ؛ لاسيما المدارس الأيوبية التي أسس
 على الخير بناؤها ، وكان عن صلاح الدين منشؤها فتألق برقها وأستطار ضياؤها .

ومن أثبتتها وثيقه ، وأمثلها في الترتيب طريقه ؛ المدرسة القمحية بالفسطاط
 الآخذة من وجوه الخير بنطاقها ، والمخصوص بالسادة المالكية امتداد رواقها ؛
 إن أُعترت رعاية المذاهب قالت : مالك وما مالك . وإن عملت حِسبة المدارس
 في البر ، كانت لها فدالك ؛ قد رتب بها أربعة دُروس فكانت لها كالأركان الأربعة ،
 وجعلت صدقتها الجارية بُرا فكانت أعظم بُرا وأعم منفعة .

ولما كان المجلس العالى ، القاضوى ، الشيخى ، الكبيرى ، العالمى ، العاملى ،
الأفضلى ، الاكلى ، الأوحدى ، البلىغى ، الفرىدى ، المفيدى ، النجيدى ، القدوى ،
المجئى ، المحققى ، الإمامى ، الجمالى : جمال الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء
العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ، قدوة البلغاء زين الأمة ، أوجد الأئمة ،
رحلة الطالبين ، نحر المدرسين ، مفتى الفرق لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ،
خالصة الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين ، أبو محمد « عبد الله الأقفهسى »
المالكي - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان ، والمحدث بفضلته
في الآفاق وليس الخبر كالعيان ، ما ولي منصباً من المناصب إلا كان له أهلاً ، ولا أراد
الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً ، ولا رمى إلى غاية إلا أدركها ، ولا أخط
به منطمة طلبة إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحركها ، إن أطال في مجلسه أطاب ،
وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأتاب ، وإن أورد سؤالاً عجز مناوئته عن
جوابه ، أوفتح باباً في المناظرة أحجم مناظره عن سدّ بابه ، وإن أمّ يمحث أربى
فيه وأناف ، وإن أفتى بحكم أندفع عنه المعارض وأرتفع فيه الخلاف ، فنوّادره
المدونة فيها البيان والتحصيل ، ومقدماته المبسوطة إجمالاً يغني عن التفصيل ،
ومشاركه النيرة لا يأفل طالعيها ، ومداركة الحسنة لا يسأم سامعها ، وتهذيبه المهذب
جامع الأمهات ، وجواهره الثمينة لا تقاوم في القيمة ولا تضاهي في الصفات -
أقتضى حسن الرأي الشريف أن نتّوه بذكره ، ونقدّمه على غيره ، ممن حاول ذلك
فامتنع عليه ، والله غالب على أمره .

فذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطاني ، الملكى ، الناصرى ،
الزىنى - لا زالت مقاصده الشريفة في مذاهب السداد ذاهبه ، ولا أغراض الحق
والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه في تدريس المدرسة

الصَّلاحيَّة بِمصر المحروسة المعروفة بِالْقَمْحيَّة عِوضًا عن فلان الفلاني ، على عادة مَنْ تقدّمه .

فليتلقَّ ذلك بالقبول ، وَيَبْسُطُ في مجالس العلم لسانه فمن كان بمثابة في الفضل حقَّ له أن يقول وَيَطُول ؛ وملاك الأمر تقوى الله تعالى فهي خيرُ زاد ، والوصايا كثيرة وعنه تُؤخَذُ ومنه تُستفاد ؛ والله تعالى يبلِّغه من مقاصده الجميلة غاية الأمل ، ويرقيّه من هَضاب المعالي إلى أعلى مراتب الكمال وقد فعَل ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجةً بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع أيضا بتدريس المدرسة الصلاحية المذكورة ، أنشأته للقاضي شمس الدين محمد ابن المرحوم شهاب الدين أحمد الدفري المالكي ، في شعبان سنة خمس وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله مُطَّلِع شمس الفضائل في سماء معاليها ، ومبلِّغ دَراري الدَّراري النبوية الذِّكر بسعادة الجَدِّ غاية غيرها في مبادئها ؛ وجاعِلِ صلاح الدين أفضل قصيد فوقت العناية سبامها بإصابة غرضه في مراميها ، ومجدِّدِ معالم المدارس الدارسة بخير نظر يقضي بتشييد قواعدها وإحكام مبانيها .

نحمده على أن صرف إلى القيام بنشر العلم الشريف اهتمامنا ، وجعل بخيرته العائدة إلى التوفيق في حُسن الاختيار اعتصامنا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مُفِيضُ نتائج الأفكار من وافر إمداده ، ومخصِّصُ أهل التحقيق بدقيق النظر تخصيص العام بقصره على بعض أفراده ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أوفَر البرية في الفضل سهما ، والقائل

تنويهاً بفضيلة العلم : « لا بُورِكَ لِي فِي صَبِيحَةِ يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حُلُّوا مِنَ الْفَضْلِ جَوَاهِرَهُ الثَّمِينَةَ ، وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ ضُرِبَتْ آبَاطُ الْإِبْلِ مِنْهُمْ إِلَى عَالِمِ الْمَدِينَةِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْحِمَمُ ، وَبَرَّتْ بِتَأْدِيَةِ حَقِّهِ الدَّمَمُ ، وَغَدَّتِ النُّفُوسُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِ مَشْتَغَلَةً ، وَالْفِكَرُ لِشَرَفِ مَحَلِّهِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مُشْتَقَلَةً ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ الْمَدَارِسِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْإِسْتِفَالِ بِالْعِلْمِ سَبَبًا مُوَصُولًا ، وَلَطَلَبَتَهُ رَبْعًا لَا يَزَالُ يَجَالِسُ الذِّكْرَ مَأْهُولًا ، لِاسْمِيَّ الْمَدَارِسِ الَّتِي قَدْ قَدَّمَ فِي الْإِسْلَامِ عَهْدُهَا ، وَعَدَّبَ بِاسْتِمْرَارِ الْمَعْرُوفِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَرَدُّهَا .

وَمَا كَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الصَّلَاحِيَّةُ بِقُسْطَاطِ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ قَدْ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بُنْيَانُهَا ، وَمُهَّدَتْ عَلَى الْخَيْرِ قَوَاعِدُهَا وَأَرْكَانُهَا ، وَأَخْتَصَّتْ طَائِفَةُ الْمَالِكِيَّةِ مِنْهَا بِالْخِصِيصَةِ الَّتِي أَغْنَى عَنْ بَاطِنِ الْأَمْرِ عُقُوبَاتُهَا ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي خَطَبَتْهُ الرَّتَبُ الْجَلِيلَةَ لِنَفْسِهَا ، وَعَيْنَتَهُ لِهَذِهِ الْوِظِيْفَةِ فِضَائِلُهُ الَّتِي قَدْ آتَى اللَّهُ الْحَمْدُ بَرُوعُ شَمْسِهَا ، وَعَهَّدَتْ مِنْهُ الْمَعَاهِدُ الْجَلِيلَةَ حَسَنَ النَّظَرِ فَتَأَقَّتْ فِي يَوْمِهَا إِلَى مَا أَلْفَتْ مِنْهُ فِي أَمْسِهَا - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُفْرَدَ بِهِ هَذِهِ الْوِظِيْفَةُ الَّتِي يَقُومُ إِفْرَادُهُ فِيهَا مَقَامَ الْجَمْعِ ، وَنَجَعَ لَهُ مِنْ طَرَفِهَا مَا يَتَّفِقُ عَلَى حُسْنِهِ الْبَصَرُ وَيَقْضِي بِطَيْبِ خَبَرِهِ السَّمْعُ .

فَلِذَلِكَ رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي ، الرَّيْحِي : - لَا زَالَ يُقِيمُ لِلدِّينِ شِعَارًا ، وَيُرْفَعُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ مِقْدَارًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي الْوِظِيْفَةِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ عِلْمِهِ وَدِيَانَتِهِ ، وَبَانَ مِنْ عَفَّةِ الْمَشْهُورَةِ وَزَاهِدَتِهِ ، وَاتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْإِفَادَةِ ، وَعُرِفَ [عَنْهُ] مِنْ نَشْرِ الْعُلُومِ فِي الْإِبْدَاءِ

والإعاده ؛ وشاع من طريقته المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قدمته على أبناء زمانه ، ورفعتَه إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فليأشر تدريسها مظهرًا من فوائده الجليلة ما هو في طي ضميره ، مضمرًا من حسن بيانه ما يستغنى بقليله عن كثيره ؛ مقربًا إلى أذهان الطلبة بهذيب الفاظه الرائقة ما يفيد ، مُوردًا من علومه المدقونة ما يجمع له بين نواذر المقدمات ومدارك التمهيد ؛ مُوفيًا نظرًا بحسن التدبير حق النظر ، موفراً رزقها بما يصدق الخبر فيه الخبر ؛ قاصدًا بذلك وجه الله الذي لا يُنجب لراج أملًا ، معاملاً فيه الله معاملة من يعلم أنه لا يُضيع أجر من أحسن عملاً . وملاك الوصايا تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستدده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضاه نهاية سؤله وغاية أمليه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبة الصالح ، أنشأته أفاضى القضاة بحال الدين «يوسف البساطي» بعد أن كتبت له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للعلم جمالًا تهافت على دركه محاسن الفضائل ، وتوارد على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتحقق شواهد الحال من فضله ما يتامح فيه من لوايح المخايل .

نحمدُه على نعمه التي ما استهلَّت على ولي فاقلَع عنه غمامها ، ولا استقرت بيد صفي فأنزعت من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُزهر بعالم الدين غروبها ، وتنبع بثمار الفوائد المتتابعة دروسها ؛

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأولهم في علو المرتبة مكاناً
وإن كان أحرمهم في الوجود عصراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الحائزين بقربه
أخراً المناقب ، والفائزين من درجة الفضل بأرفع المراتب ، صلاة تكون لخلق الذكر
نظاماً . ولأولها أفتاحاً ولآخرها ختاماً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شيمنا الشريفه ، وسجايانا الزاكية المنيفه ؛ أنا إذا منحنا منحا
لا نستعيدده ، وإذا أعطينا عطاءً لا ننقصه بل نزيده ؛ وإذا قربنا ولياً لا نُقصيه ،
وإذا أنعمنا على صفيٍّ إنعاماً لا نعدده عليه ولا نُحصيه .

ولما كان تدریس المدرسة المالکية بقبة الصالح من أعلى دروسهم قدراً ،
وأرفعها لدى التحقيق ذكراً ، وأعظمها إذا ذكرت الدروس فخراً ؛ إذ مجال جداله
تفطر المرائر ، وبميدان مباحثه تشهر البلق من مضممرات الضمائر ؛ ويسوق
مناظرته يميز النصار عن الشبه ، ويحك مطارحته تبين الحقائق من الشبه ؛ وبمظان
مجلسه يعرف العالی والسافل ، وبمركة فرسانه يعرف من المفضول والفاضل ؛ ومن
ثم لا يليه من علمائهم إلا الفحول ، ولا يتصدى لتدريسه إلا من أمسى بحسام
لسانه على الأقران يصول ؛ ولم يزل في جملة الوظائف المضافة لقضاء القضاة
في الأول والآخر ، تابعاً لمنصب الحكم في الولاية كل زمن إلا في القليل النادر ؛
وكان المجلس العالی ، القاضوى ، الكبيرى (إلى آخر القابه) أدام الله تعالى
نعمته قد أشملت ولايته عليه لأبتداء الأمر استحقاقاً ، وحفظه كرمنا عليه فلم
يجد الغير إليه استطرافاً - أقتضى حسن رأى الشريف أن تتبع ذلك بولاية
ثانية تؤكد حكم الولاية الأولى ، وزدده بتوقيع يجمع له شرف القدمة والجمع
ولو بوجه أولى .

فذلك رُسم بالأمر الشريف العالی ، المولوی ، السلطانی ، الملکی ، الناصری ،
الزینی - لا زال يعتمد في مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد
النظر حتى يقال ما أحسن نظر الناصر في مصالح الصالح ! - أن يستمر المجلس العالی
المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع
المعارض وإبطال ما كُتب به وما سيكتب ما دام ذلك في يده ، على أتم العوائد
وأكملها ، وأحسن القواعد وأجملها .

فلتلق ما فوض إليه بكتنا يديه ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنحة فإنها
نعمة جديدة توجب مزيد الشكر عليه ، ولتصدر بهذا الدرس الذي لم تزل القلوب
تقطع على إدراكه حسرات ، ويتصد لإلقاء فوائده التي إذا سمعها السامع قال :
هنا تسكب العبرات ، ويبرز لفرسان الطلبة من ... (١) صدره من كمينه ، ويفض
على جداولهم الحفاة ما سخ به فكره من ينابيع معينه ، مستخرجاً لهم من قاموس قريحته
درر ذلك البحر الزاخر ، مظهرها من مكنون علمه ما لا يعلم لمدته أول ولا يدرك لمداه
آخر ، وينفق من ذخائر فضله ما هو بإنفاقه مائي ، متفقدا بفضل غنايه من هو عن
فرائده المربحة غير غني ، مقررراً للبحث تقريراً يزول معه الإلتباس ، مسنداً فروع
النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، معتمدا لما عليه
جادة مذهبه في الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ،
مقبلاً بطلاقة وجهه في درسه على جماعته ، باذلاً في آستمالهم طاقة جهده محسناً
إليهم جهد طاقته ، مربياً لهم كما يربي الوالد الولد ، موفياً من حقوقهم [في] التعليم
ما يبقى له ذكره على الأبد ، متمياً ناشئتهم بالتدريب الحسن تنمية الفروس ، جاهداً
في ترقيتهم بالتدريج حتى يؤهل من لم يكن تُظن فيه أهلية الطلب لأن يتصدى

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

للفَتَاوَى وإلقاء الدُّروس ؛ سالكا من مناهج التقوى أحسن المسالك ، مُوردا من
تحقيقات مذهبه ما إذا تمحه اللاححُ لم يشكَّ أنه لزام المذهب مالك ؛ والله تعالى
يُجْرِيه على ما ألقه من موارد إنعامه ، ويمتّع [هذه الرتبة] السنيّة : تارة يجالس
دروسه وتارة يجالس أحكامه ؛ والاعتماد



وهذه نسخة توقيع بتدريس الحديث بالجامع الحاكِمى ، من إنشاء الشَّهاب
«محمود الحاكِمى» للشيخ قُطب الدين «عبد الكريم» وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق السنّة الشريفة من أعلام علمائها قُطبا ، وأظهر
فى مطالعها من أعيان أئمتها نُجوما أضاء بهم الوجود شرقا وغربا ؛ وأقام لحفظها
من أئمة أعلامها أعلاما أحسنوا عن سندها دفاعا وأجملوا عن مُتونها ذبا ، وشرف بها
أهلها فكلما بعدت راحلتهم فى طلبها ازدادوا من الله قُرُبا ؛ وأختار لحملها أمناء شغفت
محاسنهم قلوب أهل الفرق على اختلافها حبا ، وسلَكوا باتباعها سنن السنن فأمِنوا
أن تُروّع لهم الشُّبه سُرُبا ؛ وألهمنا من تعظيم هذه الطائفة ما مهد لهم فى ظل تقربنا
إليه مقاما كريما ومنزلا رَحبا ، وعصم آراءنا فى الارتياذ له من الخلل فلا نختار
له إلا من نُسر باختياره طلبه وتُقبض بتعيينه أئمة وُرضى بأرتياده ربا .

نحمده على نعمه التى صانت هذه الرتبة السنيّة بكفائها ، وزانت هذه المرتبة
الشريفة بمن لم يميل عينه فى تأثيل قواعدها إلى إغفائها ، وجعلت هذه الدرجة العلية
فلكا تُشرق فيه لأئمة الحديث أنوار علوم تفتى الدهور دون إطفائها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُجادل عن سنّته الشريفة
بالسنة أسنّته ، مجالِدٍ عن كلمتها العلية بقبض معاهد سُيوفه وإطلاق أعتته ، باعث

بالجهاد دعوتها إلى كل قلب كان عن قبولها في حجب أكتته . ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم ، ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم
بها سلم ، فهي مع كتاب الله أصل شرعه القويم ، وحبل حكيه الذي لا يتمكن يد
الباطل من [حل] عقده النظيم ، وكنوز دينه التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عَضُوا على سنته بالنواجذ ، وذَبُّوا عن شريعته بسُيوف
الجلاد القواطع وسهام الجِدَال النوافذ ؛ صلاة لا يزال يُقام فرضها ، ويملأ بها طول
البيسطة وعرضها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما توجهت إليه إلى أرتياد أمته ، وتوفرت الدواعي على
التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض مناصبه إلى البررة الكرام من
أمته - علم الحديث النبوي صلوات الله وسلامه على قائله ، وحفظه بدروسه التي
جعلت أواخر زمنه في صحة نقله ومعرفة أسراره كأوائله ؛ وأن نختار لذلك من نشأ
في طلبه حتى آكتهل ، وسرى في تحصيله سرى الأهلّة حتى آكتمل ؛ وغدّى بلبان
التبحر فيه حتى أمترج بأديمه ، وجدّ في تحصيله وأجتهد حتى ساوى [في] الطلب بين
حديث عمّره وقديمه ؛ وحفظ من متونه ، ما بمثله يستحق أن يدعى حافظا ، وغلب
على فنونه ، حتى قل أن يرى [بغير] علومه والنظر في أحكامه لافظا ؛ فإنه بعد كتاب
الله العزيز مادة هذا الدين الذي يحكم بنصوصه ، وتتفاوت رتب العلماء في حسن
العمل بمطلقه ومقيده وعمومه وخصوصه ؛ وعنهما تفرعت أحكام الملة فملأت
علومها جميع الآفاق ، وزكت أحكامها الشرعية على كثرة الإنفاق ؛ وسرى الناس منها
على المحجة التي آستوى في الإشراق ليّلها ونهارها ، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة
نورها ومناورها ؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يذّبون عن سنة نبهم ذبّ اللبوث ، ويجودون

(١) لم يتقدم ما يعطف عليه ولعل الأصل «فوجب أن نهم به أجل اهتمام» وأن نختار الخ .

على الأسماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جود الغيوث ، ويحافظون على الفاظها محافظة من سمعها منه صلى الله وسلم تليسه ، ويعظمون مجالس إيرادها وتقلها حتى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ، ويُفألون في العلو طلبا للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المغارب ! .

ولما كان المجلس السامي الفلاني : هو الذي عني بكل ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة في علم الحديث اقتضت له حسن أولوية ووجوب تقديم ، وتلقى هذا العلم كما وصف عن أئمة حتى صار من أعيانهم ، ولقي منهم علماء أضحى باقتنائهم كما كانوا رحلة زمانهم ، ونظر في علومه فاتقنها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، في أسماء الرجال ، فإلى اطلاعه يرجع في تجريح المجرح وتعديل الصّحاح ، وكان منصبه تدريس الحديث الشريف النبوي الذي أنشأه بالجامع الحاكمي تكثيراً لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونويناها لأرتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإنما لكل أمرئ ما نوى ، قد استغرقت أوقات مباشرة بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه إليه ، وتوفير زمانه على

قلت : وتختلف أحوال التواقيع التي تكتب بالتدريس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، في براعة الاستمالة والوصايا ، وهو في الوصايا أكد .

(١) ترك هنا بيضا للبقية ولعله يكلمه انكلا على ما هو معروف ومشهور في مثله .

وهذه نُسخ وصايا أوردتها في التعريف :

وصية مدرّس - وليطّلع في محرابه كالبدر وحواله هالة تلك الخالق^(١) ،
وقد وقت أهداب ذلك السواد منه أعظم أسوداداً من الحدقه ، ويرق سجّادته التي
هي لبدة جواده إذا استنّ الحدال في المضمار ، وليخف [أضواء] أولئك العلماء الذين
هم كالنجوم كما تتضاءل الكواكب في مطالع الأقطار ، وليبرز لهم من وراء المحراب
كبينه ، وليفيض على جداولهم الجافة معينه ، وليمذف لهم من جنبات ما بين جنبيه
دُرر ذلك البحر العجاج ، وليُرهم من غرر جواده ما يعلم به أن سوابقه لا يهولها قطع
الفجاج ، وليظهر لهم من مكنون علمه ما كان يخفيه الوقار ، وليهب من ممنون فضله
ما يهب منه عن ظهر غنى أهل الافتقار ، وليقرر تلك البحوث وبين ما يرد عليها ،
وما يرد به من منعهما وتطرّق بالنقض إليها ، حتى لا تنفصل الجماعة إلا بعد ظهور
الترجيح ، والإجماع على كلمة واحدة على الصحيح ، وليقبل في الدروس طلق
الوجه على جماعته ، وليستملهم إليه بجهد استطاعته ، وليرّبهم كما يرّبى الوالد الولد ،
وليستحسن ما تبيى به أفكارهم وإلا فكم رجل بالجبه لينت فكر وأد ، هذا
إلى أخذهم بالإشغال ، وقدح أذهانهم للاشتغال ، ولينشئ الطلبة حتى يمتي منهم
الغروس ، ويؤهل منهم من كان لا يظنّ منه أنه يتعلم لأن يعلم ويأتي الدروس .

وصية مقرر :

وليدم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مصباح قلبه . وصلاح قربه ، وصباح
القبول المؤذن له برضا ربه ، وليجعل سُوره له أسواراً ، وآياته تُظهر بين عينيه

(١) جرى في تحريك لام الحلقة على ما رواه يونس عن أبي عمرو بن العلاء من كونه لغة في السكون

أنظر "المصباح" .

أنواراً ، وليلتُ القُرءان بحُرُوفِهِ وإذا قرأ استعاذ ، وإيجمع طُرُقَهُ وهى التى عليها الجمهور ويترك الشواذ ؛ ولا يرتدّ دون غاية لإقصار ، ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق بحمد الله إحصار ، ويتوسّع فى مذاهبيه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة أئمة الأئصار ؛ وليبدل للطلبة الرّغاب ، وليشيع فإن ذوى النّهمة سغاب ، وليرّ الناس ما وهبه الله من الإقتدار فإنه احتضن السبع ودخل الغاب ؛ وليتمّ مباني ما أتم « ابن عامر » و « أبو عمرو » له التعمير ، ولقّه « الكسائى » فى كسائه ولم يقل جدّى « ابن كثير » ؛ وحّم به « لحمزة » أن يعود ذاهب الزمان ، وعلم أنه لا « عاصم » من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان ؛ وطفق يتفجّر علماً وقد وقفت السيول الدوافع ، وضراً أكثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم وهو « نافع » ؛ وليقبل على ذوى الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالتربية فما منهم إلا من هو إليه قد أنتسب ؛ وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النّماء . وموصل سببه منه بحبل الله المتمدّن من الأرض إلى السماء ؛ فليقدّر حق هذه النعمة بحسن إقباله على التعليم .
والإنصاف إذا سُئل فعلم الله ما يتناهى (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٌ) .

وصية محدث :

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطرباً ، وعلى ما جمعت طرُق أهل الحديث مُطَّلِعاً ، وصحّ [فى] الصحيح أن حديثه الحسن ، وأن المرسل منه فى الطلب مقطوع عنه كل ذى لسن ؛ وأنّ سنده هو المأخوذ عن العوائى ، وسماعه هو المرقص منه طول اللبائى ؛ وأنّ مثله لا يوجد فى نسبه المعرق ، ولا يعرف مثله للحافظين « ابن عبد البر » بالمغرب و « خطيب بغداد » بالمشرق ؛ وهو يعلم مقدار طلب الطالب فإنه طالما شدّه النطاق . وسعى له سعيه وتحمّم المشاق ؛ وأرتحل له يشتد به حرصه والمطابا

مُرْزَمَهُ ، وَيَنْبَهُ لَهُ طَلْبُهُ وَالْحُفُونَ مُقْفَلَةٌ وَالْعُيُونَ مَهْوَمَةٌ ، وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضَجِرُهُ طَوْلُ الْوَقُوفِ حَتَّى يُؤَذِّنَ لَهُ فِي وُلُوجِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرْفُصَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضِيقُ بِهِ عَلَى قِصَرِ فُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا أَتَوْهُ لِلْفَائِدَةِ مَعَامَلَةً مِنْ جَرِّبٍ ، وَلْيُنَشِّطِ الْأَقْرَبَاءَ مِنْهُمْ وَيُوَسِّسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مَنْ طَلَبَ آوِنَةً مِنْ قَرِيبٍ وَآوِنَةً تَغْرَبُ ، وَلْيُسْفِرْ لَهُمْ صَبَاحُ قِصْدِهِ عَنِ النَّجَاحِ ، وَلْيَنْتَقِ لَهُمْ مِنْ عُمُودِهِ الصَّحَاحَ ، وَلْيُوصِّحْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ، وَلْيُرِخْ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيْبِهِ مَا كَانَ يُسَارَ إِلَيْهِ السَّيْرَ الْحَيْثُ ، وَلْيُؤْتِهِمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَجَالَ ، وَيَعَلِّمَهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتُونِ وَالرِّجَالِ ، وَيَبَصِّرْهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالمَعْتَلِّ الَّذِي تَنْتَازِرُ أَعْضَاؤُهُ سُقْمًا كَالْعَلِيلِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرِجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عِنَايَهُ ، وَمَا يُنْقَبُ فِيهِ عَنِ دِرَايَةِ أَوْ يَقْنَعُ فِيهِ بِمَجْتَرِدِ رِوَايِهِ ، وَمِثْلُهُ مَا يُزَادُ حِلْمًا ، وَلَا يُعْرَفُ بِمَنْ رَخَّصَ فِي حَدِيثِ مَوْضُوعٍ أَوْ كَتَمَ عِلْمًا .

وصية نحوي :

وهو زيد الزمان ، الذي يضرب به المثل ، وعمرو الأوان ، وقد كثر من سيبويه المثل ، وما زنى الوقت ولكنه الذي لم تستبح منه الإبل ، وكسائي الدهر الذي لو تقدم لما اختار غيره الرشيد للامون . وذو السؤدد ، لا أبو الأسود ، مع أنه ذو السابقة والأجر المنون ، وهو ذو البر المسأثور ، والقدر المرفوع ولو أود المنصوب وذيل نخاره المجرور ، والمعروف بما لا ينكر لمثله من الحزم ، والذاهب عماء الصالح بكل العوامل التي لم يبق منها لحسوده إلا الحزم ، وهو ذو الأبيّة التي لا يفصح عن مثلها الإعراب ، ولا يعرف أفصح منها فيما أخذ عن الأعراب ،

والذى أصبحت أهدأه فوق عمائم الغمام ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُشكر منه
أُسه ويومه وغُدّه وإنما الكلمات ثلاث . فليُتصدّ للإفاده ، وليعلمّهم مثل
ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة ، وليكن للطلبة تبحراً به يهتدى ، ويرفع
بتعليمه قدر كل حبر يكون خيراً له وهو المتبدا ، وليقدمّ منهم كل من صلح
للتبريز ، وأستحقّ أن يُنصب إماماً بالتمييز . وليُورد من موارد أهدب النطاف .
وليجز إليه كل مضاف إليه ومُضاف ، وليُوقفهم على حقائق الأسماء ، ويعرفهم
دقائق البحوث حتى اشتقاق الأسم هل هو من السمو أو من السماء ، وليبين لهم
الأسماء الأعجمية المنقولة والعربية الخالصة ، وليدّلم على أحسن الأفعال لا ما يُستبه
فيه بصفات كان وأخواتها من الأفعال الناقصة ، وليحفظهم المثل وكلمات
الشعراء ، وليُنصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ، وليعامل
جماعة المستفيدين منه بالعطف ، ومع هذا كله فليُرفق بهم فما بلغ أحدُ علماً بقوة
ولا غايةً بعسْف .



(١) وهذه وصية لغوى أوردتها في التعريف .

الوظيفة الثامنة

(التصدير)

وموضوعه الجلوس بصدر المجلس بجامع أو نحوه . ويجلس متكلم أمامه على كرسى كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرقائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ما سنع له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكرسى .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأته للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصاري » الشهير بـ « الشاب الثائب » بالجامع الأزهر ، وهي :

رسم ... لا زالت صدقائه الشريفة تُحْصُ المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس
كان لرتبته أجمل صدرٍ يجتبي من علماء التفسير . ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه
وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه في الحقيقة تفسيراً وتصطفي من سراًة
الأمثال من دار نعته بين « الشاب الثائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم
نعتٍ على كل تقدير - أن يستمر المجلس السامي أدام - الله تعالى رفعته - في كذا
وكذا ، لأنه الإمام الذي لأسامي علومه ولا تُسام ، والعلامة الذي لا تُدرك مداركه
ولا تُرام ، والخبر الذي تتعقد على فضله الخناصر ، وفارس الحلبه الذي يعترف
بالقصور عن مجاراة جياده المناظر ، وآية التفسير التي لا تُنسخ ، وعقد حقيقته الذي
لا يُفسخ ، والماهر الذي استحق بمهارته التصدير ، والجامع لقنونه المتنوعة

(١) أي بالأمر الشريف الخ .

(٢) بياض بالأصل ولعله « لم يفهم شرحه إلا عنه » ونحو ذلك .

جمع سلامة لاجمع تكسير ، وترجمان معانيه الآتى من غرائب تأويله بالعجب العجائب ، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علم من الكتاب ، وزاهد الوقت الذى زين بالعلم العمل ، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل .

فيلتق ما أتى إليه بالقبول ، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول ، وليبين من معانى كتاب الله ما أجمل ، ويوضح من خفى مقاصده ما أشكل ، وليسلك فى تفسيره أفوم سنن ، ويعلن بأسراره الخفية فى كتاب الله أجدر أن يكون عن علن ، وليجرب فيه على ما ألف من تحقيقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن ؟ ، وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان ، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ويحضر شبابهم على التوبة ليحبهم الله فيتصل فى المحبة سننهم فإن « الشاب التائب » حبيب الرحمن ، والله تعالى يرقه إلى أرفع الذرا ، ويرفع بمجلسه السامى على محل الثريا (وإنا لندجو فوق ذلك مظهرا) . إن شاء الله تعالى .

الوظيفة التاسعة

(النظر)

وموضوعه التحدث فى أمور خاصة بإباحة ضروراتها ، وعمل مصالحها ، وأستخراج متحصل جهاتها ، وصرفه على الوجه المعتبر ، وما يجرى مجرى ذلك .

وتشتمل على عدة أنظار :

منها - نظر الأحماس : جمع حبس^(١) وهو الوقف : فقد تقدم فى المقالة الثانية أنه كان أصل وضعه أراضى اشتراها (الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه)

(١) فى المختار «والحمس كالتقل مارقف» وهو المراد هنا .

ووقفها على جهاتٍ ربِّها، ثم تبعه الناسُ في إضافة الأوقاف إلى ذلك، إلى أن كانت وزارةُ الصاحبِ بهاءِ الدينِ ابنِ حنّا في سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى، فأفردَ للجوامع والمساجد والرُّبُط والزوايا ونحو ذلك رِزقاً، وقصرَ تحدُّثَ ناظرِ الأحماس ومباشرِيه عليها، وأفردت الأوقافُ بناظرٍ ومباشرين كما سيأتى :

وهذه نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصورى^(١)، كُتِبَ بها «لمهذب الدين» وهى :

الحمدُ لله الذى دَبَّرَ بحكمته الوجودَ، وعمَّ برحمته كلَّ موجودٍ، وحالَ بنفعِ الدواء بين ضرِّ الداءِ كما حالت عطاياه دونَ الوعودِ، ونمَّده ونشكره وهو المشكور المحمود، ونُثِّى عليه خيرَ الثناء قِيامًا وقُعودًا وعلى الجنُوبِ وفى السجُودِ، ونستزيدُه من فضله فإنه أهلُ الفضلِ والجلودِ .

ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً اللهُ بها والملائكةُ وأولو العلمِ شُهودٌ، ونشهدُ أن محمداً عبده ورسوله المبشِّرَ لأُمَّته بالجنّاتِ والخلودِ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً دائمةً إلى يومِ الوعودِ .

وبعد، فإنما لما أقام الله بنا شعائرَ الإيمانِ، وأصبح دينُه بحمدِ الله منصوراً بنا على سائرِ الأديانِ، وجاهدنا فى الله حقَّ الجهادِ باليدِ واللسانِ، وشيّدنا لعلومِهِ وشرائعِهِ كلَّ بديعِ الإِتقانِ، ورتبنا فيه من العلماءِ الأعيانِ كلَّ رفيعِ الشأنِ، وأخترنا له الأخيارِ من أهلِ العلمِ بالطبِّ والفِقهِ والحديثِ والقُرْآنِ، ورأينا كلَّ من تقدّمنا من الملوكِ، وإن سلكَ فى سياسةِ الرعيةِ أحسنَ سُلوكِ، قد آهَمَ بعلمِ الأديانِ وأهملَ

(١) حق هذا التوقيع أن يذكر في تواريخ الوظيفة السابعة الخاصة بالتدريس .

علم الأبدان ، وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يُخفِل بِبِيَارِستان ، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم : « العلم علمان » ، ولم يأخذ أحدا من رعيته بالاشتغال بعلم الطب المُضطرّ إليه ، ولا وقف وقفا على طلبة هذا العلم المنصوص عليه ، ولا أعد له مكانا يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه ، ولا نصب له شخصا يمثّل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه ، وذكرنا من هذه القرية ما أهملوه ، ووصلنا من هذه الأسباب الدنيوية والدنيوية ما فصلوه ، وأنشأنا بِيَارِستانا يَبهر العيون بهجه ، ويفوق الأبنية بالدليل والحجة ، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجه ، لو حله من أشفى لَعُوجِل بالشفا ، أو جاءه من أئمنه السقم لاشتفى ، أو أشرف عليه العمر بلا شفاء لعاد عنه بشفا ، ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين ، ويُطِرف سماع جملة الأذنين ، ويعيدُ عنه من أمه مملوء اليدين ، وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف ومأمور وأمير ، وساويننا فى الانتفاع به بين كل صغير وكبير ، وعلمنا أن لانظير لنا فى ملكنا ولانظير له فى إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير ، وجعلنا فيه مكانا للاشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يُجهل ، وشرعنا للناس إلى ورد بحره أعذب منهل ، وسهّلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل ، وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس ، وينتفع به الرئيس من أهل الصناعة والمرعوس ، ويؤمن على صحة الأبدان وحفظ النفوس ، فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلا لهذه المرتبة ، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبة ، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها مُعجبا وأضحى به مُعجبه .

ولما كان المجلس السامى « مهذب الدين » هو الرئيس المشار إليه ، والوحيد الذى تُعقد الخناصر عليه ، وكان هو الحكيم « بقراط » ، بل الجليل « سقراط » ، بل الفاضل « جالينوس » ، بل الأفضل « ديسقوريدوس » - اقتضت الآراء

الشريفة أن تُزاد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تُزف إليه تجرُّ أذياه ، وأن يقال : (لم يكُ يصلح إلا لها ولم تكُ تصلح إلا له) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم ناشرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجد الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفِراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدن ، وثقة بأنا للجوهر قد التقتنا ، وبالخير قد آغبتنا ، وعلى الخير قد سقطنا .

فلتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الحزيب ، والثناء الذي هو بالثناء والزيادة كفيلا ، واينتصب لهذا العلم المبارك أنتصاب من يقوم بالقرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويُقلد له فيه المنه ، ويثني على آثاره الجميلة فيه وتثني إليه الأعنه ، وليبطل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان » ، وأيرنا بتديده جيلة البر فإنه « جالينوس » الزمان ، وليبدل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه « ابن سينا » الأوان ، وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ما طلبه ، وليبلغ كل ممتن من الاشتغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبدل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم المكنون سره ، وأيرهم ما خفي عنهم منه جهده ، وليجعل منهم جماعة طبائعيه ، وطائفة كحائين وجرائحيه ، وقوما مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عالمين ، وليأمر كلاً منهم بحفظ ما يجب حفظه ، ومعرفة ما يزيد به حظه ، وليأخذ بما يصلح به لسانه ولفظه ، ولا يفتر عنهم في الاشتغال لحظه ، وليفرد لكل علم من العلوم طائفته ، ولكل فن من فنونه جماعة بحاسبه عارفة ، وليصرف إليهم من وجود فضائله كل عارفة ،

وَيَكْشِفُ لِمَ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَوَامِضِهِ فَمَا مِنْ دُونَ إِضَاحِهِ كَاشِفَهُ ،
لِيُنْشَرَفَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ ، وَيُظْهِرَ مِنْهُمْ
فِي الْعَدَدِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَضْعَافُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُمْ الْيَوْمَ ، وَلِيُقَالَ لِكُلِّ مَنْ طَلَبْتَهُ
إِذَا شُرِعَ فِي إِجَازَتِهِ وَتَرْكِيئِهِ : لَقَدْ أَحْسَنَ شَيْخُهُ الَّذِي عَلَيْهِ تَأْدِيبٌ ، وَإِنَّ مَنْ خَرَجَ
هَذَا «المهذب» ، عاملاً فِي ذَلِكَ بِشُرُوطِ الْوَاقِفِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَاقِفًا عِنْدَ أَمْرِهِ
أَمْضَى اللَّهُ أَمْرَهُ ، وَالْخَيْرُ يَكُونُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الأحماس مفتحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي أذن أن تُرْفَعَ بِيُوتُهُ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، وَيُكْتَرَفَ فِيهَا قَسْمُ
ثَوَابِهِ وَيُجْزَلَ قِسْمُهُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي عَظَّمَ بِهِ قَطْعُ دَابِرِ الْكُفْرِ وَكَثُرُ
حَسْمِهِ - فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ عُوِّلَ عَلَيْهِ فِي تَأْسِيسِ بِيُوتِ اللَّهِ وَعِمَارَةِ رُبُوعِهَا ، وَلَمْ شَعْنَهَا
وَشَعْبِ صَادُوعِهَا ، وَالْقِيَامِ بِوُضَائِفِهَا ، وَتَسْهِيلِ لَطَائِفِهَا ، وَتَأْهِيلِ نَوَاحِيهَا ، لِهُبُوطِ
الْمَلَائِكَةِ لِتَلْقَى الْمَصَلِّينَ فِيهَا ، مَنْ كَانَ ذَا عَزْمٍ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَحَرَمٌ لَا يُلْمُ
بِأَفْعَالِهِ لَمَّ الْمَأْثَمُ ، وَنَظِيرُ ثَائِبٍ ، وَرَغْبَةٌ فِي آخْتِيَارِ جَمِيلِ الْمَآثِرِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَمَبَاشِرَةٌ
تُرَعَى قَوَانِينِ الْأُمُورِ وَتَكْتَنِفُهَا آكْتِنَافُ مُرَاقِبٍ .

ولما كان فلانٌ ممن هذه الأوصافِ شِعَارُهُ ، وَإِلَى هَذِهِ الْأُمُورِ يَدَارُهُ ، وَكَمْ كَتَبَ
اللَّهُ بِهِ لِلدَّوْلَةِ أَجْرًا رَاجِعًا وَسَاجِدًا ، وَكَمْ شَكَرْتَهُ وَذَكَرْتَهُ أَلْسِنَةُ أَعْلَامِ الْجَوَامِعِ وَأَفْوَاهُ
مَحَارِيبِ الْمَسَاجِدِ - أَقْتَضَى مُنِيفِ الْمَلَا حِظَةِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ مِنْ بِيُوتِ
اللَّهُ وَشَاهِدًا ، أَنْ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيفُ - لَا بَرِحَ يَكْشِفُ الْأَوْجَالَ ، وَيَدْعُوهُ
فِي الْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ - أَنْ يَفُوضَ لِفَلَانٍ نَظْرَ دِيْوَانِ الْأَحْبَاسِ وَالْجَوَامِعِ
وَالْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

فليباشرها مباشرة من يراقب الله [إن] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ؛
 وإن عزل أو ولى ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ؛ وليجتهد ككل الاجتهاد
 في [صرف] ريع المساجد والجوامع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ؛ وليأخذ
 أهلها بالملازمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصايبها وآلاتها ؛ وحفظ ما يحفظون
 به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ؛ وليحترز في إخراج
 الحالات إذا نُحِجَّت وأُخْرِجَتْ ، وفي مستحقات الأجائر إذا أُسْتَحِقَّت وإذا
 نُجِّجَتْ ؛ وفي التواقيع إذا أُنْزِلَتْ وإذا نُزِلَتْ ، وفي الأستثمارات التي أُهْمِلَتْ وكان
 ينبغي لو أُهْلَتْ ؛ وإذا باشر [و] ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفهم
 ما تحتويه جرائد الإحسان ، فليكن إلى مصالحه أول مُبَادِر ، ويكفيه تدبر قوله
 تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقيعا بنظر الأعباس ، للقاضي « بدر الدين حسن »
 الشهير بابن الداية ، مفتحا بالحمد لله ، جاء فردا في بابه . إلا أن مسودته غيبت
 عني ، فلم أجدها لأثبتها هاهنا كما أثبت غيرها مما أنشأته : من البيعات والعهود
 والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين
 وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها . وهي :

الحمد لله الذي حفظ معالم الية من الذنور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصان
 الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على نوالي الأيام والشهور .

نحمدُه على فضله الموفور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لها
في القلوب نورٌ على نور ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد المنصور ، الطالع
البدور ، المبعوث بالفرقان والنور ، المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ما كرت الدهور ، وطلعت كواكب ثم تغور .

وبعد ، فإن أهل الخير من المؤمنين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى من طيبات
أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها ، وجعلوا لها شروطا ووصفوها ،
فتقبل الله لهم ذلك ، ثم ماتوا فما انقطع عملهم بها وهم في برزخ المهالك ، ووليها
بعدهم الأمانة من النظار ، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار ، وأجروا برها الدار
في كل دار ، وصانوا معالمها من الأغيار ، وشاركوا واقفيها في الصدقة لأنهم خزان
أمانة أخيار .

ولما كان فلان هو الذى لا يتدنس عرضه بشائبه ، ولا تسمى المصالح وهى عن
فكره غائبه ، ولا تبرح نجوم السعود طالعة عليه غير غائبه ، وهو أهل أن يناط به
التحدث في جهات البر الموقوفة ، وأموال الخير المصروفة ، لأنه نزه نفسه عما ليس له
فلو كانت أموال غيره غنما ما آختص منها بصوفه ، فلذلك رسيم ... (١) ...
فلباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير ، جميلة التثمير ، مأمونة التغيير ،
مخصوصة بالتعبير ، ولينظر في هذه الأوقاف على اختلافها من ربوع ومباني ،
ومساكن ومغانى ، وخانات مسبله ، وحوانيت مكلمه ، ومُسَقَّفات معموره ،
وساحات مأجورة غير مهجورة . وليبدأ بالعمارة فإنها تحفظ العين وتكفي البناء
دثوره ، وليتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها فإن في ذلك سروره ، ويندرج في هذه

(١) بيض له في الأصل بعده من أمثاله السابقة .

الأوقاف ما هو على المساجد ومواطن الذكر : فليقيم شعارها، وليحفظ آثارها، ويرفع منارها، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب، والله تعالى يجمع على محبته القلوب، بمنه وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأعلام، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا، ما زال يتولاه الوزراء وكُتاب السرّ ومن في معناهم .
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :
(١)

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الخلال، ومُعلي درجة من أضعف عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال، ومجدد نعيم من لم يخصه اعتناؤنا بغاية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا سرنا ما نُسأه فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها، ومنته التي لا تبرح تشمل الأصفياء عواطفها، وآلائه التي تُسد آراءنا في تفويض قربنا إلى من إذا باشرها [سر] بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها، ووالى الإيقان إعادة أداها بمواقف الحق وإبداءها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى، المقصوص في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشّرت به الهوائف نثرا ونظما، صلى الله

(١) تقدمت في وظائف العليّة الثانية من ذوات التواضع ببعض تغيير واختصار .

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرُّتب الفاعره ، وحازوا بالإخلاص
 فى محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلوا
 على خدع الدنيا الساحره ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب
 والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بإنعام النظر فى مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على
 اعتبار مناهجها وأعتاد مناجحها - أمرُ جهات البر التي تقرب والدنا السلطان الشهيد -
 قدس الله روحه - بها إلى من أفاض نعمه عليه ، وتنوع فى إنشائها فأحسن فيها
 كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي
 أعدّها بين يديه ؛ وحلّ منها فى أكرم بقعة نقله الله بها عن سريره إلى مقعد صدق
 عند ربه ، وعمر بها مواطن العبادة فى يوم سلمه بعد أن عفى على معاقب الكفر
 فى يوم حرّبه ؛ وأقام بها منار العلوم فعلا مناهجها ، وأعد للضعفاء بها من مواد البر
 والإطاف مالو تعاطته الأغنياء قصرت عن التناول إليه أموالها ؛ وأن نرتاد لها
 من إذا فوضنا إليه أمرا تحقّقنا صلاحه ، وتيقّنا نجاحه ؛ واعتقدنا تمية أمواله ،
 وأعتمدنا فى مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ؛ وعلمنا من ذلك
 مالا يحتاج فيه إلى إخبار ولا اختيار ، ولا يحتاج فى بيان الخيرة فيه إلى دليل إلا إذا
 احتاج إليه النهار ؛ لتكون فى هذا بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ،
 أو جدّد لها وقفا لكونه أتى بيوت الإحسان فى آرتياد الأ كفاء لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلان هو الذى صان أموال خواصنا ، وأبان عن يمن الآراء
 فى استنثارنا به لمصالحنا الخاصّة واختصاصنا ؛ واعتدّدنا بجميل نظره فى أسباب التدبير
 التي تملأ الخزائن ، وتدلّ على أن من الأولياء من هو أوقع على المقاصد من سهام

الكائن ، وتُحَقَّق أنه كما في العناصر الأربعة معادنٌ فكذلك في الرجال معادنٌ ،
ونبّهت أوصافه على أنه ما ولى أمراً إلا وكان فوق ذلك قدراً ، ولا اعتمد عليه فيما
تضيق عنه همم الأولياء إلا رُحِب به صدراً ، ولا طلع في أفق رتبة هلالاً إلا وتأملته
العيون في أجل درج الكمال بداراً ، يُدرك ما نأى من مصالح ما يليه بأدنى نظر ،
ويسبق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع المكر ، فنحن نزداد
كل يوم غبطةً بتديره ، ونتحقق أن كل ما عدنا به إليه : من أمرٍ جليلٍ فقد أسندناه
إلى عارفه وفوضناه إلى خيريه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نعدق بحملى نظره أمر
هذا المهمّ المقدم لدينا ، وأن نفوض إليه نظر هذه الأوقاف التي النظر في مصالحها
من آكد الأمور المتعينة علينا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عمياً ، وبره يقدم في الرتب من كان من
الأولياء كريماً - أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت .

فليل هذه الرتبة التي أريد بها وجهُ الله وما كان لله فهو أهم ، وقصد بها النفعُ
المتعدى إلى العلماء ، والفقراء ، والضعفاء ومراعاة ذلك من أخص المصالح وأعم ،
ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسد خللها ، ويزيح علانها ، ويعمر أصولها ،
ويثمر محصولها ، ويحفظ في أماكنها أموالها ، ويقيم معالم العلوم في أرجائها ، ويستنزل
بها مواد الرحمة لساكنها بالسنة قراءتها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد
الذخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ، ويحافظ على شروط الواقف - قدس
الله روحه - في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ، وتقديم ما قدمه مع ملاءة تديره
باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف
التي يعز وجودها ويختلف ، وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق من أيدي

أمانته وإيمانه . ولا مودع لنا أوفق من أمانة من يتقى الله حق تقاته ، ويفعل في ذلك جميع ما عرفناه من تديره الجميل خيرا وخيرا . وحمدناه في كل ما يليه وردا في المصالح وصدرا . فإنه - بحمد الله - الميمون نظرا وتصرفا ، المأمون نزاهة وتعففا ، الكريم حجة وطبعا ، الرحيب في تلقى المهمات الجليلة صدرا وباعا ، فلذلك وكلناه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه . ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأخطالعه ، والله تعالى يسدده في قوله وعماله . ويحقق بالوقوف مع مرضى الله تعالى ومرضىنا غاية أمله ، إن شاء الله تعالى .



ومنها - نظر الجامع الناصري بقلعة الجبل .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، كتب به للقاضي مجلال الدين القزويني وهو يومئذ قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ، وهي :

الحمد لله الذي زاد بنا الدين رفعة وجلالا ، وجعل لنا على إعلاء منار الإسلام إقبالا ، وأحسن لنظرنا الشريف في كل اختيار مالا ، ووفق مرامي مرامنا لمن أخلصنا عليه أتكالا .

نجمه حمدا يتواتر ويتوالى ، ويقرب من المنى مالا ، وتيربه معاهد نعمة عندنا وتلالا ، ونديه إدامة لا نبغي عنها حولا ولا انتقالا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نصدقها نية ومقالا ، ونرجو بالتغالي فيها القبول منه تعالى ، ويتراسل عليها القلب واللسان فلا يعترى ذلك سهو ولا يخاف هذا كلالا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كرم صحابة وآلا ، ودلهم على الرشد فورثوه من علماء الأمة رجالا ، صلى الله عليه وعليهم صلاة تسترعي عليها

عَلَامَةُ الْأَئِمَّةِ ، عِزُّ السُّنَّةِ ، مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ ، سَيْفُ الشَّرِيعَةِ ، شَمْسُ النُّظَرِ ، مُفْتَى
 الْغُرَرِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، إِمَامُ الْبَلْغَاءِ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ،
 وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِي قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّةَ الشَّرْعِ
 الشَّرِيفِ بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْفِيَةَ سُيُوفِ الْجِلَادِ وَأَسَالِهِ بِلِسَانِ جِدَالِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ قَاضٍ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُهْتَرِجِينَ بِرَأْيٍ لَا يَطِيشُ حِلْمَهُ وَلَا يَزِيلُ حُكْمَهُ ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بَوْرَعِ
 يَتَّبِعُهُ عَمَلُهُ وَيَهْدِيهِ عِلْمُهُ ؛ مَا لَحَظَ جِهَةً إِلَّا حَظَّتْ بِرُكَّةٍ دَاوَةَ مَرْزُوقِهَا ، سَارِيَةٍ
 مَنَاجِحُهَا سَارٌّ يُؤْمِنُهَا ؛ وَلَا أَقْبَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ اللَّهِ إِلَّا حَنَّ مِنْهُ إِلَى سُبُحاتِ
 الْجِلَالِ ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي وَقْفٍ إِلَّا أَجْرَاهُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى أَقْوَمِ مِثَالٍ ؛ وَنَحْنُ لِهَذِهِ
 الْمَزَايَا نَزْدُ إِلَى نَظَرِهِ الْكَرِيمِ مَا أَهْمْنَا مِنْ عِمَارَةِ مَسْجِدٍ وَجَامِعٍ ، وَتَقْلَدُهُ مِنْ أَوْقَافِنَا
 مَا يَحْتَلِفُنَا فِيهِ خَيْرًا فَإِنَّ الْأَوْقَافَ وَدَائِعَ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي -
 لَا زَالَ يُصِيبُ الصَّوَابَ ، وَلَا يَعْذُو أُولِي الْأَلْبَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ
 النَّاصِرِي الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَأَوْقَافِهِ ، وَالنَّظْرُ عَلَى التَّرْبَةِ
 وَالْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ وَأَوْقَافِهِمَا .



ومنها - نظر مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه بالقاهرة المحروسة .

وقد تقدم في الكلام على خطط القاهرة في المقالة الثانية أن الصالح طلائع
 ابن رزيك حين قصد نقل رأس الإمام الحسين إلى القاهرة، بنى لذلك جامعاً

(١) يريد المتخصصين ولكنا لم نذكر على هذا البناء فيما بأيدينا من كتب اللغة .

خارج بابي زويلة^(١)، فبلغ ذلك الخليفة فأفرد لها هذه القاعة من قاعات القصر وأمر
بنقلها إليها .

وهذه نسخة توقيع بنظره، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :
الحمد لله الذي جعل مواطن الشرف في أيامنا الزاهرة، محصورة في أكفائها،
ومشاهد السيادة في دولتنا القاهرة، مقصورة على من حبه أوامرنا باعتنائها،
وخصته آلائنا باضطفائها، الذي أجرى حسن النظر في مظان الآباء الطاهرة على يد
من طلع في أفق العلياء من أبنائها، وعمر معاهد القربان بتدبير من بدأ بقواعد دينه
وأجاد إحكام تشييدها وإتقان بنائها .

نحمده على ما خصت به أيامنا من رفح أقدار ذوى السيادة والشرف، وأنصف به
إنعامنا من مزيد بر علم بحسن ظهوره على الأولياء أن الخير في الشرف .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعرف بها من أعترف،
ويشرف قدر من له بالمحافظة عليها شغف، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي طهر
الله بضعته الزهراء وبنيتها، وخصهم بمزية القربى التي نزهه أن يسأل على الهداية
أجرا إلا المودة فيها، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أجدر بالكرم، وأحق بمحاسن
الشيم، وما منهم إلا من (تعرف البطحاء وطاته * والبيت يعرفه والحل والحرم) .
وعلى آله وأصحابه الذين أنعم الله به عليهم، وأتبعوه في ساعة العسرة فمنهم الذين
أخرجوا من ديارهم والذين يحبون من هاجر إليهم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من زينت به مواطن الشرف، وعُدقت به العناية بخدمة من درج
من بيت النبوة وسلف، وعمرت به مشاهد آثارهم التي هي في الحقيقة لهم عُرف،

(١) بكهينة وسفينة . انظر شرح القاموس في مادة زول .

[ونالت الدولة] من تديره الجميل بعض حظها ، وخصت بقعته المباركة من نظره بما ينوب في خدمة محله الشريف عن مواقع لحظها ، وجعلت به لأبن رسول الله من خدمة أبيه معها نصيبا ، وفعلت ذلك إذ خبرت خدمته أجنبيا علما أنها لتضاعف له إذا كان نسيبا ، وحكمت بما قام عندها مقام الثبوت ، وأمرته أن يبدأ بخدمة أهل البيت [فإن] لازمها لديها مقدم على البيوت - من طلع شهاب فضله من الشرف السنى في أكرم أفق ، وأحاطت به أسباب السؤدد من سائر الوجوه إحاطة الطوق بالعنق ، وزان الشرف بالسؤدد والعلم بالعمل ، والرياسة باللطف فاخترته المناصب وأختالت به الدول ، وتقدم بنفسه ونقاسة أصله فكان شوط من تقدمه وراء خطوه وهو عيشى على مهل ، وأصطفته الدولة القاهرة لنفسها فتمسك من الموالاة بأوثق أسبابها ، وأعمدت عليه في بث نعمها ، وبعت كرمها ، فعترف في ذلك الأمور من وجهها وأتى البيوت من أبوابها ، وحمدت وفود أبوابنا العالية لحسن سيرته في إكرامهم السرى ، وأكتفت [حتى] مع ترك الكرامة إليهم بشاشة وجهه التى هى خير من القرى ، وصان البيوت عن الإقواء بتديره الذى هو من مواد الأرزاق ، وزاد الحواصل بتثميره مع كثرة الكلف التى لو حاكها الغائم لأمسكت خشية الإنفاق .

ولما كان فلان هو الذى تليت مناقب بيته الطاهر ، وجليت مفاخر أصله الزاهر ، وتجلت بشرف خلاله خلال الشرف التى تركها الأول للآخر ، وكان مشهد الإمام السيد الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة بقعة هى متجع الرحمة ، ومظنة إجابة الأمة ، وروضة من شرفت بانتقاله إليها ، وتربة شهيد الزهراء صلوات الله على أبيها وعليها ، وبه الآن [من] رواتب القربات ووظائف العلوم وجهات الخير ما يحتاج إلى اختيار من يجمل النظر فيه ،

ويسلك نهج سلفه في الإعراض عن عرض الدنيا ويقتفيه - رأينا أن نختار لذلك من اخترناه لأنفسنا فكان الكفء الكريم ، وأخبرناه لمصالحنا فخبّرنا منه الحفيظ العليم ، وأن تُقدّم مهمّ ذلك البيت على مهمّ بيوتنا فإنّ حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحقّ بالتعظيم .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت مكارمه بتقريب ذوى القربى جديره ، ومراسمه على إقدار ذوى الرتب على ما يجب قديره ، - أن يفوض إليه النظر على مشهد الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة ، على قاعدة من تقدّمه في ذلك ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف : لما قدّمناه من أسباب رجحته لذلك ، وبيناه من أمور أوضحت في اختيارنا له المسالك ، ومن أولى منه بهذه الرتبة التي شهدت له باستحقاقها مناصبه ومناسبه ، أو أقدر منه على أمثال هذه الوظيفة وقد أقرت بكماله وكرم خلاله مراتب الباب الشريف ورواتبه .

فليمنع النظر في مباشرة أوقاف هذه البقعة المباركة مظهرًا ثمرة تفويضها إليه ، مبيّنًا نتيجة تعرضها له وعرضها عليه ، منبها على سرّ التوفيق فيما وضع أمرنا من مقاليد أمرها في يديه ، مجتهدًا في تمييز أموال الوقف من كل كاتب [حديث] ، موصّنًا من شفقة الولد [على] ما نُسب إلى الوالد ما شهدت به في حقها الأحاديث ، سالكا من خدمة ذلك الشهيد ما يشهد له به غدا عند جدّه ، ناشرا من لواء فضل رفعة في الحقيقة رفع لمجده ، وليلحظ تلك المصالح بنظره الذي يزيد أموالها تميرا ، ورباعها تعميرا ، وحواصلها تميّزا وتوفيرا ، وأرج أيها السيد الشريف

(١) بياض بالأصل ولعله "من عنايته به لواء الخ" .

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنةٍ عشرًا إن ذلك [كان] على الله يسيرا . وصن ما بيديك عن شوائب الأدناس : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) . وقد خبرنا من سيرتك وسريرتك ما لا نحتاج أن نزيد به خبرًا ، ولا أن نبلوه بعد ما سلف مرةً أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التي أنت بها متصف ، وبوجودها فيك معروف وبوجودها عليك تعترف ؛ فقدتها بين يديك ، وأجعلها العمدة فيما أتمدنا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير ، مفتتحا

بـ «رسم بالأمر الشريف»)

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، وربما كُتب فيه بالسامى بغيرياء لمن قصد تعظيمه وهو قليل ، وبه يكتب لأرباب الوظائف الصغار من الخطباء ، والمدرسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم ممن لا ينحصر كثرة .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيارستان العتيق الذى رتبته السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر الفاطميين ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه تُفيد علاء ، وتستخدم أكفاء ، وتُضفى ملاسن النعماء على كل على فتكسوه بهجةً وبهاء - أن يستقر فلان فى نظر البيارستان الصلاحى بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، لكفاءته التى أشتهر ذكرها ، وأمانته التى صدق خبرها خبرها ، ونزاهته التى أضفى بها

على النفس فغدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته التي أحلت قدره أسى رتبة فلا غرو أن يكون «علياً» .

فليباشر نظر البيارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتميزها أوضاعه ، ويضحى عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدأ صلاحى ، وليجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة بتميز ريعه حتى تتضاعف مواد معرفه ، ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراع مصالح حاله في تميته وتزكيتة حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، وليتناول المعالوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وأعلم أن من توابع أرباب الوظائف الدينية ما يكتب في هيئة أوراق الطريق ، أو على ظهور القصص ، وقد تقدم .

وهذه نسخة توقيع بالتحديث في وقف :

رسم بالأمر الشريف العالى المولى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرّفه - أن يستقر القاضى فلان الدين فلان فى التحديث فى الوقف الفلانى ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف . فليعتد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه وبمقتضاه ، بعد الخط الشريف ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية - الوظائف الديوانية)

وهى على طبقتين :

الطبقة الأولى

(أرباب التقاليد، فى قطع الثلثين ممن يكتب له «الجناب العالى»

وفىها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كان متولياً من أرباب الأقلام، كما هو الغالب)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية نقلاً عن «مسالك الأَبصار» أن ربها ثانى السلطان لو أنصف وعُرف حقه، إلا أنها لما حدثت عليها النيابة، تأخرت وقعدت مكانها حتى صار المتحدث فيها كخاطر المال، لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف بحال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بجرىان الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدم ذكر ألقابه مستوفاةً فى الكلام على مقدمة الولايات فى الطرف الأول من هذا الفصل، والكلام على طرة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليد بالوزارة، كتبت بها للصاحب «بهاء الدين بن حنا» . من

إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه ولياً، وجعل مكان سرها

وشد أزرها علياً، ورضى لها من لم يزل عند ربه مرضياً .

نحمدُه على لطفه الذي أمسى بنا حفياء، ونشكره على أن جعل دولتنا جنة أورث تديرها من عباده من كان تقياً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُسبَّح بها بكرة وعشيا، ونصلي على سيدنا محمد الذي آتاه الله الكتاب وجعله نبياً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً نَبِّعُ بها صراطاً سويًا .

وبعد، فإن أولى ما تنعمت السنة الأعلام بتلاوة سورة، وتنعمت أفواه المخابر بالاستمداد لتسطير سيره، وتناجت الكرام الكاتبون بشكر مجمله ومفصله، وتناشدت الرواة بحسن لسنه وترنمت الحداة بطيب غزله، وتهادت الأقاليم تحفه معجمله ومؤجله، وغنت وجوه المهاريق لصعود كلمه الطيب ورفع صالح عمله - ما كان فيه شكر لنعمة يئونها على الدولة سعادة جدودها وحظوظها، وإفادة مصونها ومحفوظها، وإرادة مرئوقها بحسن الاستيداع وملحوظها، وحمد لمنحة أفاءتها بركات أحسنت للملكة الشريفة مالا، وقربت لها منالا، وأصلحت لها أحوالا، وكأرت مدد البحر فكما أجرى ذلك ماء أجزت هي مالا، وإن ضنت السحب أنشأت هي سُحبا، وإن قيل - بسح سيجنا - : رَوْنِقُ الأرض ذهب، عَوَضْتُ عنه ذهباً، كم لها في الوجود من كرم وكرامه، وفي الوجوه من وسوم ووسامه، كم أحييت مهجاً، وكم جعلت للدولة من أمرها مخرجاً، وكم وسعت أملا، وكم تركت صدر الحزن سهلاً، وكم تركت صدر الحزائن ضيقاً حرجاً، كم استخدمت جيش تهجد في بطن الليل، وجيش جهاد على ظهور الخيل، وكم أنفقت في واقف في قلب بين صفوف الحروب، وفي واقف في صفوف المساجد من أصحاب القلوب، كم سبيل يسرت، وسعود كثرت، وكم مخاوف أدبرت حين دزت، وكم آثار في البلاد والعباد آثرت وأثرت، وكم وافت ووفت، وكم كفت وكفت، وكم أعفت وعفت، وكم بها موازين للأولياء ثقلت وموازنين للأعداء خفت، وكم أجزت من وقوف،

وكم عُرفَتْ بمعروف ؛ كم بيوت عبادةٍ صاحب هذه البركات هو محرابها . وسماء جود
هو سخاها ومدينة علم هو بابها ؛ تُثنى الليالى على تغليسه إلى المساجد فى الحداس ،
والأيام على تهجيرد اعبادة الفقراء وحضور الجنائز وزيارة القبور والدوارس ؛ يكتن
تحت جناح عدله الظاعن والمقيم ، وتَشْكُرُ مباره يثرُبُ وزمزم ومكة والحطيم ؛ كم
عمت سنن تفقداته ونوافله ، وكم مرّت صدقاته بالوادى - فسبح الله فى مدته -
فأنتت عليه رماله وبالنادى فأننت عليه أرامله ؛ ما زار الشام إلا أغناه عن مئة
المطر ، ولا صحب سلطانه فى سفر إلا قال : نعم الصاحب فى السفر والحضر .

ولما كان المنفرد بهذه البركات هو واحد الوجود ، ومن لا يُشاركه فى المزايا
شريك وإن الليالى بإيجاد مثله غير ولود ؛ وهو الذى لو لم نُسمّه قال سابع هذه
المناقب : هذا الموصوف ، عند الله وعند خلقه معروف ؛ وهذا المدوح ، بأكثر من
هذه المادح والمحامد من ربه مدوح وممنوح ؛ وهذا المنعوت بذلك ، قد نعتته بأكثر
من هذه التّعوت الملائك ؛ وإنما نذكر نعوته ألتذاذا ، فلا يعتقد خاطب ولا كاتب
أنه وفى جلالته بعض حقها فإنه أشرف من هذا ؛ وإذا كان ولا بد للمادح أن تجول ،
وللقلم أن يقول ؛ فتلك بركات المجلس العالى ، الصاحبى ، السيدي ، الورعى ،
الزاهدى ، العابدى ، الوالدى ، الذخرى ، الكفيلى ، المهدى ، المشيدى ،
العونى ، القوامى ، النظامى ، الأفضلى ، الأشرفى ، العالمى ، العادلى ، البهائى ؛ سيد
الوزراء فى العالمين ، كهف العابدين ، ماجأ الصالحين ؛ شرف الأولياء المتقين ؛ مدبر
الدول ، سداد الثغور ، صلاح الممالك ؛ قدوة الملوك والسلاطين ؛ يمين أمير المؤمنين ؛
على بن محمد ؛ أدام الله جلاله . من تشرف الأقاليم بحياطة قلمه المبارك ، والتقاليد
بتجديد تنفيذ الذى لا يساهم فيه ولا يشاوك ؛ فما جدد منها إنما هو بمثابة آيات

فتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يُحكَم وفيها يُشْهَد ، حتى تناقل ثبوته الأيام والليالي ، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحال بماله من فاجر اللآلى .

فلذلك نخرج الأمر العالى - لا بَرِح يُكْسِب بهاء الدين المحمدي أتم الأنوار، ولا بَرِحَت مراسمه ترهُو من قلم منقده بذي الفقر وذى الفقار - أن يضمّن هذا التقليد الشريف بالوزارة التامة، العامة، الشاملة، الكاملة : من المآثر الشريفة الصحابية، البهائية، أحسن التضمين، وأن ينشر منها ما يتلقَى رايته كل رب سيف وقلم باليمن، وأن يعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة ومملكها وسلكها من ملك وأمير، وكل مدينة ذات منبر وسرير، وكل من جمعه الأقاليم من نواب سلطنه، وذى طاعة مدعنه، وأصحاب عقد وحل، وظعن وحل، وذى جنود وحشود، ورافعي أعلام وبنود، وكل راجع ورعيه، وكل من ينظر في الأمور الشرعية، وكل صاحب علم وتدريس، وتهليل وتقديس، وكل من يدخل في حكم هذه الدولة الغالبة من شمسها المضيئة، وبدورها المنيرة وشهبها الثاقبة، في الممالك المصرية، والنوبية، والساحلية، والكركية، والشوبكية، والشامية، والحلبية، وما يتداخل بين ذلك، من ثغور وحضون وممالك - أن القلم المبارك الصحابي البهائي في جميع هذه الممالك مبسوط، وأمر تديرها به منوط، ورعاية شفقتة لها تحوط، وله النظر في أحوالها. وأمواها، وإليه أمر قوانينها، ودواوينها، وكتابها، وحسابها، ومراتبها، ورواتبها، وتصريفها، ومصرفها، وإليه التولية والصرف، وإلى تقدمه البدل والنعث والتوكيد والعطف، فهو صاحب الرتبة التي لا يحلها سواد وسوى من هو مرتضيه، من السادة الوزراء بنيه، وما سميئا غيره وغيرهم

(١) بالصُّحُوبِيَّةِ فليحذر من يُحَاطِبُ غَيْرَهُ [و] غيرهم بها أو يُسَمِّيهِ ؛ فكما كان والدنا الشهيد رحمه الله يخاطبه بالوالد قد خاطبناه بذلك وخطبناه ، وما عدلنا عن ذلك بل عدلنا لأنه ما ظلم من أشبه أباه ؛ فمترلته لأتسامى ولا تُسام ، ومكائته لا تُرامى ولا تُرام ؛ فمن قدح في سيادته من حساده زناد قدح أحرق بشر شره ، ومن ركب إلى جلالته ، شج سوء أغرق في بحرهِ ، ومن قتل لسعادته ، حبَل كيدٍ فإنما قتله مبرمه لنحره ؛ فلتلزم الألسنة والأقلام والأقدام في خدمته أحسن الآداب ، وإيقل المترددون ؛ حِطَّةٌ إذا دخلوا الباب ؛ ولا يغترنهم فرط تواضعه لدينه وتقواه ، فمن تأذب معه تأذب معنا ومن تأذب معنا تأذب مع الله . وليل هذا التقليد على رؤوس الأشهاد ، وتُنسخ نُسخته حتى تناقلها الأمصار والبلاد ؛ فهو حجتنا على من سميناه خصوصا ومن يدخل في ذلك بطريق العموم ، فليعملوا فيه بالنص والقياس والاستنباط والمفهوم ؛ والله يزيد المجلس الصاحبى الوزيرى البهائى سيد الوزراء من فضله ، ويبيقه لغاب هذه الدولة بصونه لشبله كما صانه لأسده من قبله ، ويمتّع بنته الصالحة التى يحسنُ بها - إن شاء الله - نساء الفرع كما حسن نساء أصله ، بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب تاج الدين محمد بن نحر الدين ابن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ، فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، من إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ، تغمده الله برحمته ، وهى :

(١) فى التعبير بالصحوية تسامح فى العربية .

الحمد لله مكل شرف الوزارة بطلعة تاجها ، ومشرف قدرها بمن تشرق عليها
 أشعة سعده إشراق الكواكب على أبراجها ، ورافع لواء مجدها بمن تلقته بعد الحفاء
 في حال سرورها وحلي آتياجها ، وتخلت بعد العطل من جواهر مفاخره بما تترين
 عقود السعود بازديواجها ، وترقل من انتسابها إلى أئمة بهائه بما يود ذهب الأصيل
 لو أمترج بسلك انتساجها ، الذي شيد قواعد هذه المرتبة السنية في أيامنا وجددها ،
 وبعث لها على فترة من الأكفاء من حسم الأدواء فكان مسيحها وشرع المعدلة
 فكان مجدها ، ورددها بحكم الاستحقاق إلى من لا يختلف في أنه صاحبها ، ورجعها
 إلى من خطبته لنفسها بعد أن أحجم لشرف قدرها خاطبها .

نحمده على أن شد أزر ملكنا بأكرم وزير ، وأيمن مشير ، وأجل من ينهى إلى
 بيت كريم ، وحسب صميم ، ومن إذا قال لسان ملكنا : ﴿ أثوني به أستخاضه
 لنفسي ﴾ قالت كفايته : ﴿ أجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقر بها سرا وعلنا ، ونقر بها
 هذه العقيلة الجليلة عند من يكسوها مجده رفعة وسنا ، ويأيس جفن الدهر عنها
 وسنا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بكل صاحب شهد الكتاب والسنة
 بفضله ، وقام بعضهم بحسن مؤازرته مقام من شد الله [به] عضد من سأله وزيرا من
 أهله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تغرب شمسها ، ولا يعزب أنهارها ،
 ولا يتفاوت في المحافظة عليها غدها وأمسها ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من خطبت بحمده الأعلام ، وأفتحت به الدولة التي ابتمت
 بنسيمها ثغور الأيام ، وودت مسكة الليل لو مازجت أنفاسه ، وأمل بياض النهار
 لو أخذ من غير سمة عوض ورق الورق قرطاسه ، وتماشدت النجوم لتنتسق في سلك

معانيه وطارث بذكره فى الآفاق أنباء السُّعود، وحكمت الجُدود بأنه فى آقبال إقباله نهاية الآباء وغاية الجُدود، وأفترت به تُغور المالك عن أحسن الدرِّ النُّضيد، وسرت بذكره رفاق الآفاق فى كلِّ نادٍ مُنادٍ وفى كلِّ برِّ برِّيد، وأختالت به أعطاف الدولة القاهريَّة فأوت من الرأى السُّديد إلى كلِّ ركنٍ شديداً، ونطق به العدل والحقُّ نخرس الظلم وما يُبدى الباطل وما يُعيد، وجرت به أقدارُ ذوى الرتب على أجمالٍ مَنهجها فأما أهل العدل فيُقربون نجياً وأما أهل الظلم فأولئك يُنادون من مكانٍ بعيداً، وبدت به وجوه المصالح سافرةً بعد الحجاب، بارزةً بعد طول الأنتقال إلى الأنتقال، داخلةً بوفود المحامد من كلِّ باب، إلا الظلم فإنه بحمد الله قد سدَّ ذلك الباب. وأقرَّ منصبُ الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحقُّ إلى نصابه، ورددناه إلى من هو أولى به بعد اغتصابه، وألبسناه من بهجة أيماننا تاجاً ردَّ عليه عزاً لا تطمع يدُ الذهب فى أنتزاعه عنه ولا أستلابه، وتقليده لمن يؤدُّ الفرقد لو عُقد به إكليبه، ويمتنى الطرف لو أدرك غاية مجده وإن رجع وهو حسيرُ البصر كليله، وتفويض ذلك إلى من كان له وهو فى يد غيره، ومن به وببيته تمهدت قواعده فما كان فيه من خير فهو من سيرتهم وما كان من شرٍّ فمن قبل المُقصر من عثارهم فى سيره، وما أُحدث فيه من ظلم فهو منه بُراء إذ إثم ذلك على من أجتراً عليه، وما أُجرى به من معروف فإلى طريقهم منسوبٌ وإن تلبس منه بما لم يُعط من نُسب إليه، وما خلا منهم هذا الدستُ الكريم إلا وهم بالأولوية فى صدره الجلوس، ولا تصدئ غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجُسوم وعلية النفوس.

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهريَّة مفتحة بالبركات أيامها، ماضية بكفِّ الظلم ونشر العدل سيوفها وأقلامها، مستهبةً بالأرزاق سحَّب فضلها التى لا يُقلع

غمامها - أقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحب يُعين على الحق بآرائه، ويحمل
 اللدست بيهجته وروائه، ويجري الأرزاق بوجهه أو تأمله أمرؤ ظامئ الجوانح
 لأرتوى من مائه؛ وكان المجلس العالى - الصاحبى - الوزيرى - التاجى : أدام الله
 تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا اللدست الذى
 تعين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله؛ وما زال ينشوف إليه تشوف
 البروج إلى نجوم السعود، ويتطلع إلى محيآء الذى هو كنور الشمس فى الدنو وكحلها
 فى الصعود؛ وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع فى أيامه لمالك عَصْرده، والآراء تُقام
 منها جنود لتأييده وحشود لنصْرده، والأموال تُحمل منها إلى خزائنه بأشبه بوج البحر
 فى الحُضْر دون حَصْرده.

فذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه العميمة، وكمل جلال دولته
 بتفويض أمورها إلى ذوى الأصول العريقة والبيوت القديمة - أن تُحلى منه هذه
 الرتبة العلية بما حالى به الدين، وتُعقد له رايةُ فضلها المتين؛ ليتلقاها شرقاً وغرباً،
 وبعداً وقرباً؛ وبراً وبحراً، وشاماً ومِصرأ، ويحلى حِلاد علم وعلم، وسيف وقلم،
 ومنبر وسرير، ومأمور وأمير.

فليتلق أمره بالطاعة كل مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ فى طاعتنا المفروضة بين
 بيان التقليد وعنان التصريف؛ وليبادر إلى تدبير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة،
 ويمض القواعد على ما تراه آراؤه المنزهة عن المنازعة فى الأمر والمشاركة؛ ولينشر كلمة
 العدل التى أمر الله بإضافة الإحسان إليها، ويمتد يدع الظلم فإن الله يشكره على تلك
 الإمامة ويحمده عليها؛ ويسهل رِزق الصدقات، ووظائف القربات، فإن ذلك من
 أجل ما قدمته [الطائفة] الصالحة بين يديها؛ وليكثر بذلك جنود الليل فإنها لا تطيش
 سهامها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يداوى بالرقى سهامها، وليعود بنائم التيسير

مواهبنا فإن تمام النعمة تمائمها ، وليطلق قلمه فى البسط والقبض وليعد بتدبيره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بآرائه ذمائه وبدوائه مهجته ، ويصن عن شوائب الظلم حرمة ، ويخلص ذمتنا من المآثم وذمته ، وليعلم أن أمور المملكة الشريفة منوطة بآرائه وأحكامه ، مضبوطة بأقواله وأقلامه ، فليجعل فكره مرآة تجلوه عليه صورها ، ويقيم آرائه صحفا تتلوه لديه سورها ، ويأمر النواب بما يراه من مصالحنا ليدبوه سامعين ، ويسهر جفنه فى مصالح البلاد والعباد لترقد الرعايا فى مهاد الأمن وا عين ، ويعضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ، وإظهار أنوارها ، وإقامة مرفعه الله من منارها ، ولا يعدل فى أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يمضى فيها عزلا ولا ولاية إلا بعد تتبعه الواجب فى ذلك وأستقرائه ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعد إليه يرجع فى أوضاعها ، وعليه يعول فى اصطلاحها لإفرادها فيه واجتماعها ، فليفعل فى ذلك ما هو عليه بحسن الثناء جدير ، وليعتصم بالله فى أموره فإنه نعم المولى ونعم النصير ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتبت به للصاحب ضياء الدين بالاستمرار على

الوزارة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شد أزر ملكنا الشريف ، بمن أضاء فى أفق الدين علمه ، وشيد قواعد عدلنا المنيف ، بمن أعلت منار الحق آياته فى أحكام الممالك وحلمه ، ووطد أركان دولتنا القاهرة بمن يفعل فى نكابة أعداء الله فعل الحرب العوان مسلمه ،

وأجرى الأرزاق في أيامنا الزاهرة على يد من ككفت أعلامه كفت الحوادث
فلا عدوان تغشى ظلمه ولا عاد يخشى ظلمه ، وصان ممالكنا المحروسة بأراء من إن
صرف إلى نكايه أعداء الله حد يراعه لم ينب موقعه ولم يعنف كلمه ، وإن صرفه
في حماية نعر لم يسم برقه ولم يدق بالوهم ظلمه ، وإن حمى جانب إقاييم عز على
الأيام ثل عروش ما حماه وشمه ، وإن أرهقه لذب عن دين الله راعت عدو الدين
منه يقظته وسله عليه حلمه .

نحمده على نعمه التي زانت أسنى مناصب الدنيا في أيامنا الزاهرة بضياء الدين ،
وأعلت أقدار الرتب العليا بتصرفها بأراء من أصبح علمه علما للتقنين وعماله سننا
للقنين ، وبخرت ينابيع الأرزاق في دولتنا القاهرة بيد من أغنى بيدنا المعتفين
وقمع بهابتنا المعتدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يمينها على سمع المنابر من
نعتنا ما فقد ، وأطفأ إعلانها عن حملتها لب العناد وقد وقد ، وفوض آعتناؤنا
بمصالح أهلها أمورهم إلى أكل من أنتقى لنا التأييد من ذخائر العلماء وأفضل
من أنتقد ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للذب عن أمته ، وجلا
بنور جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن ما أظله من غمه وران عليه من نعمته ،
وعضدنا من أئمة ملته بمن أردنا مصالح العباد والبلاد في إلقاء كل أمر إليه
بأزمته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بسبقه ، وحاز بتصديقه
قدم صدقه ، وأختصه الله بمؤازرة نبيه دون من اجتباه من خلقه ، ومنهم من
كان الشيطان ينكب عن طرقة ، ونطق من الصواب بما نزل الذكر الحكيم على
وقفه ، وسمى الفاروق لتمييزه بين الحق والباطل وفرقه ، ومنهم من قابل المعتدين

بِرَفْقِهِ وَقُتِلَ شَهِيدًا عَلَى حَقِّهِ ، وَكَانَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَسْتَحْيِي مِنْ خُلُقِهِ الْكَرِيمِ
 وَكَرَمِ خُلُقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ طَلَعَ [لَا] مَعَ نُورِ الْإِيمَانِ مِنْ أَفْقِهِ ، وَكَانَ سَيْفُهُ مِنْ كُلِّ مَلْحَدٍ
 فِي دِينِ اللَّهِ بِمِثَابَةِ قِلَادَةِ عُنُقِهِ ، وَطَلَّقَ الدُّنْيَا تَوْرَعًا عَنْهَا وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ مَا بَسَطَ
 اللَّهُ لِلْأُمَّةِ مِنْ رِزْقِهِ بِصَلَاةٍ يُقِيمُ الْإِيمَانَ ، فَرَضَهَا ، وَيَمْلَأُهَا الْإِيقَانَ ، طَوَّلَ الْبَسِيطَةَ
 وَعَرَضَهَا ، وَتَزَيْنَ كَوَاكِبُ ذِكْرِهَا وَمَوَاكِبُ نَصْرِهَا سَمَاءَ الدُّنْيَا وَأَرْضَهَا ، وَسَلَّمَ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ رَقِيتَ لِأَعْطَافِ فَضْلِهِ حُلَّ الْكَلَامِ ، وَأَنْظَمْتَ لِأَجْيَادِ
 ذِكْرِهِ فِرَائِدُ الْمَعَانِي الْمَسْتَخْرَجَةُ مِنْ بَحَارِ الْفِكْرِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَقْلَامِ ، وَوُشَّحْتَ التَّقَالِيدَ
 مِنْ مَنَاقِبِهِ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ آسَاقِ الدَّرَارِيِّ عَلَى هَالَاتِ الْبُدُورِ ، وَجَلَّى عَلَى الْمَسَامِعِ
 مَفَاخِرَهُ بِمَا هُوَ أَسْبَغِي مِنَ النُّورِ فِي الْعَيُونِ ! وَأَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ فِي الْقُلُوبِ ! وَأَوْقَعُ مِنْ
 الشِّفَاءِ فِي الصُّدُورِ ، وَأَطْلَعَ فِي أَفْقِ الطُّرُوسِ مِنْ أَوْصَافِهِ شَمْسَ أَسْفَرِ بَأْنَوَاعِ الْعُلُومِ
 ضِيَاؤُهَا ، وَأَنْشَيْتَ فِي أَشْءِ السُّطُورِ مِنْ نَعْتِ مَا ثَرَهُ سُحْبٌ إِذَا قَابَلَتْهَا وَجُوهَ الْحَيَا
 سْتَرَهَا بِجُمَّرَةِ الْبَرْقِ حَيَاؤُهَا ، وَأَوْدَعْتَ الْمَهَارِقَ مِنْ ذِكْرِ خِلَالِهِ لُطْفًا يَوَدُّ ذَهَبُ الْأَصِيلِ
 لَوْ نَابَ عَنْ أَنْفَاسِهَا ، وَمُنِحْتَ صُدُورُ الْمَعَانِي مِنْ مَعَالِيهِ طُرْفًا تُنْمِي الرِّيَاضَ الْعَوَاطِرُ
 لَوْ تَلَقَّتْ عَنْ أَنْفَاسِهَا - مِنْ سَمْتِ الْوِزَارَةِ بِاسْتِقْرَارِهَا مِنْهُ فِي مَعْدِنِ النَّضَائِلِ ،
 وَأَتَسَمَّتْ مِنْهُ بِالصَّاحِبِ الَّذِي أَعَادَتْ أَيَّامُهُ مَا فُقِدَ مِنْ تَحَاسِنِ السَّيْرِ الْأَوَائِلِ ؛
 وَأَبْتَسَمَتْ مِنْ عُلُومِهِ بِالْعَلَّامَةِ الَّذِي تَتَفَرَّعُ مِنْ أَحْكَامِهِ أَحْكَامُ الْفُرُوعِ وَتَتَفَجَّرُ مِنْ
 تَوَاقِعِهِ عَيُونُ الْمَسَائِلِ ، وَأَتَصَفَّتْ مِنْ مَعْبَدَاتِهِ بِالْمُنْصِفِ الَّذِي هَجَرَ فِي أَيَّامِهِ هَجِيرَ
 الْحَيْفِ وَالظُّلْمِ فَالْأَوْقَاتُ فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ كُلُّهَا أَسْحَارٌ وَأَصَالِمٌ ، وَأَبْتَهَجَتْ مِنْ إِنْصَافِهِ
 بِالْعَادِلِ الَّذِي سَهَّلَ عَلَى ذَوِي الْمَطَالِبِ حِجَابَ بَابِهِ فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُطْرَقَ بِالشِّفَاعَاتِ
 وَلَا أَنْ يُسْتَفْتَحَ بِالْوَسَائِلِ ، وَأَشْرَفَتْ مِنْ مَفَاخِرِهِ بِالْكَامِلِ الَّذِي حَسُنَتْ بِهِ حُلَّ

الثناء فكانها آبتسامُ تُغور النَّورَ في أثناء الخماثل ، فالعدل في أيامه كالإحسان شامل .
 والمعروف بأقلامه كالسَّحْبِ المتكفلة برى الأرض الهاميل ، والظلم والإنصاف
 مفترقان منه بين العدم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يردُّ عن هذا أمل ، قد أعطى
 دسَّ الوزارة الشريفة حقَّه : فالأقدار بآياته مرفوعة ، والمضارُّ بمعدلاته مدفوعة ،
 وكلمة المظلوم بإنصاف إنصائه مسموعة ، وأسباب الخيرات بحسن نيته لينته الحسنه
 مجموعه ، والأقاليم بكلاءة أقلامه محوطة ، وأحوال المملكة بأرائه المشتملة على
 مصالحها منوطة ، والثغور بحسن تفقده مفترقة المباسم ، مصونة بإزاحة الأعداء
 عن مرِّ الرياح النواسم ، أهلة النواحي بموالاتة الحمول التي لا تزال تيسر يدومه
 السرى دامية المناسم ، والبلاد بما نشرت أقلامه من العدل معهوده ، ونزاهة
 بما بسطت [يد] إحسانه من الإحسان معهوده . وأرباب التصرف بما تقتضيه
 أقلامه عن الحيف منهية وبالرفق مأموره . والأيدى بالأدعية الصالحة لأيامه
 الزاهرة مرتفعة ، والرعية لتقلبها في مهاد الأمن والدعة بالعيش متفعة ، وبيوت
 الأموال أهلة ، على كثرة الإنفاق ، والغلال متواصلة ، مع التوفر على عمارة البلاد ،
 والحمول متواليه مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطواريف والتلاد ،
 والأمور بالتيقظ لها على سعة الممالك مضبوطة ، والثنوس بالأمن على ما هي عليه
 من التملى بالنعم مغبوظه ، والمناصب مصونة بكفائها ، والمراتب أهلة بالأعيان
 الذين تنبئت لهم في أيامه عيون الحظ بعد إغفائها ، ومجالس المعدلة حاله ، بحكم
 سيرته المنصفه ، ومواطن العلم عالية ، بما ينل فيها من فوائد التي أتعب السنة
 الأقاليم ما فيها من صفه .

ولما كان الجنبُ العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الضيائى ، وزير الممالك
 الشريفة ، هو الذى كرمت به مناسبتها ، وعظمت بالانتماء إليه مناصبها ، وتحت

بعلمه معانيها ، ونزلت على حكم حلمه عوارف برها العميمة وعواطفها ، وزهت
 بجواهر فضائله أحيادها ، وأسوت في ملابس حلل المسرة به أيامها الزاهية
 وأعيادها ، وأنارت بمدلته لياليها ، وأشرقت بالانتظام في سخاب^(١) إيالته لآليها ،
 فكم من أقاليم صان قلمه أموالها ، وممالك حلى عدله أحوالها ، وبلاد أعان تدبيره
 السحب على ربيها ، وأعمال أبان عن استغنائها بتأثيره عن منة الحيا حسن مسموعها
 وصريرها ، وأرزاق أدزها ، ورزق أجراها على قواعد الإحسان وأقرها ، وجهات ير
 أعان واقفيها عليها ، وأسباب خير جعل أيامنا بإدامة فتحها السابقة إليها ، وقدم
 سعاية أزالها وأزلها ، وكلمة حادثة أذالها وأذلها ، ووجود مضررة ردها بيد المعدلة
 وصددها ، وأبواب ظلم لا طاقة للرعية بسلوكلها أغلقها بئني يمينه وصددها ، فدأبه أن
 يسدد إلى مقاتل العدا باتخاذ اليد عند الفقراء سيهام الليل التي لا تصددها الدروع ،
 وأن يجدد لأوليائنا من عوارف آلائنا أخلاف بر ترموى الآمال وهي حافلة الضروع -
 اقتضت آراؤنا الشريفة أن نزين بحجده غرر التناليد ، ونجدد إليه في أمور وزارتنا
 الشريفة إلقاء المقاليد ، وأن نوشي الطروس من أوصافه بما يجدد على أعطافها
 الحبر ، ونردد على السنة الأقاليم من نعوته مالا تمل المسامح إيراد الخبر منه بعد الخبر .
 فلذلك رسم بالأمر الشريف العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، الفلاني -
 لآزال الدين في أيامه الشريفة مشرقا ضياؤه ، أهلة باعتلائه مرابع الوجود وأحياؤه .
 ممدودة على الأمة ظلالة الوارفة وأفياؤه - أن يجدد هذا التقليد باستقراره تجديدا
 لا يبيل الدهر حله ، ولا تقوض الأيام حله ، بل يشرق في أفق الممالك إشراق^(٢)

(١) السخاب بكسر السين المهملة وبالنون المعجمة فلادة من مسك وقرنفل ومحب بلا جوهر

جمه كتب .

(٢) جمع حلة بالكسر بمعنى البيوت وهي مائة فافوقها انظر المصاح .

المجوم الثواب ، ويتفرع في مصاح الملك تفرع الأفنان الناشئة في الأصول النوبات ،
وتخال به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملايسها ، وتضى به مواطن العلوم إضاءة
صباحة المصباح في يد قابسها ، وتسترع لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان ،
وتجتلي به لأيماننا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسان .

فلتجر أعلامه في مصاح دولتنا الشريفة على أفضل عاداتها ، ويرسلها في نشر العدل
على سجيته وفي إجراء الجود على جادتها ، ويكف بها أكف الحوادث فإنما تزال
أسباب الظلم بحسب مادتها ، ولينطقها في مصاح الأموال بما تظلل له مسامع الحمول
مُصفيه . ويطلقها في عمارة البلاد بما تغدوله ألسنة الخصب حافظه ولما عداه
مُغنيه ، وكذلك الخزائن التي هي معاقل الإسلام وحصونه ، وحماه الذي لا يتبدل
بغير أمرنا الشريف في مصاح الملك والملة مصنونه ، فليجعلها بتديره كالبحار
التي لا تنقص بكثرة الوزاد جمامها ، ولا تترحها السحب لكثرة ما تحمل إلى الآفاق
غمامها ، وتكن كلمة العدل من أهم ما تفتح به مجالسه ، وأكيد ما يؤمر به محاضره
من الأولياء ومجالسه ، وأزكى ما يستجيد [به] لأستثمار الدعاء الصالح مغارسه ،
وأوثق ما يحوط به حمى الملك الذي إذا غفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبغي
أن ينافس عليه حاضر دته وغائبه ، وأولى ما يعد على إهماله نكاله ويعد على
إقامته رغبته .

ولياحظ من مصاح كل إقليم ما كأنه ينظر إليه بعين قلبه ، ويمثل صورته
في مرآة لبه ، فيتر كل أمر على ما يراه من سداده ، ويقرر حال كل ثغر على
ما يحصل به المراد في سداده . فيغدو لأعداره بموالاتة الحمول إليه مزيجاً ، وبمسي
سد خاله لخواطر أهل الكفر متعباً ولخواطرن الشريفة مزيجاً ، وينظر في أحوال

من به من الجند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم . ويجتدّد الاستطاعة لديهم .
 ويزيل أعتذارهم وأعتذارهم | بوصول حقوقهم اليهم . ويوفّرهم على إعداد الأهبة
 للأعداء^(١) إذا أتوهم من قورهم . ويكثّمهم بيدرار الأرزاق عليهم عن أعتذارهم
 على الرعايا وجورهم . ويتفقّد من أحوال مباشريها وولاة الحكم والتحكّم فيها
 ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيرة . والهفتوات التي يرونها قابله وهي
 بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره . ويتعاهد أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها
 بالمناسب . ولا تغدو أوقافها المعتدة لإكتساب العلوم في المكاسب . بل يتعين أن
 يراد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويترر في رتبها لأئمة الأكتفاء . ولا آخذ
 الناس رؤوساً جهلاً لا فضلاً وأضالوا . ولتكن أقلامه على كل ما جرت به العوائد
 في ذلك محتويه . وأيامه على أكل التواعد في ذلك وغيره منظويه . فما تمّ شيء من
 قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمة فليكتب يمثّل . وليقل في مصالح دولتنا
 القاهرة يكن قوله أمضى من الظبأ وأسرى من الصبا وأسير من المثل . فلا تمضى
 في ذلك ولاية ولا عزل ، ولا منع ولا بدل . ولا عقد [ولا] حل . إلا وهو معدوق
 بآرائه . متوقف على تنفيذ وإمضائه . متلق ما يقتر فيه من تلقائه . وفي الأكتفاء
 بسيرته ما يغني عن إطرائه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذي شدّ لدولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أزراراً ، وخصّ أيامنا
 الزاهرة باجتماع من حماها عدله أن تضع أو تحبل وزراراً ، وأفاض إنعامنا على من طلع

(١) الزيادة من تنفيذ الآتى بعد .

في أفق خدمتنا هلالاً وأستقل بحسن السير والسيرة بدراً، وضاعف إحساننا لمن [لا]
 نرفعه إلى رتبة شرف إلا وكان أجل الأكلفاء على ذلك قدرة وقدرًا، وجعل ملكنا
 بمن إذا افتخرت الدول ببعض مناقبه كفاها ذلك جلالاً ونفخراً، وإذا أدخرت تدبيره
 وبذلت ما عداه فحسبها ما أبقتة وقايةً للملك وذخراً، وبسط عدلنا في الأقاليم بيد
 من حين أمرنا القلم بتقليده ذلك سجد في الطرس شكراً، وأفتتح بحمد الله يذكّر النعمة
 به على آلائه إن في ذلك لذكرى، وأخذ في وصف ذرر مفاخره التي تمثلت له
 فنضدها دون أن يستدعي روية أو يعمل فكراً.

نحمده حمد من والى إلى أوليائه، مواد النعم، وأضفى على أصفياه، ملايس
 الكرم، وحفظ لمن أخلص في طاعته معارف معروفة التي هي في أهل النهى ذمم،
 ونبه لمصالح رعاياه من عم عدله وإن لم يغف عن ملاحظة أمورهم ولم ينم.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعلنا ونعلينا، ونرخص أرواح
 جاحديها ونعلينا، ونوالى بالنعم على المتمسك بها ونوايها، وتقرب بئنها رتب الأولياء
 من إحساننا وننديها، ونجدد لهم بتأييدها ملايس المنن نظهر عليهم آثار النعم السنوية
 فيها، ونرفقهم بحسن عنايتنا إلى أشرف غاية كانوا يسرون أهليتهم لها والله يبيدها،
 ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا لنصر دينه فقمنا به كما أمر، وأبقى على
 أيامنا حكم أيامه فاستمر الحال على ما سبقت به دعوته من تأييد الدين بعمراً، وخصنا
 ممن ينتمى إلى أصحابه بأجل صاحب ينوب عن شمس عدلنا في محور ظلمة الظلم مناب
 القمر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الزهر الغرر، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولى من اختيرت جواهر الكلام لرصف مفاخره، وأتخبت غرر
 المعاني لوصف آثاره في مصالح الإسلام وما أثره، وقامت خطباء الأقلام على منابر

الأنامل بشيرةٌ بيمين أيامه ، وتطلعت مقل الكواكب مشيرةً إلى ما أقبل على الأقاليم من إقباله وسمت سحُبُ أقاليمه ؛ وتبرجت زُهر النجوم لينتظم في عقود مناقبه سعودها ، وتأرجحت أرجاء المَهَارِقِ إذ تبلج من ليلٍ عن بحر عمودها ؛ وسارت به أنباء السُعود والقلم الناطق بذكره وهو المخلِّق الميمون طائرُه ، والطَّرس الموشع بشكره وهو المخلِّق الذى تملأ الدنيا بشائره - من استخاصته الدولةُ القاهرة لنفسها فتعلَّما عينا وسرَّها قلبا ، وأخصَّته بخواصها الشريفة فرحب بها صدرا ولبَّاهَا لُبًّا ، وكلف بمؤازرتها بذاتها حتى قيل : هذه (تراودُ فَنَاهَا عن نَفْسِه قد شَغَفَهَا حُبًّا) ؛ وأحلتُه من وزارتها الشريفة بالمكان الأسمى والحرم الحريرى ، وأثنت على فضله الأسمى بلسان الكرم البسيط الوجيز ، وأتتمدت في أمور رعاياها على ما فيه من عدل وورع لا يُنكر وجودهما من مثله وهو فى الحقيقة عُمر بن عبد العزيز ؛ وأدنته عنايتنا منَّا لما فيه من فضلى عميم ، وحسبٍ صميم ، ونسبٍ حديثٌ مجده قديم ، وأصاله إذا أفتخرت يوما تميم بقومها قالت أين تميمك من جدِّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم ؛ وغرسته لنفسها وطال ذلك الفرس وطاب الثمر ، واعتضدت بتديره فكان له عند أطراف العوالى فى مكانه الأعزُّ أطرف سمر ، ووثقت بما فيه من عدل ومعرفة لا يُنكر من نحا الصواب اجتماعهما فى عُمر ؛ وأشتقت له بإحساننا من نسبته وصفًا جميلًا ونعتًا جليلاً ، وخصَّته لمزية ذلك الاشتقاق بمزيد قُرْبنا فامسى فى خدمتنا جليلاً وأصبح خليلاً ؛ ورعت له ما قد تم من تديرأتى عليه بنفسه ، وسدادٍ ظهرت مزية كل يوم منه على أمسه ؛ وسعى جميل ما برح فى مصالح الإسلام رائحاً وغادياً ، واجتهادٍ فى أمور أهل الجهاد ما برح يدأب فيه علماً بما أعتد الله لمن جهز غازياً ؛ ودان له من حُسن ملاحظته الأمور ما ليس لاوصف به من

قَبْلَ ، وَتَأَمَّلْتُ مَا يُكشَفُ لَهُ عَلَى البُعْدِ مِنَ المَصَالِحِ الَّتِي يَأْمُرُ بِالصَّوَابِ فِيهَا وَكَيْفَ
لَا وَعُمَرُ الَّذِي شَاهَدَ السَّرِيَّةَ عَلَى البُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الجَبَلِ ، وَأَيَقَنَتْ بِبَسْطِ العَدْلِ
فِي الرِّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤْتَمِرٌ وَالعَادِلُ أَمْرٌ ، وَتَحَقَّقَتْ عِمَارَةَ البِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ عُمَرَ بِحُكْمِ
العَدْلِ عِنْدَ الحَقِيقَةِ عَامِرٌ .

ولذلك لما كان المجلس العالى الفخرى - ضاعف الله نعمته - هو الذى قرَّبته
طاعتنا نجيًا ، ورفعتنا ولايتنا مكانًا عليًا ، وحقَّق له آجتهاده فى مصالح الإسلام الأمل
من رِضَانَا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ، وَأَخْلَصَ فِي خِدْمَةِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ فَاتَّخَذَتْهُ
لِخَاصِّ الأُمُورِ وَعَامَّتِهَا صَفِيًّا ، وَأَظْهَرَ مَا بَطَّنَ مِنْ جَمِيلِ اجْتِهَادِهِ بِفِعْلَتِهِ لِمَصَالِحِ المُلْكِ
وَزِيرَا وَصَاحِبِيَّا وَوَلِيَّيَا ، وَأَنْجَزَتْ مِنْهُ لَتَدِيرِ أُمُورِ المَمَالِكِ مَا كَانَ الزَّمَنُ بِهِ مَا طَلَا ،
وَأَجَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الَّتِي هِيَ مَلِيَّةٌ بِتَصْرِيفِ الأَرْزَاقِ مَا لَا يَبْرَحُ غَمَامُهُ هَاطِلًا ، وَقَلَّدَتْهُ
رِعَايَةَ الأُمُورِ وَأُمُورَ الرِّعَايَا عِلْمًا أَنَّهُ لَا يَتْرِكُ لِلَّهِ حَقًّا وَلَا يَأْخُذُ بِاطِلَا ، وَقَلَّدَتْ جِيَدَهُ
بِأَسْنَى حِلْيَةٍ هَذِهِ الرِّتْبَةِ الجَلِيلَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بِحُكْمِ قُرْبِهِ مِنَّا عَاطِلًا ، وَرَفَعَتْ لَهُ
لِوَاءَ عَدْلِ مَا زَالَ لَهُ بِالمُنَى فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ حَامِلًا ، وَكَلَّمَتْ لَهُ بِبَلُوغِ الغَايَةِ مِنْ أَفْقِ
العُلُورِ فَعَدَّ قَدْرَهُ وَمَا زَالَ المُوَهَّلُ لِلِجَمَالِ بِاعْتِبَارِ مَا يَشُورُ إِلَيْهِ كَامِلًا ، وَنَوَّهَتْ بِذِكْرِهِ
وَمَا كَانَ لظُهُورِ مَحَايِلِ هَذَا المَنْصَبِ الجَلِيلِ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ خَامِلًا ، وَنَظَرَتْ الرِّعَايَا
فَمَا عَدَّتْ بِهِمْ عَنِ بَرِّ رَفِيقٍ ، وَصَاحِبِ شَفِيقٍ ، وَوَزِيرِ عُمَرَى السَّيْرَةِ مَسَلِكِ طَرِيقَا
إِلَّا وَعَدَلَ شَيْطَانُ الظُّلْمِ عَنِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ هَذَا المَنْصَبِ الجَلِيلِ غَايَةَ مَدَارِ
المَمَالِكِ عَلَيْهَا ، وَقِبْلَةَ تَوَجُّهِ وَجُودِ أَهْلِ الطَّاعَةِ فِيمَا يُفَاضُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَتِنَا إِلَيْهَا ،
وَهُوَ الَّذِي يَتَدَرَّعُ صَاحِبُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ لَبُوسًا ، وَيَعَالِجُ مِنْ أَدْوَاءِ المَهَامِّ مَا بَغِيرَ
عِزَائِمِهِ لِأَبُوسَى ، وَيَتَرَدَّدُ فِي المَخَالِصَةِ وَالمَنَاصِحَةِ مِنْ مَالِكِ أَمْرِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى - اقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُفَوِّضَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ نَهَضَ فِي طَاعَتِنَا

الشريفة بما يجب ، وعلمنا تحرزده لدينه ولنا فيما يأتى ويختبىب ، ومن تزداد به مع نغره أيامنا الشريفة نغرا ، ويصبح له مع ماله من الجلالة فى نفسه رتب جلالة أخرى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى : -
لا زال يصرف الأقدار بيمين أيامه ، ويشرف الأقدار بيره وإنعامه ، ويدر على الأولياء وإبل جوده الذى تحجل الديم من دوامه - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ، وبرأ وبحرا ، وشاما ومضرا ، على أجهل التواعد فى ذلك وأكها ، وأسنى الفوائد وأفضلها ، وأتم الأحوال التى يستغنى بجمليها عن مفصليها .

فليعط هذه الرتبة من جلالتة حظا كانت من إبطائه على وجل ، وبجار الغائم بوابل إنعامنا الذى يعلم به أن حمة البرق فى أشائه نجلى ، ويطلق قلمه فى مصالح الدولة القاهرة بسطا وقبضا ، وإراما ونقضا ، وتديرا يعين النيل والغمام على تتبع المحل ما وجد كل منهما أرضا ، ويعمل آراءه المباركة تديرا للمناجح وتديرا ، وتقريرا للتواعد وتقريرا ، ونظرا يجعل لكل عمل من ملاحظته نصيبا . وفكرا يحاسب به على حقوق الله وحقوق خلقه فإن الله هو المناقش على ذلك ((وكفى بالله حسيبا)) .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به وبالإحسان فى ملكنا الشريف ، ويخفف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطاة فإن الإنسان ضعيف . ويحجز لأولياء دولتنا مواد الارزاق فإن سيف المنع الذى نحاشى أيامنا عن تجريده أقل نكايه من التسوية ، ويمنع الولاة من ظلم الرعايا باعتبار أحوالهم دون أقوالهم فإن منهم من يدعى العدل ويحور ويظهر الرفق ويحيف ، ولتتبع أدواء المحل تتبع طبيب خبير ،

ويُصرف الأمور بحِمْيل تديره فإنَّ البركة معدوقةٌ بحُسن التدير، ويستقبل رى البلاد - إن شاء الله تعالى - بسداد حزم يُقتصر به هذا القليل لذلك الكثير، ويستخلف بالرفق والعدل أضعاف مافات في أمسه فإنَّ ذلك على الله يسير. وليهم بيوت الأموال فيوالى إتيان المحول إليها من أبوابها، ويضاعف بها الحواصل التي لا يُطلع بغير حُسن التدير على أسبابها، فإنها معادنُ الذخائر ومواردُ الرجال، وإذا أعد منها جبلاً شواخ تلاً إنفاقنا في سبيل الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ .

وكذلك الخزانة التي هي معاقل الإسلام وحُصونه، وحماء الذي لا يُبتذل بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مصونه، فيجعلها بتديره الجميل كالبحار التي لا تنقص بكثرة الورد جامها، ولا تترجها السحب على كثرة ما تحمّل إلى الآفاق غمامها، وإسلا حظ من مصالح كل إقليم بما تُمثله له على البعد أفكاره، ويامر في أحوال من به من الجند بما يؤكّد الطاعة عليهم، ويجدد الاستطاعة لديهم، ويزيح أعدارهم وأعتذارهم بوصول حقوقهم إليهم؛ ويوفرهم على إعداد الأهبة للأعداء إذا أتوهم من فورهم، ويكفهم بإدراك الأرزاق عليهم عن أعتدائهم على الرعايا وجورهم؛ ويجعل ثغور كل جانب - بتيسير محصولها، وتثير ذخايرها التي هي من موارد رجاها - مصفحة بالصفاح، مشرقة بأسنة الرماح، مسدودة من جهة العدو عنها مسالك الرياح؛ ويتفقد من أحوال مباشريه، وولاية الحكم والتحكّم فيه؛ ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيره، والهفوات التي يرونها قليلة وهي بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره، والأحوال التي إذا عددها الكتاب عليهم قالوا: ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾، ويتعاهد أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها بالمناسب، ولا تُعدّ رزقها المعدة لا كتساب العلم في المكاسب؛ بل يتعين أن يرتاد

لذلك العلماء الأعلام حيث حلوا ، ويقرر في مراتبها الأ كفاء وإلا آتخذ الناس رؤوسا جهالا فضلوا وأضلوا؛ وقد جعلنا [أمره] فى ذلك جميعه من أمرنا ، فليقل يمتثل ، وينشر كلمة عدلنا التى يسير بطريقتها المثلى المثل ؛ ولا تمضى ولاية ولا عزل ، ولا منع ولا بذل ، ولا عقد ولا حل ؛ الا وهو معدوق بأرائه ، متلقى من تلقائه ، متوقف على تنفيذه وإمضائه ؛ وقد اختصرنا الوصايا ، آ كفاء بما فيه من حسن الشيم ، واقتصرنا على ذكر بعض المنزاي ، إذ مثله لا يدل على صواب ولا يزداد ما فيه من كرم ؛ لكن تقوى الله أولى ما ذكر به من لم يزل لربه ذاكرا ، وأحق ما شكر على التوفيق من لم يبرح له به شاكرا ، والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة احتفالا بشكره وأعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شد أزر الملك من الوزراء بالمكين الأمين ، وأشرك فى أمر ملكه من هو على صلاح الجمهور خير معين ؛ وألقى مقاليد حُسن تديره لمن دلت عليه بركة الاستخاره ، وصوب أمر دقيقه وجليله لمن هو لجميل الشاء المعنى وإليه بنان الاجتباء الإشارة ، وناول كتابها لمن هو أحق بحمل أعبائه ، ورفى منصبها لمن لأشبهه بأنه الحقيق باستعلائه ؛ وناول قلم إعطائها ومنعها لوضع الإشارة فى محلها ، وعلق ثمر أموالها بمن لا يأخذها بمقتضى يديه إلا من حلها .

نحمده على حُسن إلهامه ، وشريف إلهامه ؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مخلص فى أدائها ، محق فى إعادتها وإبدائها ؛ ونشهد أن هذا

عبدہ ورسولہ خیر من ہو بالحق مبعوث وبالصدق منقوت ، صلی اللہ علیہ وعلیٰ آلہ وصحبہ صلاۃ لا تزال مستمرۃ فی کل وقت مؤقوت ، وسلم تسلیما کثیرا .

وبعد ، فإن ید الوزارة هی الید الباسطۃ فیما قلّ وجلّ ، والمتجکة فیما عدق بالملک من کل عقد وحلّ ، والموقوف عند إشارة بنانہا وإلیها التحکم فی کل إعطاء ومنع ، وتفريق وجمع ، وعزل وولایہ ، ونہایۃ کل نہی وأمر وما لها من غایہ ، وربہا من الملک کالروح البصرۃ من العین ، واللسان المعبر عن کل زین وشین ، وحسبہ أنه فی المحلّ من ذات یمین ، ومن مکانۃ التکن فی الحرز الحصین ، ولهذا لا یؤهل لها إلا من أنعد علی سؤدده الإجماع ، وأنقطعت دون لحاق شرفہ الأطماع ، وتاصل فی نخارها وتفرع ، وقام بفروض کفایۃ کفالتہا وتطوع ، وسار حدیث مناقبہ فی الآفاق ، وجاء بالأختیار والأختبار بالوفاق ، وحسن صورة ومعنی ، وتعددت مناقبہ فدأت علی أنه الفرد إذا أنسقت عقوده مثنی مثنی . وكان المجلس العالی الفلانی ربّ حوزتها وسریرها ، وروح بصر مرتیق هذه المحامد وإلیه [أمر] مصیرها ، والذي حکمت له السیادة بمنالها وحکمتہ ، وأوضحت بأصالتها وجه الصواب فی آختیاره لها وأحکمتہ ، وقد حاز من متفرق لوازمها ما تفرق فیمن سواہ ، وحوی من أدواتها [مادل] علی أن اللہ خلقه فسواہ ، إن قال فالصواب موکل بمنطقه ، أو صمت فعظم مہابتہ قائم مقامہ بجمل الخلق لا تخلقه ، قد جمع إلی التواضع فرط المہابہ ، وإلی الأبتداء بالمعروف حسن الإجابہ ، إن ذكرت الصدارة فهو مالک زمامها ، أو الریاسة فهو غرّة لثامها ، أو الکفالة فهو مصرف عینها ، أو الوزارة فهو عین أعیانها ، لم تزل رتبہا متشوقۃ لحلولہ ، مہدۃ لشریف تاحیلہ .

ولما تحلّى منها بهذه الحلي ، وسار حديث ملاءته بتحويلها في الملا ، وتلا لسان
القلم سور هذه المحاسن وتلا الثانى بالأول منها إذا تلا ، رُسم بالأمر العالى - أجمعه
الله بما وهبه من حُسن مؤازرته ، وشدَّ عضد مملكته بالإمتاع بربح حُسن معاملته
لله وله ولتُاجرته - أن تُفوض الوزارة المفخمة ، المكرمة المجلّة المعظمة ؛ للشار
إليه : تفويضاً عاماً للقريب من مصالحها والبعيد ، والطارف والتليد ، والمقيم
والنازح ، والغادى والرائح ، والسائح والبارح ، والباغى والصادح .

فليباشر ما فُوض إليه منها مباشرة مثله لمثلها ، وليُعطيها من نيئه مُناسب نيلها ؛
ولياخذ أمرها بكتنا يديه ، وليُعبرها جانباً من احتفاله ليظهر عليها آثار سُودده كما ظهر
شريف تحويلها عليه ؛ وليُطلق فيها لسان نبيه وأمره ، وليُعْمَل في مصالحها صالح
فكره ؛ فقد عُدت به مهامها : جليلها وحفيرها ، وقليلها وكثيرها ؛ وأميرها
ومأمورها ، وخليئها وضريئها ؛ وناعقها وناعبها ، وكاسيها وكاسبها ؛ ودانيها وقاصيها ،
وطائعها وعاصيها ، ومستقبلها وحالها وماضيها ، وواليها وقاضيها ؛ ثقة بتمام تديره ،
وحميد تأثيره ، وأنه إن حكم فصل ، وإن قطع أو وصل كان الحزم فيما قطع ووصل ؛
إذ هو الوزير الذى قد صُرف عن عمل الأوزار وسار ، إلا أنه في كل منهج سار ؛
تقطر السيادة من معاطفه ، وتجنى ثمر المنى من أغصان قلبه يد قاطفه ؛ لاشئ يخرج
عن حُكمه ، ولا مصلحة تعزب عن علمه ؛ فولاية الحُكّام معدوقة بإشارته ، موقوفة
على ما يثبت به بليغ عبارته . ومع جلاله قدره لا يحتاج إلى التاكيد فى الأموال وأستدرار
أخلافها ، والرعايا والأستدامة بالإحسان ودّ أخلافها ؛ وبيوت الأموال وأستيداء
حقوقها ، ومُراعاة جانبها إذ هى الأم الحنونة بتجنّب عقوقها . والخزائن فهو أدرى
بما يجب من تضيق صدرها بالمناقيص عن الأشرار ، والأهتمام بحواصل تشريفها
المستجلية إفاضة ملابسها قلب من غدا وراح ؛ وثم دقائق ، هو أدرى بما لها من

طرائق ؛ وحقائق ، هو أعرفُ إذ كان فيها الفائقَ الرائق ؛ فهو - أجله الله - غنى عن تفصيلها ، وذهنه أشرفُ عن الوصايا المنسوبة لتوصيلها ؛ والله تعالى يقدر له وبه الخير ، ويمتّع بحسن تديره المقرونِ بجميل السريرة والسير ؛ والخطُ الشريف أعلاه ، حجةً بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردتها في " التعريف " وهي :

يوصى بتقوى الله فإنه عليه رقيب ، وإليه أقربُ من كل قريب ؛ فليجعلهُ أمامه ، وليطلبُ منه لكل ما شرع فيه تمامه ؛ وليجلبُ رأيه في كل ما تشد به الدولة أزرها ، وتُسند إليه ظهرها ؛ وليجعلِ العدلَ أصلاً يبنى على أسسه ، والعملَ في أموره كلها لسلطانه لا لنفسه ؛ وليدعُ منه الغرضَ جانباً ، وحظَّ النفس الذي لا يبدؤ إلا من العَدْو ليُصدق من دعاه صاحباً ؛ وليبصر كيف يُثمرُ الأموال من جهاتها ، وكيف يخلص بيوت الأموال بالاعتصار على الدرهم الحلال من شبهاتها ؛ وليتره مطاعم العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، ولا يرى به من العين إلا ما يحرمُ المُجوع ؛ وليحذر من هذا فإن المفاجئ به كالمخاتل ، وليتجنب إطعام الجند منه فإن [آكل] الدرهم الحرام ما يُقاتل ؛ وليحسن كيف يولى ويعزل ، ويسمن ويهزل ؛ وعليه بالكفاة الأمانة ، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوى غناء ؛ وإياه والعاجز ، ومن أورأى المصلحة بين عينيه ألقى بينه وبينها ألف حاجز ؛ وليطهر بابه ، ويسهل حجابه ؛ ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب : مقدماً للأهم فالأهم من المصالح ، وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر المساي والمصايح ؛ ولا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو ثبتت عنده خيائته ، ولا يدع من جميل نظره من صحَّت لديه كفايته ،

أو تحققت عنده أمانته ؛ وليسلك أقصد الطرق في أمر الرواتب التي هي من صدقاتنا الشريفة وصدقات من تقدم من الملوك ، وهي إما لمن وجب له حق وإن كان غنياً أو عرف صلاحه وهو صعلوك ؛ وكذلك ما هو لأيتام الجند الذين ماتوا على الطاعة ، وأمثالهم ممن خدم دولتنا القاهرة بما استطاعه ؛ فإن غالب من مات منهم لم يخلف لهم إلا ما نسمح لهم به من معروف ، ونجزيه لهم من جاريه هو أنفع من كثير مما يخلفه الآباء للأبناء من المال المتملك والوقف الموقوف ؛ وليصرف اهتمامه إلى استخلاص مال الله الذي نحن أمناءه ، وبه يشغل أوقاته وتمتلي كالإتناء أناؤه ؛ فلا يدع شيئاً يجب لبيت المال المعمور من مستحقه ، ولا يتسمع في تخلة شيء منه كما أننا نوصيه أنه لا يأخذ شيئاً إلا بحقه ؛ وليبق لأيماننا الزاهرة بتواقيعه ذكراً لا يفتنى ، ويرا لا يزال ثمره الطيب من قلمه يحنى ؛ ليكون من رياح دولتنا التي تغتم ما يثيره من سخاها المطير ، وحسنات أيماننا التي ما ذكرنا وذكر معنا إلا وقيل : نعم الملك ونعم الوزير .

الوظيفة الثانية

(كتابة السر ، ويقال لصاحبها "صاحب دواوين الإنشاء")

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الوظائف أن موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم ورودا وصدورا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ، وأنه صار يوقع فيما كان يوقع فيه بقلم الوزارة .

قلت : وقد كان فيما تقدم يُكتب له توقيعٌ في قطع النصف بلقب «المجلس العالى» ثم استقرَّ أن يُكتب له تقليدٌ في قطع الثلثين بلقب «الجناب العالى» . وقد تقدم الكلام على تقليده في الكلام على التقاليد .

وهذه نسخة تقليد بكتابة السرِّ ، كُتِبَ بها للمقرِّ المحيوى «محيى الدين بن فضل الله» عند عودته إلى كتابة السرِّ بالديار المصرية ، في جمادى الأولى سنة ثلاث ... (١) ... من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كتّاب الدرّج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانُّ بفضله ، المستعان به في الأمر كلّه ، الذى رفع أول الأولياء من العلياء إلى محله ، ووضع النعم عند من ينصُّ الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويَجِلُّ ما فوّض إليه من أجله ، وأبدع نظام السؤدد بأجمل حالٍ ما دام يجيى جامع شمله ، وأودع سرُّ ملكنا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلّه ، وأرجع الرياسة إلى من تَمَّ اثباتا ، ونما نباتا ، وعلا عزما ، ووفى حزما ، فيمن آثاره تُضرب الأمثال ولا تجد في يمن سجاياه كمثلّه .

نحمده على أنْ أعاد بنا الحقَّ إلى أهله ، ونشكره على أن جاد روض الآمال بوا كيف سحابِ كرمنا ووبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق للصواب في قوله وفعله ، وتُحقّق منه جميل الإخلاص في جميع مذاهبه وسبله ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى سايغ ظلّه ، والمروى يوم العطش الأكبر بسائغ نهله ، والنبيُّ الذى بعثه خاتم رُسله ، وآتاه من الكرامة ما لم يؤت أحدا من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهله لإيداع سرّه وصونه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

(١) يابض بالأصل .

وُخِصُوا بِمُحْصَلِهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمَجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُعْتَصِمِينَ بِحُبِّهِ ،
 خُصُوصًا الصَّدِيقَ الَّذِي أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ بِقَتْلِهِ ، وَمَنْ فَرَّقَ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِمُحَسِّنِ سِيرَتِهِ وَمُحْضِ عَدْلِهِ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَ...
 فِي تَرْبِيهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَائِهِ وَتَقْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارِسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتِبَ
 وَحْيِهِ وَخَاطِبَ كِفْلِهِ ؛ وَعَنْ بَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرَدُوا بِأَكْلِ الْفَضْلِ
 وَأَجَلَّهُ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا وَضَمَّ بِهِمَا نُورَ الْهُدَى لِمُسْتَدَلِّهِ ، مَا شَفَى كَرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفَرَضِ وِلَايَتِهِ وَنَفَلَهُ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَا بَعْدُ ، فَنِعْمًا لَا تَزَالُ لِلْعُهُودِ حَافِظَةً ، وَبِالْجُودِ مُتَحِفَةً وَبِالسُّعُودِ مَلَاحِظَةً ،
 وَعَلَى الْمَعْهُودِ مِنْ كَرَمِ شَيْمِهَا مَحَافِظَةً ، وَلِلْخِدْمِ مَكَافِيهَ ، وَلِلْقِسْمِ مُوفِيَةً وَبِالنَّعْمِ مُوَافِيَةً ،
 وَبِالْأُوفِ الْكَرَمِ مُلَافِيَةً ؛ أَتَّبَعَا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَإِيدَاعًا لِلنِّعْمَةِ عِنْدَ مَنْ لِحَقَّهُ
 فِي اسْتِحْقَاقِهَا إِيجَابٌ ، فَلَمَحَلَّهُ أَقْتِرَانٌ بِالْإِقْتِرَابِ ، وَفِعْلُهُ إِجْزَاءٌ لَوْعُودِ الصُّعُودِ
 وَإِجَابٌ ، وَلِفَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَهْبَى جِلْبَابٍ ، وَهُوَ سَبَقَ وِلَايَةَ الْمُلْكِ
 بَعْدَ جَفَاءٍ فِيهِ السِّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصَدَّقُ وُدَّ مَاضِعٍ لَدَيْنَا وَلَا خَابَ ، وَقَدَّمَ هِجْرَةَ
 كَمْ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارًا وَأَنْتِصَابًا ، وَتَعَدَّدُ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ
 كَالنُّجُومِ وَفِي الْكَثْرَةِ عَدَدُ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا اسْتِجَابًا ،
 وَلَا اسْتَوْعَا سِرَّهُ إِلَّا غَدَا بِهِ يُصَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا اسْتَنْطَقْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبَ
 بِأَمْلَحِ خِطَابٍ ، وَلَا اسْتَثَرْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرَّشْدَ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ فَرَقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ
 كِتَابَةِ بَيْكَاتٍ ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفِيرِ وَالسَّيْفِ فِي الْقِرَابِ ؛ فَبَدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْزَلُ مِنَ النِّعْمَاءِ
 أَهْمَرُ سَحَابٍ ، وَبِرَكَاتِهِ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابٍ ، وَبِأَقْلَامِهِ
 إِنْعَامُنَا يَهَبُ وَإِنْقَامُنَا يُهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ أَمْنٌ سِيَاحٌ ، وَهِيَ فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء وإليهما احتياج، فكم ضمنا دُررَ كلاميهما
الأدراج، وأطلعا زهر أقاليمهما من المَهَارِقِ في أبراج، وكم واصلت في ليل النَّقْسِ
السُّرَى والإدلاج، حتى أبدت صَبَاحَ النِّجَاحِ ذَا أَيْتِلَاجٍ، فلا عَجَبُ أن كان للنعم
إليهما معادٌ ومعَاج، ولِضيقِ الخُطْبِ عِنْدَ بَاعِهِمَا الرَّحْبِ فُسْحَةٌ وَأَنْفِرَاجٌ .

ولما كان المجلس العالى المَحْيُوى هو أسرى من تُلقَى إليه الأسرار، وتبقى منه
عند أخرى الأحرار، فكم لها صانَ أين صار، وكم لخواطرنا الشريفة من أفعاله سار
حيث سار، وكم له من كرمنا دار في كل دار، فمنا لقربه إيثار، ولاثنتنا عليه إيجار،
ولنا بفضائله إقرار، يُوجب للنعم عنده الإقرار - أقتضى حسنُ الرأى الشريف
أن نُعيد إليه منصبه، ونزيد لديه الموهبه، ونجعل وجودَ تفضيله لدولتنا أعظمَ مزيةً
ومنقبه، ونراه أجلُّ كُفءٍ لآستجلاء عقائل الأسرار المحجبه، وإن كان لزاهته
لايخطبها فهي لوجاهته ترغَّب أن تخطبه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى الفلانى -
لا بريح بفضل الله يحيى الدين، وبتأييده يبين أنه الحق المبين، وبتسديده يصيب
عين الصواب فى التعيين - أن نفوض للشار إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف
بالأبواب الشريفة شرفها الله وعظمتها: على أجمل عوائده، وأكمل قواعده، وأحسن
حالاته فى حسن مقاصده، ونفوذ ما يبلغه من رسائل عدلنا فى مصادر كل أمر
وموارده، وليستقر بأسمه من المعلوم كذا وكذا .

فلتلق منصبه المبارك بأمل فى كرمنا مبسوط، ورتبته التى يحيى حماها ويحوط،
مُمضياً للهمات والمراسم، مبقياً من يمن آثاره ما تضحى به ثغور الثغور بواسم،
معيداً لمن عنده من كتابنا أوقات الأئس فأيامهم [به] كلها مواسم، وبها لهم من الخيرات

أجزل المقاسم ، وقد وفروا دواعيهم إلى الخدمة إذ وفر على نفقتهم دواعيه ، وهو لسان
الدولة وهم أذن صوت لما يليق به إليهم وإليه ، فحق لهم إلى وداده أن يمنحوا ،
وبإسعاده أن يتججوا ، وعن ولائه لن يرحوا : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فليسير الملك به سرور ، وللدولة من أشعة إيايه وطلعة شهايه نور على
نور ، وبهما عماد الشرف الأعلى مرفوع وبيت الفضل الأوفى معمور ، وهو وبل
هذا الغيث الغمر وشبيل هذا الليث المصور ، طالما هزم الصفوف من كتبنا
بالسطور ، وجهاز بردا سرها بالصون مكتوم وعلمها بالنصر منشور ، وهو كثر
الفضائل وكتابة الذهب شذور ، ومن هذه الأسرة العمرية بأفق العلياء نجوم وأهلة
وبدور ، وللنير الأكبر إشراق وأتلاق وسفور ، وغيره بالوصايا المأمور ، وسواه
نين له قصد السبيل حتى لا يضل ولا يجر ، ولا يحتاج أن نذكره بما هو من علمه
مذكور ، وفي صحائفه مسطور ، ولا نعلمه سدادا إذ هو عليه مجبول ومفطور ،
بل الهدى منه ملتمس ، ومقتنى ومقتبس ، ومأثور ، وبمجد الله ما في حزمه قصور ،
ولا في عزمه فتور ، وهو بحر العلم المحيط وثبير الحلم الموفور ، وليس التقديم له
بمستغرب بل فضله المعروف المشهور ، والله تعالى يرعى له في خدمتنا عهدا قديما ،
ويبقيه للدعاء مواصلا ومديما ، ويوزعه شكر فضل الله على ذلك ﴿ وكان فضل الله
عليك عظيما ﴾ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السرا ، كتبت بها للقاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وهى :

الحمد لله على عناية حفظت منكم الشريف بمقباتها ، وصانته بصاحب تصريف
تقوم كتبه وآراؤه مقام الكائب وراياتها ، وسنت لنا الخيرة لمن نجتى بقلمه النصر

من ثمراتها ، وبينت الحسنى في طريقته المثلث حتى أنقسم الصبح من قسماتها ،
واقسم النجج من عاداتها ، وأسم فكره بالنصح وقد ضلت الأفكار عن إصاباتها
فظلت في غفلاتها .

نجده حمداً يهب مع الأنفاس في هباتها ، ويهب من اللطائف الحسان أفضل
هباتها ، وينبه القلوب لتقيد شوارب النعم بصدق نياتها ، وينافس الكرام الكاتين
على نفائس الثناء في تسبيح لغاتها بصفيح سمواتها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الصحف بحسناتها ،
وتملأ الوجوه بالأنوار في توجهاتها ، وتلوح من سماتها سمياء لا تشق على الأبصار
في توسماتها ، وتفخر برقمها الأقلام بأنه لا طعن في اعتدال حركاتها ، على الرماح
في اعتدال قاماتها ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أدى الرسالة بما
تحمله من أماناتها ، ورعى العهود لمن أخلص في مراعاتها ، ودعا الأمة بإذن الله
إلى سبيل نجاتها ، وأستأمن على الوحي ككاتباً سبقوا في السعادة إلى غاياتها ، وبلغوا عنه
السنة بإباناتها والشور وآياتها ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه فرسان البلاغة
وروياتها ، وحفظه الأسرار وثقاتها ، وصاغة المعاني في الألفاظ الغربنفتاتها ، وأولى
الأحلام التي لا تطيشها وقائع الدهر بروعاتها ، ولا تذهلها عن الأوراد في أوقاتها ،
وتلقى الوفود بأقواتها ، والأخلاق التي أتسع نطاقها في تصرفاتها ، وأمتنع حجابها
أن تتخطاه الخدع بهفواتها ، صلاة تزيد الأعمار بركاتها ، وتزين الأعمال ببركاتها ، وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن الملك عمود بناؤه بسره ، وارتفاعه بالتأسيس لمستقره ، وأمتناعه
بعد العساكر المنصورة بكتاب يحاتل العدو في مكره قبل مكره ، ويقايل في الحرب

والسِّلم بنفاد رأيه ونفاث سحره ، ويقابل كلِّ حال بما يحسن موقعه من صدِّه بصدره أو صدّه بصبره ، وينظر في العواقب نظر البصير بأمره ، الواعى لأختيال عُدِّه قبل آختيال الباغى في عُدِّه ، إذا جادل فبالجُحَّة البالغه ، وإذا جابَّ أبطل الأهوال الزائغه ، وإذا أمرنا بالعدل والإحسان سيرهما عنا كالشمس البارغه ، وملاً بهما حباً لنا القلوب الفارغه ؛ وقد جربنا على طول المدى كُتُبا ، وآتخبتنا منهم كثيراً ارتضيتناهم أصحابا ، ومارسنا جماعة آزددنا بهم إعجابا ، ورأينا طوائف فيهم من إن أجاد آجتنا زهرات القول حاد عن الجادَّة آجتنا ، وإن كلف نفسه مذهب الكُتَّاب أخل بمقاصد الملوك إن كتب عنهم كُتُبا .

ولم نظفر بمن تمت فيه الشروط المشروطة ، ومت بالدائرة المحيطة إلى الفضائل المبسوطة ، وأماز بفهم لا يقبل على الفساد ولا يقبل الأغلوطه ، إن أمليناه إملاء ذكره ، وإن حُنا حول معنى لا تُودى إليه العبارة فسرّه ، وإن سردنا عليه فضلا مطولا خبره ، وربما رأى المصلحة في اختصاره فاختصره ، وإن أودعناه سرا ستره ، وصانه بحو غيب أثره ، وكتمه إماً بخطه عن قلبه فلم يدركه أو بقلبه عن لحظه فلم يره ، وإن خلينا بينه وبين غرض من أغراضنا الشريفة آستخرجه كما في خواطره وأظهره - كالمجلس العالى ، القضائى ، الأجلى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ، العونى ، العلامى ، القوامى ، النظامى ، المدبرى ، المشيرى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأوحدى ، المفوهى ، الخاشعى ، السفيرى ، الشهابى : صلاح الإسلام والمسلمين ، سيّد الرؤساء فى العالمين ، قُدوة العلماء العاملين ، إمام الفضلاء والمتكلمين ، رئيس الأصحاب ، ملاذ الكُتَّاب ، سفير الأمة ، عماد الملة ، لسان السلطنة ، مدبر الدول ، مشيد الممالك ، مشير الملوك والسلاطين ، وليّ أمير المؤمنين

(١) فى المصباح فسرّه من باب ضرب أوضعه وبيته والتثقل مبالغة .

«أحمد بن فضل الله» ضاعف الله نعمته . فإننا خطبناه لهذه الوظيفة ، وأستخلصناه على كثرة المتعينين لأنفسنا الشريفه ، وأمتحنناه في الأمور الخلية واللطيفه ، وحملناه الأعباء الثقيلة والخفيفه ، وأوقفناه مرّة وأخرى أطلقنا تصرّيفه ، وأنعمنا النظر في حاله حتى تحقّقنا تثقيفه ، وكتب وأستكتب عنا سراً وجهراً فلاً قلباً وسمماً ، وباشر مراسمنا العالية مصرّاً وشامّاً وصلّاً وقطعا فعزّ رفعة وعمّ نفعا ، وأنشأ التقاليد وقلّدها ، ونفّذ المهمّات وسدّدها ، ووفّع التواقيع وأطلق بها وقد قيدها ، ومثى المصالح باحتراز ما بدّدها وأحتراس ما عقّدها ، وجهّز البرد بهمة ما قيدها طلب الراحة ولا أفعدها . وهو كاتبٌ ملوك ، وصانعٌ سلوك ، وشارعٌ سلوك ، وصانعٌ ذهب مسبوك ، وناسجٌ وشى محوك ، وجامعٌ صفات ماسواها هو المتروك ، لا يعدو بالكلمة محلّها ، ولا يؤاخي بالقرينة إلا شكّلها ، ولا يسمع بمخاطبة إلا لمن تعين لها ، ولا يعامل بالغلظة إلا من أستوجبها ولا يخصّ بالحسنى إلا أهلها ، نأمره بالتحويل فيزول قواعد العدو، ونشير إليه بالتهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوء، وقد رضىناه حقّ الرضا ، وأضربنا به عمّن بقي من أكابر الكُتاب ونسبنا من مضى ، وتعين علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونجمله على هذا المقتضى ، وأن نُطلعه في سماء دسّتنا الشريف شهاباً أضاً ، وأن نقلّده مهمّاً مازال هو القائم بتنفيذ أشغاله ، والساعى بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ، إلى ماله من بيت أثلوا مجده ، وأثروا سعده ، وأرثوا عندنا وده ، وبني كما بنوا ، وأجتنى من السؤدد ما آجتنوا ، ورمى في خدمة الدول إلى مارموا . إلا أن مذهبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقدحه في الكمال هو المعلى ، وأدبه بحمد الله قد لحظته سعادة أيامنا الزاهرة فما فيه لؤلؤ ولا لؤلؤا ، سوى أنه أتفق معارضٍ أعترض بين السهم والهدف ، وسفه نفسه فوقف في مواقف التلّف ، ودقّ عنه شأن كاتب السر فسقط من حيث

طَمَعَ فِي السَّقُوطِ وَمَا عَرَفَ ، وَرَامَ الدُّخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ
وَمَا يُحَدِّثُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقِدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا
أَدَارَهُ فِي خَلَدِهِ ، وَالتَّعَدَّى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مَتَوَقَّعٌ ، وَسَرَى فِي مَسَرَّى لَوْ طَمَعَ
إِلَيْهِ طَرْفَ الشَّهَاءِ لَتَقَطَّعَ ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرِّ هُوَ مُسْتَوْدَعُ الْخَبَائِيا ، وَمُسْتَطَلَعُ
الْخَفَائِيا ، وَقَلَمُهُ (أَبْنُ جَلَّ وَطَّلَاعُ الثَّنَائِيا) ، وَفِي آسْتِمْدَادِهِ يُعْرَفُ بِالْمُنَى وَيُرْعَفُ
بِالْمَنَائِيا ، وَهُوَ الْكِتَابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصَرُّفُ فِيمَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ،
وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّفْرِيقِ وَالتَّجْمِيعِ ، وَالتَّأَصِيلِ وَالتَّفْرِيعِ ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ
وَالتَّأْمِينِ وَالتَّرْوِيعِ .

وَمَا دَلَّ ذَلِكَ الْمَعْتَرِضُ بِإِجَارِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَّارَ فِي غَيْرِ مَطَّارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ
أَبْوَابَنَا الْعَالِيَةَ جَنَّةَ حُفَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمَيْنَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَاهُ
لَاخِرَتِهِ أَزْهَدَ مَا هَدَّرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ، وَتَقَدَّمْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ
تَقْوِيَةً لِكِتَابِ سِرِّنا الشَّرِيفِ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَبَيِّنًا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانَ
السُّلْطَانِ وَيَدُهُ وَكَفِيُّ بِذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى تَشْرِيفِهِ .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي - لِأَزَالِ
إِذَا عَزَمَ صَّمِّمَ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفَ تَمَّمَ ، وَإِذَا آسْتَخَارَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ رَضِيَ بِخَيْرِهِ وَسَلَّمَ -
أَنَّ يَسْتَقِيلَ الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الشَّهَابِي « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَيْهِ
بِصَحَابَةِ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُومَةِ : رَفِيقًا لِأَبِيهِ الْمَجْلِسِ
الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الْمُحْيَوِي : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكَهَا
بِلِ مَنْفَرِدَا لِقَوْمٍ مَعَهُ وَدُونَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابَةِ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ ، آسْتَقِيلَ كُلُّ مَنْهُمَا
بِهَا فِيمَا يَبْدُو وَقُرْبُ مَا يَضُمُّهُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ، مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقْرِئُهُ مِنْ كِتَابَةِ

السر الشريف ، والتصريف في المهمات الشريفة والتصريف ، وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وفضه ، وقراءته بين أيدينا ، وأستخراج مراسينا الشريفة في كل مناب ، ومشافهة وخطاب ، وأبتداء وجواب ، وملطف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ، وإليه أمر البريد والقصاد والنجابه ، ومن أشتمل من الدجى جلبابه ، أو ألقته إلى ملاءة الصباح المنشورة يد ليله منجابه ، وتعين من يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ، وإليه الحمام الرسائل وترجيته ، وزجالاته ومدرجته ، ومن يصل من رسل الملوك إلى أبواننا العالمة ، وجميع من يكتب الدولة الشريفة من كل منتسب وغريب ، وبعيد وقريب ، وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابة مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من نستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والمخلى بينه وبين ما يراه في آجتبايهم ، يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات منهم مستيقظ ومنهم نائم في غمرات كراه ، كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ، يبلغنا مهماتنا الشريفة ويتلقى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمشى منه مالا يمكن وقوفه ، ويراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريفه ، فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة أستقلالا هو كالخبر محل الفائدة ، وينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ، ونحن نختصر [له] الوصايا لأنه الذي يملها ، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يعاينها ، والباقي الصالحة خير لمن

والله تعالى يقوى أسبابه ، ويُنير شهابه ، ويزيد من المعالى آكتسابه ، ويُغنيننا
بقلمه عن سنان يتقدم عامله ، ولسانه عن سيف يفارق قرابه ، والاعتماد على الخط
الشريف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد يعود القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى كتابة السر .
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشريف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد العقبى بفضله ، وأكّد النعمى بوصله ، وأودع سر ملكنا
الشريف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محل شرفه وشرف
محلّه ، ورفع قدره فى سيره إلى بروج السعود وحلّوله بدرجات الصعود ونقله ،
وأرجع الموهبة منه إلى من يشكرها بقوله وفعله ، وأينع الفرع الزاكي الذى يحيا
أصله بوا كيف سحاب كرمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمها على أبويه من قبله ،
وضمّ له أطراف الرياسة وجمع شملها بشمله ، وعمّ بفضله وفضلنا أهل هذا البيت
الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتباع سبله .

نحمده على إضفاء ظلّه ، ونشكره على إصفاء نَهله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستدله ، وأغدق نوء نداها ، بمنتهله ، ونشهد
أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله خاتم رُسله ، وجعل له الفضل على الخلق كله ،
وأهم به سبل هديه وسنن عدله ، وأرشدّه إلى فرض دينه ونقله ، وأودعه السر
الذى لم يودعه سواه وحمله من أعباء الرسالة ما لم ينهض غيره بحمله ، صلى الله عليه
وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى بضعه منه ونبعة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجلهم من أجله ، خصوصا من بادر إلى الإيمان فخص من سبق
بخصه ، ومن أيد به الدين وفر الشيطان من ظله ، ومن جهز جيش العسرة حتى
غزا العدا بخيله ورجله ، ومن كان باب مدينة العلم وما نبح جزله وفتح قفله ؛ وعن
بقية المهاجرين والأنصار الذين ما منهم إلا من جاهد حتى قام الدين بنصره ونصله ،
صلاة دائمة يجعلها اللسان أهم شغله ، ويتلقى قادمها في موطن القبول بأكرم نزه ،
ما رمى قوس العزم بصائب نبهه ، وحمى حمى الملك بليته وشبهه ، وفوض أجل
المناصب إلى فاضل العصر وأجله .

أما بعد ، فإن آراءنا لا تزال للمصالح مراعية ، ولا تبرح بالإسعاد إلى الأولياء
ساعية ، فتدعو إلى مقامها من وفر على الإخلاص دواعيه ، وتذني من ملكها من له
بالخفايا أعظم بصيرة وفي جميل القضايا أجمل طواعيه ، وتلقي أسرارها إلى من له
لسان حق ناطق وأذن خير واعيه ، وتقدم من له قدم صدق ثابتة ويد بيضاء طول
في المهمات عالية ، لتغدو سهام أعلامه إلى الأغراض راميه ، وصوائب أفكاره
عن حمى الملك محاميه ؛ وتكون عبارته للمقاصد موفية وإشارته لموعد اليمن موافيه ،
وتضحى ديم نعمنا الواكفة لسوابق خدمه مكافيه ؛ لما يتصل بذلك من المصالح ،
وتناجى خواطرنا الشريفة به المناجح ، ويقبل عليه وجه الإقبال ، في كل حال ، ويغدو
إليه طرف الإجلال ، وهو طامح ؛ فنجمل به ممالكنا مضرا وشاما ، ونسدد به مرمرى
ونصيب مراما ، ونحفظ له ولأبيه في خدمتنا حقا وذماما ، ونكون له في الحالتين
برا وإكراما ، ونعلی محله إعلانا بعلو مكانه وإعلاما ؛ فيؤلف للرياسة نظاما ،
ويضاعف للرتبة إعظاما ، ويعمل براعا بل حساما ، ويجلو وجه المنى طلقا ويبدو
بعد البشر بساما ، ويحسن بأعباء المهمات قياما ؛ وحيث نقلته أوطانه هضاب
المجدوقته ، وأين وجهته أعلت قدره ونوهته ؛ وكلما أوفدته أفاضت عليه ملبس

العزَّ وجددته ، وأختصته بالتصرف وأفردته ؛ وانتضت ماضىَ اجتهاده وجرّدته ، وأجرته من إجراء فضليها على ما عودته ؛ وأستقلت له منائجها من كثير المواهب ماخولته ، ومن كبير المناصب ماقلدته .

ولما كان فلان هو الذى أودع الأسرارَ فحفظها ، وأطلع على الدقائق فرعاها ببصيرته ولحظها ؛ وباشر مهماتنا فأمضاها ، وسرّ خواطرنَا وأرضاها ، وظهرت منه بين أيدينا كفايةً لا تضاهى ؛ وقد أجياد أوليائنا من تقاليدِه عُقودا ، وأدنى من المقاصد بلطف عبارته بَعيدا ، وأغنى الدولة أن تجهز جيشا وجهاز بَريدا ، وأبان بمقاله عمّا فى أنفسنا فلم يبق مزيّدا ، وصان الأسرارَ فجعل لها فى خلدِه خلودا ، وجمع أشات المحاسن فأضحى فريدا ، كم لعبه فى خدمتنا من هجرة قديمه ، ولأبيه من موالاته هى للمخالصة مواصلةٌ ومُدِية ، وكم لها أسبابٌ فى الرياسة قوية وطرائق فى الهداية قويمة ، وكم كاتب يسر الله بهداهما تعليمه وتنظيمه ، وقدر على يديهما وصوله إلى رتب العُلّيا ، وتقديمه ، فمنفعتُهما عميمه ، ونبعتُهما صميمه ، ولهما فى الشام ومصر أجمالٌ شميمه ، وكم له هو أيضا من تمذّمات آقتضت تكريمه ، وكفاية عند علومنا الشريفة معلومه ، وكتابة حُلّ المَهاريق بوشيا مرقومه ، فلو قابله الفاضل «عبد الرحيم» لبادر إلى فضله إقراره وتسليمه ، أو «عبد الحميد» لكانت مناهجه الحميدة بالنسبة إلى مذاهبه ذميمه ، أو سمع «عبد الرحمن» مقاله لضمّن ألفاظه معانيه العقيمة ، أو أدركه «قُدامة» لعرف تقديمه ، وأقتدى بسبله المستقيمه ، أو حوى «الجوهري» فرائد ألفاظه لعرف أن صحاحه إذا قرئت بها سقيمه ، أو رأى «ابن العديم» خطّه لاستغنت منه بسلاسل الذهب نفسه العديمه ؛ أو «الولي» لاستجدى من صوب إجادته أغزر ديمه ، أو نظره «ابن مقسلة» لوحدت مقلته نُصرة خطّه ونعيمه ،

أو «أَبْنُ الْبَوَابِ» لَكَانَ خَدِيْنًا بَابَهُ وَخَدِيْمَةً بِهِ فَيُهْمُ صُدُورَ صُدُورِهِمْ سَلِيْمَةً ، وَأُمَائِلُ
مَعْدُودَةً وَأُمَائِلُهُمْ مَعْدُومَةٌ .

أَقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفُ أَنْ نُتَلَّقِيَ إِلَيْهِ مَنْصِبًا هُوَ أَوْلَى بِهِ ، وَنُقَرَّرَ عَيْنَهُ بِدُنُوهِ مَنْ
وَأَقْتَرَابِهِ ، وَنَمْتَعَ الْبَصَرَ وَالسَّمْعَ بِمَحَطِّهِ وَخِطَابِهِ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفُ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيُّ ، السُّلْطَانِيُّ ، الْمَلِكِيُّ ، الْفُلَانِيُّ -
لَا بَرِحَ يُعِيدُ نِعْمَةً كَمَا بَدَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَيَسُرُّ الْقُلُوبَ بِكَافٍ أَوْدَعَهُ سِرَّهُ ، وَيُحْمَدُ
لِأَحْمَدِ الْأَوْلِيَاءِ عَوْدَهُ وَمُسْتَقَرَّهُ (١) .

فَلِيَتَلَقَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِشُكْرِهَا وَلِيَتَرَقَّ مَنْصِبًا رَفِيْعًا يَنْسِبُ رِفْعَةَ قَدْرِهِ ، وَلِيَبْسُطَ قَلْمَهُ
فِي تَنْفِيْذِ مُهِمِّ الْمَمَالِكِ مِنْ نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلِيَحْفَظَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ خَفِيِّ سِرِّهِ ، وَلِيُلَاحِظَ
الْمُهْمَمَاتِ بِفِكْرِهِ ، وَلِيَحَافِظَ عَلَى مَا يَعْرِفُهُ مِنْ رِضَانَا طَوَّلَ دَهْرِهِ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ
صَوَابِ أَعْمَالِهِ وَتَسْدِيدِهَا ، مَا لَا نَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى تَكْثِيرِ الْوَصَايَا وَتَعْدِيدِهَا ، وَلَا إِلَى
تَكْرِيْرِهَا وَتَرْدِيدِهَا ، لِأَسِيْمًا وَقَدْ سَلَفَتْ لَهَا بِهَا خِبْرَةٌ لَا نَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِعَابِ ذِكْرِهَا
وَلَا إِلَى تَجْدِيدِهَا ، وَتَقَدَّمَتْ لَهَا مَبَاشِرَةٌ اسْتَبَشَرْنَا بِمِيمُونِهَا وَأَثْنَيْنَا عَلَى حَمِيدِهَا ،
وَأَسْتَدْنَيْنَا سَنَاهَا وَأَسْتَفْنَيْنَا عَنْ سِوَاهَا بِوَجُودِهَا ، وَلَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَوْفَرُ التَّوْفِيقِ ، وَهُوَ
الْحَقِيقُ بِمَا فَوَضْنَا إِلَيْهِ عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَفَضَّلَهُ مِنَ الشَّوَائِنِ عَرِيٌّ وَفِي الْمَجَانِبِ
عَرِيْقٌ ، وَقَدْرَهُ بِتَجْدِيدِ النِّعْمِ جَدِيرٌ وَبِجَلَالِ الْكَرَمِ خَلِيقٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ
أَبْيَنَ طَرِيقٍ ، وَيُسِّرُ بِمَقْدَمِهِ الْوَلِيَّ وَالصَّدِيقَ ، وَيَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِفَحْدِهِ
الْفَارُوقِ وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ فَرِيقٍ ، بِحَمْدِ وَآلِهِ ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً في النكاحية واتكالا على فهمه من نظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذى أظهر لتدير دولتنا شهابا يعلو على فرقد الفراقيد، وكل به عقود
الممالك فسمت جواهر فرائدها على الدرارى إذ كان واسطة تلك الفرائد، ومعيد
إحساننا إلى خير ولى أغنى تديره عمّن سواه فكان بالألف ذلك الواحد، ومحوّل
مواد كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمين مملكتنا فى كل صادر عنها ووارد، ومنقل
الأكفاء إلى مراتب سعودهم فتصبح ألوية محامدهم فى معاقل الغز أنخر معاقد،
ومحلى ملكنا الشريف بأكل كاف ما أم مصر إلا تلقته بالهزاء ولا فارق شاما إلا أسفت
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نعم أقرت عيون الأولياء لما أقرتهم من مواد جودنا على أكل القواعد،
ونشكره على ما بلغنا من جميل المآرب وبلوغ المقاصد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُنجى قائلها من جميع الشدائد، ونشهد أن سيدنا محمد [سيد] البشر
عبده ورسوله الذى جاد بهدايته فكان أكرم جائد، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه
خصوصا على أول الخلفاء أبى بكر الصديق الذى لا نخر كفخاره، وعلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب حامل أسرارهِ وفتح أمصارهِ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان
مبتدل عشره بيساره، وعلى ابن عمه على بن أبى طالب أعزّ نسبائه وأخصّ أصهاره،
وعلى بقية مهاجره وأنصاره، صلاة سهلة المآرع عذبة الموارد .

وبعد فإن من سجيئنا إذا تيمنا بولى لا نزال نلحظه، ونرعى حقوق خدمه
فى القرب والبعد ونحفظه، وتقابل ما أسلفه لدينا بنفاس النعم، ونفيض عليه ملايس
الجود والكرم، لا سيما من لم يزل يُظهر لنا كل يوم تعبدا جديدا، ومن أصبح

في الفصاحة والبلاغة وحيدا ، ومن جمع أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ؛ ومن تحسن النعم بإفاضتها عليه ، وتكامل المنن بإضافة محاسنها إليه ، وتزهو فرائد البلاغة بانتظامها في سلك مجده ، وتشرق كواكب اليراعة في آساقها في فلك سعده ، وكان للبايته في الاختصاص بنا اليد الطولى ، وتلا عليه لسان أعتنائنا في الحالين : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

ولما كنت أيها الصدر «شهاب الدين» أحق الناس بهذا المنصب لما لوالدك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفاه من الخدم التي لا يحسن التناسي لها ولا العقوق ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طارف وتالد ، وقفت بازكى تقروعم وإخوة ووالد ؛ وجلاله ، ما ورثتها عن كلاله ؛ وخلال ، ما لها في السيادة من إخلال ؛ ومفانح ، تكاثر البحر الزاخر ؛ وماثر ، يعجز عن وصفها الناظم والنائر ؛ ولما نعلمه من فضائلك التي لا تحمد ، رعيناك في عودك لوظيفتك وعود «أحمد» أحمد .

(١) ولما كان فلان هو الذي تقطر الفصاحة من أعطاف قلبه ، وتخطر البلاغة في أثواب حكمه ؛ وتنزل المعاني الممتعة من معاقل القرائح على حكمه ، وتقف جياذ البداة المتسرعة حيرى قبل التوسط في علمه ؛ إن وشى الطرس فرياض ، أو أجرى النفس فياض ؛ أو نظم فقلائد ، أو نثر فقرائد . لا يتجاسر المعنى المطروق أن يلم بفكره ، ولا يقدم المعنى المتخيل المسبوق للورور بذكره ؛ ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المتقد ، ولا يثبت غناء الكلام لدى خاطره المنتقد ؛ «عبد الحميد»

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أي فالكاتب مخير في تصدير مقاله بإحداهما كما لا يخفى .

كـ «عبد الرحيم» في العجز عن لحاق علومه التي يجد «الراغب» على نورها هدى ،
والأصمعي لو أدركه لتلا عليه : *زَهَلَّ أَتْبَعَكَ عَلِيٌّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا*)
«والطُّغْرَائِي» لو عاصره ل زاد نظمه وازداد على نوره هدى ، و«الحريري» لو رافقه
لأمن في «مقاماته» من التجريح والردى ؛ قد قصرت عن غاية كماله جباد القرائح ،
وعجزت عن وصف صفاته جميع المدائح ؛ وشرف منصبه بانتسابه إليه ، ورفع
قدره بمثوله لديه ؛ مع ما تميز به من نزاهة صرف بها عن الدنيا طرفه ، وزهادة زانت
بالسعد صدره وملاءة ملأت بالعفة كفه ؛ فهو واحد زمانه ، وأوحد أوانه ؛ والبحر
الذي يحدث عن فضله ولا حرج ، والروض الذي ينقل عن فضله إلى الأشماع
أطيب الأريج ؛ وكان قد مال عن منصبه وهو يذكركه ؛ وفارقه وهو يشكره ، ونادى
غيره وبقوله يلبي ، وشغل غيره وهو يقول حسبي « شهاب الدين » حسبي :
زَهِدًا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي) . فلما حصل له الاستئناس ،
وزال عنه القلق والالتباس ، قال : *زَهِدًا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ*) -
أقتضى حسن الرأي الشريف أن نخصه باستقرار رتبته لديه ، وأن نستمر به على
وظيفته السنية استمرار السعود المقبل عليه .

فُرِسِمَ بالأمر الشريف - لا زال شهاب سعدة لامعا ، وسحاب كرمه هامعا ،
ومطاع أمره لمصالح الدين والدنيا جامعاً ؛ - لمناقبه التي وفرت ميامنها ، وأسفرت
بوصف آثاره الحسنة كوامنها ؛ وأن يعاد إليها كما يعاد السوار إلى الزند ، أو كما يعود
نسيم الصببا إلى الرند . فليؤنس منصباً كان إليه مشتاقاً ، ومجلساً كان متظراً أن يزُرَّ
من ملابس جلاله على عنقه أطواقاً ؛ وليجمل هالة كانت متشوقة إلى عمود درره .
فأحمد الله على ما خصصناك به من مزيد الاعتناء ، وأن السعادة في أيامنا الشريفة

(١) المراد أن يستقر في كذا لما فيه وأن يعاد .

متصلة فتشمل الآباء والأبناء ، ويكفيك بهذا التوقيع الشريف إذ بلغت به جميع
الأماني ، وتوجهناه بيميننا الشريفة لقرب عهدنا بمصافحة الركن اليماني ، وأصطفيناك
بقلم عظيم شأنًا بتلك السطور ، وغدا معمورًا بالهداية ببركة البيت المعمور ، وازداد
بمشافهة الحرم الشريف نورًا على نور . فليحسن نظره المبارك في ذلك كله ،
وليبد ما يحسن في هذه الوظيفة من مثله ، وفي تقدم مباشرته في هذه الوظيفة
وعليه ما يغني عن كثرة الوصايا ، وملاكها تقوى الله تعالى وهي أكل المزايا ،
وليحمد أفعاله ويصل أسباب آعتماده بسببها ، والله تعالى يجمل له مواهب
تحويله ، ويجعل له الخير في تنقله وتحويله ، والنخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذي جعل خواطر أوليائنا بإقرار نعمنا مستقره ، ومواطر آلنا على
ذوى الإخلاص في ولائنا دائمة الديم مستمره ، وبشائر رضانا تجدد لكل من ذوى
الاختصاص آبتهاجه وبشره ، وسوافر أوجه إقبالنا لأولى الأصطفاء والوفاء مشرقة
الأوضاع متهلة الأسره ، مودع أسرار ملكنا الشريف من آل «فضل الله» عند
أكرم أسره ، ومتمتع دولتنا بخير كافي دقق في مصالحنا فكره ، وأنفق في مناجنا عمره ،
ومجمع آرائنا على أعلى على حل من بهر بيته بمعرفته وبهر خيره ، ومطلع أنجهم
بأفق تقرينا مرة بعد مره ، فنحني نيرهم الأكبر وقد شيدنا بإرتقائهم بيته وشدنا
بعلائهم أزره .

نحمده على أن جبل سجائنا ، على الإحسان والمبره ، ونشكره على أن أجزل عطايانا ،
لمن لم يزل يعرف حقه ويألف خيره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

شهادة تشرح لؤمنها صدره ، وتصلح لموقنها أمره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدره ، وتولى فى المضايق نصره ، وأعلى فى المشارق
والمغارب ذكره ، صلى الله عليه وعلى آله أعز عتره ، ورضى الله عن أصحابه الذين
أسدوا المنة وسدوا الثغرة ، صلاة ورضوانا متواصلين فى كل أصيل ومكررين فى كل
بكرة ، ما وهب فضل الله مستحقا فسر بالعواطف والعارف سره ، وعقب فى سماء
الإسعاد كوكب كوكبا فخل محله وقر مقره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فسيمنا ترعى لأولياتها حقوقا ، ونعمنا الغامرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل
فى ولائها صدوقا ، وتزيد هباتها توفيرا لمن عهدت منه لمراضيا توفيقا ، وتجدد
بتعاهدنا معهد الفضل فلا يمسى خليا بل يضحى بآكرامها خليقا ، وتشد بإحسانها
بيتنا أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فغدا بالحفظ حقيقا ، وتحمى بأعتنائها جوانبه
من الغير فلا يهب حماء لها طروقا ، ولا تجد بفضاع الله لها عليه طريقا ، وتطلع
فى بروج سعودها زهرا تروق شروقا ، وتجمع على مهماتها من عظموا فضلا وكرموا
فريقا ، وتودع أسرارها عند سراتهم ركونا إليهم وسكونا ورضا بهم وثوقا ، وتشفع
مناحها بمنائح تزيد آمالهم نجاحا وتفيد أمانيتهم تحقيقا ، وترفع مكانا عليا إلى حيث
أسع السرار من ملكها من كان بالميا من مليا وفى المحاسن عريقا ، ويخلف فى خدما
شقيق منهم شقيقا ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من تأمن المصالح مع
أجتهاده ، تفويتا وتخاف الأعداء لسداده ، تعويقا ، طالما آتمناهم على إيداع أسرارنا
فلت من سرائرهم مستودعا وثيقا ، وعينوا للعالي فصادفت طويتنا من يقظتهم
ونهضتهم تصديقا ، فهم أولى أن نجعل لأجياهم بعقود جودنا تطويقا ، وأحق أن
نرفع بنعمنا محلهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يخشون نقضا ولا تفريقا .

ولما كان المجلس العالی الفلانی هو الذى لحظته عنايتنا، فعلا فعلا، وأيقظته
إشارتنا، ففدا في الحكم كهلا، وحفظته رعايتنا، فعمرت بيته العمرى الذى مازال
بالعوارف ملموحا وللقبول أهلا، وأحظته سعادتنا، في إقامته مقام أبيه في حفظ
أسرارنا التى هو أحق بإيداعها وأولى - آقتضى حسن الراى الشريف أن تجرى
بمراسمنا أقلامه، ونوفر من إنعامنا أقسامه .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لا برحت سبحانه عاقه، ومواهبه لها مزيد
وإدامه، ورعايته إذا ابتدأت فضلا رأت إتمامه، وكواكبه تسير في منازل عزها
ولنيرها الأكبر الإرشاد والإمامه - أن يفوض إليه كذا وكذا، على أجمل العوائد،
وأكل القواعد، نظير ما كان مستقرا لأخيه .

فلباشر هذه الوظيفة التى لها به وبأهله أعظم نخار، وليحل هذه الرتبة التى
ما منهم إلا من لها يجتبي ويستخار، وليجمل هذا المنصب الذى إليهم مصيره
في جميع الأمصار، وليحل المهارق بانسآته التى شان مطاؤها عن شأوها الإقصار،
وليتوكل هذه الهضبة التى لها على عليائهم اقتصار، وفي آبائهم وأبنائهم لها تعيين
وأنحصار، وليدبج الطروس من خطه بالوشى الرقيم، وليبهج النفوس من خطابه
بالدرّ النظيم، وليسرج الشمس من أوضاع كتابته التى تبرز من إبريز كنوزها
«أبن العديم»، وليجهز البرد التى تقدمها مهايتنا فلم يكتبها من كتاب الأعداء هزيم،
وليزن مقاصدها التى قرن بها الفتح القريب والنصر العزيز والفضل العظيم،
وهو بحمد الله غنى عن الإرشاد بالوصايا والتفهم، على القدر لا يحتاج مع المعية إلى
تنبيه ولا إلى تعليم، وهم أئمة هذه الصناعة ولهم الفضل القديم، وسبيلهم السوى
وصراطهم القويم، والله تعالى يوفّر لهم فضلنا العميم، ويظفر أقدارهم من لدنا

بتكرير النكريم ، ويُسنى أمرهم في آفاق العلياء يُسعدُ ويُقعدُ ويُقيم ، ويديم لكل منهم
في ظل نعمنا المزيد والتأكيد والتقديم ، والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لكتاب السر . أوردتها في "التعريف" وهى :

وليأمر عنا بما يُقابل بالأمثال . ويقال به : السيوف لأقلامه مثال ، ويبلغ
[من] ملوك العدا ما لا تبلغه الأسيه . ولا تصل إليه المراكب المشرعة القلوع والخيول
المطلقة الأعنة . وأوقع عنا بما تذهب الأيام ويبقى ، ويخدد من الحسنات ما يلقى
آخرة ويُلقي . ويميل من لدنه من غرر الإنشاء ما يطرز كل تقليد ، وتلقى إليه المقاليد ،
ولينفذ من المصنات ما تحجب دونه الرياح ، وتُحجم عن مجارة خيل البريد به الرياح ،
وإلى ما يرد إلينا من أخبار الممالك على أنساع أطرافها ، وما تضمه ملاءة النهار
ملاء أطرافها ، وليحسن لدينا عرضها ، وليؤد بأدائها واجب الخدمة وليتم فرضها ،
وليُجب عنا بما استخرج فيه مرستنا المطاعة ، وبما وكل إلى رأيه فسمع له
الصواب وأطاعه ، وينص ما يصدر عنا مما يحوب الآفاق ، ويزكو على الإنفاق ،
ويجول ما بين مصر والعراق ، ويظير به الخمام الرسائل وتجرى الخيل العتاق ،
ولير الزباب ما أتهم عليهم بما يريهم من ضوء آرائنا ، وليؤكد عندهم أسباب الولاء
بما يواي إليهم من عميم الأئنا ، وليثمر الولاة بما يقف به كل منهم عند حده
ولا يتجاوزه في عمله ، ولا يقف بعده على سواه بأمله ، وليتول تجهيز البريد ،
وأسطلاح كل خبر قريب وبعيد ، والنجابة وما تسير فيه من المصالح ، وتأخذ منه
بأطراف الأحاديث إذا سالت منه بأعناق مطى الأباطح ، وأمور النصحاء والقصاد ،

ومن يَظَلُّ سِرَّهُمْ عنده إلى صخرة أعيان الرجال أنصداعها وهم شتى في البلاد؛ وليعرف حقوق ذوى الخدمة منهم، وأهل النصيحة الذين رضى الله عنهم، ولا ينس عواندهم من رسوم إحساننا الموظف، وكرما الذى يستميل به القلوب ويتألف؛ وليصن السرَّ بجهده وهيئات أن يخفى، وليحجبه حتى عن مسمعيه فسر الثلاثة غير الخفي؛ والكشافة الذين هم ربيثة النظر، وجلافة كل خبر؛ ومن هم أسرع طروقا من الطيف، وأدخل في نحور الأعداء من ذباب السيف؛ وهم أهل الرباط للخيال، وما منهم إلا من هو مقبل ومدرك كالليل؛ والدياب والنظاره، ومن يعلم به العلم اليقين إذا رفع دخانه أو ناره؛ وهم في جنات حيث لا يخفى لأحد منهم منار، ولا يزال كل نبيًا بتنويرهم كأنه جبل في رأسه نار؛ والجمام الرسائل وما يحمل من بطائق، ويتحمل من الأبناء ما ليس سواه [له] بطائق؛ ويخوض من قطع الأنهار، ويقطع إلينا ما بعد مسافة شهر وأكثر منه في ساعة من نهار؛ ويعزم السرى لا يلوى على الرباع، ويعلم أنها من ملائكة النصر لأنها رُسل ولها أجنحة مثنى وثلاث ورباع؛ وغير هذا مما هو به معذوق، وإليه تُحدى به النوق؛ من رُسل الملوك الواردة، وطوائف المستأمنين الوافدة؛ وكل هؤلاء [هو لآ] ما لهم المترجم، والمصرح عن حالهم المحمّم، فليعاملهم بالكرامة؛ وليوسع لهم من راتب المضيف ما يجب إليهم في أبوابنا العالية الإقامة؛ وليعلم أنه هو لدينا المستشار المؤمن، والسفير الذى كل أحد بسفارته مرتين؛ وهو إذا كتب بنائنا، وإذا نطق لساننا؛ وإذا خاطب ملكا بعيد المدى عنواننا. وإذا سدد رأيه في نحور الأعداء سهمنا المرسل وسناننا؛ فليُنزل نفسه مكانها، ولينظر لدينا رتبته العلية إذا رأى مثل النجوم عيانها.

فليراقب الله في هذه الرتبة، وليتوق لدينه فإن الله لا يضيع عنده مثقال حبه، وليخفف سوء الحساب وليتق الله ربه؛ وجمعاة الكُتاب بديوان الإنشاء بالممالك

الإسلامية هم على الحقيقة رعيته ، وهداهم بما تميمهم به من الآلاء المعينه ؛
فلا تستكتب إلا من لا تجد عليه عاتبا ، ولا يجد إلا إذا قعد بين يديه كتابا ، والوصايا
منه تستملى .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحاب
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات)

الدرجة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلها مفتحة بـ «الحمد لله»)
وتشتمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدم أنه نقل إلى رتبة التقاليد ، وهو كتابة السر

الوظيفة الأولى

(نظر الخاص)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها وظيفة محدثة ،
أحدثها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأن أصل
موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ؛ وأن صاحبها صار كالوزير لقربه
من السلطان وتصرفه في تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنه لا يقدر على
الاستقلال بأمر ، بل لا بد له من مراجعة السلطان . وقد تقدم ذكر ألقابه في الكلام
على مقدمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طرة توقيعه في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص ، كتب به للقاضي شمس الدين موسى بن
عبد الوهاب في الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :

الحمد لله الذي جعل كل جرح بنا يُوسى، وعجل كل نعمة تُبدل بوسا، وتغير بالسرور من المساء لبوسا .

نحمده حمدا يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع لقائليها رُوسا ، وتطلع في آفاق ممالكنا الشريفة شُوسا ، وتُنشئ في أيامنا الزاهرة عُروسا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بشر به موسى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طُروسا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن العمل بالسنة أولى ما يتمسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «أبدأ بنفسك» ، وكانت الخواص الشريفة هي المصلحة الخاصة بنا ، المتعلقة دون كل شيء بأنفسنا ، لأن من خرائنها العالية تتفرق مواهبنا الشريفة في الوجود ، وتحتل معاطف الأمراء والجنود ، وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن قيام ، [و] فيها من ممالكنا الشريفة ما يضاهاى بمدده الغمام ، من حضر منهم لا يتفقد معه من غاب ، ومن كتب منهم في شيء من مصالحها قال الذى عنده علم من الكتاب ، كم أجزت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إنعام ، وتقسموا في مصالحنا الشريفة هذا في الخاص وهذا في العام ، طالما أنقطع والدم رحمة الله تعالى بعدر فمشوا الأمور على أكل سداد ، وأجل اعتماد ، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد ، فما خلت في وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقى يسد عنه ، فلم يزل منهم ربعها مانوسا ، ولا سُئل فيها عن قصة إلا وأنبأت بها صحف إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرّد آخرًا بهذه الوظيفة ، وأستقلّ فيها بين أيدينا الشريفة ، وسافر فيها إلى نغر الإسكندرية - حرسها الله تعالى - فأقرت يمين تصرفه ، وحسن تعفّفه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لا شىء يضاهاى الشمس إذا حلّ ،

سِرَّهَا فِي مَنَازِلِ شَرَفِهِ ، كَمْ كَفَّتْ لَهُ كِفَايَهُ ، وَبَدَتْ بِدَايِهِ ، وَكَمْ بَلَغَ مِنْ غَايَةِ
 كَمِّهِ مِنْ هِمِّهِ ، وَكَمْ تَقَدَّمَتْ لَهُ قَدَمٌ ، وَكَمْ أَعْتَرَفَ السَّيْفُ بِزِ الْقَلَمِ ، كَمِّهِ فِي خِدْمَةِ
 الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا أَثْرُ جَمِيلٍ ، وَفَعَلُ جَبِيَّ جَلِيلٍ ، وَسُلُوكُ فَلَاحِ يُحْتَاجُ فِي الشَّمْسِ
 إِلَى دَلِيلٍ ، كَمْ أَحْسَنَ فِي مَرَّةٍ ، كَمْ رَدَدْنَاهُ إِلَى الْكِرْكِ كَرَّةً ، كَمْ غَلَبَ عَلَى السَّحَابِ
 فَرَقِي إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ النُّجُومَ وَلَهُ قُدُومٌ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أُنْتَقَلَ وَالِدُهُ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ
 عَبْدُ الْوَهَّابِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيعِ شَرِيفٍ بِالْأَسْتِقْلَالِ فِي وَظِيفَةٍ
 نَظَرَ الْخَاصَّ الشَّرِيفِ الَّتِي خَاتَتْ عَنْ أَبِيهِ ، لِيَعْلَمَ كُلُّ مُتَطَوِّلٍ إِلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ
 إِلَيْهَا مَعَ وُجُودِ بَنِيهِ ، فَمَا عَادَ إِلَّا وَعَادَ بِعَيْنِ الْعِنَايَةِ مُحْرُوسًا ، وَلَا أَقْبَلَ عَلَى كَرْمِنَا
 إِلَّا قَالِ (قَدْ أُوتِيَتْ سُوْلُوكَ يَا مُوسَى) .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ شَرَفَهُ ، وَوَكَّنَ فِي الْأَرْضِ تَصَرُّفَهُ - أَنْ
 يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرَ الْخَاصِّ الشَّرِيفِ بِأَسْمَائِكَ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةِ وَالِدِهِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوَضِيفَةِ ، وَقَاعِدَتِهِ فِي رُتْبَتِهَا الْمُنِيْفَةِ ، لِيَقْضَى مَا كَانَ فِي خَاطِرِ أَبِيهِ
 مِنَ الْوَطْرِ ، وَلِأَنَّهُ فِي أَمْثَالِهِ عَيْنُ الْأَعْيَانِ وَالْعَيْنُ أَوَّلُ بِالنَّظَرِ .

فَلْيَبَاشِرْ مَا أَنْعَمَتْ بِهِ صَدَقَاتُنَا الْعَمِيمَةُ عَلَيْهِ عَلَى مَا عَاهَدَ [مِنْهُ] بِالْأَمْسِ ، وَعُغِرِفْ بِهِ
 مِنْ حُسْنِ السَّلُوكِ كَمَنْ يَمْشِي فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَلِيَقْدَمَ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَمَانَةَ فِيمَا
 أَفْضَلَ مَا يُقْدَمُ ، وَأَجْمَلُ مَا يَعْمَلُ بِهِ مِنْ تَقَدُّمٍ ، وَالنَّهْضَةَ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تُقُومُ بِهَا
 الْمَصَالِحُ ، وَالتَّصَدَّقْ لِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ فَإِنَّ بِهِ يَتِمُّ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَلِيَحْتَفِظَ عَلَى
 الْخِزَائِنِ الْعَالِيَةِ ، وَيَكُنْ فِيهَا كَوَاحِدٍ مِنْ رُقَّتِهِ عَمَلًا بِالْعَادَةِ [فِيهَا] ، وَإِلَّا فَتَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ
 كِفَايَتِهِ [أَنَّهُ] كَتَمِيًّا ، وَيُسْمَرُ الْجَنَاهَاتِ الَّتِي إِلَيْهِ مَرْجِعُهَا ، وَالْأَمْوَالَ الَّتِي يَدُومُ إِلَيْهِ مِنَ
 الْعَيْنِ تَطْلُعُهَا ، وَاسْتَجْلِبُ خَوَاطِرَ التَّجَارِ بِإِيصَالِ حُقُوقِهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَالْقَائِمِينَ فِي خِدْمَةِ

أبوأبنا الشريفة بتعجيل ما تُنعم به صدقاتنا الشريفة عليهم ، وإيكن إلى ما تبرز به
مراسمنا الشريفة مسارعا ، ولها في كل ما أشكل عليه من الأمور مراجعا ، وبقية
هذا من كل ما يحتاج أن نوصيه بتعلمه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن
تقوله في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي نُشرح آكتفاء بما آناه الله بنا من
فضله ، والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ، والأعتاد
على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم لملكنا الشريف لأجلها ، ونفائس الذخائر من
دولتنا القاهرة بمحلها ، وأخار المفاخر مبسوطا في أيامنا ظلها .

نحمده بحمده التي لا نملها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي خُتمت به أنبيأؤها ورسلها ،
وبعثه الله للأرحام بيأها ، وللأولياء يُجلها ، وللأعداء يذلها ، ولسُيوف النصر من
العمود يسُلها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما شئت على مطية رحلتها ، وولى المراتب
أهلها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزان ملكنا الشريف مستودع كل ثمين ، ومالكنا المعظمة لا تُدق
إلا بالثقة الأمين ، ومتاجر خواصنا الشريفة لا يُخرها إلا من رأيه يعضد قلمه في اليمن ،
والتجر المحروس لا يقوم بمساء محضوله إلا من له حزم سيدد وعزم متين ، ونظر
الخواص هو الذروة العالية فرتقيها على كل ما يعترضه معين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين ، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده في التحسين والتحصين ، والذي إن نظر في القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين ، فإن دبر تدبيرا حفظ وحرس وصين ، وضبط في حسن الاعتماد بلغ إلى الصّين ؛ وإن توجه إلى الثغر المحروس تفجّر له عن أمواله الجمّة ، وأخرج له من فاجر الحلل ما حسن راقمه رقمه ، وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالتحف المئمنه ، والحمول التي أوقرت السفن في النيل ، والإبل في السيل ، فأزال الغمه ، وأنار الأمور المدهمة ، ونشر ما طواه لدينا فشكرنا له ما تقدم به مما أتمه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف فليباشر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد ، وينفق الكاسد ، ويكبت الحاسد ، ويكثر الأموال ، ويسعد الأحوال ، ويكثر الدخائر ، ويسر السرائر ، ويوفر حاصل الجواهر ، ويكثر التحف من كل صنف فاجر ، ويوفي المهمات الشريفة حقها في الأول والآخر ، وينشر التشاريف كالأزاهر . وليختار الأمناء الثقات ، ويحرر كل منهم الميقات ، وليبع لخاصنا الشريف ويشتري بالأرباح في سائر الأوقات ، وليتلق تجار الكارم الواردين من عدن ، باستجلاب الخواطر وبسط المنن ، ونشر المعدلة عليهم ليجدوا من اليمن ما لم يجدوه في اليمن ؛ وكذلك تجار الجهة الغربية الواردين إلى الثغر المحروس من أصناف المسلمين والفرنج : فليحسن لهم الوفاة ، وليعاملهم بالمعدلة المستفاده ، فإن مكاسب الثغر منهم ومن الله الحسنى وزيادة . والوصايا كثيرة وهو غنى عن الإعادته ، و [ملاكها] تقوى الله فليقتف رشاده ، وليصلح مآبه ومعاده ، ولا يتدنس بأقدار هذه الدنيا فإنها بجمرة وقاده ، والله تعالى يحرس إرفاقه وإرفاقه ، بمنه وكرمه ! : بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطه . وقد تقدم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب في طرة تقليده في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عَدَّقَ^(١) بالأكفاء مصالِحَ الجنود ، وصرف أعلامهم فيما تُقَطِّعه من الجود ، وأجبت لمراتب السيادة من تحمده الأعلام في العطايا البيض والسيوف في الخطوب السود .

نحمده وهو المحمود ، ونشكره شكراً مشرق الميامن والسعود ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عذبة الورود ، يحمده المخلص بركتها يوم العرض ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ضحّت به جيوش الإسلام منشورة الألوية والبُنود ، منصوراً السرايا في التهايم النجود ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود ، وأولج نهار السيوف في ليل نمود ، وسلم تسليماً .

وبعد ، فإنَّ أجل رتب هذه الدولة الشريفة مرتقى ، وأجملها متقى ، وأكرمها دياً حلي بعقد السيادة مفرقا ، رتبة حكمة مرتقيها في أرزاق الجيوش الذين هم أة الدين وأنصاره ، ولهم رواح الظفر وأبتكاره ؛ ولهذا لا يحظى بتسنيها إلا من مقدارا ، وشكرت الدولة الشريفة له آثاراً ، وجيبت عليه السعادة أثوابها ،

(١) (عَدَّقَ) جمع .

وأوكفت عليه صحابها، وأزلته ساحاتها ورحابها؛ وغدت لأحاديث عليائه تروى،
وحمد الميسور والمنشور والمطوى .

ولما كان فلان هو الذى نمت مأثره، وكرمت مفاخره، وأستوت على العلباء
مظاهره؛ وشكر أستبصاره وحياطته، وكل سلوكه منهج الفخار وجاذته؛ وأحصى
الجنود عددا، وإن كاثروا النجوم مددا؛ وأحاط بالأرض المقطعه، فلم تكن نواحيها
عنه ممتنه؛ ولم يغادر منها شيئا إلا أحصاه، وأتبع سبب مراضينا حتى بلغ أقصاه؛
فالعلم يثني عليه والعلم، والحرب والسلم يشكرانه لمناسبة نظره القرطاس والقلم -
أقتضى حسن الراى الشريف أن نرقبه هضبة سامية العلى، فأنجرة الحلى؛ ومنبع
أرزاق أئمة الفضل وأبطالها، ورتبة شهيد مناهما بدم مناهما .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليأشر هذه الوظيفة المباركة، وليحل ذراها الأسمى، وليجمل أطلعه على
الجوش المنصورة حتى لا يغادر منها أسما؛ لتغدو مصالحتها وريقة الغراس بأسقه،
وعقودها نفيسة الفرائد متناسقه؛ وليجر نظره المبارك فيما صرفناه فيه، آخذا بمن
السداد من فعله وحسن التنفيذ من فيه؛ ملزما من تحت نظره بإتقان ما هم بصدده
من العروض والأمثلة، حتى تغدو لديه ممثله؛ محررا للإقطاعات وعلم خفاياها فيما
نهبه ونقطعه، ونصله ونقطعه؛ والمقايضات وإن اختلفت، والإفراجات وإن
أكتفت، والمغلات الآتية والأخرى التى سلفت؛ وما يخص المتصل، من فعل
المنفصل؛ والمتحصل والعبرة، والخاص والعدة لذوى الإمره؛ ومنها مصرى لاغنى
عن تحريره، وشامى يفتقر إلى الإتيان فى قليله وكثيره؛ ولينظر فيمن له جامكية
أو إقطاع مجزل، وكلاهما فى دولتنا سماك : هذا راي وهذا أعزل .

هذه وصايا جمه ، وأنت غني عن أن يستقصي القلم ذكرها أو يئمه ؛ والله تعالى
يجل به رتبته ، ويبلغه أربه ، ويرفع عليه لواء المجد وعذبه ؛ بعد العلامة الشريفة
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي أعز الجيوش المنصوره ، وجز أعناق العدا بالسيوف المشهوره ،
وهز ألوية التأييد المنشوره ، وجعل الجحافل مشرفة وأجنحتها خافقة وساقها محذقة
وقلوبها مسروره .

نحمده بحماده المذكوره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
مأثوره ، موصولة غير مهجوره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل
من الشيطان غروره ، وصان للإسلام حوزته وثغوره ، وسن لأئمة الاستخارة
والمشوره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تورت من الليل ديجوره ، وكثرت
لقائلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أحوال جيوشنا يتعين حسن النظر في أمرها ، والقيام بمواد نصرها ،
واسعافها بناظر يحترر جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافة أفراقها ، ويأمر بنظم جرائد
أسماهم وأتفاقها ، ويتيقن الحلي ، ويبين يوم العرض محله في ارتقاء العلى ، ويصون
المحاسبات لكل منفصل ومتصل من الحلل ، ويسرع في الدخول والخروج ما يصل به
لكل حقه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو المدوح باليسنة الأقلام ، والرئيس بين الأنام ، والمشكور بين
أرباب السيوف وذوى الأقلام ، والمامون فيما يصدق به من مهام ، والعزيز المثل ،

والسائر بجده الأمثال؛ والمنشور فضله في كل منشور، والظاهر أثره تجريده في الديوان المعمور، والذي شكرته المملكة الشريفة فهو من صدورها في الصدور.

(٢) ... فليباشر نظر هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر، وتجلو الظلام العاكر، ويحزر جرائد التجريد، وليصن العدة الكاملة من التبديد، ولكن أوراق البياكر نصب عينيه حتى إذا طلبت منه أحضرها محرره، وإذا وقع فيهم حركة كانت أعلامه غير مقصره؛ ويرغب في آقتناء الثناء حتى يصبغ عنده منه جملة من الألوف، وليكن للأمانة والنصح نعم الألوف؛ وليتق الله مع أصحاب السيوف، وليستجلب خواطر أرباب الصفوف، وليجعل له برأ في كل أرض يطوف؛ وتقوى الله فهي السبيل المعروف، فليتمم بجهتها الدانية القطوف، وليلبس برديتها الضافية السجوف، والله تعالى ينجيه من الخوف، بمنه وكرمه!



وهذه وصية ناظر جيش أوردها في "التعريف" قال:

ولياخذ أمر هذا الديوان بكليته، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعى باسمه وقوى عليه بجليته؛ وليقم [فيه] قياما بغيره لم يرض، وليقدم من يجب تقديمه في العرض وليقف على معالم هذه المباشرة، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشرة وليقتصد في كل محاسبه، ويحزرها على ما يجب أو ما قاربه وناسبه، وليستصبر أمر كل ميت تأتي إليه من ديوان المواريث الحشرية ورقة وفاته، أو يخبره مقدمه أو نقيبها إذا مات معه في اليكار عند موافاته؛ وليحزر ما تضمنته الكشوف

(١) لعله والظاهر أثره وتحريره الخ.

(٢) بياض بالاصل ومراده بالأمر الشريف الخ.

ويحقق ما يقابل به من إخراج كل حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئِلَ عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كَشَفَ على كَشَفٍ أظهر ما هو عليه ولا يُنكر هذا لأهل الكَشَفِ، وليحترز في أمر كل مَرَبَعَةٍ، وما فيها من الجهات المُقَطَّعة، وكل منشور يكتب، ومثالي عليه جميع الأمر يترتب؛ وما يثبت عنده ويتزل في تعليقه، ويرجع فيه إلى تحقيقه؛ وليعلم أن وراءه من ديوان الأستيفاء من يساوقه في تحرير كل إقطاع، وفي كل زيادة وأقطاع، وفي كل ما ينسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المطاع؛ فليتبصر بمن وراءه، وليتوق أختلاق كل مبطل وأفترائه؛ وابتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفْقته والموكل به النظر، والمحقق به جملة جنودنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تنزل، وأمر كل جندي له ممن فارق أو نُزِّلَ؛ وكذلك مساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السباقه، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في الساقه. وطوائف العرب والتركان والأكراد، ومن عليهم تقديم أو يلزمهم روك بلاد، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أدناه تحت كل لواء ينشر أو علم؛ فلا يزال لهذا كله مستحضرا، وعلى خاطره محضرا؛ لتكون لفتات نظرنا إليه دون رُفْقته في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنية عن التذكار والمراجعة.

الوظيفة الثالثة

(نظر الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير، وأن كل ما كتب فيه الوزير «يكشف» مثلا، كتب فيه «يكشف عما رسم به» ونحو ذلك. وتقدم ذكر ألقابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب في طرة توقيعه
في الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين . كُتِبَ به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهى :
الحمد لله الذى خص من أخلص فى الطاعة من الأئمة بحسن النظر ، وأجنى
من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة بإبغ الثمر ، ورفع من
استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من حجول الرتب إلى مكان الغرر ، وأظهر
لوامع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأنشع
ما يدخر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله أشرف البشر . وأرأف البدو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم
كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الميامين الغرر ، صلاة دائمة الورد والصدر ، باقية العين والأثر ، وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من خصه ربنا بالنظر الحسن ، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر
فى بلوغ مثله الوسن ، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة الناهرة
جميل العبارة حسن اللسن ، من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته سعادة الدنيا
تابعه ، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص ففدت لكل خير
حاوية ولكل يمن جامعته ، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة ما لحظت
المصالح بأقرب نظر ، إلا نمت الأموال وبدرت البدر ، وخبرة ما أعتبرت فيها
محاسن سيرته فى كل ما ياشره إلا صغر خبرها الخبر ، ونزاهة سلكته به فى كل

ما يليه أحسن المسالك، وعِفة رفعتَه من الرتب الديوانية إلى مفارقةِها ولا رتبةً للتاج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذى آجتى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المُخالصة ما زاد على المنى، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعِفة وهما أنخر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقنى، وعنى من أسباب استحقاقه المناصب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعنى .

فلذلك رسم أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليباشِر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلىاً في هذه الحلبة بسبق معرفته الذى لا يحتاج إلى دليل ؛ ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح ثمراً ، وليل يقسه في ليل الأعمال مُقِمراً ؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحدِداً، ولسان قلمه لما دق من أمور الأقاليم محققاً؛ ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مُثبتاً ، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُنبتاً ؛ ولدّر أخلاف الأعمال ، بحسن الأطلاع محتلياً، ولوجوه الأموال ، بإنفاق التوجه إلى ثميرها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت محتلياً ؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ، ومنايت ينمىها النظر الجلي والإتقان الجليل ؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخاها في كل حال أمامه ؛ والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما أضيف إلى نظر الدواوين المعمورة نظر الصحبة الشريفة الآتى ذكرها، وكتب بهما جميعاً لشخص واحد .

(١) وهذه نسخة توقيع بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدين بن سعيد الدولة على أثر إسلامه، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ من أخلص فى الطاعة من آلائنا بحسن النظر، وأجنى من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانع الثمر، ورفع من استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من مجبول الرتب إلى مكان الغرر، وأظهر لوايع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر.

نحمده على إحسانه الذى عمّر، وأمتنانه الذى بهر، وفضله الذى عم كل من ظهر له الهدى فلم يعارض الحق إذا ظهر.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأنفع ما يدخر، وأوضح ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف البشر، وأراف الهدى والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين الغرر، صلاة دائمة الورد والصدر، باقية العين والأثر، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولى من خصه ربنا بالنظر الحسن، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر فى بلوغ مثله الوسن، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة القاهرة جميل العبارة حسن اللسن، من سمت به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته [سعادة] الدنيا تابعه، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فعدت لكل خير حاوية ولكل يمن جامع، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر، ومعرفة ما لحظت المصالح بأقرب نظير الإنتم الأموال وبدرت البدر، وخبرة ما اعتبرت فيها

(١) هى عين سابقها خلا أن فيها ضم الصعبة مع تغيير يسير، فذهب.

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبرها الخبر، وزاهية سلكت به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفعت من الرتب الديوانية إلى غررها ولا رتبة للتاج إلا ذلك.

ولما كان فلان هو الذي آجتني من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عوارفها العميمة بجمل المخالصة ما زاد على المنى، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنخر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى، وعني من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقدمه وأن يعتنى - فذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصُحبة الشريفة.

فليأشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل، ومجلياً في هذه الحلبة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار، فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُميراً، وليل نفسه في ليل الأعمال مُميراً، وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحديقا، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققا، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مُثبتا، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُثبتا، ولدز أخلاف الأعمال، بحسن الأطلاع محتلبا، ولوجوه الأموال، بإنفاق التوجه إلى ثمرها إن أقبلت محتلبا وإن أعرضت محتلبا، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل، ومنابت ينميها النظر الحلي والإتقان الجليل، وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتخيلها في كل وقت أمامه، والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه! . وانلحظ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الرابعة

(نظر الصُّحبة ^(۱))

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصُّحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصُّحبة ، من إنشاء الشهاب محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلُّ ركابنا مُصاحبا ، وأطلع للنفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهابا ناقبا ، وعدق النظر فى صُحبتنا بمن لم يزل لمصالحنا ملاحظا ولأوامرنا مُراقبا ، وفوض أمور مباشرة حال من آجتهد أو قصر فى خدمتنا إلى من لم يزل بنفسه فى واجب الطاعة مُنافسا وعلى فرض الموالاة مُحاسبا .

نحمدُه حمدَ من أجمل فى أوليائنا نظرا ، وخصَّ بالنظر فى صُحبتنا من آخترت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناجحة سَفرا وحضرا ، وأعتمد فى ملاحظة مباشرى ما يتر عليه من ممالكه على من لا يهمل له حقاً ولا يُحدث له ضرراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال جيوشنا لإعلاء منارها مُجهزة ، وسرايانا إلى مقاتل جاحديها البارزة مبرزة ، وعود النصر على من ألدَّ فيها لنا معجلةً وعلى أيدينا منجزه ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أنهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما قرَّض ، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصر بأحد منهم فى أيماننا أمل ولا بعد عليه غرض ، وخصنا منهم بمن تمسك بجوهره الأعلى فلم

(۱) يظهر قياساً على ما سبق فى نظائره أن هنا سقطاً ، هو « وموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير

فى كل ما يحدث ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير تبعاله » . انظر

صفحة ۲۹ ج ۴ من هذا المطبوع .

يتعرض من هذا الأذى إلى عَرْض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم
إلا من (يكاد يُسكّه عرفان راحته) ، وإلا المؤثر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر
على راحته ؛ صلاة دائمة الإتصال ، آمنة شمس خلودها من الغروب والزوال ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من اخترناه لصحبتنا الشريفة على علم ، وأعددناه لمهماتنا الكريمة
لما فيه من تسرع إدراك وتثبيت في حكم ؛ وبسطنا له فيما عدقناه به من ذلك لسانا
ويدا ، وحفظنا به الأحوال من [وصول] مسترق السمع إليها زقمن يستمع الآن يجذ له
شهابا رصدا) وأدخرنا أقلامه لمصالح كل إقليم يمزركأنا الشريف عليه ، وفوضنا
مناقشة مباشره على ما أهملوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقنناه
لتصفح ذلك بنفسه ، وتلمح زيادة كل يوم على أمسه ؛ وانتزاع الحق من مديده إلى
ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب من أقدم عليه بالباطل في يومه
وأطرح المؤاخذه به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، وأعتمدوا فيه على
المصلحة فأجتنوا ثمرة ماغرسوه - من كان له في المناصحة قدم صدق عند ربه ،
وفي خدمة الدولة القاهرة قدم هجرة تقتضى مزيد قربه ؛ فكان أبدا برأى من
عنايتنا ومسمع ، ومن إحساننا بالمكان الذى ليس لأحد من الأكفاء فى بلوغ غايته
أمل ولا مطمع ، وتفرد بأجتماع الدين والمنصب والأصالة والعلم والكرم وهذه
خلال الشرف أجمع .

ولما كان فلان هو الذى آجتنى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل
الحنى ، وناز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المنى ؛ وأنتمى من أدوات
نفسه ونسبته إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنخر ما يدخر للرب الحليمة وأنفس

ما يُقْتنى ، وعُنِي من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما أقتضى إحسان الدولة
القاهرة أن يُحتفل بتقديمه وأن يُعْتنى . فذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض
إليه نظر الدواوين المعمورة .^(١)

فليباشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلياً في هذه الحلبة بسبق
معرفة التي لا تحتاج إلى دليل ، ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع
الاختيار ، ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ،
فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُثمراً ، وليل نفسه في ليل الأعمال مُقِمراً ،
وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحديقا ، ولسان قلبه لما دق وجل من
أمر الأقاليم محققاً ، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مثبتاً ، ووسم
تحريره لما يحتنى من غروس المصالح مُنبتاً ، ولدّر أخلاف الأعمال بحسن الاطلاع
محتلباً ، ولوجوه الأموال بانفاق التوجه إلى ثمرها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت
مختلباً ، فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ، ومنابت يتميها النظر الجلي
والإتقان الجليل ، وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيلها في كل
حال إمامه ، والله تعالى يسدده ويوفقه بمنه وكرمه ! ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما أضيف إلى نظر الصحبة نظر الدواوين الشريفة ، وحينئذ
فيحتاج الكاتب أن يأتى في براعة الاستهلال بما يقتضى الجمع بينهما ، ويورد من
الوصايا ما يختص بكل منهما . والكاتب البليغ يتصرف في ذلك على وفق ما يحدث
له من المعانى ويسنح له من الألفاظ .

(١) الصواب نظر الصحبة .

الدرجة الثانية

(من توقيع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب في قطع الثالث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحاً بـ «الحمد لله» إن قصد تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر ، أو بـ «أما بعد حمد الله» جرياً على الأصل لما يكتب في قطع الثالث ، على ما وقف عليه في النسخ)

وتشتمل على وظائف :

الوظيفة الأولى

(كتابة الدست)

والمراد دست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها أن يجلس أصحابها بدار العدل أيام المواكب خلف كاتب السر ، ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة السلطان بالكتابة ، ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعينها . وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدراً ، منحصرة في عدد قليل نحو الثلاثة فما حولها ، ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى جاوز عددهم العشرين ، وبقيت الرياسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون بالأسم . وقد تقدم ذكر طرزة توقيعه في الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهى :

الحمد لله الذى فضل الكرام الكاتبين ، وأحيا بفضائل الآخرين الأولين الذاهبين ،

وأُنزل فى القَصَصِ : ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْمَحْمُودُ الْمُعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً قَوْمِ مُخَاصِبِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّافِعُ فِي الْمَذْنِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَارُ جُذْرَانِهَا الْأَمْرُ الْمُطَاعُ ؛ وَأَبْوَابُهَا الْخَيْرُ الَّذِي لَا يُضَاعُ ؛ وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّضَاعُ ، وَصَدْرُهَا الْإِحْسَانُ الْمَدِيدُ الْبَاعُ ؛ وَصَحْنُهَا الْأَمْنُ وَالشَّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعَى ، وَجَلَسَاتُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُونَ الرَّقَاعِ ؛ هُمْ مَعْدِنُ الصَّدَارَةِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْحِكَايَةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَقْلَامُهُمْ تَأْتِي بِحُسْنِ التَّشْبِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطَرِّزُ حَوَائِشِي الرَّقَاعِ بَوَشْيِ بَادِي الْإِنَارَةِ ، مَا أَخْتِيرَ أَحَدُهُمْ لِلْجُلُوسِ فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ آخْتَارِهِ . وَتَمَيَّزَ بِحُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارِهِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّؤْدَدِ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مُطَبَّقٌ ، وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مُنْطَبِقٌ ، وَإِذَا دَبَّحَ قَرطَاسَهُ فَهُوَ لِلرُّوضِ شَقِيقٌ ، وَنَبَاتُهُ الْجَوْهَرُ لَا الْأَسُّ وَالشَّقِيقُ ، وَأَصْبَحَ لِلْجُلُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ فليحل هذا الدست الشريف مبهجا بيانه ، مئلبا للصدور بعرفانه ، متبلجا بنور يده ولسانه ، قارئا من قصص الناس وظلاماتهم في إيوانه كل شيء في أوانه ؛ لا يكتُم ظلامه مكتوبة في رقعته ، بل يعرف ملكه بها ويبلغها سمعه ، فإنه في هذا المحل أمين والأمين محل النصيح والخير والرقعة ؛ وإذا وقع فهو مأمور ، فليات بما يهبج الصدور ؛ ويتسنى غليل الشاكي ، بلفظه الزاكي ، والوصايا كثيرة لكن السليم لبعضها الحاكي ؛ وتقوى الله فهي تاجها الجوهري ،

(١) لعله لكن سلم ببعضها الحاكي ، وهو تقوى الخ . تأمل .

وبدرها المنور، وكوكبها الأزهر، والله تعالى يمتع بالفضل الذي لا يحول ولا يتغير،
بمنه وكرمه! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا، وهي :

الحمد لله الذي أفاض على الأولياء من فضله، وأهمى عليهم من مواهبه ما يقصر
عنه الغمام في وبله وطله، ومنح دست الملك الشريف من الألفاظ المحيية،
والفضائل المفيدة .

نحمده على نعيمه التي أجزلت إحسانها، وأجملت آمتنانها، وبزغت مزهرية
فقدمت من الدولة أعيانها، ونشكره على عوارفه التي ألقى لأهل الشاء عنانها،
ورحب لذوى البيوت صدرها وفوض عنانها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ويدنح
القائل لها ليوم المخاف أمانها، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أظهر الله
به الشريعة المطهرة وأبانها، وشرف [به] هذه الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها، وبعثه
رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها، وأطفا بنور إرشاده
شرر الضلالة ويرانها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه
نفسه النفيسة وصانها، وسلك في خدمته وصحبه الطريقة المثلى فأحسن اسرار
أموره وإعلانها، صلاة دائمة باقية تجمل بالأجور أقرانها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فانه لما كانت وظيفة توقيع الدست الشريف من أجل الوظائف
وأسنائها، وأنفسيها وأعلاها، وأجملها وأبهاها، القائم بها سفير الرعية إلى الملك

في حاجتهم ، وترجمان مغرب عن شكائهم . وكاشف أحسن ناشر عن ظلامتهم ؛
جالس على بساط الأثر بقرب الحضرة ، منفذ نهى ملكه وأمره ، مبلغ ذا الحاجة
من إنعامه جوده وبره - تعين أن يندب رئيس وأبن رئيس ، وجوهر بحر نفيس ؛
ذو أصل في السؤدد عريق ، ولسان في الفضائل طليق ، وقدم حلّ الطروس بما يفوق
زهر الرياض وهو لها شقيق ، وفاضل لا يُقاس بغيره لأنه الفاضل على التحقيق ؛
وكان المقر العاني الثلاثي هو المشار إليه بهذه الأولوية ، والمراد من سطور هذه
المحامد اللؤلؤية . فلذلك رسم بالأمر العالى أن يستقر المشار إليه في وظيفة توقيع
الدست الشريف عوضاً عن فلان بحكم وفاته .

فليباشر ذلك مباشرة تُشكر مدى الزمان . وتُحمد في كل وقت وأوان ؛ وليدبج
المهاريق بوشى يفوق قلائد العقيان ، وتيملاً بالأجور لنا صحفاً بما يوحيه عنا من
خيرات حسان . ونحن فلا نُطيل له الوصايا ، ولا نُحليه بها فهي له سجايا ، مع ما أدبه
به علمه الجَم ، وعمله الذى ما أنصرف إلى شيء إلا تم ؛ ويجمعها تقوى الله تعالى
وهى عقد ضميره ، وملاك أموره ؛ وما برح هو وبيته الكريم مصابيح أُنقها ومفاتيح
مُغلقتها ، ولهم جُدد ملابسها وللناس فواضل تُخلقها ؛ والله تعالى يزيد من إحسانه
الجزيل ، ونعمته التى يرندى منها كل رداء جميل . ويمتعه بإمارته التى ما شكرها إلا
قال أدباً : حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ والاعتماد فى مسعاه . على الخط الكريم أعلاه .

الوظيفة الثانية

(نظر الخزانة الكبرى)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن هذه الوظيفة كانت
كبيرة الموضع من حيث إنها مستودع أموال المملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاصَّ فأنحطت رتبها حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها، وأنه لم يبق فيها سوى خلع تُخلع وتُصرف أولاً فأولاً . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذي جعل الخزائن لذخائرنا كهوفاً ، وملايس إقبالنا سُنُوفاً ، ومواهبنا تُجْزَل عطاءً ومعروفاً . وإقبالنا على مُحسِن التدبير ومجمل التأثير عَطُوفاً ، وأيادينا في إسكان جنتها قُطُوفاً .

نحمده حمداً مألوفاً . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أوضحت معروفاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزال محوفاً ، وأقام الصلاة والجهاد صُفُوفاً ، وشهر على العدا عند تأييد الهدى سُيُوفاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سدل الليل سُجُوفاً ، وسلم تسليماً .

وبعد، فإنَّ الملك الشريف له تُخَف مَصُونَه ، وذخائر مكنونه ، وأصناف حسان في خزائنا مخزونه ، وجواهر عالية القيمة ثمينة [لا يقوم عليها إلا من] لا يمدُّ عين عفاه إلى المال وإن كثرت آلاؤه ، ووجَّح لُحَّة هذه الذخائر ولم تلمَّ بالبلل أطرافه ، وهو فلان : العريق في آنتسابه ، الوثيقُ آتماؤه إلى فضل الله وجنايه ، النقيُّ ثوب عِرْضَه ، التقيُّ بتمسكه بسُنَّته وفِرْضَه ، الوفيُّ نظره بغضه ، المستمسك بجميع الخير دون بعضه ، من بيت السيادة ومن بيت السيادة فالسؤدد نجم سمانه وطود أرضه . فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر

فليباشر هذه الوظيفة بعملٍ ونيَّة ، متسلماً ذخائر هذه الخزانة العلية ، وأمورها وأحوالها ، وتفصيلاتها وإجمالها ، وحمولها وأحمالها ، وحللها المرقومه ، وذخائرها

المعلومه ، وجواهرها المنظومه ، وأيكاسها المختومه ، وصناديقها المركومه ؛ ما عن علمه فيها شىء خاف ، وصونه لها كاف ، وأمر الله بين النون والكاف .

وليعلم أن خزائنا نُصِبَ فيها سحائبُ التحف والأموال والأصناف ، من سائر الممالك والمدن والثغور والأطراف ؛ ومنها يُخرج بجهاز مواهبنا وإنعامنا للأولياء الأشراف ، وإنما هى لمصالح المسلمين فى الجمع والإئتلاف ، وتقوية أهل الطاعة على أهل الإختلاف ، فليضبط ما تطلقه وإن كانت الأقلام لا تستطيع ذلك لكثرة الإسعاف ؛ ولتكن التشاريف المثمنة الكامله ، حاصله بمنأطيقها الجوهرة المائله ، وطرزها الطائله ، وتعابيهما الفاضله ، حتى إذا أنعمنا منها على أحد بشىء يأتى بحموله وقد حمد فاعله . والوصايا كثيرة وتقوى الله نظام عقدها ، وعمام رِفدها ، وزمام مجدها ، وعمام سَعدها ؛ فليكن متلفعا ببردِها ، متضوعا بندِّها ، وهو غنى عن الوصايا ومدِّها ، والله تعالى يؤيد حركاته فى قصدها ؛ والنحط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لناظر الخزانة ، أوردتها فى "التعريف" :

وَيْمَلَأُ بِنَظَرِهِ صُدُورَ الْخَزَائِنِ ، وَيَجْمَعُ فِيهَا أَشْنَاتَ الْحَاسِنِ ؛ وَلِيُعِدَّ فِيهَا كُلَّ مَا يَدْنُرُ لِلْإِنْفَاقِ ، وَيَحْتَفِظُ بِهِ لِلْإِطْلَاقِ ؛ وَيَحْصُلُ مَا يُضَاهِي الْبَحْرَ بِالتَّفْرِيعِ وَالتَّأْصِيلِ ، وَاجْتَمَلَ وَالتَّفَاصِيلِ ؛ وَمَا لَا يُوزَنُ إِلَّا بِالقِنَاطِيرِ ، وَلَا يُحْصَى مِنْهُ مَلَّةُ الْأَسَاطِيرِ ؛ وَمَا يُهَيِّئُ مِنَ التَّشَارِيفِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تُبَاهَى أَشِعَّةُ الشَّمُوسِ بِتَمَعِهَا ، وَتُحَاسِنُ وَشَائِعَ الرُّوضِ بِخَلْعِهَا ؛ وَمَا فِيهَا مِنْ مَخْلَقَاتِ أَلْوَانٍ لَا تُمَآئِلُ بِتَصْوِيرِ ، وَلَا يُظَنُّهَا الْأَوْلِيَاءُ إِلَّا الْجَنَّةَ وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ؛ وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ عَتَابٍ وَأَطْلَسٍ ، وَمُشْرَبَشٍ وَمُقَنَّدَسٍ ؛ وَكُلَّ طِرَازٍ مُذْهَبٍ وَبَاهِيٍّ ، وَمَا هُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ لَهُ يُنَمَاهِي ؛ وَكُلَّ

ما يتشرف به صاحبُ سيفٍ وقلمٍ ، ويُعطى إنعاماً أو عند أولِ استِخدامٍ في خِدمٍ ؛ وما هو مع هذا من أنواعِ المستعمَلاتِ ، والنواقصِ والمكملاتِ ؛ وما يُحمَلُ من دارِ الطرازِ ، ويحمدُ مما يأتي من المُبتاعِ من بزٍّ وبزازٍ ؛ وما هو مُرصدٌ للخزانةِ العاليةِ من الجهاتِ ؛ التي يحمَلُ إليها متحصِّلها : لينفق في أثمانِ المبيعاتِ ، وما يُستعملُ ، وما يُعلمُ منه بالطُّرزِ ويُعملُ ، وبقية ما يُدخِرُ في حواصلها من مالِ بيتِ المالِ الذي يُحمَلُ ؛ وذلك كلُّهُ فهو الناظرُ عليه ، والمناظرُ عنه مما خرج من عنده ووصل إليه ، والمُحاجِّجُ عنه بالمراسيمِ التي تُسكِّحُ للحِفظِ وتُنزِّلُ لديه ؛ فليراعِ ذلك جميعه حقَّ المراعاةِ ، وليحرِّزُ قدر ما يُنتفق من الأثمانِ وقيمةِ المبيعاتِ ، وليحرِّزِ فيما يُزكِّي بعضه بعضاً من شهادةِ الرسائلِ المكتتبهِ إليه بالحمُولِ وما يُكتبُ بها من الرجعاتِ ؛ ولْيُعبِّرِ المعاملين من نظره ما لا يبيدُون معه سيلاً ، ولا يقدرُون معه على أن يأخذوا فوقَ قدرِ استحقاقهم كثيراً ولا قليلاً ؛ وليُقَدِّمَ تحصيلَ كلِّ شيءٍ قبلِ الاحتياجِ إليه ويدَّعه لوقته ، ولا يمثُلْ لديه إلا سرعةَ الطلبِ الذي متى تأخرَ أخرَ لوقته (؟) ؛ والأمانةُ الأمانةُ ، والعفافُ العفافُ فما كان منهما واحداً رداءً أمرئٍ إلا زانه ، ولولاهما لما قال له الملكُ إنك اليومَ لدنيا مكين أمينٍ وسلَّمُ إليه الخزانةُ .

الوظيفة الثالثة

(نظرِ خزانةِ الخاصِّ)

وهي الخزانة التي استُحدثت في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » عند استحداثِ وظيفةِ « نظرِ الخاصِّ » وقد أنتقل ما كان يحمَلُ إلى الخزانةِ الكبرى ويُصرف منها إلى هذه الخزانةِ ، سوى الخِلاصِ ، كما تقدمت الإشارةُ إليه في الكلامِ على توقيعِ ناظرِ الخزانةِ الكبرى .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزانه الخالص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد
 ابن علاء الدين الجَوْجَرِيّ^(١) ، فى مستَهَلَّ شهر رجب الفرد ، سنة تسع وثلاثين
 وسبعمائة ، وهى :

الحمدُ لله الذى زاد بنظرنا الشريف شرف من لمحّه من أوليائنا [و] لحظه ، وأفاد
 المستأنف من ربنا من عهدنا له الفِطْرَةَ السليمة وتيقنا منه الفِكرَةَ واليقظه . وأعاد
 للخلف الكريم ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقديم ، الذى شملهم
 بالتكريم ، وجعلهم على خرائن جودنا العميم : لأنهم العلماء الحفظه . وجاد بالطرف
 من خاص إنعامنا العام لمن لقاه عند الإذناء من سرير الملك إنجاز عدة ولسانه
 عند ارتقاء منبر النسك إبراز عظه .

نحمده على أن أجزل لمن عول على شامل كرمنا جزاءه وعوضه ، ونشكره على أن
 تطول بنوافل نعمنا لمن قام بعد أبيه بلوازم خدمتنا المفترضه ، وعكف أعمالنا على بيت
 مبارك مامنهم إلا من شمل من إحساننا بالمنح لما بذل لسلطاننا من النصح ومحضه .
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يودع مصونها فى الأرائك
 المتعلية ويقطع يقينها الشكوك المعترضه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
 عظمت عطايا بذله ، فالبجار المرتفعة عنها منخفيه ، وكرمت سبحايا فضله ، فليست
 بمنقلة وأبرمت قضايا عدله ، فليست بمنتقيه ، وعمت البرايا يده البيضاء التى هى
 بالأرزاق فى الآفاق منبسطة وليست عن الإنفاق خشية الإملاق منقبضه ، صلى الله
 عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من أقرض الله قرضا حسنا فضاعف له
 ما أقرضه ، صلاة تُدنى لقائلها فى الأولى من النعمة والأمان أمله وتؤتية فى الأخرى
 من الرحمة والرضوان غرضه ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة الى «جوجر» بفتح الجيمين وراء بيده بالقرب من دمياط انظر يا قوت ج ٢

وبعد، فإن أولى من رُفِعَ بِإِكْرَامِنَا إِلَى رُتْبَةِ عَلَائِهِ، وَأَنْتَفَعَ مِنْ مَقَامِنَا الشَّرِيفِ بِإِخْتِصَاصِ خِدْمَتِهِ وَإِخْلَاصِ وِلَايَتِهِ - مَنْ شَفَعَ مَزَايَاهُ بِمَجْمَعِ أَشْتَاتِ الْعُلُومِ فِي أَبْكَارِهِ وَأَنَائِهِ، وَأَسْتُوْدِعَ ذَخَائِرَ مُلْكِنَا المِصُونَةِ فَكَانَ حَفِيفًا عَلَيَا عِنْدَ اقْتِرَابِهِ مِنَّا وَإِدْنَانِهِ، وَصَدَعَ الْقُلُوبَ بِإِبْدَاعِ وَعْظِهِ وَإِبْدَائِهِ؛ وَاتَّبَعَ سَبِيلَ وَالِدِهِ الْقَوِيمِ، فِي الشَّدَّةِ فِي الْحَقِّ وَالتَّصْمِيمِ؛ وَسَلَكَ طَرِيقَتَهُ الَّتِي هَدَاهُ اللهُ إِلَيْهَا بِتَوْفِيقِهِ فَأَدْرَكَ غَايَتَهُ فِي أَبْتِدَائِهِ، وَقَنِعَ بِمَا آتَاهُ اللهُ تَعَالَى فَأَثَرَتْ مَكَارِمُنَا رِفْعَةً مَحَلَّةً وَتَوْسِيعَةً حَبَائِهِ؛ وَبَرَعَ فِي إِتْقَانِ الْفَضَائِلِ الَّتِي آذَنْتْ بِاصْطِفَائِهِ وَأَجْتِبَائِهِ، وَوَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُنَا الَّذِي نَسْتَخِيرُ اللهُ تَعَالَى لَهُ فِي إِبْرَامِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِمْضَائِهِ؛ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُنَا الَّذِي كَمَ أَصَابُ الصَّوَابِ فِي تَعْيِينِ الْعُلَمَاءِ الْأَنْجَابِ فَنَصَّ عَلَيْهِ الْأَسْتَحْقَاقُ بِإِيْجَابِ التَّرْجِيحِ وَأَقْتِضَائِهِ .

وكان المجلس السامى الشرفى هو الذى قدمناه بعد أبيه لشهادة خزائنا الشريفة فشهدنا من حسن سيره ما أبهج، ونظمناه فى سلك أولياء الملك فسلك من الخير أقوم منهج، ثم أردنا الآن أن هلاله ينتقل إلى رتبة الكمال لما تدرج وتدرج؛ وأعدنا له تام الإقبال حيث شرف دولتنا الأعلى - زاد الله تعالى تأييده - بذكره لدينا وبشكره عندنا يلهمج - فاقضى حسن رأى الشريف أن هذا النظر الجميل عنه لا يخرج، وهذا الوقر الجليل لا يعدل به عن فرع منجب لأصلي طيب أثمر الولاء والدعاء لأيماننا الشريفة وأنتج .

فلذلك رسم ... لا زالت الصدور بصدور أحكامه تثلج، والأمور بمرور إنعامه تفضل على الحق الأبلج - أن يستقر ... فليطلق لسان كلمته بالإخلاص فى حمد الخاص والعام من هذا الإكرام الذى بمطاريفه تسربل وبمزاريفه تتوج، وليطلق سنان قلبه فى تبيض المصاحف بذكر إنعام المقام الذى هو تاليمه ويفصح

عَنْ حَمْدِهِ فَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا يَتَجَلَّجُ ، وَلِيُحَقِّقَ بَيَانَ حُكْمِهِ ضَبْطَ الْأَصْلِ وَالْحَصْمِ
وَالْوَاصِلِ وَالْحَاصِلِ وَالْمُحَضَّرِ وَالْمُخْرَجِ ، وَلِيُنْفِقَ فِي أَوْلِيَانَا مِنْ عَوَائِدِ صَلَاتِ نَعْمَانَا
الَّتِي تَقْبِضُهَا أَيْدِي مَلُوكِ الْمَدَائِنِ بِبَسْطِ وَمِنْ بَعْضِهَا صُدُورِ الْخِزَانِ تَخْرُجُ ، وَلِيَسْلُكَ
سُنَنَ أَبِيهِ الَّتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ وَيَفْتَخِرُ وَيَسْتَدِلُّ وَيَحْتَجُّ ، وَيَسْتَمْسِكُ بِسَبَبِهِ الْأَقْوَى
مِنَ الدِّيَانَةِ الَّتِي بَابُهَا مِنَ النِّجَاةِ فِي الدَّارَيْنِ غَيْرِ مُرْتَجٍّ ، وَتَرَكَ لَهُ تَفْصِيلَ الوَصَايَا لِأَنَّهُ
قَرِينُ كَفِيلِ مُلْكَا الْقَوَى الْأَمِينِ ذِي الْإِرْشَادِ وَالسَّدَادِ فَمَعَ مِرَاقَتِهِ فِي الْإِصْدَارِ
وَالْإِيرَادِ وَالتَّكْرَارِ وَالتَّعْدَادِ لَمْ يَحْتَجِّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الطَّرُوسَ بِذِكْرِ تَقْدِيمِهِ تَحْبِرَ
وَتُدَبِّجُ ، وَالدَّرُوسَ تَنْشُرُ وَعُلُومَهُ تَعَطَّرُ وَتَتَأَرَّجُ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة

(نظر البيوت والحاشية)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه أستاذ الدار، وتقدم
الكلام على ما يكتب في طرة تقليد ناظرها :

وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذي عمّر البيوت بنوآله ، وكثّر فيها أصناف النعم بإفضاله ، وجعل فيها
الخير يتضاعف مع كل يوم بتجدده ومع كل شهر بإقباله .

نحمده على مديد ظلاله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد صادق في مقالته ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي رحم الله العالمين بإرساله ،
وسقى الجيش من كفه ينبع زلاله ، وأوى إلى المدينة دار هجرته وانتقاله ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الناصرين لهذا الدين في كل حاله ، وسلم تسليما .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف البيوت الكريمة : فمنها يتفجر ينبوع الرزق
الجارى ، ومنها يضىء سقطة الزند الوارى ، ومنها تبسط الحيوانات ، وتمتد الأسمطة
في المهمات ؛ ومنها يقوم للسعد نصبات^(١) وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيبات
على مقترح الشهوات ؛ وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتفريعها ، وتجنيسها
وتنويجها ، وتكثير حاصلها ، وأستدعاء واصيلها ، وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأدخار
كل ما هو محبوب ؛ وتأليف القلوب على شكره وجل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد في فعله ، المأمون في فضله ، الأمين في عقده
وحله ، المسدد في الحال كله ، المعطي المباشرة حقها على ما ينبغي في الشهر من
مستهلته .

فذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر فليباشر هذه الوظيفة الكريمة
مستجلبا المنافع ، مشنفا بحسن سيرته المسامح ، طالعا من العفاف في أهلى المطالع ؛
مستدعيا ما جرت العادة بأستدعائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدده ،
وأنواع منضده . وليرح أعدار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ،
وليستجلب خواطر المعاملين بوفائهم وإنجازهم كل عده ، والرواتب اليومية ليصرفها
لمستحقها ، والبيوتات فليستد خلتها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتببات الأدر^(٢)
الشريفة فلتكن نصب عينيه على ما يرضيها ؛ وما آخترناه لهذه الوظيفة إلا أنه أنسب
من يليها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يجتنيها ، وأحسن منجات
يجتليها ، وأزين زينة يجتليها ، وهو غنى عما تُشافهه [به] الأفلام من فيها ، والله
تعالى يرضون هممه ويعليها ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في القاموس النصبه بالضم السارية ولعله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناصح . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جدد لأوليائنا ملبس السعود، وشيّد لهم مباني العزّ وضاعف
 لقدّهم الترقى والصعود، ورواى إلى أوليائهم سحاب الفضل المستهالة بالكّم والجود.
 نحمده على نعمه الضافية البرود، ومِنَّه الصافية الورود، ونشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له شهادة برغم بها أنف الجود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
 صاحب الحوض المورود واللواء المعتود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
 جاد كل منهم بماله ونفسه فى رضاه والجود بالنفيسين أقصى غاية الجود، صلاة
 داعة الإقامة فى التهايم والتجود، مستمرة الإدامة ماتعاقب السحاب روضا بجود،
 وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غدت البيوت أهلة بوفود نظره، عامرة بسداده وجميل
 فكره، مشيدة بما يديه من أوضاع التقرير وغررد - من سما همة وحسن سنا،
 وسلك فى الأمانة طريقا لا عوج فيها ولا أمنا، وحلّ فى الرتب خلاها، وتنقل فيها
 فما قالت له إيه إلا وقال الذى فارقها آها، وكان فلان هو الذى استحق بكفائته
 حسن التنقل، وأستوجب الصلة والمائد لما فيه من جميل التانى والتوصل - أقتضى
 حسن الراى الشريف أن تنقله إلى رتب السعادة، وأن نخصه كل حين من نعمنا
 بالحسنى وزياده. فذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر ...

فليضبط أصولها وفروعها، ومفردتها ومجموعها، وليؤنس بحياطة اجتهاده ربوعها،
 وليكفلها بأمانة تضم أطرافها، وزادة تحلى أعطافها، وكتابة تحصر جليلها ودقيقها،

(١) نقل نصاب ورواى إليهم سحاب . تأمل .

وَبَاهِيَةٌ تُوفِّي شُرُوطَهَا وَحُقُوقَهَا ، وَلِيَحْرَرَ وَارِدَهَا وَمَضْرُوفَهَا ، لِيُغْدُوَ مَشْكُورًا هِمَمَ
مُوصُوفَهَا ، وَلِيَلَاحِظَ جَرَائِدَ حِسَابِهَا ، وَيَحْفَظَ مِنَ الزَّيْعِ قَلَمَ كُتَابِهَا ؛ حَتَّى يَتِمَّ تَصَرُّفُهُ
فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ ، وَيُشْكِرَ تَعَرُّفَهُ وَتَعْطُفَهُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ وَمُعَامِلٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلُغُهُ
مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ آمِلٌ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الخامسة

(نَظْرُ خَزَائِنِ السَّلَاحِ)

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَوْضُوعَهَا التَّحَدُّثُ فِيمَا يَسْتَعْمَلُ وَيُتَّبَعُ مِنْ أَنْوَاعِ السَّلَاحِ الَّذِي
يَحْمَلُ لِلزَّرْدَخَانَةِ السَّلْطَانِيَّةِ . وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَحْمَلَ مَا يَتَحَصَّلُ مِنْ ذَلِكَ فِي كُلِّ
سَنَةٍ إِلَى الزَّرْدَخَانَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً . وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا يَكْتُبُ فِي طَرَةِ تَوْقِيعِ نَاضِرِهَا .

وَهَذِهِ نَسْخَةُ تَوْقِيعِ بِنَظْرِ خَزَائِنِ السَّلَاحِ مِنْ إِنْشَاءِ الْمَوْلَى « شَمْسِ الدِّينِ بْنِ
الْقَيْسَرَانِيِّ » كُتِبَ بِهِ « لِنَظْرِ الدِّينِ » أَحَى جَمَالِ الدِّينِ نَاضِرِ الْخَاصِّ ، وَهِيَ :

أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي ضَاعَفَ نَخْرَ الْمَنَاصِبِ ، بِمَتَوَلِّيَّهَا ، وَرَفَعَ قَدْرَ الْمَرَاتِبِ ،
بِمَنْ يُكَبِّرُهَا بِقُدْرَةِ الْعُلَى وَيُعَلِّيُّهَا ، وَأَمَدَ الْمَنَاقِبِ ، بِنَظْرِ ذِي الْمَنَاقِبِ الَّذِي يُزَيِّنُ بِمَرْهَفِ
حَزْمِهِ أَسَاحِجَتَهُمْ وَيُحَلِّيُّهَا ، وَيُضِي بِمَاضِي عَزْمِهِ كُلَّ فِرْدٍ فَرِيدٍ يُسَعِّرُ نَارَ صَلِيلِهِ
بِنَظْرِهِ السَّعِيدِ وَيُحَلِّيُّهَا ، جَاعِلٍ أَيَّامَنَا الشَّرِيفَةَ تُقَدِّمُ نِجْمَهَا كُلَّ سَرِيٍّ تَسْرِي بِهِ هِمَمُهُ
إِلَى الْعُلِيَاءِ ، وَتَنْتَخِبُ لِحُسْنِ نَظَرِهَا مِنْ يَعْلُو بِكُرْمِ الذَّاتِ وَجَمَالِ الْإِخَاءِ ، وَتُوَلِّي مِنْ
الْأَوْلِيَاءِ مَنْ يُعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ خَزَائِنَ سِلَاحِ تَبِيدُهُمْ بِهَا جِيُوشُنَا الْمُؤَيَّدَةَ فِي قِيَافِ الْبِيدَاءِ ،
إِذَا دَارَتْ رِحَى الْحَرْبِ الزَّبُونِ وَثَارَتْ وَغَى الْغَارَةُ الشَّمْعَاءُ . وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ

(١) جمع مقنَّب "كمنبر" وهم جماعة الخليل والدرسان .

التي آتسق بذرُها ، في سماء الإخلاص ، وأشرق فجرُها ، بضياء القُرب والاختصاص ،
وسما فجرُها ، بجلال الجمال فأصبح بحمد الله أخذًا في المزيد آمنًا من الانتقاص ،
وعلا ذكُرُها ، بما درعًا به من دُرُوع التوحيد وأسبغ علينا منه كلَّ سابغة دِلاص .
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي خصه الله بالتكريم والتعظيم ، وختم به الرُسل
الكِرام بما منحه من الأصطناء والتقديم ، وأوحى إليه في الكتاب الحكيم :
﴿ أَنْ آتَبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ . وعلى آله وصحبه الذين هم أشداء على الكُفَّار رُحماء بينهم ،
وقرب قُربهم لديه صلى الله عليه وأذهب بينهم - فإنَّ من شيم أيماننا الشريفة أن
تبلغ أوليائها مراما ، وترعى لأصفيائها ذماما ، وتصطفى لولاية الرتب من أضحى نغز
ولائه بساما ، وتُجرد لحسن النظر من يُجرد بهممه حساما حساوبا ، لا سيما من أقتفى
سنن أخيه - أجله الله - فيما يأتي ويذر ، وأهتدى بهديه في كلِّ وِرد وصدر ، وحذا
حدوه السديد الأثر ، السعيد النظر ، وآتبع رُشده الساطع البلج اللامع الفرر ، وسار
سيره الذي تتأرجح به أرجاء الممالك حيث سار مهر ، إذ هو جمال الجود ، جلال
الجود ، مُقبل عثار الماهوف والمجهود ، موئل التهائم والتجود ، مستجاب الدعاء لنا
من الطائنين والعاكفين والرُكع السجود ، ذو المآثر التي ذكُرُها أعطر من الروض
المجود الموجد ، والمناقب التي يساوى فيها الكواكب ويسامتُها في السعود والصعود .
ولما كان المجلس العاني النخري قد أصبح نغره بأخوته ناميا ، وقدره بأبوته
ساميا ، وأصبحت مفاخره به خالد ، وجمع مزايا وسجايا جمعت له طارف السعد
وتالده - أقتضى رأينا الشريف أن تُسدده له بأخيه أزرا ، وتُجدد له في إصلاح السلاح
نظرا ، ليكون لأخيه - أعزده الله تعالى - النظر على انخاص العام ، وبيده مقاليد
خزانتنا التي يشمل منها البرايا بصنوف الإنعام ، وتدير خواصنا الشريفة وجيوشنا

المؤيَّده، وله النظرُ على أعمال لبوس، تقي من الجيوش البوس : البيض [ذات]
القوائس ، واليَّلب المدار والسَّمِر المداعيس ، والبيض المهنَّده .

فلذلك رُسم ... لا زال يجمع لأوليائه على آلائه شَملاً ، ويرفع أقدار أهل الكرم
باستقرار النعم إذ كانوا لها أهلاً وبها أولى - أن يستقرَّ فلان في نظر خزائن السلاح
المنصورة على عادة من تقدَّمه وقاعدته ، وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور لهذه
الماثر التي بثها القلم ، والمفاخر التي أشهرت كالنار على العلم ؛ فليكشف ما بهذه الخزائن
من عُدَّة الحرب ، والآلات المُعدَّة في الهيجاء للطعن والضرب ؛ ويشمر في تكثيرها
عن ساعد اجتهاده ، ويعزز مواد الإمداد بها بحسن نظره ويؤمن اعتمادها ؛ ويستعمل
برسم جهاد الأعداء كلَّ نصلي صقيل ، وخصام له في الهام صليل ؛ وصفحته بيضاء
تبيض بها بين أيدينا الصَّحيفه ، ولبوس ترهبُ عدو الله وتضاعف تخويفه ؛ وزاعية
يرعب ، وسمهري يزهب بلسان سيناه النفوس ويذهب ؛ وخرصان تكلم الأبطال بأسل
السِّتة في الحروب ، وقواصل لها في سماء العجاج شروق وفي تحي الكفار^(١)
غروب ؛ وبدن يقد الأبدان ، ولأمة لم تبار في تحصينها وتخييرها ولم تدان ؛ وفضفاضة
على جنود الإسلام تُفاض ، وسابغة تُسبغ على كل راجل من أهل الإيمان ليقتضى
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما ينفق على هذا العدد من الضياع ، ويأت بما تأتي به الضياع على
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع ؛ وليضبط ما يُصرف عليها من الأموال ، ويعتمد
في نظرها ما تُحمد عاقبة أمره في سائر الأحوال ؛ ويتيمن في سائر أفعاله بما من كماله ،
ويسترشد بمراشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله ؛ ويسلك بحسن نظره
لهذه الخزائن ما ينتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب ، ويعلم أن هذا أول

إقبالنا عليه (وأول الغيث قَطُرٌ ثم يَنْسِكِب) ؛ والله تعالى يجعل خزائن الإسلام بجمال
نخره أهله ، ويوردها موارد العزِّ الدائم ويصَفِّي من أكدار الأقدار لها مناهله ؛
والعلامة الشريفة أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الوظيفة السادسة

(استيفاء الصُّحبة)

وصاحبها يتحدَّثُ في كل ما يتحدَّثُ فيه ناظرُ الصُّحبة المقدم ذكره .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، من إنشاء القاضى «ناصر الدين بن النشأى» وهى :

الحمد لله الذى زاد نَخَارَ أوليائنا رفعةَ المقدار ، وأفاد الصُّحبةَ الشريفةَ خيرَ كَافٍ
أستوجب منَّا بجميلِ خدمتهِ جزيلَ الإيثار ، وجادَ بالجوودِ وأبتدأَ السعودَ لمن حَسُنَ
فيه الإختيارُ وحُمدُ الأختبار ، وأرتادَ للمناصبِ العليةِ كلَّ "مستوفٍ" للعاسن له حقوقُ
وفاءٍ لا تُضاعُ وقدمُ ولاءٍ أجمَلَ فيه الإيرادَ والإصدار .

نحمده على نعيمِ أجرلتِ الآثار ، ونشكره على مِنِ أجملتِ المسار ، ونشهد أن لا إلهَ
إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً مُخلصَ يترشَّفُ سَاحِ ثوابها الدارِ فى تلكَ الدار ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيدَ الله به المؤمنين وأحمدَ نارَ الكُفَّار ،
وبعثه رحمةً للعالمين فأقام بناءَ الإسلامِ بعدَ ما كادَ ينهار ، وأسرى به إلى السَّبْعِ
الطَّباقِ فطبقَ نبأَ معجزاتهِ الأرضَ وملاً الأقطار ، صلاةً باقيةً لا تزالُ أغصانُ
أجورها دانيةً القُطوفِ زاكيةً الثَّمار ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أجلَّ النعمِ ما علَّتْ ملايسُها ، وأجملُ المننِ ما غلَّتْ نفائسُها ، وأكملُ
المنحِ ما زكَّتْ فى رياضِ الإقبالِ غرائسُها ، وأجزَلُ العطايا ما جُلِّتْ فى حُللِ الفخارِ

عرائسها ، وأولى الأولياء بتحويل ذلك لديه ، وتحويل هذه المواهب إليه ، وإسباغ أثواب الأمتان عليه ، وأجتيابه لرُتب علت محلاً ، واختياره لمنصب يُصبح به جيده من عقود العناية محلياً - من شكرت أوصافه ، وأشتهر عفافه ، وحسن مناً إسعاده وإسعافه ، وحمدت خلاله ومآثره ، وحاز نخر نعتيه ونخر ذاته فلا غرو أن تعددت مفاخره ، وأسلفنا من خدمته ما استوجب أن ينجى به ثمار الإحسان ، وقدم بين أيدينا الشريفة من يمن تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاء الحسان .

ولما كان فلان هو الذي تحلى من هذه الأوصاف بعقودها ، وتجلياً في مطارف برودها ، وأثنت على خصاله ألسنة الأقلام ، وأثبتت جميل خلاله في صحف أوراقها وصحائف الأيام ، وحاز من الأمانة والزهة كل ما يسكر به على الدوام ، وأمتاز بحسن الكتابة التي تُقر النواظر وتسُر الخواطر وتزري بالروض البسام . ما باشر رتبة إلا وفي بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - أقتضى رأينا الشريف أن ننقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف زيادة الحسنى وحسن الزيادة ، ونخصه بوظيفة تُدنيه مناً قرباً لنكون قد أجملنا له الأبتداء والإعاده .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال نخر أوليائه بمزيد آلائه سامياً ، وقدر أصفياه بمد يد عطائه نامياً - أن يستقر في كذا .

فليتلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، وليتقلد عقود الأمتان ، الذي طالما قلده جوده الأعناق ، وليباشر ذلك مباشرة يسر خبرها ، ويسير خبرها ، ويشنف الأسماع تأثيرها وأثرها ، وليسلمك فيها من السداد ، ما يؤكده حمده ، ومن حسن الاعتماد ، ما يؤيد سعده ، وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتماده ، ومن العفاف ما صح عنه نقل إسناده ، وليدبج المراسيم الشريفة بقلمه السعيد ، وليوشها بكتابه التي بها الحسن

مبدئى ومُعِيد، وليضبط جميع أموال الديوان المعمور وغلاله ، وسائر أموره وأحواله ،
 وليستوف بقامه على مباشريه وعماله ، وليحيط علماً بجراج بلاده وأعماله ،
 وليسترف الحساب شاماً ومصرًا ، وليتصفح الرقاع بالممالك الشريفة المحروسة ليحوى
 بجميعها خبراً ، وليتعمّن جملها وتفصيلها ليكون بخرجها أدرب وبمردودها أدرى ،
 وليحصر متحصلها ومضروفها ، ومعجلها وموقوفها ، حتى لا يخرج شئ عن علمه ،
 ولتكن جملة هذا الأمر محررة في ذهنه ليجيب عنها عند السؤال بتحقيق فهمه ،
 والوصايا كثيرة وهو بها خير عليم ، حائزٌ منها أوفى وأوفر تقسيم ، وملاكها تقوى
 الله تعالى فليجعلها عمده ، وليتخذها في كل الأمور ذخيرته ، والله تعالى يضاعف
 له من لَّدنا إحساناً ، ويرفع له قدرًا وشاناً ، والاعتماد على الخط أعلاه .



وهذه وصية لمستوفى الصحبة أوردها في "التعريف" وهي :

فهو المهيم على الأقلام ، والمؤن على مصر والشام ، والمؤمل لما يكتب بخطه
 من كل ترتيب وإنعام ، والملازم لصحبة سلطانه في كل سفر ومقام ، وهو مستوفى
 الصحبة ، والمستوفى بالهم على كل رتبة ، والمعول على تحريره ، والمعمول بتقريره ،
 والمرجوع في كل الأمور إلى تقديره ، به يتحرر كل كشف ، ويكف كل كف ،
 وبتزييه وإلا ما يكمل استخدام ولا صرف ، وهو المتصفح عنا لكل حساب ،
 والمتطلع لكل ما حضر وغاب ، والمناقش لأقلام الكتاب ، والمحقق الذى إذا قال
 قال الذى عنده علم من الكتاب ، والمظهر للخبائيا ، والمطلع للخفايا ، والمتفق
 على صحة ما عنده إذا حصل الخلاف ، ووصل الأمر فيه إلى التلاف ، وليلزم
 الكتاب بما يلزمهم من الأعمال ، ويحررها بهستقر إطلاقه وضرائب رؤوس

المال ، وعمَلِ المكلفات وأن يُكفَّوا عمَلَهَا ، وتقديرِ المساحات وليتَّبِعْ خَلالَهَا ،
وليلزِمهم بتمييزِ قِيمِهَا بعض عن بعض ، وتفاوتِ ما بين [تسجيل^(١)] الفُدن في كل بلد
بحسَب ما تصلح له زراعةُ كلِّ أرض ، وبمستجدِ الجرائد وما يقابل عليه ديوانُ
الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه التباس .

ومثلك لا يزود بالتعليم ، ولا ينازع فكلُّ شيء يؤخذُ منه بالتسليم ، وما ثمَّ ما يُوصى
به ربُّ وظيفةٍ إلا وعنده ينزل علمه ، وفيه ينزه فهمه ، وملاك الكل تقوى الله
والأمانة فهما الجنتان الواقيتان ، والجنتان الباقيتان ، وقد عُرف منهما بما يُفاض
منه عليه أسبغُ جلباب ، وأسبَلُ سترٍ يُصان به هو ومن يتخذهم من معينين وتُواب ،
والله تعالى يبلغه من الرتب أقصاها ، ويُجرى قلمه الذي لا يدع في مال ممالكا
الشريفة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

الدرجة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية)

ما يُكتب في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتحا بـ «أما بعد حمد الله»
أو على قدر المكتوب له في القطع الصغير ، مفتحا بـ «رسم بالأمر الشريف»
إن انحط قدره عن ذلك)

وفيها وظائف :

منها - كتابةُ الدرَج بديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدرَج الشريف ، كُتب به للقاضي تاج الدين ،

عبد الرحيم بن الصاحب نحر الدين بن أبي شاكر ، وهي :

(١) الزيادة من التعريف ص ١١٥ .

رِسْم ... - لا زالت صدقاته الشريفة تشمل نجباء الأبناء، ومبراته الحسمة
تُجَزَل للولد البار حسن الزيادة وزيادة الحسنى، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان
على فرع الأصل الأسمى وتُرضع تاجه بيوهر نخره الأسمى، وسماته الوسيمة، تجمل
شد أزr الوزارة الفخيمة، بأكفها نجل ثنى الزمان عنان الرياسة إليه وعليه أثنى -
أن يستقر فلان في كذا وكذا : لأنه رُبى في حَجْرِ الرياسة، وأجتنى من الروض المجد
الذى أعلى السعد غراسه ؛ ونشأ من محل الشؤدد والفخار، وبنغ من بيت حقت
له رفعة الأقدار ؛ وبتق غصن فرعه من أصل ثابت، وسمًا بدوح عز في مواطن
المعالى نابت، وهى ندى قلبه بانتسابه إلى سرة الكُتاب فناهيك من كاتب لأبى
الخلل ككاتب ؛ تعترف الدولة لسلفه بسالف العهود، وتعترف من منهل تديرهم
المورود ؛ وتحملى من تاجهم بأسمى العهود، وتسمو من نخر وزارتهم ووزارة نخرهم
بما يملأ الوجود بالحدود؛ وتختال من تصريف أقلامهم وأقلام تصريفهم في روض
التنفيذ المجد فإن ذكرت ما أثر جده قصرت عن إدراكها الحدود، وإن شكرت
مناقب والده - أجله الله - ففجرها الباذخ مشهود؛ وهو بلسان العام والخاص
مدح مجود، وإلى معانى خطه تنهى درجات الصعود والسعود؛ فلا غرو لهذا
الفرع الناجب أن يتبع أصله، وأن يسلك فضائله وفضله ؛ وأن يقف منهجه،
ويحدو في الكتابة طريقته المبهجة ؛ ويأتى من البراعة بسننها القويم، ويبرز من
البراعة وشى خطه الرقيم ؛ وأن يحل أجساد المهارق بيوهر تاجه النضيد النظيم، وأن
تحلوا أفاضله في الإنشاء حين تمر على الأسماع مرور النسيم ؛ [لا] سيما وقد ظهرت
عليه من مخايل الراسة دلائل، وشُرعت له مناهل الأدب والفضائل ؛ وحاز من
حسن النشأة ما سار بشكره المثل، وحصل من الأشتغال على كثر المعرفة وأشتمل ؛
وغدا جديراً بكل مرتبة سنيه، وكل رفعة هى بأعدادها مبنية .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً يجعلُها لبابِ المعالي مفتَحًا ، وللازِيادة من كلِّ خير سببًا كَلِمًا
أبدئُ الدهرُ مساءً وصُحى ، ولينقلُ في آتباعِ مهَيِّعِ المجدِ عن والده وجدِّه أبقاهما الله
تعالى ، وليدأبُ للتعلُّ بِأخلاقِهما الحسنةِ أقوالًا وأفعالًا ، وليهبجِ الطروسَ بوشى
قلمه ، ولينمقِ المكاتباتِ ببلاغةِ كلمه ، وليتخذِ الصونَ شعاره ، والعفافَ دثاره ،
والأمانةَ معتمده ، والنزاهةَ مستنده ، وضبطَ القولِ مادته ، وحفظَ اليدِ واللسانِ
جادته ، والوصاياَ كثيرةً وملاكها التقوى وهى حليته الحقيقية ، وعقيدته العقلية
والمنطقية ، فليجعلها دأبه ، وليرضُ فى إعلانه لها رَبَّهُ ، والله تعالى يُعلي قدره وجدّه ،
ويحفظه وأباه وجدّه .



وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة درج تجديداً ، وهى :

رِسْم - لا زال يمنحُ الأولياءَ ، بتجديدِ النعمِ إحسانًا ، ويولى البُلغاءَ ، فضلًا
يُعلي لهم رُتبةً وشانًا ، ويُيدى لهم فى ديوانِ إنشائه الشريفِ فضائلَ جمةً وبيانا -
أن يجددَ هذا التوقيعَ الشريفُ باسمِ فلانِ تجديداً لأنوارِ الإحسانِ إليه ، وتأكيدًا
لمزايا الأمتنانِ لديه ، وتسديدًا لمستنده الذى ألقاه وجهُ الإقبالِ إليه ، لما حازه من
فضيلةٍ تامةً ، وبلاغةٍ ملأتْ بديعِ المعانى ومعانى البديعِ ألفاظه وكلامه ، وكتابةٍ
أجرتْ فى حواشى الطروسِ بمحققِ التوقيعاتِ أقلامه ، وأمانةٍ بنتُ على الصدقِ
والعفافِ أقسامه ، ورياسةٍ تأثُلُ مجدها ، فبلغَ مرامه ، وأبصَلَ سعدُها ، فلا يخشى
أنفِصامه ، وبعْدَ شأوها فهى الساميةُ إلى رفعِ المنازلِ من غيرِ سامة . قد أتصف من
البراعةِ بجَميلِ الأوصافِ ، وظهرَ استحقاقه فهو باءٍ غيرُ خافٍ ، وتروى من بحرِ البلاغةِ

حيثُ وردَ منهلها الصّاف، وسلّك طرُق الخير فتضاعف له الإسعاد والإسعاف،
وأمتازَ بمزايا التّجمل في أموره والعفاف؛ وأستحقّ بذلك أن تُجدد له فضل الألفه،
ونوَّكده بكرمنا نيلاً أعتاده وعرفه .

فليستمرّ في ذلك استمراً به أسباب الخير مؤتافه، ووجوه الفضائل عن صنوف
الكتابة غير منصرفه؛ وليبدي من البلاغة بيانها البديع، ويجمّل منزل العلياء الرفيع؛
ويتسلّك مسلكه في الأمانه، ويتقّى الله تعالى بملازمة المراقبة والديانه؛ والله تعالى
يعلي مكانه، ويزيد في آقتناء الفضائل إمكانه؛ والأعتاد على العلامة الشريفة أعلاه،
إن شاء الله تعالى .

قلت وربّما كتبت التوقيع لكاتب الدرّج بزيادة معلوم، فيحتاجُ الكاتبُ إلى أن
يأتى بعبارة تجمع إلى ما تقدم من براعة الإستهلال ما يليها من موجب الاستحقاق،
وسبب الزيادة وترادف الإحسان .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة، كتبت به لابن عبادة، وهى :

أما بعد حمد الله الذى أفاض على الأولياء من خزائن فضله، وأفاء لهم أوفر نصيب
من إحسانه المشكور فيه عدلٌ قسيمه وقسم عدله، وأهمى عليهم من سحّب مواهبه
ما يقصر عنه الغمام فى وبله وطله، وأسبغ عليهم من جوده العميم ما يصفو لديهم المرح
فى وارف ظله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله أشرف رُسايه، وخاتم
من جاء من الأنبياء من قبله، والهادى ببعثه الشريفة إلى طرُق الحق وسبله،
وعلى آله وصحبه الذين تابعوه فى قوله وفعله، وبايعوه على المظاهرة فى نصره الدين

الحنيف وأهله ، وجمعوا هممهم على التثام كلمة الإيمان وجمع شمله ، وأرهف كل منهم في نصره ماضى عزيمه ونصله - فإن أولى من رعبت له حقوق ذمامه ، ومُنِعَ أجزال العطاء الذى تقضى الأقدار بدوامه ، ولُوَحِظَ بعين الإقبال ما أسلفه من حسن الطاعة لله ورسوله وإمامه - من جد في الخدمة فأضحى الجدل له خادما ، وداوم على المناصحة فعدا سعده دائما ، وأخذ من كل فضيل بزمامه ، ومث بماله على الدولة الشريفة من حرمة وذمامه ، وسلك في أداء الأمانة السنن القويم ، وجعل على خزائن الأرض بما تلا لسان فضله : (زأنى حفيظا عليم) ، وتمسك من الإخلاص بأقوى الأسباب ، وجعلت له التقوى محلا يدخل عليه ملائكة القبول من كل باب ، وزين سماء المعالي بكواكب مجده فما تشوف إليها طرف متطاول إلا وأتبعه شهاب .

ولما كان فلان هو الذى غدا حسن مناقبه إلى شكره مُرَشِدًا ، وإلى ذكره بالجميل مُسْعِدًا ، وألحج لسان القلم في وصفه مُنْشِدًا ، وأختص من هذه المحامد بأوفرها قسما ، وطلع في أفق هذا الشناء الجميل نجما ، فلذلك رسم

ومنها - استيفاء الدولة .

وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير وناظر الدولة ، وضبط الأموال الديوانية ، وكتابة الحسابات ، وكل ما يجرى تجرى ذلك . وقد جرت العادة أن يكون فيها مستوفيان .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بعد حمد الله الذى صان الأموال بالأقلام المحرره ، والدفاتر المسطره ، والحسابات المصدرة ، والجوامع المسيره ، والبيقظ الذى أستخرج البواقى المنكسه ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتورده، ومحا الجور وغيره،
وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشّرة - فإن للدولة
الشريفة من الأعلام ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سياجا وحائطا،
يصون الأموال أن تكون بأيدي الخاشعين نهي، ويحرز المطلقات بعدا وقربا،
وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقلام الكُتاب كان فى رأسها لحاما، وإذا
خَصَمَ المباشرون بالمصروف قيل السائق الصحيح وردّ ما كان سقيا وخرج ما لم
يكن تماما .

ولما كان فلان هو الذى فى الراسة كبير معروف، وفى السعادة حميد موصوف،
وفى قلمه تصحيح كل مصروف، وله فى الدولة آثار مرضية تشكرها الأعلام
والسيوف، ما نظرفى حساب، إلا أزال عنه ما به يعاب، ولا رأى فذلك،
إلا وأصح فيها المسالك، ولا عرض باقى، إلا استخرج ما يتعين استخراجُه بقلمه
الراقى، وفهمه الواقى، فلذلك رسم أن يستقر

فليأشر هذه الوظيفة بتحريره وتحبيره، وتميزه وتمييزه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده
وتصديره، وتسهيله وتيسيره، وإزالة تعسيره، وإذا أمسك دقاته، أظهر ما أثره،
وإذا نسيت الجمل أبدى تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضرة،
فلا يخرج من عنده شىء بغير ثبوت فإن التواقيع الشريفة والمراسيم الشريفة هى
كالأمثال سائره، ولا يتخذ المعين، إلا الأمين، ولا يستعين . إلا بمن هو مأمون
اليمين، والوصايا كثيرة وهو غنى عن التبين، فليثق الله رب العالمين، وليستجلب
لنا الأدعية من الفقراء الصالحين، فإن صدقاتنا الشريفة تنعم عليهم بمرتبات
وأرزاق، ونعم وأطلاق، فليسهل عليهم الصعب فى كل باب وإطلاق، والله تعالى
يُمده بالإرفاق، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوظيفة استيفاء الدولة مفتحا «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة ، كُتِبَ به لعلم الدين بن ريشة ،

وهي :

رِسْمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا بَرِحْتُ أَيَّامَهُ الشَّرِيفَةَ تُرْفَعُ لَدَوِي الْكِفَاءَةَ مِنْ إِحْسَانِهَا
عَلَمًا ، وَتُرْجَعُ مَصَالِحَ الدَّوْلَةِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا خِطَابًا وَأَعْمَلَ فِي مُهِمَّاتِهَا قَلَمًا ،
وَتَخْتَارُ مَنْ دَابَّ فِي تَكْمِيلِ أَدْوَاتِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى أَنْظَارِهِ مُتَقَدِّمًا - أَنْ يَرْتَبَّ فُلَانٌ عَلِيمًا
بِكِفَايَتِهِ الَّتِي وَضَحَّتْ ، وَدِرَايَتِهِ الَّتِي فَاقَتْ مُنَاطِرَهَا وَرَبَّحَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ
النَّمَاءَ وَأَرْبَحَتْ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي مَيَّزَتْ الْأَمْوَالَ بِإِحْرَازِهَا فَعَلَى السَّدَادِ خُتِمَتْ وَبِالتَّحَرِّيِ
أَفْتِحَتْ .

فليباشر هذه الوظيفة التي تحتاج إليه باحتراز مثله ، والرَّثْبَةَ الَّتِي يَتَعَيَّنُ عَلَى مُبَاشِرَتِهَا
إِيصَالُ كُلِّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَدْ أَرْجَعْنَا ضَبْطَهَا وَتَحْرِيرَهَا إِلَيْهِ ، وَأَعْتَمَدْنَا فِي تَيْسِيرِ
أَمْوَالِهَا وَسَدِّ أَحْوَالِهَا عَلَيْهِ ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِبُلُوغِ الْقَصْدِ فِيمَا قَرَّرْنَاهُ لَدَيْهِ ، وَحَرَّرْنَاهُ
بِقَلَمِهِ وَيَدَيْهِ .

فليبسط في مصالح الديوان المعمور وأمواله قلمه ، وليعمل بما هو عالم من تبيين
حقائق أحوال وظيفته ويخلص فيه قوله وكلمه ، وليصن الأموال ، ويتفقد ما يلزم
العمال ، ويحث على حمل بيت المال ، وليسترفح الحسابات من جهاتها على العادة ،
وليستودع دفاترها وجرائدها من يتحقق تحرزها وسدادها ، وليتخذ معينيه من أرباب
الحذق والدراية والأطلاع على كل نقص وزيادة ، وإبداء وإعاده ، وله من نفسه
ملا يحتاج معه إلى زيادة الوصايا وتكثيرها ، ومن المعية ما يدرك به الفضل
في جليل الأمور وحقيقتها ، فإنه قد تتحقق بأخلاق أهل الأدب ، وشارك في جليل

الخطب وسد ما إليه عزمه أنتدب؛ والله تعالى يبلغه من الجود غاية الأرب،
ويعينه على صالح العمل وأنتهاز القرب؛ والاعتماد ...

ومنها - استيفاء الخاص . وصاحبها والخاص كستوفى الدولة وديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الخاص لمن لقبه «أمين الدين» وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تُقدم بمهماتنا أمينا ، وتقدم
في خدمتها من أضحى معل شاملا ويمينا ؛ وتوتى الرتب السنية من جعل التحرز لقلمه
مصاحبا ولكلمه معينا - أن يستقر فلان فى كذا : لما عرف من رأسه التى
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرفع فأحرزته ؛ وضبطه الذى ترقى به فى المراتب وتنقل ،
وإدراكه الذى يصون به غوامض المعاصح ويعقل ؛ ولما سلف له من خدمة ملك
فيها السداد ، ومباشرة علم بها ما هو متصف به من حسن الاعتماد .

فليباشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرفع مكانته ويطلبها ؛
وليدم المراقبة لمصاح ديوان الخاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى
ما يفيد المأجح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ؛ وليصن الأموال من ضياعها ،
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ؛ وليسترفح الحسابات من أربابها ،
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ؛ ويتخذ من معينه من أخصت معرفته
للدقائق جامعها ، ويحتفل بمتحصلات أموال الخاص بعزيمته التى أخصت لمكانته
رافعه ، لا سيما نغرا الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أعلامه متابعة
طامعه ، وليلزم كل عامل بتحرير ما يجب عليه وما تنبى فيه المراجعة ؛ فإننا قد أقمناه
لذلك مستوفيا ، وليتصفح أموره الحليلة والحقيرة مستوفيا مستقصيا ؛ وليتقى الله

الذى يبلغه من زيادة منحنى الأمل ، ويعينه على صالح العمل ، والله تعالى يمنحه من الخير ما يُنَجِّح مسعاه ويترهه عن الزيف والزلل ، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع فى المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهى :

رسم بالامر الشريف - لازل يطلىح لذوى الكفاية من احسانه فى سماء الإقبال بدرا ، ويرفع لمن أم الأبواب لأوليائه من ذوى الراسة قدرا ، ويشفع لمن سُكِرَتْ معرفته بِنُجْح القصد فأنشرح له باليمن الجمَّة صدرا - أن يستقر فلان فى كذا : لكفايته التى خُطِب بسببها إلى مقره ، ودرايته التى أستوجب بها أن نطق لسان القلم بذكره ، ونزاهته التى أجمعت بها أمثاله على شكره ، وأمانته التى تستدعى الحق فى حلِّ الأمر ومُره ، وديانته التى هى أصل فى كل أمره ، وصيانته التى يعتمدها فى سره وجهره ، ومشارفته المصالح بعين يقظته التى يلوح لها وجه الصواب فيقف عند حده وقدره .

فلباشر هذه الوظيفة التى أسلفها حسن الاعتماد ، وإيقظها من معهود يقظته بمن الاجتهاد ، وليحقق حسن ظنَّ المباشرين فى رغبتهم فيه فى الإنصاف فى الإرفاق والإرفاد ، وليعمر جهات الأموال بجميل الإقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل السداد ، وليتبع منهاج الخير فى كل ما يأتية من إصدار وإيراد ، فقد رجع ضبط هذه الجهة إليه ، وأعتد فى تحريرها عليه ، فليصن الأموال ، ويتفقد ما تحسن به العقبى والمال ، وليتجر فى جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح ، والسَّن القويم فإنه المتجر الرابع والماب الناجح ، وتقوى الله تعالى فهى عمدة كل عبد صالح ،

(١) لعله من أوليائه ذوى الخ .

(٢) لعله «ورغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرة مبيّنة تُغنى عن إفصاح الشارح ، والله تعالى يُلهمه الطريقَ السديدةً
ويُرشده ، ويُعينه بالتوفيق ويُنجّده ، إن شاء الله تعالى .

ومنها - استيفاء البيوت والحاشية .

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لعلم الدين « شاكر » عوضاً عن تاج الدين
ابن الغزولى فى الأيام الأشرفية « شعبان بن حسين » وهى :

رَسِمَ بالأمر الشريف - لازلّت صدقاته الشريفة تُمنحُ الأكفاء من إحسانها
نعماً ، وتضاعف لهم من عطائها كرمًا ، وأيامه الشريفة تعمُّ البيوتَ الكريمة بكافٍ
قد نَشرت له الأمانة فى دولته الأشرفية علمًا ، ومواجهته تقدم للوظائف من أضحى
شاكرًا لله تعالى وتبسُّط له فى دواوين أعزّ الأنصار قلما - أن يستقر المجلسُ السامى
القاضى ، فلانُ الدين فى كذا وكذا : لأمانته الموفوره ، ومعرفته المشهوره ، ومحاسنه
المذكوره ، وسيرته المشكوره . وكتابه التى أضحّت فى صفحات الحسابات
مسطوره . وديانته التى جدّدت بهجته وسروره ، وخبرته بمنازل البيوت المعسوره ؛
وقدم هجرته فى الوظائف التى أوجبت نقلته إلى أجلها ، وصدارته التى رفّعتَه إلى
أرفع محلّها ، كم له فى دواوين أعزّ الأنصار من أقلام متفّده ، وآراء مُسنّده ، ونظير
أصلح به كلّ فاسد ، وكبت به كلّ حاسد ؛ وضبط لأصول الأموال ، وتبّع للمصالح
فى البكر والآصال .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة التى هو أخبر بمباشرتها ، وأعلم بأحوال البيوت
الكريمة وعمارتها ؛ وليُظهر فى الحاشية السعيدة ما أثره الحسنه ، ونزاهته التى نطقّت
بشكرها الألسنه ، وليبّد فى مباشرته من كل شىء أحسنه ؛ وليسلّك طرائق الأمانه ،
وليقتف آثار ذوى العفاف والصيانه ؛ وليلازم مباشرة أعزّ ولى فى المساء والصباح ،

ولا يشغله شاغلٌ عن مصالح مَهْدِ الدُولِ مَنْ [هو] لسلطاننا الأشرِفِ أميرِ سلاحٍ ،
واللهُ تعالى يفتَحُ له من الخَيْرِ أبوابَ النَّجَاحِ . والاعْتِقادُ على الخطِ الشريفِ أعلاه ،
إن شاء اللهُ تعالى .

قلت : ومما يَنخرطُ في سلكِ تواقيعِ أربابِ الوظائفِ السلطانيةِ وظائفُ
دواوينِ الأُمراءِ الخاصِكِيَّةِ ، فإنه ربما كُتِبَ عن السلطانِ التوقيعُ لبعضِ أربابِ
وظائفِ دواوينهم كما يُكْتَبُ في الوظائفِ السلطانيةِ .



وهذه نسخةُ توقيعِ كريمِ بنظرِ دواوينِ بعضِ الأُمراءِ ، وهى :

أما بعد حمدِ اللهِ الذى هدى إلى المِلَّةِ المحمَّديةِ مَنْ أسرَّ الإِيمانَ فى قلبه ونَوَّاه ، وضمَّ
إلى الأُمَّةِ [الاسلاميةِ] من أضمرَ الإِخلاصَ فأظهره اللهُ فى متقلِّبه ومثوَّاه ، وجمعَ لُوِيَّةَ
الدولةِ ومُخْلِصِها الفِرَجَ والفِرَجَ لأنه مَنْ توكلَّ عليه كَفَّاه ، والشهادةِ بالوحدانيةِ التى
تُبَلِّغُ قائلها من رضاه مُنَّاه ، وتجعلُ جنَّاته لمن أسرها جنَّاته مستقرَّ ومأوَّاه ، والصلاةِ
والسلامِ على سيدنا محمدٍ الذى قصَّمَ عِدَّاه ، وقصَّمَ عُرا من عاداه من أهلِ الشركِ
وعِدَّاه . وعلى آله وصحبه الذين آهتدوا بهداه ، وأستجددوا جداه ، ولَبَّوا نِدادَه ، وأمَّوا
نِدادَه ، صلاةٌ تُجْزِلُ لمصلِّها ثوابه ، وتُجَمِّلُ ما به ، وتُجَمِّدُ عُقباه - فإنَّ أُولى مَنْ رَفَعَ له
الكرَمُ محمَّلاً ، وقادته النعمُ عُقداً محمَّلاً ، وأعيدَ إلى رتبةِ الإِصطِفَاءِ ، وفُوِّضَ إليه ديوانُ
أعزِّ الأخصياءِ ، وصُرِّفَ قلمه فى مهامه ، وحصلتْ هممه على جميعِ أقسامه ، وعُدِقتْ
مصالحه بتدبيره . ومناجحه بتأيسله وتأثيره ، ومتحصلاته بتمييزه وتثبيره ، وأحواله
وأمواله : هذه بحسنِ تصرفه وهذه بِحَسَنِ تَقْرِيره - مَنْ دخل فى دينِ الله القويمِ ،
وآجبتاه وهداه إلى الصِّراطِ المستقيمِ ، وكساه الإسلامَ حلةَ شرفه ، وبوَّاه الإِيمانَ

مَبَانِي غُرَفِهِ ، وَنَوَى الْأَسْتِقَامَةَ فِي إِقَامَتِهِ وَمُنْصَرَفَهُ ، وَالتَّحَفَ بِجَلْبَابِ الْإِسْلَامِ
وَأَرْتَدَى ، وَتَلَبَّسَ بِالْإِيمَانِ فَصَدَّ عَنْهُ الْأَذَى وَرَدَّ الرَّدَى ، وَغَدَا مِنْ أَصْحَابِ الصَّرَاطِ
السَّوِيِّ وَمِنْ أَهْتَدَى ، مَعَ كَفَايَةٍ أُوجِبَتْ لَهُ التَّقْرِيْبَ وَالتَّقْدِيمَ ، وَجَدَدَتْ لَهُ مَلَائِسَ
التَّكْبِيرِ وَالتَّكْرِيمِ ، وَكِتَابِيَّةً فَاقَ بِهَا أَمْثَالَهُ ، وَعَلَامِيَّةً ، وَبَلَّغَتْهُ مِنَ الْعِلْيَاءِ مَرَامَهُ وَمَنَالَهُ ،
وَمَعْرِفَةَ بِنُورِ الْحِسَابِ ، وَخِبْرَةَ اعْتَرَفَ لَهُ بِهَا الْكُتَّابُ وَالْحِسَابُ ، وَأُوجِبَتْ لَهُ مِنَ
الْإِقْبَالِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِ .

ولما كان مجلس القاضي فلان : هو الذى أخذ القلم فى مدحه ، والكرم فى منحه ،
أقتضى رأينا الشريف أن نُقبِلَ على إقباله على الدين بوجه الإقبال ، وأن نبَلِّغه
فى أيا من الشريفة ما كان يرجو من الآمال . فذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال
يرفع من كان للدولة ولياً ، ويضع الشيء محله بتتدِيم من أضحى عرفانه جلياً .^(١)

فليباشِرْ ذلك مباشرةً تبَلِّغه أملاً من الاعتلاء ، وتوَلِّه مراماً من الاعتناء ، وتؤمِّنه
من طوارق الزمن وحوادث الاعتداء ، عالمًا بأن دولتنا الفلانية المنصورة تُجَارَى
عن الحسنة بأمثاليها ، وأن أيا من الفلانية المشهورة المشكورة تبَلِّغ أولياءها غاية
آمالها ، وأننا أجزلنا بره ، وأجزلنا ذكركه ، وأجزلنا على لسان القلم حمده وشكركه ،
فليعتَمِدْ فى مباشرته الأمانة المبردة ، والزاهة التى رفعت ماساءه ووضعَت ماسره ،
وليشمر فى مصالح هذا الديوان السعيد عن ساعد أجهاده ، ويعتَمِدْ فى أموره ما أُلْفَ
من سداده ، ويتحرَّرْ من السعادة ما كان قبل القول من سعادته ، وليتَّقِ الله حقَّ ثقافته ،
ويجعل التقوى حلية لأوقاته ، وحلة على سائر تصرفاته ، ويسير بتقواه سيرا خيرا
وخيرا ، ويذر جورا وجبرا ، (١) ومن يتَّقِ الله يجعل له من أمره يسرا .

(١) أن يستقر فى ديوان كذا الخ وحذفه اختصارا للكفاية وكثيرا ما يفعل مثل ذلك .

قلت : وغالب ما يُعْتَسَى به في تواقع أرباب الأقسام المفتحة : «رسم» الدعاء
المصدر به التواقع [و] اشتقاقه على براءة الاستهلال .

وهذه جملة أدعية من ذلك يُنَّسَج على منوالها :

أشیر الدین - لازل فلک فضاه أثيرا، وطالع سعده مثيرا، وهبوب
ريح مبراته للخيرات مثيرا .

أمین الدین - لازل یتعی للخدم الشریفة خیر أمين ، ویسطفی التیام
بالمصاح أنهض معین ، ویحتجی لأهم المهمات من هو غیر متقیة فی المناجحة و غیر طین .

بدر الدین - لازل یولی المناصب الدینیة من سنک فی الترحه سلسکا
جمیلا ، ویولی الفضل الجزیل من أضعی إشراق بذره علی آثار حظه دلیلا .

برهان الدین - لازلت أوامرہ الشریفة تریع للعالماء شانا ، ویسیر علی
استحقاقینهم دلیلا واضحا وبرهانا .

تاج الدین - لازلت صدقاته الشریفة تریع تاج الفضائل علی الرؤوس ،
ویره الشامل یدکی النفوس ویزکی الغروس ، وتوارد إفضاله یوشی المهارق ویدیح
الطروس .

تقی الدین - لازلت صدقاته الشریفة تقدم کل تقی ، وتریح
میزان من هو بالفضائل أملی ملی ، وترفع قدر من إذا سئل عن محله فی الرئاسة
قبل تعلی .

جمال الدین - لازل جمال جمیله للنفوس رائقا ، وإفضاله المتوافر لكل
إفضال سابقا .

جلال الدين — لازالت صدقاته الشريفه تزيد جلال ذوى الفضل
جلالا، وإحسانه المتواتر يوسع في البر لأولى الاستحقاق مجالا، وبره المتتابع تقصر
عنه خطا كل بر فينادى : هكذا هكذا وإلا فلا لا .

رضى الدين — لازالى رضى السجايا ، ظاهر المزايا ، مسترسل ديم
العطايا .

زين الدين — لازال نواله الشريف زينا لنائله ، وسؤاله المحقق إجابته
شرفا لسائله ، وقاصدُ بابه الشريف يوم بالخير فى عاجل الأمر وآجله .

سراج الدين — لازالت عنايته الشريفه تخص أولياءها يجزىل المواهب ،
وتبلغهم من صدقاتها العامه غاية الآمال وأقصى المطالب ، وتوقد لهم من أنوار
سعادتها سراجا يغلب على نور الكواكب .

سرى الدين — لازالت صدقاته الشريفه تصطفى من أرباب الكتابة
من يجيد المعانى فلا يضع لفظا إلا جعل تحته معنى سريا ، وترضى من فرسان
البراعة فى ميدان البراعة من يرتقى ببلاغته مكانا عليا ، وتجتبى من أهل الإجاده من
تميز بالإفاده فلا يزال كلامه لأجساد الطروس حليا .

شرف الدين — لازالت صدقاته الشريفه تضع الشىء فى محله ، وترجع
الفضل إلى مستحقه وأهله ، وتختار للناسب من ظهر شرفه بين قوله وفعله .

شمس الدين — لازالت صدقاته الشريفه تطلع فى سماء المعالى من ذوى
الرياسة شمسا . ونعمه الجسيمة تثبت فى روض الإحسان غرسا ، ومراسمه العالیه
تنقل إلى رتب الرياسة من شدت كفه على عدد الأمانى خمسا .

شهاب الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُطالع في أفيها شهابا، وتُحمل من جزيل المواهب للأمانى سحبابا، وتضع الشيء في محله وتزيد الأمور انتظاما والدعاء استجلابا .

صدر الدين - لا زالت آراؤه الشريفة تستجيد من ذوى الفضائل من جاوز الجوزاء نظما وفاق النثرة نثرا، وتستفيد به المناصب من الأمانى من تقصر عن مجده الكواكب رفعة وقدرًا، وتستزيد منه المراتب من فاق سحبان وائل وساد الأوائى فاضحى في مجالس العلياء صدرا .

صلاح الدين - لا زال أمره الشريف يقدم من يفيد ويحيد، فيكون لكل أمر صلاحا، وكرمه الطويل المديد، يشمل من ذوى الفضائل من فاق «سحبان» وائل فصاحة وفاق «حاتم» الأوائى سماحا، ورأيه الرشيد السديد، يختار من إذا أنتضى البراعة غلب رأيه سيوفا وطال قلمه رماحا .

ضياء الدين - لا زالت آراؤه الجميلة، تختار من ذوى الفضائل الجليلة من تزداد به المناصب ضياء، ونعمه الجزيلة، تعم كل بارع إذا أدهمت الخطوب كان فوه لها جلاء، وعوارفه المستطيلة، تشمل كل فاضل بذل في الخدمة جهده وتكسوه هبة وبهاء .

علم الدين - لا زال جزيل إحسانه، أوضح من نار على علم، ومزيد أمثانه، يشمل أرباب السيف والقلم، وسحب بنانه تسح فلا تسح بجزيل الكرم .

علاء الدين - لا زال علاء دولته بصطفى ذوى الفضائل، ويختار من الفصحاء من يفوت الأوان كما أضحى يفوت الأوائى، ويقدم من هو في تدبير البراعة كعل بن هلال وفي حسن البراعة كسحبان وائل .

(١) لعله « وتستفيد للناسب ... وتستزيد في المراتب الخ » . تأمل .

وتزين بها طرسا ؛ وتفيض من مواهب البنين
فيطلب كل أمل نفسه .

غياث الديرين — لا زالت صدقاته
وتضفي ظلها على من استجار بها واستغاثها ، و
فتبذل طرفها وتراثها .

فتسح الديرين — لا زالت صدقاته
يفتح أبواب الكلام ، فتصا ، وتهب جزيل الإنة



فِيَنَالُ بِذَلِكَ ثَنَاءً وَرَبْحًا، وَتُقَرَّبُ بِيَدِ الْعِنَايَةِ وَالْإِكْرَامِ، مِنْ ذَوِي الرِّيَاسَةِ وَالْإِحْتِرَامِ،
مَنْ هَزَرَ عَلَى الْبُلْغَاءِ قَدْحًا .

نَحْرُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ آرَاؤُهُ الشَّرِيفَةُ تُنْصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ، مِنْ يَزِيدِ
بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ نَحْرُهَا، وَتُمَطَّى ظُهُورَ الْمَرَاتِبِ، مِنْ إِذَا أَظْلَمَتِ الْأَيَّامُ لِعَدَمِ فَاضِلِ
ظَهَرِ بَفَضِيلَتِهِ بَحْرُهَا .

قُطْبُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُدِيرُ عَلَى قُطْبِ الْبَلَاغَةِ مِنْ
أَرْبَابِ الرِّيَاعَةِ نُجُومًا، وَتُسِيرُ بَعْنَايَتِهَا إِلَى مَنْ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ فُنُونًا وَأَحْيَا مِنَ الْآدَابِ
رُسُومًا، وَتُتِيرُ بِدُورِ سَعْدِهَا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ قَلَمُهُ لِأَسْرَارِ الْمُلْكِ كَتُومًا .

كَرِيمُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَشْمَلُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ
مَنْ عُدَّ فِي فَضْلِهِ وَأَصْلِهِ كَرِيمًا، فَتُقَدِّمُ مَنْ لَابَهُ فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّا يُنَالُ بِكُلِّ
فَنٍّ عَلِيمًا، وَتُنْصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ مَنْ فَاتَ قَيْسَ الْأَوَائِلِ رَأْيًا وَفَاقَ قَسَا بِحَدِيثِ
بَلَاغَتِهِ قَدِيمًا .

كَمَالُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ الْبَاهِرَةُ، تُطَلِّعُ فِي سَمَاءِ الْعُلِيَاءِ مَنْ فَاقَ
الْبُدُورَ كَمَالًا، وَأَوَامِرُهُ الْقَاهِرَةُ، تُقَدِّمُ أَسْنَى الْبُلْغَاءِ جَلَالًا، وَأَسْمَى صَدَقَاتِهِ الْوَافِيَةَ،
تَعْمُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ مَنْ زَادَ الْمَنَاصِبَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ مَهَابَةً وَجَمَالًا .

مَجْدُ الدِّينِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْلِكُ أَعْنَءَ الْأَقْلَامِ، مِنْ تَرَاهَا
تَجْدَا، وَتُودِعُ بِجِيدِ الْأَيَّامِ، مِنْ جَوَاهِرِ الْفَضْلَاءِ عِقْدًا، وَتَشْمَلُ بِأَيْدِيهَا الْكِرَامَ،
مَنْ إِذَا جُمِعَ الْبُلْغَاءُ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْدًا .

نظام الدين - لازال يتخير من كان في الناس مجيدا، وفي البيان مجيدا،
فحسن لفظه نظاما؛ ويهب من يره مزيدا، لمن كان في الخدمة مزيدا، فلا ينقض
للتصحيحه ذمما؛ ويبدل كرما مفيدا، لمن يراه في الفضل مبدئا ومعيدا، فجاز فخارا
وطاب كلاما .

همام الدين - لازال يرتضى من هو في فرسان اليراعة أنهض همام،
ويقتضى وعد كرمه لمن نهض في الرياسة نهوض أهتام،^(١) وينتضى عضد ذهنه
فيصيب مفصل كل كلام .

ولي الدين - لازال يحلى أجياد المناصب من ذوى البلاغه، بمن يحسن
في الكلام الصياغة، فينظمه حليا، ويحلى كرب المراتب من فرسان اليراعة، بمن
راح فضله ولفظه جليا؛ ويولى المناصب من غدا في البيان وافر البضاعة، فاتخذته
الأقلام وليا .

(١) لعل الصواب معضد كمبر : تأمل .

الضرب الرابع

(من الوظائف التى يُكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخَةُ الخَوَاقِ ،
وكلها يُكتب بها تَوَاقِيعُ)

وهى على طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتوحاً بـ «الحمد لله»

وهو مَشِيخَةُ الشُّيُوخِ خَاصَّةً)

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ تُطَلَّقُ عَلَى مَشِيخَةِ الْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ ،
«سعيد السعداء» فَيُكْتَبُ فِيهَا بِذَلِكَ . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ بَنَى السُّلْطَانُ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ «مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ» الْخَانِقَاهِ النَّاصِرِيَّةَ بِسِرِّيَا قَوْسَ ، أَسْتَقَرَّتْ مَشِيخَةُ
الشُّيُوخِ عَلَى مَنْ يَكُونُ شَيْخًا بِهَا ، وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ .

وهذه نسخة توقيع بِمَشِيخَةِ الشُّيُوخِ بِالْخَانِقَاهِ الصَّلَاحِيَّةِ «سعيد السعداء»
بالقاهرة المحروسة باسم الشيخ شمس الدين بن النَّخْجَوَانِي ، مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ
أَبْنِ فَضْلِ اللَّهِ الْعَمْرِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُرَقِّي أَوْلِيَائِهِ ، وَمُوقِّي أَصْفِيَائِهِ ، وَمُلَقِّي كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ لِمَنْ تَلَقَّى سِرَّهَا
الْمُصُونِ عَنْ أَنْبِيَائِهِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مُصَافَاةِ أَهْلِ صَفَائِهِ ، وَمُوَافَاةِ نِعْمَتِهِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِعُهُودِ وَفَائِهِ ، وَتَسَلَّكَ
فَأَصْبَحَتْ رِجَالٌ كَالْجَوَاهِرِ لَا تَنْتَظِمُ فِي سِلْكِهِ وَلَا تُعَدُّ مِنْ أَكْفَائِهِ ، وَطَلَعَ لِلدِّينِ شَمْسًا
يُبَاهِي الشَّمْسَ بَضِيائِهِ ، وَيُبَاهِلُ الْبَدْرَ انْتِصَامَ فَيْتَغَيَّرُ تَارَةً مِنْ نَجْمِهِ وَتَارَةً مِنْ حَيَاتِهِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نَعِدُّهَا ذُخْرًا لِقَائِهِ ، ونفرا
بَاقِيًا بِبِقَائِهِ ، رَاقِيًا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى بِارْتِقَائِهِ .

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مبلغُ أنبائه ، ومَسَوِّغُ الزَّانِقِ لِأَحِبَّائِهِ ،
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ بِهِ اللهُ
لَمَّا تَفَكَّرَ فِي آيَاتِهِ ، صَلَاةً يُؤْمَلُ دَوَامُهَا مِنْ نِعْمَاتِهِ ، وَيُؤْمَنُ عَلَيْهَا سُكَّانُ أَرْضِهِ
وَسَمَائِهِ ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن أولى ما استقام به [الشخص على] الطريقه ، واستقام به الرجوع
إلى الحقيقة ، واستقام به يطمئن إلى خالقه لا إلى الخليفة ، وحفظه أقدسه خير استصيان به
النيرات ، ونوء تنقسم به الغائم المطرات - طائفة أهل السلاج - ومن معهم من
إخوان أهل الصفاء الصوفية داعي السلاج ، ومن تضمنهم من الواردين إليهم إلى
جناح ، والصادرين عنهم بنجاح ، ومن تفتح له فيهم أبواب السماء ، وتفتح بنفسهم
عامة الخلق ملايس النماء ، ومن يكشف بتجدد جنتهم كل ظلام ، ويكشف
بتوجههم عارضة كل بذر تمام ، ويستشفى بركاتهم من داء كل سقام ، ويستشفى
بدعائهم إذا قصر النيل وقص جناحه الغمام . وهم أولياء الله وأحبأوه ، وبهم يتحلل
كل لبيب هم سقامه وهم أطبأوه ، أنحلهم الحب حتى عادوا كالأرواح ، وأشغلهم
الحب بصوت كل حمام شجأهم لما غنى وبرح بهم لما نوح ، وأطربهم كل شبح
فوجدوا بكل شيء شجنا ، وعدبهم الهوى فاستعدبوا أن لا يلائموا وسنا ، ومثل فرط
الكلف لهم الأحباب فما رأوا لهم حالًا إلا حسنا ، وأثقل تكرار الذكرى قلوبهم
فما عدوا غربة غربة ولا وطنًا وطنًا ، قربت المحبة لهم في ذات الله كل متباعد ،
وألقت أشتاتهم فاختلفت الأسماء والمعنى واحد .

والخانقاه الصلاحية بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله
روح واقفيها - هي قُطْبُ نُجُومِهِم السائر، ومرا كُرُ أفلَا كِنُومِ الدَّائِرَةِ، وإليها تُحَطُّ
رُحَالُ سَفَارِهِمْ، وعليها تُحَطُّ رِحَالُ أَسْنَارِهِمْ، تَضْطَرِبُ فِرْقَتُهُمْ فِي الْبِلَادِ وَإِلَيْهَا
مَرَجِعُهُمْ، وعليها مَجْتَمِعُهُمْ، وفيها مواضعُ خَلَوَاتِهِمْ، ومطالِعُ جَلَوَاتِهِمْ، ومكانُ
صَلَاتِهِمْ، وإمكانُ صَلَاتِهِمْ، ومَشْرِيقُ شَمْسِهِمْ، ومُؤْتِنِقُ غُرُوسِهِمْ، ومنهاجُ طَرِيقَتِهِمْ،
ومِعْرَاجُ حَقِيقَتِهِمْ، مأوى هذه الطائفة الطائفة في شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا، وبُعْدِهَا
وَقُرْبِهَا، وَتَجْمِهَا وَغُرْبِهَا، وَمَنْ رَفَعَ سُجُوفَهَا أَوْ هُوَ مَحْجُوبٌ بِحُجُبِهَا، وَالْمُؤَهَّلَةُ
وَالْعَرَابُ، وَأَهْلُ الْإِغْتِرَابِ، هِيَ فَيْسِيحُهُم الرِّحَابُ، وَصَفِيحُهُم الْقَرِيبُ، وَمِثْلُهُمْ
إِذَا اجْتَمَعُوا فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى زُمْرًا، وَأَخْتَرَقُوا الْمَهَامَةَ وَمَا جَاوَزُوا بَيْدَاءَ وَلَا جَابُوا
مُقْفِرًا، وَبَلَّغُوا الْغَايَةَ وَمَا أَرْجَعَ رِكَابَهُمْ حَادٍ فِي لَيْلٍ سَرِيٍّ، وَوَصَلُوا وَمَا فَارَقُوا فُرْشَهُمْ
الْمُهَيَّدَةَ إِلَى مَا وَرَاءَ الْوَرَى، شَرْطُ كُلِّ خَانِقَاهِ أَنْ لَا تُغْلِقَ فِي وَجْهِهِ مِنْ يَنْزِلُ فِيهَا بَابًا،
وَلَا تُطِيلَ جِهَاتُهَا الْمُنْعَنَةَ لَهُ حِجَابًا، وَلَا تُعْجِلَ مَقَامَاتُهَا الْمَرْفَعَةَ لَهُ قَبْلَ (١)



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهي مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس،
مما كتبت بذلك للشيخ نظام الدين الأصفهاني، من إنشاء السيد الشريف
شمس الدين :

الطَّرَّة

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الشيخى، النظامى، بسحق ابن
الشيخ المرحوم جلال الدين عاصم، ابن الشيخ المرحوم سعد الدين محمد الأصفهاني

(١) بياض في الأصل وبه علامة التوقف .

القُرشي الشافعي - أدام الله النفع ببركته - مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية
بسير ياقوس - قدس الله روح واقفها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد
الشامية والحلبيّة ، والفتوحات الساحليّة ، وسائر الممالك الإسلاميّة المحروسة ، على
عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ، وأن يكون ما يخص بيت المال من ميراث كل
من يتوفى من الصوفيّة بالخانقاه بسير ياقوس للشيخ نظام الدين المشار إليه ، بحيث
لا يكون لأمين الحكم ولا لديدوان المواريث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور
الخانقاه المذكورة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفيّة راجعة للشيخ نظام الدين
المشار إليه ، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك
حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفيّة ولا ينتسب إلا بإذنه ، على جاري عادته
في ذلك على ما شرح فيه ، وأوله :

الحمد لله على نعمه التي ألفت للصالحين من عباده نظاما ، وأستأنفت للصالحين
إلى مراده إحراما ، وصرفت أوامرنا بالعدل والإحسان لمن فوض أموره إلى ربه
فأنجح له من مزيد التأييد مرادا ومراما ، وعطفت بأوجه إقبالها الحسان على من
هو متزّه عن دُنياه ، متوجه إلى آخره ، يمضي نهاره صياما وليله قياما .

نحمده على أن جعلنا نزعنا للأولياء ذماما ، ونسعى بالنعماء إليهم ابتداء وإتماما ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع للمخلصين في عليين مقامًا ،
وتدفع بأعمال الصدق عن المتوكلين عليه بأسا وأسقاما ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذي جعله للتقين إماما ، وفضله على النبيين إجلالا وإعظاما ، وكلمه
بالسماوات المكرّمات ، والصفات المشرفات ، مما لا يضاهاى ولا يسامى ، صلى الله عليه
وعلى آله الذين شرفوا إضافة إلى نسبه الشريف وأنضماما ، ورضى الله عن أصحابه

الذين عرفوا الحق فبدلوا في إقامته أجهادا وأهتاما، صلاة تُجمل أفتاحا وأختاما،
وإقبال إرباحا وإتماما، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فسيمنا بعدل وإصاف، لمن له بحسن الأعراق اتصال وبحسن
لأخلاق أوصاف، ومن كريم الفضل والإصاف، من لا خفاء في تعيينه لتصدير
التصديق وتكرير التكريم ولا خلاف، ومن تجليله الجميلة أن لا تضاع حقوق من
هو في الزهادة والعبودية إمام، لأئمة الأئمة، بعبادة الحسنة إقرارا واعترافا، ولزادنا
حسبنا العظيمة وجليل الملاحمة، من نوقل عن الله حق التوكل لله أتصار بالله
من أوصاف، لأنه العريق السلاف، العريق الضعاف، الحقيقي بتوفير التوفيق
الذي له بحركاته مباركة اكتشف، التطبيق النبوض بأعباء الرياسة، لأن للقلوب
على حجب السلاف، السبوق، في عريت الغسوت الذي تحف به في بلوغ آماد
الإسمان من الله تعالى الطاف، والتصدوق النبي مع الله تعالى فكم واني نعمائه الزيادة
والإستئناف .

وكان المجلس العالی الشیخی، الإمامی، الکبیری، العالمی، العامی، الأوحدي،
الذوی، الورعی، الزاهدی، الناسکی، الخاشعی، السالکی، الأصبلی، العریقی،
القوامی، العلامی، النظامی، جمال الإسلام والمسلمین، شرف العلماء فی العالمین،
أوحد الفضلاء، قدوة المشایخ، مربی السالکین، کثر الطالبین، موضع الطریقه،
مبین الحقیقه، شیخ شیوخ العارفين، بركة الملوك والسلاطين، ولی أمير المؤمنین،
إسحق ابن الشیخ المرحوم فلان - أدام الله النفع بركاته - هو المفوض أمورہ إلى
ربه، المعرض عن الدنيا بباطنه وقلبه، المتعوض بما عند الله من فضله فما زال
الإیثار من شأنه ودأبه، إلى إخوانه وصحبه، فهو من الذين یطعمون الطعام علی

حُبِّهِ ، وَيُلْهِمُونَ مِنَ الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ إِلَى أَقْرَبِهِ مِنَ اللَّهِ وَأَحَبِّهِ ، وَيُقِيمُونَ الظَّلَامَ مَعَ
أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ وَحِزْبِهِ ، وَيَسْتَدِيمُونَ الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِهِ
فَفَرَعُهُمْ لِأَصَابِهِمْ فِي صُنْعِهِمْ مُشَبِّهٌ ، وَيَسْتَسْلِمُونَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّهُمْ شَاكِرٌ لِرَبِّهِ ،
عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمُرَّةِ صَابِرٍ عَلَى سَهْلِ الْأَمْرِ وَصَعْبِهِ ، سَائِرٌ بِالصَّدَقِ فِي شَرْقِ الْوُجُودِ
وَعَرَبِيهِ ، مَثَائِرٌ عَلَى الْحَقِّ فِي عَجْمِ الْخَلْقِ وَعُزْرِيهِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يُوصَلُ الْحُقُوقَ إِلَى مُسْتَحِقِّهَا ، وَيُجَلُّ
الْوُثُوقَ بِنِ تَجَمُّلِ الْمَرَاتِبِ الدِّينِيَّةِ مِنْهُ بِتَرْقِيَّتِهَا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمُشَارِ إِلَيْهِ مَشِيخَةَ
الْخَانِقَاهِ السَّعِيدَةِ النَّاصِرِيَّةِ بِسِرِّيَا قَوْسٍ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَ وَاقِفِيهَا - وَمَشِيخَةَ الشُّيُوخِ
بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَالْحَلِيبِيَّةِ ، وَالْفُتُوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَسَائِرِ الْمَمَالِكِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا يُخَصُّ
بَيْتَ الْمَالِ الْمَعْمُورِ مِنْ مِيرَاثِ كُلِّ مَنْ يُتَوَفَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِالْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ لِلْمُشَارِ
إِلَيْهِ ، بِمَحِثٍ لَا يَكُونُ لِأَمِينِ الْحَكْمِ وَلَا لِدِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ مَعَهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ،
وَتَكُونُ أُمُورُ الْخَانِقَاهِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيخَةِ وَأَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَاجِعَةً إِلَيْهِ ،
وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَّامِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْحِسْبَةِ وَلَا الْقَضَاةِ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَعَهُ ،
وَلَا يَشْهَدُ أَحَدٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَّا بِإِذْنِهِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
مَعْدُوقًا بِنَظَرِهِ .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدًا حَمِيدًا ، وَأُفَيْدْ مِنَ الْإِصْلَاحِ مَا لَمْ يَزَلْ مُفِيدًا ، وَلْيَعْتَصِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى
مَوْلَاهُ فِيهَا تَوَلَّاهُ وَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ تَبْيِينًا وَتَسْهِيدًا ، وَلْيَشْهَدْ بِهَا مِنَ الْقَوْمِ الْمُبَارِكِينَ مَنْ
كَانَ عَوْدُهُ قَبْلَ الصُّومِ عِيدًا ، وَهُوَ أَعَزُّهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَسْعُودُ الْمُبَاشِرُ ، الْحَمُودُ

المُعاشِرَة ، المشهُودُ مِنْهُ اعْتِمَادُ الاجْتِهَادِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، الْمَعَهُودُ مِنْهُ النَّفْعُ التَّامُّ ، فِي قُرَّاءِ مِصْرَ وَالشَّامِ ، فَكَمْ أَثْرُ الْخَيْرِ وَآثَرُهُ ، وَكَثْرَةُ الْبِرِّ وَوَاتِرُهُ ، وَيَسَّرَ السَّيْرَ الْحَسَنَ الَّذِي لَمْ يَبْرَحْ لِسَانُ الْإِجْمَاعِ شَاكِرَهُ .

وَنَحْنُ نُوصِيهِ عَمَلًا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ ، بِقَوْلِهِ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَذَكَرْنَا فِي الدُّكْرِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنْ كُنَّا نَتَحَقَّقُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالذِّينِ ، وَالْحُكْمِ الرَّصِينِ ، وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ الَّذِينَ نَحْنُ مِنْهُمَا عَلَى بَيِّنَةٍ وَيَقِينٍ ، بِاتِّبَاعِ شُرُوطِ الْوَاقِفِينَ ، وَالْإِمْتِنَاعِ بِالْعَوَارِفِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْعَارِفِينَ : فَإِنَّهُ مَا زَالَ حَيْثُ حَلَّ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ ، وَاصِلًا لِلْأَرْزَاقِ ، مُوَاصِلًا بِالْأَشْوَاقِ ، شَامِلًا بِالْإِرْفَاقِ ، عَامِلًا بِالْحَقِّ فِي إِبْصَالِ الْحَقُوقِ لَدَوِي الْأَسْتَحْقَاقِ . وَنَأْمُرُهُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَلَى تَكْرِيمِهِ اتِّفَاقٌ ، وَفِي مُتَابَعَتِهِ اجْتِمَاعٌ وَأَتْسَاقٌ ، فَإِنَّهُ شَيْخُ الصَّوَائِفِ ، وَإِمَامٌ تُقْتَبَسُ مِنْهُ اللَّطَائِفُ ، وَتُلْتَمَسُ مِنْهُ الْهُدَايَةُ فِي الْمَوَاطِنِ وَالْمَوَاقِفِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَمَعُّ بِبِرْكَاتِهِ الْأَقْمَةِ ، وَيَسْمَعُ مِنْهُ فِي الْخَلَوَاتِ لَنَا الدَّعَوَاتِ الَّتِي تَكُونُ لِأَوْرَادِهِ الْمَقْبُولَةِ مَفْتَحَةً وَمُتَمِّمَةً ، وَيَبْصُلُهُ بِعِنَايَتِهِ الَّتِي تَقْيِدُ الْمَهْمَ وَتُوَيِّدُ الْهَمَّهُ ، وَيَجْعَلُهُ حَيْثُ كَانَ لِلْفُقَرَاءِ نِعْمَةً وَبَيْنَ النَّاسِ رَحْمَةً ، وَالْعَلَامَةَ الشَّرِيفَةَ أَعْلَاهُ ، حِجَّةً بِمَقْتَضَاهُ .

الضرب الخامس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أرباب الوظائف
العادية ، وكلها تواقع)

وهي على طبقات :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع النصف بالمجلس العالي ، وهو رئيس الأطباء
المتحدث عليهم في الإذن في التطب والعلاج والمنع من ذلك
وما يجرى هذا المجرى)

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، وهي :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده . ومُعطي أمانة الأرواح من ترقى
في حفظها إلى رتبة اجتهاده . وجاعل علم الأبدان أحد قسَمي العلم المُطَاق في حالي
اجتماعه وأفراده . وموفق من جعل نُصح خلق الله فيه سبباً لسعادة دُنْيَاهِ وذخيرةً
صالحةً ليوم معاده . ومبلغ من كان [دائماً] في إعانة البرية على طاعة ربها بدوام الصِّحة
غاية مرامه وأقصى مراده ، ورافع رتبة من دَلَّ اختياره واختباره على وفور علمه
ونجح علاجه وإصابة رأيه وسداده .

نحمده على نعمه التي خصت بنعمنا من كل في نوعه وفوضايه وحسن في علمه
وعمله قوله وفعاله ، وجمع من أمانة وظيفته ومعرفتها ما إذا جالس في أسمى مناصبها
قيل : هذا أهله ..

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ البصائر، بأضوائها،
وتُشْرِقُ الضمائر، بإخلاصها من أدوائها، وتُعِدُّ بِمِنْهَا أنواء التوفيق فتتأرجح
رياض الإيمان بين روائها وإزوائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت
ملئته، فلم تخف على ذى نظر، وعلت أدلته، فلم ينلها من فى باع رويته قصر،
وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفناها العي والحصر؛ صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجا، ولسبيل الإيمان مزاجا،
وللبصائر السائرة فى دجى الشبهات سراجا؛ صلاة دائمة الإقامه، متصلة الدوام إلى
يوم القيامة؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد : فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسه ، ومقصودها
إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسه ؛ ومدارها الأعم ، على معرفة العوارض
وأسبابها ، ومدركها الأتم ، الوقوع على الصواب فى معرفة الجسوم وأوصافها ؛ وحينئذ
تفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها ، واختلاف مسالكها ؛ وتشابه عللها ،
والتباس صوابها بخللها ؛ إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجره ،
وحسن فى رتب هذا الفن تصدوره ؛ وطابق بين نقله وعلاجه ، وعرف حقيقة كل
مركب من الأدوية ومفرد بعينه وأسمه وصفته ومزاجه ؛ وتكررت عليه الوقائع
فعرّفها دربة وأحكمها نقلا ، ولقّب بشرعة التقوى إذ كانت الإقدام على النفوس
قبل تحقق الداء والدواء مذموما شرعا وعقلا ؛ ولذلك تحتاج إلى رئيس ينعم
فى مصالحها نظره ، ويؤجل فى منافعها وردده وصدره ؛ ويمتد أحوال أهلها بمعيار
فضله ، ويلزم الداخل فيها ببلوغ الحد الذى لا بد منه بين أرباب هذا الشأن

(۱) من أفرق المريض والمحموم برأ .

وأهله ، ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، ويبسط رجاء
المبتدئ إذا تكل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذي
بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفاضلين فيه
على أنفراده ، فلو عاصره «الرئيس» لأعتمد عليه في كليات قانونه ، أو «الرازي»
لعلم أن «حاويه» من بعض فنونه ، قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكل قراءة هذا
الفن رموزه وأسطره ، وحل أسراره الغامضة ، وأرتوى من سحب رموزه بأنواء لم
يشم غير فكره بروقها الوامضة ، وأسلف من خدمة أبوابنا العالية سفرا وحضرا
ما أقتضى له مزية شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ،
وحمد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابة فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة
فلا يشد منها شيء ، عن خاطره ولا يغيب منها ثقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب فضله لامعا ، وسحاب بره هامعا -
أن يكون فلان متولى رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليأشر هذه الرئاسة ناظرا في مصالحها ، مُطَّلعا من شهاب فضله ما يزين أفقها
زينت السماء بمصابيحها ، متفقدًا أحوال مباشريها ، متمسحا أحوال المستقل بأعبائها
والداخل فيها ، سالكا في ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكما في أمورها بما
جرت به العادة المستقرة بين أكابرها وعلمائها ، مطارحا من قدمت هجرته فيها
بما يقتضى له مراجعة أصوله ، ملزما من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يقنع
منه بدون حصوله ، مجيبا في الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما ادعاه ، قابلا
في الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يخبر من التدرب

إلا بما رآه ووعاده، متحزياً في الثبوت لدينه، آذناً بعد ذلك في التصرف إن ترقى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه، وليعط هذه الوظيفة حقها من تقديم المبرزين في علمها، وتكريم من منحه الله درجتى نقلها ونهيمها، وتعليم من ليس عليه من أدواتها المعتبرة غير وشمها وأسماها، ومنع من يتطرق من الطرقية إلى معالجة وهو عارٍ من رذائها، وكف يد من يتهم على النفوس فيما غمض من أدواتها قبل تحقق دوائها، وأعتبر التقوى فيمن يتصدى لهذه الوظيفة فإنها أحد أركانها، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التي لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها، وليكن في ذلك جميعه مجانباً للهوى، ناوياً نفع الناس فإنما لأمرى مانوى، والله تعالى يحقق له الأمل، ويسدده في القول والعمل بيمينه وكرمه!

قلت : وربما أفتح توقيعها بـ «أما بعد حمد الله» .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، كُتِبَ بها! «شهاب الدين الحكيم» في المحرم سنة تسع وسبعائة، وهى :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بلطائف حكمته، وقاسم أنواع العلوم بين من كل استعدادهم لقبول ما اقتضته حكمة قسمة، وجاعل لباس العافية من نعمه التي هى بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من بره وأسبغ عليه من نعمته، والمنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته، ومقرب مانأى من الفضائل على من أمرى إليها على مطايا عزمه وسرى لتحصيائها على جباد همته، ومنهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق في خدمة الطبيعة أيام عمرد فكان بلوغ الغاية في علمها نتيجة خدمته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شرح الله بالهدى صدور أمته، وخصه منهم بأعلام كل علم وأئمة، وجلاً

بيقين مائة عن كل قلب ماران عليه من الشك وغمته ، وعلى آله وصحبه الذين حمّاهم من الزئبق والزلال ما جحر الهدى لهم من جوامع الكلم وأفاض التقي عليهم من أنوار عصمته - فإن أولى الأمور أن يعتمد فيها على طبيعتها الخيرة ، ويصان جوهرها عن عرض العرض على غير ناقدتها البصير ، وتحمي مواردها عنم لم يعرف كيف يحتنب مواقع التكدير ، وترفع كواكبها عنم لم تدرك أفكاره دقائق الحوادث وحقائق التأثير - أمر صناعة الطب التي موضوعها الأبدان القائمة بالعبادة ، والأجسام القائمة بما يتعاقب عليها من الحوادث والزيادة ، والنفوس التي ما عنها إن حصل فيها التفريط بدل ولا عوض ، والأرواح التي إن عرض الفناء لجوهرها فلا بقاء بعده للعرض ، والطبيعة التي إن خدعت على ما يحب نهضت على ما يجب بالصحة حق النهوض ، والأمزجة التي إن نفرت لعدم التآني في سياستها أعجزت من يروض .

ولذلك تفتقر على كثرة أربابها ، وتحتاج مع غزارة المتمسكين بأسبابها ، وتضطرب وإن أندفعت الضرورات بكثرة متقنيها ، وتشتوب وإن وجد اللحم الغفير من المتلبسين بأدواتها والمتبحرين فيها - إلى رئيس ينعم في اعتبار أكتافها النظر ، ويدفع عن رتبها بتطرق غير أهلها الغير ، ويعرف من احوال مباشريها ما لا يكفي في خبرها الخبر ، فلا يقبل إلا من علم مقدار علمه ، ووثق مع الحفظ بصحة فهمه ، ورضى عن خبره في الطب واجتهاده ، وأعتبر منه كل نوع تحت أجناسه المتعددة على حدته وأفراده ، وجاراه في كليات الفن فراه في كل حلبة راكضا ، وطارحه في فصول العلم فوجدته بمحمل أعباء ما تفرع منها ناهضا ، واختبر دربته فوجدتها موافقة لتحصيله ، مطابقة لما حواه من إجمال كل فن وتفصيله ، وتبع مواقع دينه فوجدتها متينة ، ومواضع أمانته فألفاها مكيته ، وأسباب شفقتة ونصحه فعرف أنها على ما جمع من الأدوات الكاملة معينه ، ويتعين أن يكون هذا «الرئيس» في أوانه ،

و «الرازى» فى زمانه ، و «الفارابى» فى كونه أصلاً تَتَفَرَّعُ فنونُ الحِكم من أفنائه ،
علاجُه شفاءً حاضرًا ، وكلامُه نِجاةً من كلِّ خَطَرٍ مُخامرٍ ، وتديرة للصحة تقويم ،
وتصفحة تثقيبٌ لعلماء الصنّاعة وتسليم ، ودروسُه ذخائرٌ يُنفق من جواهرِ حِكْمِها
كلُّ حكيم .

ولما كان المجلس العالى الصّدرى ، الشّهابى : هو المراد بالتعيين لهذه الوظيفة ،
والمقصود بما أُشير إليه فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ،
وأنّه جمع من أدوات هذا الفن ما اُفترق ، وأحتوى على أصوله وفروعه فاجتمعت
على أولويّته الطوائف وأنفقت على تفضيله الفرق ، فلو عاصره «أبقراط» لقضى له
فى شرح فصوله بالتّقديمه ، ولو أدرك «جالينوس» لاقتدى فى العلاج بما علمه ، مع
مباشرة ألفت بين الصحة والنفوس ، وملاطفة أشرقت مواقع البرء بها فى الأجساد
إشراق الشّمس ، وأطّلاع يعرف به مبلغ ما عند كلِّ متصدّد هذه الصنّاعة من
العلم ، وتجرّج فى الفنون لا يُسلم به لأحدٍ دعوى الأهلية إلا بعد حرب جدالٍ هو
فى الحقيقة عينُ السّلم - فرسم بالأمر العالى أن يستقرّ فلانٌ فى رياسة الأطباء
الطبائعية بالديار المصرية والشام المحروس ، على عادته وعادة من تقدّمه فى ذلك ،
ويكون مستقلاً فيها بمفرده .

فليُنظر فى أمر هذه الطائفة نظراً تبراّ به الذمّه ، ويحصل به على رضا الله تعالى
ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فى الشّفقة على الأُمّة ، ويعطى به الصنّاعة حقّها ،
ويُطلق من يد من تطاول إليها بغير أهلية رفقها ، ويصون النفوس من إقدام من
تقدّم بغير خبرة كاملة عليها ، ويذبّ عن الأرواح تطرّق من يتطرّق بغير معرفة
وافرة إليها ، فإنّ فارط التفریط فى النفوس قلّ أن يُستدرك ، ومن لم تجتمع فيه

(١) لعل الأنسب "ركلاية" .

أدوات المعرفة التامة والدين فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يُترك ؛ فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذي لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ ؛ فلا يقبل في التركيبة إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يُصرف أحداً في هذه الصناعة إلا الذين زكّت أعمالهم قبل التريكة ؛ وليشفعها بالامتحانات التي تُسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقائقها المنكية ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ؛ ولا يمض فيها حكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبيت بعد كمالها ؛ فإن المعالجة محاربة للداء والموت بجهالة المحارب له شهادته ؛ وليأمر من أُلحى إلى معالجة مرض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به ؛ فإن الحوادث قد تختلف ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ . وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجته فيما بين الله وبينه ، والافتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ؛ والخير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية متطبب طبائعي ، أوردها في "التعريف" قال :

وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفضل والبلد ؛ ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرض ؛ يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى . ولا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ؛ ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن

(١) لعله تسفر عن وجوه الوثوق بالأهلية لثام دقائقها الخ . تأمل .

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . ولتجنب الدواء ، ما أمكنه المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صح بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه ، وما عرض له ، وسنّه ، وفصله ، وبلده ، ودرجة الدواء . وليحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم : إنها خطر . ثم إذا اضطرر إلى وصف دواء صالح للعلّة نظر إلى ما فيه من المنافاة وإن قلت ، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات ، في الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ، ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته في الفعل . ولعلم أن الانسان هو بنية الله وملعون من هدمها ، وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها ، وقد سلم الأرواح وهي وديعة الله في هذه الأجسام ، [فاحفظها وليتق الله ففى ذلك جميع الأقسام] وإياه ثم إياه أن يصف دواءً ثم [يكون هو الذى] يأتي به ، أو يكون هو الذى يدل عليه ، أو المتولى لمناولته للمريض ليستعمله بين يديه ، وفى هذا كله لله المنّة ولنا إذ هدّينا له وأرشدناه إليه .



(٢) وهذه نسخة توقيع برياسة الكعّالين .

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٣٩ .

(٢) بياض بالأصل .

الضرب السادس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الذمة

ويكتب لجميعهم توابع في قطع الثلث بالقابم السابقة مفتحة بـ «أما بعد

حمد الله» .

ويشتمل هذا الضربُ على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى

(رأسه اليهود)

وموضوعها التحدثُ على جماعة اليهود والحكمُ عليهم، والقضاءُ بينهم على مقتضى دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف : وهم الربانيون، والقراءون، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من طائفة الربانيين دون غيرهم، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع براسة اليهود، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر،

وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أطاف هذه الدولة القاهرة تصطفي لذمتها من اليهود رئيساً فرئيساً، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى، وتبهج لهم نفوساً كلما قدمت عليهم نفيساً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، والرسول الذي أجمل الوصية بالملئ والذمي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل وبلى،

وما نزل وسمى - فإن معدلة هذه الدولة تكتنف المال والنحل بالأحباط ، وتعمهم من انصافها وإسفافها بأوفر الأنصباء وأوفى الأقساط ، وتلمهم من حادث الزمن إذا أشتت ومن صرفه إذا شاط ، وتضمهم كما ضمت النبوة إلى جناح النبوة الأسباط ، لا تزال ترقب الإل والذمه ، فى المسلمين وأهل الذمه ، وتقضى لهم بحسن الخيرة ورعاية الحرمه ، وتبيحهم من أمر دينهم ما عليه عوهدوا ، وتمنحهم من ذلك ما عليه عوقدوا ، وتحفظ نوايسهم بأخبار محمد موادهم إذا شوفوها وتحسن مرآهم إذا شوهدوا : من كل إسرائيل أجمل للتوراة الدراسه ، وأحسن لأسفار أنبيائه أقباسه وأجمل آتماسه ، ومن نهته نباهته للتقدمة فاطم اجتهاده يوما حتى صار وجه الوجاهة فى قومه ورأس الرأسه ، فأصبح معدوم النظر ، معدودا منهم بكثير ، وموصوفا بأنه فى شرح أسفار عبرانية حسن التفسير ، وأستحق من بين شيعته أن يكون رأس الكهنه ، وأن تصبح القلوب فى مجامعهم بحسن منطق مرتبه ، وبان للجهالة بتثقيفه لشيعته تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتنه .

ولما كان فلان هو لمحاسن هذا التقريظ بهجه ، ولجسد هذا التفويض مهجه ، ولما سادح هذا الشاء العريض لهجه ، ولعين هذا التعيين غمضا ، وليد هذه الأيدى بسطها وقبضا ، ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيا ومقتضا ، ومن أدنيت قطاف النماء أيد تقدمته «على غيظ من غص منها» وأجتى غضها - أقتضى حسن رأى الشريف أن يميز على أبناء جنسه حق التمييز ، وأن يجازله من التنويه والتنويل أجل ما جيز .

ورسم بالأمر الشريف - لزال يختار فيجمل الاختيار ، ويندو كافيث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والأثمار والأشجار - أن تفوض إليه راسة اليهود على

أختلافهم : من الربانيين ، والقرائين ، والنامرة بالديار المصرية حماها الله وكلاهما .
فليجعل أسبابهم بالتقوى تقوى ، وغرورهم بالتدبير لا تدوى ، ومقاصدهم لا يمازجها
شك ولا شكوى ، ولينزل عليهم منّا منّا يسليهم صنعا حتى لا يفارقوا المن والسوى ؛
وليتق الله فيما يذره ويأتيه ، ويحسن في اجتلاب القلوب واختلاطها تأتيه ؛ وإياه
والتيه حتى لا يقال : كأنه بعد لم يخرج من التيه .

وجماعة الربانيين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكثر ، فعاملهم بالرفق
الأجدى والسر الأجدر ، ولكونك منهم لا تمل معهم على غيرهم فيما به من النفس
الأمانة تؤمر .

وجماعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بملازمة الأهل ، والاحترار في أمر
الأهل ، فانصب لأمرهم من لم يتولّه حين يتولّه ؛ ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم بلجام من نار إنكار من في ليلة سبته [بيته]
عليه لا يسرج .

والسامرة فهم الشعب الذين آذن التنظيف أهله بحروبه ، ولم يك أحدهم
لمطعم لكم ولا مشرب باكوله ولا شروبه ؛ فمن قدرت على رده بدليل من
مذهبك في شروق كل بحث وغروبه ، فاردده من منهج تحييده عن ذلك وهروبه ،
والا فقل له : ياسامري بصرت بما لم تبصروا به . ولتكن تستكمل فيهم بالبت ،
وأرفق بهم فإن " المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى " فإياك أن تكون ذلك
المنبت ، ومهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحد منهم في السب ؛ وأجعل أمور
عقودهم مستتبه ، وأحسن التحري والتحرير لهم في إتقان كل كتبه ؛ ولا تنخر إلا
الأعيان ، من كل خزان وديان ؛ ومن كان له من داود عليه السلام لحمه نسب ،

وله به حُرْمَةٌ نِسَبٌ ، فَارْعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأُضْحِبْهُ مِنَ الرَّفْقِ أَوْ كَرَمِ رُفْقِهِ . وَالْجُزْيَةُ فِيهِ
لِدِمَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِصْمَةٌ ، وَعَلَى دِفَاعِهَا لَا دَافِعِيهَا وَضَمُّهَا ، وَلَا أَجْلَهَا وَرَدَّ : « مَنْ آذَى
ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصْمَهُ » ، وَهِيَ أَلَمٌ مِنَ السِّيفِ إِجَارَهُ ، وَهِيَ أَجْرَةٌ سُكْنَى دَارِ الْإِسْلَامِ
كَمَا هِيَ لِأَسْتَحْقَاقِ الْمَنْفَعَةِ بِهَا إِجَارَهُ ، فَأَذُوها ، وَبِهَا نَفُوسِكُمْ فَأَذُوها ، ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، فَعُدُّوا أَلطَافَ اللَّهِ بِهَا وَلَا تَعُدُّوها ، وَدَاوِمٌ عَلَى مَهْ ، زَجْرًا
لِتَارِكِ عَلامِهِ ، وَمَنْ قَصِدَ مِنْهَا خَلاصَهُ ، فَقُلْ لَهُ فِي الْمَلَأِ : مَاذَا خَلاصَهُ ، وَمَنْ رَكَنَ
فِي أَمْرِهَا إِلَى الْإِخْلَادِ وَالْإِخْلَالِ ، وَسَكَنَ إِلَى الْإِهْمَالِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنَّ رَايَةَ الذَّلَّةِ
الضَّفْرَاءَ عَلَى رَأْسِهِ تُشَالُ ، فَأَوْسِعْهُ إِنْكَارًا ، وَأَلْزِمْهُ مِنْهَا شِعَارًا ، وَإِنْ قَامَ بِنَصْرِهِ مِنْهُمْ
مَعَشْرُ خَشِينٍ فَارِهِمْ بَعْدَ الْعَلامَةِ خُشْكَارًا ، وَخُذْهُمْ بِتَجَنُّبِ الْغِشِّ الَّذِي هُوَ لِلْعَهْدِ
مَغْيِرٌ وَمَغْيِبٌ ، وَأَكْفُفْ مَنْ هُوَ بِمَا يُنَافِيهِ مَعْيِرٌ وَمَعْيِبٌ ، وَأَمَّا مَنْ هُوَ مَجِيْبٌ لَذَلِكَ
فَهُوَ لِقَصْدِهِ مَجِيْبٌ ، وَانْقُلْ طِبَاعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِنْ عَابَتْ عَنِ التَّنَاقُلِ فَأَنْتَ مَا تَتَلَوُ :
﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي تَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ نَفْخِ فِي الْبُوقِ
إِنَّمَا هُوَ كَمَا قُلْتُمْ لِلتَّذْكَارِ ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا يَكُونَ لِتَذْكَارِ الْعِجْلِ الْخَبِيثِ الَّذِي لَهُ
خُوارِبُ هَذِهِ وَصَايَا نَاكَ وَلَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ : هَذِهِ مَوْهَبَةُ الدَّوْلَةِ وَإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَلُطْفُهَا
بِكُمْ وَعَاطِفَتُهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصَّرْهُمْ بِذَلِكَ كَلِمًا تَلَا إِحْسَانُنا إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أذْكُرُوا
نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .



وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا :

أما بعد حمد الله على أن جعل ملاحظة هذه الدولة القاهرة لجميع الملل ناظره ،
وإحسانها لا يُفْعَلُ مصلحة لأولي الأديان غائبة ولا حاضرة ، والصلاة على سيدنا
محمد الذي جعل ذمته وعهده وفين لكل نسمة مؤمنة وكافره - فإن الله تعالى لما مد

رُواقِ عدلِ هذه الأيام الشريفةِ على كلِّ مُعاهدٍ: من متقربٍ ومتباعدٍ، وساوىٍ بينهم في النظر الذي صدق الرأي وصدق الرائد - أقتضى جميلها أن يُسَمَّ لكلِّ من أهل الذمة أوفر نصيبٍ، وأن لا يُقال لأحدٍ منهم من الإجحاف ما يُريب، وأن لا تكون أمورهم مضاعفةً، ولا تعبداتهم مُراعاةً، ولا شرائعهم غير مصونة، ولا أحكامهم عارية [عن] حسن معونه؛ وكانت جماعة اليهود وإن كانوا أولى غنى، وصدق النصارى فيهم وصدقوا في النصارى من أنهم ليسوا على شيء؛ لا بدَّ لهم من مباشرٍ يأخذهم بالأمر الأخطى، والناموس الأضبط، والمراسيم التي عليهم تُشرط؛ وكان الذي يُختار لذلك ينبغي أن لا يكون إلا من أكبر الكهنة وأعلم الأخبار، ومن عرف من دينهم ما لأجله يُصطفى، ولمثله يُختار؛ وممن فيه سياسةٌ تحجزه عن المضار، وتحجبه عن الاستنفار؛ وكان فلانُ الرئيس هو المتميز بهذه الأوصاف على أبناء جنسه، وله وازعٌ من نفسه، ورايعٌ من حسن حديثه، وخدمةٌ في مهمات الدولة يستحقُّ بها الزيادة في أنسه؛ وهو من بين جماعته مشهورٌ بالوجاهة، موصوفٌ بالنباهة، ذو عبرانيةٍ حسنةٍ التعبير، ودراسةٍ لكتب أهل ملته على ما فيها من التغيير - أقتضى جميل الاختصاص المُنيف، أن يرسم بالأمر الشريف - لا بريح يرقب الإلِّ والذمة، ويرعى للمعاهدين الحرمه - أن تُفوض إليه راسة اليهود الربانيين والقرائين والسامرة، على عادةٍ من تقدمه .

فليباشِر ذلك مستوعباً أمورهم كلها، مستودعاً دِقَّها وجِلَّها، مباشراً من أحوالهم ما جرت عادةٌ مثله من الرؤساء أن يباشِرَ مثلها؛ غير مفرطٍ في ضبط ناموس من نواحي المملكة، ولا مُغفل الإنكار على من يتجاوز ذلك إلى موارد الملكة؛ ومن فعل ما يقضى بنقض عهده، فعليه وعلى مستحسنيه له من المقاتلة ما يتعظ به كلُّ من يفعل

ذَلكَ من بَعْدِهِ ، بِحَيْثُ لا يُخْرِجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فى كِنِيسَتِهِ ولا فى يَهُودِيَّتِهِ ولا فى مَنعِ جَزِيَّتِهِ عَن وِاجِبٍ مَّعَهُودٍ ، وَمَن خَالَفَ فَوْرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الأَدبِ ما تَقَشَّرُ مِنْهُ الجُلُودُ ، وما جَعَلَهُمُ اللهُ ذِمَّةً لِلْمُسْلِمِينَ إِلا حَقًّا لِدِمَائِهِمْ ، فلا يُجِئُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَتَجْتَمِعُ لَهُ شِمائَةٌ أَهْلِ الأَدْيَانِ مِنَ أَعْدائِهِمْ بِأَعْدائِهِمْ - وَالوَصايا كَثيرةٌ وَإِنما هَذِهِ نُجَّتُها المُلَخَّصَةُ ، وَفِيها مِنَ حِسابِ الإِحْسانِ إِلَيْهِمْ ما تَغْدُو بِهِ أَيَّامُ الإِمْتِهاَلِ لِمَ مَمَحَّصَةٌ ، وَاللهُ يُوَفِّقُهُ فى كُلِّ تَصَرُّفٍ مَرغُوبٍ ، وَتَأْفَفٍ مِنْ مِثْلِهِ مَطْلُوبٍ ، بِمَنه وَكِرْمِهِ ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردها فى "التعريف" وهى :

وَعَلَيْهِ بَضَمٌ جَماعَتِهِ ، وَلَمْ شَمَلَهُمْ بِاسْتِطاعَتِهِ ، وَالْحُكْمُ فِيهِمْ عَلى قِواعدِ مِلَّتِهِ ، وَعِوائدِ إِيمَتِهِ ، فى الحُكْمِ إِذا وَضَعَ لَهُ بِأَدِلَّتِهِ ، وَعَقُودِ الأَنْكحةِ وَخِواصِّ ما يَعتَبَرُ عِنْدَهُمْ فِيها عَلى الإِطلاقِ ، وما يُفْتَقَرُ فِيها إِلى الرِضا مِنَ الجانِبينِ فى العَقْدِ وَالإِطلاقِ ، وَفِيما أَوْجَبَ عِنْدَهُ حُكْمُ دِينِهِ عَلَيْهِ التَّحريمُ ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الأَتقيادَ إِلى التَّحْكيمِ ، وما أَدْعُوا فِيهِ التَّواتُرُ مِنَ الأَخْبارِ ، وَالتَّظافُرُ عَلى العَمَلِ بِهِ ما لَمْ يُوجَدَ فِيهِ نَصٌّ وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الأَحْبارُ ، وَالتَّوَجُّهُ تِلْقاءَ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلى جِهَةِ قِبْلَتِهِمْ ، وَمكانَ تَعَبُّدِ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ ، وَالعَمَلُ فى هَذَا جَميعُهُ [بِما شَرَعَهُ مُوسى الكَلِيبُ ، وَالوَقُوفُ مَعَهُ] إِذا ثَبَتَ أَنَّهُ فَعَلُ ذَلِكَ النَبِيِّ الكَرِيمِ ، وَإِقامَةُ حُدُودِ التَّوراةِ عَلى ما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ غيرِ تَحْرِيفٍ ، وَلا تَبديلِ كَلِمَةٍ بِتَأويلٍ وَلا تَصْرِيفٍ ، وَأَتباعُ ما أَعْطُوا عَلَيْهِ العَهْدَ ، وَشَدُّوا عَلَيْهِ العَقْدَ ، وَأَبَقُوا فِيهِ ذِمَّاتِهِمْ ، وَوَقَّوْا بِهِ دِمائِهِمْ ، وما كانَتْ تَحْكُمُ بِهِ الأَنْبياءُ وَالرَّبَّانِيُّونَ ، وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ الإِسْلامِيُّونَ مِنْهُمْ وَيَعْبَرُّ عَنْهُ العِبْرانيُّونَ بِكُلِّ هَذَا مَعَ إِزامِهِ لِمَ بِما يَلْزَمُهُمْ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكِّم أمثالهم أهل الذمَّة الذين أُقْتروا في هذه الديار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصَّغار، ومدَّ رؤوسهم بالإذعان لأهل ملة الإسلام، وعدم مضايقتهم في الطُّرُق وحيثُ يحصل الألباس بهم في الحَمَّام، وحمل شعار الذمَّة الذي جعل لهم حيلة العائم، وعقد على رؤوسهم لحنظتهم عقد التَّمائم، وليعلم أنَّ شعارهم الأصفر، موجب لثلا يراق دمهم الأحمر، وأنهم تحت علم علامته آمنون، وفي دعة أصائله ساكنون، وليأخذهم بتجديد صبغه في كل حين، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تبيِّن، وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة، أو يفهم منه المعارضة، أو يدع فيه غير السيف وهو إذا كَلَّم شديد العارضة، وله ترتيب طبقات أهل ملته من الأخبار فمن دونهم على قدر استحقاقهم، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة اتَّفاقهم، وكذلك له الحديث في جميع كنائس اليهود المستمرة إلى الآن، المستقرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمَّة ثم ما تاكَّد بعده لطول الزمان، من غير تجديد متجدد، ولا إحداث قدر متريِّد، ولا فعلٍ شيء مما لم تُعقد عليه الذمَّة، ويُقر عليهم سلفهم الأول سلف هذه الأمة، وفي هذا كفاية وتقوى الله وخوف بأسنا رأس هذه الأمور المهمة.



[وصية رئيس السامرة^(١)]:

ولا يعجز عن لم شعث طائفته مع قلتهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذلتهم، وليصن بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صبغت عمائمهم الحمر منها بماطل، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذلل، وليعلم أنهم شعبة من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يعنون في الأصل وزدناه من "التعريف" ص ١٤٤.

أنتقد؛ ولولا هذا لما عدوا في أهل الكتاب، ولا قنع منهم إلا بالإسلام أو ضرب
الرقاب؛ فليبن على هذا الأساس، [وليبنى قومه أنهم منهم وإنما الناس أجناس^(١)]
وليلترم من فروع دينه ما لا يخالف فيه إلا بأن يقول لا مساس؛ وإذا كان كما يقول:
إنه كهرون عليه السلام فليلترم الجدد، وليقم من شرط الذمة بما يقيم به طول المدد؛
وليتمسك بالموسوية من غير تبديل، ولا تحريف في كليم ولا تاويل؛ وليخص عمله
فإنه عليه مسطور، وليقف عند حدّه ولا يتعدّ طوره في الطور؛ وليحكم في طائفته
وفي أنكحتهم ومواريتهم وكأديهم القديمة المعقود عليها بما هو في عقد دينه،
وسبب لتوطيد قواعده في هذه الرتبة التي بلغها وتوطينه .

الوظيفة الثانية

(بطريكة النصارى الملكية، وهم أقدم من اليعاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل أنهم أتباع ملكا الذي ظهر قديما ببلاد
الروم، وأن الروم والفرنج كلهم أتباعه، وبالديار المصرية منهم التزر اليسير، ولهم
بطرك يخصهم .

وهذه نسخة توقيع لبطرك الملكية :

أما بعد حمد الله منوع الإحسان، لأولى الأديان، ومؤصله ومفرعه لكل طائفة
ولكل إنسان، والصلاة على سيدنا محمد الذي أباد الله به من أباد وأبان من عهده
وذمته من أبان - فإن الطائفة الملكية من النصارى لما كانت لهم السابقة في دينهم،
ولهم أصل الراسة والنفاة في تعيينهم؛ وما برحت لهم في الكلاءة والحفظ قدم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٤ .

السابقه، ورتبة بلوكهم الرومانية سامقه، وما زالت لهم خدم الدول إلى أغراضها متساوية ومتساوية؛ ولهم جوار مشكور، وتبلى مشهور، وعليهم وصايا من الملوك في كل ورود وصدور؛ ولهم من نفوسهم مزايا تستوجب احترامهم، وتستدعي إكرامهم؛ وكان لا بد لهم من بطريك يلاحظ أحوالهم أتم الملاحظه، ويستدعي لهم من الدولة أعظم محافظه؛ ويحفظ نواميس قبيلهم، ويحسن دراسة أناجيلهم؛ ويعرفهم قواعد معتقداتهم، ويأخذهم بالدعاء لهذه الدولة القاهرة في جميع صلواتهم؛ ويجمعهم على سداد، ويفرقهم على مراد. وكان البطريرك فلان هو المتفق بين طائفته على تعيينه، والجمع على إظهار استحقاقه وتعيينه؛ والذي له مزايا لو كان فيه واحدة منها لكفته في التأهيل، ورفعته إلى منصبه الجليل. فلذلك رسم... - لا برح يعطى كل أحد قسطه، ويدخل كل أبوابه ساجدا وقائلا حطه - أن يباشر بطريكة النصارى الملكية على عادة من تقدمه من البطاركة السالفة بهذه الدولة.

فليحط أمورها الجزئية والكليه، والظاهرة والخفيه؛ وليأخذهم بما يلزمهم من قوانين شرعتهم، وكل ما يريدون من حسن سمعتهم؛ وأما الديرة والبيع والكائس التي للملكية فمرجعها إلى صونه، وأمرها مردود إلى جميل إعانتة وعونه؛ والأساقفة والرهبان فهم سواد عين معتقده؛ وخلاصة منتقده؛ فلا يخلهم من تجليل، وحسن تأهيل؛ وتتقدم إلى من بالشغور من جماعتك بأن لا يدخل أحد منهم في أمر موبق، ولا في مشكل موبق؛ ولا يميلون كل الميل إلى غريب من جنسهم، وليكن الحذر لغدهم من يومهم وليومهم من أمسهم؛ ولا يشاكلون رسولا يرد، ولا قاصدا يفد؛ وطريق السلامة أولى ماسلك، ومن ترك الدخول فيما لا يعنيه ترك؛ هذه جملة من الوصية لامعة أفلح وأهتدى من بها استنار، ورشد من لها استشار؛ والله يوفقك في كل تشدد تروم، ويجعلك بهذه الوصايا تقول وتقوم.



وهذه وصية لبَطْرِكِ الْمَلَكِيَةِ أوردتها في "التعريف" وهي :

وهو كبيرُ أهلِ ملته، والحاكمُ عليهم ما أمتدَّ في مُدته؛ وإليه مرجعُهم في التحريم والتحليل، وفي الحُكْمِ بينهم بما أنزلَ في التوراة ولم يُنسخ في الإنجيل؛ وشريعته مبنية على المسامحة والإحتمال، والصبرِ على الأذى وعدمِ الإكتراث به والأحتفال؛ نَحَدُ نَفْسِكَ في الأولِ بهذه الآداب، وأعلمَ بأنك في المدخلِ إلى شريعَتِكَ طريقٌ إلى الباب؛ فتخلق من الأخلاق بكلِّ جميل، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل؛ وليقدم المصالحة بين المتحاذين إليه قبل الفصل البتَّ فإن الصلح كما يقال سيد الأحكام، وهو قاعدة دينه المسيحي ولم تخالف فيه المحمديَّةُ الغراءُ دينُ الإسلام، ولينظف صدورَ إخوانه من الغلِّ ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام؛ وإليه أمرُ الكائس والبيع، وهو رأسُ جماعته والكلُّ له تبع؛ وإياه أن يتخذها له تجارةً مريحه، أو يفتطح بها مالَ نصرانيٍّ يقربه فإنه ما يكونُ قد قرَّبه إلى المذبح وإنما ذبحه؛ وكذلك الدياراتُ وكلُّ عُمرٍ^(١) والقلاليُّ يتعين عليه أن يتفقدها في كلِّ أمر؛ وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفعُ الشبهات، وليعلم أنهم إنما اعترلوا فيها للتعبُّد فلا يدعها تُتخذ متزّهات؛ فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلُّل في هذه الدنيا والتعفف عن الفروج، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعودُ يبقى له خروج؛ فليحدِّثهم من عملها مضيئةً للال، أو خلوةً له ولكن بالنساء حراماً ويكون إنما تنزه عن الحلال؛ وإياه ثم إياه أن يووي إليها من الغرباء القادمين عليه من يريب، أو يكتُم عن الإنهاء إلينا مشكل أمرٍ ورد عليه من

(١) هو بالضم المسجد والبيعة "قاموس".

(١)
بعيد أو قريب ، [ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من الملوك ،]
ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك ، ولتجنب البحر
وإياه من اقتحامه فإنه يفرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين
ينعق ، والتقوى مأمور بها أهل كل ملة ، وكل موافق ومخالف في القبلة ، فليكن
عمله بها وفي الكفاية ما يغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

الوظيفة الثالثة

(بطريقة العاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل الخلف في نسبتهم : فقل انهم أتباع
ديسقرس ، وانه كان اسمه في الفلمانية يعقوب ، وقيل أتباع يعقوب البرذعاني ،
وقيل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وبطركهم يحكم على طائفة البعاقبة ،
وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر
ولايته .

وهذه نسخة توقيع لبطريرك النصارى البعاقبة :

أما بعد حمد الله الذي أظهر دين الإسلام على الدين كله ، وأصدر أمور الشرائع
عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل ملة راجعا إلى حكم عدله ، والشهادة له
بالوحدانية التي تدل على أنه الواحد للأحد الذي لم يلد ولم يولد وليس شيء كمثلته ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رسله ، وأشرف ولد آدم
وتسليه ، المصطفى في علم الله من قبله ، ووسيلته في التوراة من غرور الشيطان وخذله ،
والذي أطفأ الله بركته نار تمروذ عن إبراهيم وجعلها بردا وسلاما وأجله من أجله ،

وَبَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَبْنُ أُمِّهِ وَأَقْرَبُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَلِمٌ اللَّهُ بِفَضْلِهِ ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ مِنْ فُرُوعِ أَصْلِهِ ، وَأَصْحَابِهِ سَامِعِي قَوْلِهِ ، وَتَابِعِي سُبُّهُ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَرْتَضَى الْإِسْلَامَ دِينًا ، وَأَفْضَى بِالْمَلِكِ إِلَيْنَا وَقَضَى لَنَا فِي الْبَسِيطَةِ بَسْطَةً وَتَمَكِينًا ، وَأَمْضَى أَوْامِرَنَا الْمَطَاعَةَ بِشُمُولِ الْيَمْنِ شِمَالًا وَيَمِينًا - لَمْ نَزَلْ نُؤَلِّي رِعَايَانَا الْإِحْسَانَ رِعَايَةً وَتَوْطِينًا ، وَنُؤَدِّمُ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ مِثْلَ ذِمَّةِ وَتَأْمِينًا ، وَكَانَتْ طَائِفَةُ النَّصَارَى الْيَعَاقِبَةَ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لَهُمْ مِنْ حِينَ الْفَتْحِ عَهْدٌ وَذِمَامٌ ، وَوَصِيَّةٌ سَابِقَةٌ مِنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ بَطْرِيكِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ تَقْضٍ وَإِبْرَامٍ .

وَمَا كَانَتْ الْحَضْرَةُ السَّامِيَّةُ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ ، الْمَبْجَلُ ، الْمَكْرَمُ ، الْكَافِي ، الْمَعْرُزُ ، الْمَفْخَرُ ، الْقِدِّيسُ ، شَمْسُ الرَّأْسَةِ ، عِمَادُ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ ، كَثْرُ الطَّائِفَةِ الصَّالِبِيَّةِ ، آخْتِيَارُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، فَلَانُ : وَفَقَهُ اللَّهُ ، هُوَ الَّذِي تَجَرَّدَ وَتَرَهَّبَ ، وَأَجْهَدَ رُوحَهُ وَأَتَعَبَ ، وَصَامَ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ ، وَسَاحَ فَأَبْعَدَ ، وَمَنَعَ جَفْنَهُ لِذِيذِ الْمَرْقَدِ ، وَنَهَضَ فِي خِدْمَةِ طَائِفَتِهِ وَجَدًا ، وَخَفَضَ لَهْمِ الْجَنَاحِ وَبَسَطَ الْخَدَّ ، وَكَفَّ عَنْهُمْ الْيَدَ ، وَأَسْتَحَقَّ فِيهِمُ التَّبَجُّيلَ لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْإِنْجِيلِ وَتَفَرَّدَ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نَأْتِيَ إِلَيْهِ أَمْرَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ وَنُقَوِّضَ ، وَنُبَدِّلَهُمْ عَنِ بَطْرِيكِهِمُ الْمُتَوَفَّى وَنُعَوِّضَ .

فَلَذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَبْرِحَتْ مَرَاثِمُهُ مُطَاعَهُ ، وَمَرَايِحُهُ لِإِنْزَالِ أَهْلِ كَرَمِهَا بِيَعْتِهَا مَرْعِيَّةً غَيْرَ مَرَاعَةٍ - أَنْ يَقْدَمَ الشَّيْخُ شَمْسُ الرَّأْسَةِ الْمَذْكُورِ عَلَى الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَيَكُونَ بَطْرِيكًا عَلَيْهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَ وَقَاعَدَتِهِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَالثُّغُورِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَالْجِهَاتِ الَّتِي عَادَتُهُ بِهَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

(١) أى غير مفترقة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراعه وإنما الفعل راعه وروعه أى فرعه .

فليسلك سبيل السوا ، ولا يملك نفسه الهوى ، ويتمسك بخوف الله تعالى
 إن فعل أو نوى ، أو أخبر عن الحواريين أو روى ، فالعلم مراقب ، والعظيم
 معاقب ، والحكيم أمر أولي العقول بالفكرة في العواقب ، والحاكم غداً بحقوق الخلق
 غداً يُطالب ، والظلم في كل ملة حرام والعدل واجب ، فليستوف الإنصاف بين
 والضعيف والحاضر والغائب ، وليقصد مصلحتهم وليعتمد نصيحتهم ، وليمنض على
 ما يدينون به بيوعهم وفسوخهم ومواريتهم وأنكحتهم ، وليسمع غاويهم ، وليسمع
 دعاويهم ، وليلزمهم من دينهم بما وجدوه ، فظنوه واعتقدوه ، وليتبع سبيل المعدلة
 فلا يعدو [ها] عائدةً إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الديرة والكائس بسائر
 البلدان ، ولا يعترض عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقدم منهم
 إلى رتبة إلا من استصلحه ، ولا يرحح إلى منزلة إلا من رشحه إليها ورجحه ، متبعاً
 في ذلك ما بينه له العدل وأوضحه ، مرتجع الرتبة ممن لم تكن الصدور لتقدمته
 منشرحه ، مجمعا لغيره في الإيراد والإصدار على اعتماد المصلحة ، وقد أوضحنا له ولهم
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وليسأل الله ربه
 السلامة فيما له يفعل وبه يفوه ، والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة ، كتب به للشيخ المؤمن ، في شهر
 سنة أربع وستين وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي نثرت لواء دولتنا في الآفاق . فأوى كل أحد
 إلى ظلّه ، وبسطت معدتنا في البلاد على الإطلاق . فمنحت الخاص والعام من بوابه
 بوابه وظلّه ، وأصطنعت بأممها ملوك المال وحكام الطوائف ونطقوا عن أمرنا

فى عَقْدِ كُلِّ امْرٍ وَسَطَهُ ، وَالشَّهَادَةِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ الَّتِي تُنَجِّحُ أَمَلَ الْمُخْلِصِ فى قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ،
 وَتَفْتَحُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِهَا أَبْوَابَ النِّجَاةِ فَيُصْبِحُ فى أَمَانٍ فى شَأْنِهِ كَلِّهِ ، وَالصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ قَدْرًا فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ وَنَقْلِهِ ،
 الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ زِيَادَةً فى رِفْعَةِ مَقَامِهِ وَتَقْرِيرِ لِفَضْلِهِ ، الْمَنْعُوتِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ
 فى مُحْكَمِ كِتَابِهِ الَّذِى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
 أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ الْمُثَلِّىَّ وَسَلَكُوا مَنَاهِجَ
 سُبُلِهِ ، وَهَقَدُوا الدَّمَّ لِأَهْلِ الْمَلَلِ وَأَمْتَوْصَوْا بِهِمْ خَيْرًا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ سَعَةِ حِلْمِهِ
 وَبَلَدِهِ - فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الطَّائِفَةُ الْمَسِيحِيَّةُ ، وَالْفِرْقَةُ الْعِقُوبِيَّةُ ، مِنْ أَوْتٍ تَحْتَ ظِلِّنَا
 الَّذِى هُمُ الْوُجُودُ ، وَسَكَنَتْ فى حَرَمِ ذِمَامِنَا الَّذِى سَارَ نَبُؤُهُ فى التَّهَامِ وَالنُّجُودِ ،
 وَتَمَسَّكَتْ مِنْ طَاعَتِنَا وَاتَّبَاعِ أَوْامِرِنَا بِمَا سَلَفَ لَهَا مِنَ الْهُدَى وَالْعُهُودِ ، وَكَانَتْ
 أَحْكَامُهُمْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فى كُلِّ حَالٍ ، وَتَنْتَظِمُ بِهِ مَصَالِحَ شَمَلِهَا
 لِيَلْبُغُوا بِهَا الْأَمَالَ ، وَيَأْمَنُوا فى مَعْتَقَدِهِمْ فِيهَا مِنَ الْإِخْلَالِ ، وَأَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَطْرِيْرُكَ
 لَهُمْ لَا بُدَّ أَنْ تَرْسُمَ لَهُمْ بَغِيْرَهُ ، لِيَعْتَمِدُوا فى ذَلِكَ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِمْ فى نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ ،
 وَيَسْلُكُ بِهِمْ فى أَحْكَامِهِمْ مَا يَجِبُ ، وَيَعْرِفُ كُلًّا مِنْهُمْ مَا يَأْتِي وَيَذَرُ وَيَفْعَلُ وَيَحْتَنِبُ ،
 وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِمَقْتَضَى مَا يَعْتَقِدُونَهُ فى إِنْجِيلِهِمْ ، وَيُمِشِي أحوَالَهُمْ عَلَى مُوجِبِهِ فى تَحْرِيمِهِمْ
 وَتَحْلِيلِهِمْ ، وَيَزْجُرُ مَنْ خَرَجَ عَنِ طَرِيقِهِ ، لِيَرْجِعَ إِلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَسْوَةٌ رَفِيقِهِ ،
 وَيَقْضَى بَيْنَهُمْ بِمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَيَبَيِّنُ لَهُمْ قَوَاعِدَ دِينِهِمْ فى كُلِّ نَقْضٍ
 وَإِبْرَامٍ ، فَلَمَّا هَلَكَ الْآنَ بَطْرِيْرُكُمْ مَعَ مَنْ هَلَكَ ، رَسَمْنَا لَهُمْ أَنْ يَنْتَخِبُوا لَهُمْ مَنْ
 يَكُونُ لَطَرِيقَتِهِ قَدْ سَلَكَ ، وَأَنْ يَخْتَارُوا لَهُمْ مَنْ يَسُوسُ أُمُورَهُمْ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ ،
 لِنَرْسُمَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ [فَيَقُومُ] بِمَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْهُ وَيَرْجُوهُ .

وكان الحضرة السامية، القديس، المبهجل، الجليل، المكرم، الموقر، الكبير،
الديان، الرئيس، الروحاني، الفاضل، الكافي، المؤمن، جرجس بن القس مفضل
اليقوبي، عماد بن المعمودية، كنز الأئمة المسيحية، منتخب الملة الصليبية، ركن
الطائفة النصرانية، اختيار الملوك والسلاطين: أطال الله تعالى بهجته، وأعلى على
أهل طائفته درجته، قد حاز من فضائل ملته أسماها، وصعد من درجات الترقى
على أبناء جنسه أعلاها، فتره نفسه عن مشاركة الناس، وتكشف بين أهله
في المأكل واللباس، وترك الزواج والنكاح، وأشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء
والصباح، وألقى نفسه إلى الغاية في الأطراح، وساح بخاطره في الفكرة وإن لم يكن
بجسده قد ساح، وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه، وأطرح الملائد لتعلو درجته
بين أهله برفعة مكانه، وأشتمل من علوم طائفته على الجانب الوافر، وعرف من
أوامرهم ونواهيهم ما تقرب به منهم العين والناظر، وطلب من الرب الرؤوف الرحيم
القوة على أعماله، وسأل الإله أن يزین لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله،
فوقع اختيارهم عليه، وسألوا صدقاتنا الشريفة إلقاء أمرهم إليه.

فرسم بالأمر الشريف - لازل إحسانه إلى سائر العالم وإصلا، وجوده لكل
طائفة بارتداد أكفائها شاملا - أن يقدم حضرة القديس المؤمن جرجس المشار
إليه على الطائفة اليقوبية، من الملة النصرانية، بالديار المحروسة والجهات الجارى
بها العادة، ويكون بطريكا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى
آخر وقت، قائما بما يجب عليه من أمور هذه الملة، باذلا جهده في سلوك ما ينبغي
مما ينظم عليه أمره كله، فأصلا بينهم بما يعتقدونه من الأحكام، متصرفا على كل
أسقف وقس ومطران في كل نقض وإبرام، مالكا من أمور القسيسين والرهبان
والشمامسة الزمام، مانعا من زوم أمرا لا يسهغه وضع ولا تقرير، جاعلا نظره عليه

منتقداً بالتحرز في التخيير ؛ زاجراً من يخرج منهم عن اتباع طريق الشريعة المطهرة التي يصح بها عقد الذمة ، ملزماً بسلوكتها في كل ملة فإن ذلك من الأمور المهمة ؛ أمراً من في الديرة من الرهبان بمعاملة المازين بهم والنازليين عليهم بمزيد الإحسان ومديد الإكرام ، والقيام بالضيافة المشروطة من الشراب والطعام .

وليتحدث في قسمة مواريتهم إذا ترفعوا إليه ، وليجعل فصل أمور أهل طائفته من المهمات لديه ؛ وليشفق على الكبير والصغير ، وليتنزه عن قليل متاع الدنيا والكثير ، وليزهد في الجليل قبل الحقير . وفي أطلاعه على أحكام دينه ما يكفيه في الوصية ، وما يرفعه بين أبناء جنسه في الحياة الدنيوية ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك البعاقبة ، وهي :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكل ملى وذمى نصيباً ، وفوق إلى أهداف الرعاية سهما فسهما مامنهما إلا ماشوهد موصياً ، والصلاة على سيدنا محمد الذي أحمد الله له سرى في صلاح الخلائق وتأويها - فإنه لما كان من سجايا الدولة القاهرة النظر في الجزئيات والكليات من أمور الأمة ، وتجاوز ذلك إلى رعاية [أهل] الذمة ؛ لاسيما من سبقت وصية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوصلته منهم بأم إبراهيم ولده عليه السلام ، وقبول هديتهم التي أبقث لهم مزية على تميز الأيام ؛ وكانوا لأبد لهم من بطريك يحفظ سوامهم ، ويضبط خواصهم وعوامهم ؛ ويجمع شمل رهبانهم ، ويراعى مصالح أديانهم ؛ ويحترز أمور أعيادهم ومواسمهم في كل كنيس ، ويدعو للدولة القاهرة في كل تقديس ؛ وتعمل [له] الخيرة في ضط أمور البيع والديرة واختيار الأساقفة

والكُهان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قرآن ، ولا يصالح لذلك إلا من هو بتول ، وكل خاشع عامل ناصب يستحق بذلك أن هذا الأمر إليه يتول .

ولما كان البطريك فلان هو المجمع على صلاحته للبتارية على شعبه ، والتقدمة على أبناء المعمودية من شيعته وصحبه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقرائنه ، وضبط لأفانينه ، وعقل يمنع عن التظاهر بما ينافي العهود ، ويلافي الأمر المعبود . اقتضى جميل الاختيار أنه رُسم بالأمر الشريف - لأبرح يضع كل شيء في موضعه من الاستحقاق ، ويبلغ في الإرفاد لأهل المال والإرفاق - أن يباشر بتارية جماعة اليعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه في هذه الرتبة ، ومن ارتقى قبته إلى هذه المنصبه .

فليباشر أمر هذه الطائفة ، وليجعل معاونته بهم طائفة ، ويضبط أمورهم أحسن ضبط وأجمله ، وأتمه وأكمله ، وأياخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المعروفة ، والعهود المألوفة ، ويلزمهم بما يلزمهم شرعا من كف عن تظاهر ممنوع ، أو عماطى محذور منكر الشرور والشروع ، أو تنكب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا عن الإسلام لا يعدلون عن السلامه .

وأما أمور الديرة والكائس فأمرها إليك مردود ، فاجر فيما على المعهود ، وأقم فيها عنك من يحسن النيايه ، ومن يجمل الإنابة ، ومن يستجلب الدعاء لهذه الدولة القاهرة في كل قداس ، ويعتد التقديس والأنفاس ، وعلى رهبان الأديرة للمساجد والجوامع وظائف لا تنتع ولا تؤخر ، ولا تروح أحدا منهم أنه بها يدكر ، ويشترط على أهلها أنهم لا يأتون طليعة الكفار ، ولا من يحصل منه إلا خير وإلا يحصل الإضرار ، وبالمرهم بحسن الجوار ، والقيام بما هو موظف عليهم للسلمين السفار

وغير السُّفَّار، هذه نُبذة من الوصايا مُقنعة، ولو وَسَّع القولُ لكان ذا سَعَه؛
وفى البَطْريرك من النِّبَاهة ما يُلهِمُه الصُّواب، والله يجعل حسنَ الظنِّ به لا آرتيَاءَ فيه
ولا آرتياب، بِمَنِّه وكرمه!، والاعتماد.....



وهذه نسخةٌ توقيع لبَطْريرك البعاقبة، وهى :

أما بعدَ حمدِ الله الذى خصَّ كلَّ ملةٍ منَّا بِمَنِّه، وأقامَ بأوامرنا على كلِّ طائفةٍ من
نرضاه فَنُحَقِّقُ بِإِحساننا ظَنَّهُ، وجعل من شِيمِنَا الشريفةِ الوصيةَ بأهلِ الكتابِ عملاً
بالسنة . والشهادةِ بوحْدانيته التى نَتَّخِذُ بينها وبين الشُّكِّ والشرك من قُوَّةِ الإيْمَانِ
جُنَّةً، ونَدْحِرُ أَجُورَهَا فنسْمُوها يومَ العَرْضِ إلى أعلى عُرفِ الجَنَّةِ . والصلاةِ والسلامِ
على نبيِّه محمدٍ أكرم من أرسَلَه إلى الأُممِ فأنالَ كَلَاماً من البرايا يُمنِّه، وأعظِم من بعثه فشرع
الدينَ الحنيفَ وسنَّه، وعلى آله وأصحابِهِ الذين لم تزلْ قلوبُ المؤمنين بهم مطمئنَّة -
فإنَّ لدولتنا القاهرة العوارِفَ الحِسانَ، والشِّمَّ الكريمةَ والعطاياَ والإحسانَ،
والفواضِلَ التى للآمالِ [منها] ما يُرَبِّي عليها وَيَزِيدُ، والمآثرَ التى بَحْرُهَا الوافرُ
المديدُ، ولكلِّ ملةٍ من نعمها نوالٌ جَزِيلٌ، ولكلِّ فرقةٍ من مَواهبها جانبٌ يقتضى
التخويلَ ولا يَقْضَى بالتحويلِ، ولكلِّ طائفةٍ من يُمنِّها ومنها منائحُ طائفةٍ بِمزيدِ
التنويلِ، ولكلِّ أناسٍ من معدلتها نصيبٌ يشمَلُ المَلَلِ، وعادةٌ معروفٍ تواترتْ مع
أنها خالصةٌ من السَّامةِ والمَلَلِ، سَجِيَّةٌ سَخِيَّةٌ بنا شَرُفتْ، ومزِيَّةٌ مَرْوِيَّةٌ منَّا أَلِفتْ،
وإنَّ من أهلِ الكتابِ لطائفةً كَثُرَتْ بأبوابنا الشريفةِ عَدداً، وأستصَفَّتْ من مَناهلِ
جُودنا مَورِداً، وأنتظمتْ فى سِلْكِ رعايانا فأضحى سببُ فضلنا لها مؤكِّداً، وكانت
المِلَّةُ المَسيحيةَ، والفرقةُ اليَعقُوبِيَّةَ، لا بُدَّ لهما بعد موتِ بَطْريركها من إقامة غيره،

وتقديم من يرتضى بفعله وقوله وسيره، لتقتدى به في عقد أمورها وحلها، وتحريمها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتهتدى به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكركه من مجموع أحكام الإنجيل ومفرداتها، وينتصب للفصل بين خصومها بما يقتضيه عرفانه، ويظهر لأهل ملته بيانه، حتى لا تجد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تبدي دعاءها وتعيده، فإن سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصى بأهل الكتاب خيرا، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة ما نحسن فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرة وسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كثر الطائفة الصليبية، اختيار الملوك والسلاطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته ارتقاءه - ممن آتفق على شكره أبناء جنسه، وأستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه، وأشتهر بمعرفة أحوال فرقه، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه، وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهابة ولقفار وساح، وأضحى تميمص البطن خاوي الوفاض، قد ترك الطيبات وهجر حرم وأرتاض، وأعتمد في قوله على الإله، وسأل الرب أن يبلغه في أهل ملته مناه .

فلذلك رسيم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على الدعاء لإمامه الشريف، ويديم للأقرين مواد مواهبه المألوفة - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية اليقوبية، ويكون بطريركا عليها على عادة من تقدمه، ومستقر فاعده، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادت بها، إلى آخر وقت، [فليتول ذلك] سالكا من طرق النزاهة ما يجب، فاصلا بين النصارى بأحكام دينه التي لا تخفى عنه

ولا تَحْتَجِبُ ؛ مالِكًا أزمَة كل أُسْقِفٍ وقص ومِطْرَانٍ . مرَّحًا بين القديس
والقسيس والشَّاس والرُّهبان ؛ لتُصَبِّحَ أحكامُ كبريهم وصغيريهم به منوطه ، ومواريتهم
مقسومة بشرعته التي هي لديهم مبسوطه ؛ ويقف كل منهم عند تحريمه وتحليله ،
ولا يخرج في شرعهم عن فعله وقوله ولا يقدم منهم إلا من رضى بتأهيله ؛ وإامر
كل قاص منهم ودان ، ومن يتعبد بالديرة والصوامع من الرجال والنسوان ، برقع
الأدعية بدوام دولتنا القاهرة التي أسدت لهم هذا الإحسان ؛ ويلزم كلاً منهم
بأن لا يحدث حادثاً ، ويكرم نزل من قدم عليه راحلاً أو لايشاً ؛ فإن هذه الولاية
قد آلت إليه ، وهو أدرب بما تنطوي شروطها عليه ، والله تعالى يجعل البهجة [لديه]
مقيمته [والنعمة عليه مستديمه] ؛ والخط الشريف أعلاه ، حجة بموجبه وبمقتضاه ؛
إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لبطرك اليعاقبة أوردتها في "التعريف" قال :

ويقال في وصية بطرك اليعاقبة مثل ما في وصية بطرك الملكة ، إلا فيما ينبه عليه .
ويسقط منه قولنا : « وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب » إذ
كان لا يدين بطاعة الباب الذي هو رأس الملكانيين ، وإنما هو رأس اليعاقبة نظيره
للملكانيين ، ويقال مكان هذه الكلمة « وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك قسيم
الباب وأنتما سواء في الأتباع ، ومتساويان فإنه لا يزداد مضراع على مضراع » .
ويسقط منه قولنا : « وليتجنب البحر وإياه من اقتحامه فإنه يفرق » وثانية هذه
الكلمة إذا كان ملك اليعاقبة مغافلاً [في الجنوب] ولا بحر ، ويسدل بقولنا :
« وليتجنب ما لعله ينوب ، ويتوق ما يأتيه سرا من تلقاء الحبشة حتى إذا قدر فلا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٦ .

يَسْمُ أَنْفَاسَ الْخَنُوبِ . وَيَعْلَمُ أَنَّ نَلَكَ الْمَاءِةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ . وَلَا يَحْفَلُ بِسُودَدِ
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ اللَّيْلِ مُظْلِمَةً وَآيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً . ثُمَّ يُخْتَمُ بِالْوَصِيَّةِ بِالْفَوَى
كَأَنَّ تَقَدَّمَ . وَنَحْوَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

النوع الثاني

(ما هو خارج عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية
مما يكتب لأربابها . وهي ثلاث جهات)

الجهة الأولى

(نجر الإسكندرية . ووظائف فيها على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب الشيوخ وبها وظيفة واحدة وهي النيابة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولايةً ،
إلى أن طرقت الفرنج في سنة سبع وستين وسبع مائة . فاستقرت من حينئذ نيابةً ،
يكتب لنائبها تقليد في قطع الثنين ، « الجنب العالی » مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد نيابة نجر الإسكندرية :

الحمد لله على نعم باسمه الثغر ، مسفرة الفجر ، رافعة القدر .

نحمده حمداً يشرح الصدر ، ويطلع طلع البدر ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تخالف من يخالفها ، وتخالف من يخالفها ، ونشهد أن محمداً عبده

ورسوله أفضل نبي رابط في سبيل الله وجاهد، وكابد في الجهاد أعداء الدين وكايد،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في غمرات الدجى كل غمر، وندبوا
لحماية الدين كريمة وسداد نغر .^(١)

أما بعد، فإن الأهتمام بالثغور هو أولى ما إليه حيد، وعلى مصالحها أعتد، وكان
نغر الإسكندرية المحروس هو المفتر عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحياطة
باتم المزايا، والذي كم شفت شفاؤه من سقم عند ارتشاف، والذي المناغر به
والمرابط كم له بالحسنات من أثلاف، وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له
إلا كل كامل الأوصاف، كافي بما تستدعيه مصلحة أهله من إنصاف، ذو عزم
يمضى والسهم مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل المزيل للشوائب والشوائب،
ومن له حزم يسد نغر المعايب دون كل، لاحظ ومعين، وله سياسة تحفظ بمناتها
الثغور، وتضان الأمور، وله بشاشة تستجلب الثغور، وتوفق ما بين الألسنة
من أولى الود والصدور، وله حياطة بينا يقال: هذا جانبه دمت إذ يقال: هذا
جانبه صعب ممتنع، وبينما يقال ليقظته للمصلحة: هذا صحاب يتجهم إذ يقال هذا
سبل مندفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والسمات،
وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو صاحب أذبال هذا الفخار - اقتضى حسن الرأي

(١) بياض بالأصل ولعله فكانوا اليوم الخ .

(٢) في الأصل « كفت » وهو تصحيف من السبع .

(٣) لله صحاب جهام . أى لآباء فيه . تأمل .

الشريف أن تُفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بشغر الإسكندرية المحروس ،
تفويضا يمضى فى مصالحه لسانه وقلمه ، ويصرف بين الأوامر والنواهي إشاراته
وكله ، ويزين مواكبهُ بطلعته ، ويزيد مهابة ببعده صيته وأشتهار سمعته .

فلباشر هذه الوظيفة مجتلا مواكبها ، مكثرا مراتبها ، موثلا بقواعد الأمن أرجاءها
وجوانبها ؛ ناشرا لواء العدل على عوالمها ، قابضا بالإنصاف لمظلوم رعيته على يد
ظالمها ؛ معلما منار الشرع الشريف بمعاضدة حكامه والانتقاد إلى أحكامه ، والوقوف
فى كل أمر مع تقضيه وإبرامه ؛ وليحرس جوانب هذا الثغر ويحميها ، وليصن عوارضه
وما فيها ومن فيها ؛ وليكلاه برا وبحرا ، ويرىخ عليه من ذبه سترافسترا ؛ وليتجمع
لسافرتيه طلبا ، وليبلغهم من العدل والإحسان أربا ؛ وليجمل معاملة من وجد منهم
فى سفره نصبا ، واتخذ سبيله فى البحر عجبا . والرعية فهم طراز الممالك ، وعنوان
العمارة الذى من شاهده فى هذا الثغر علم ما وراء ذلك ؛ وأحسب إليهم وأراف بهم ،
وبلغهم من عدل هذه الدولة غاية أربهم ؛ وأمور الخمس والديوان فلها قواعد
مستقره ، وقوانين مستمره ؛ فاسلك منها جددا واضحا ، وأبتغ لها علما لا يحا ؛
وغير ذلك فلا يكاد على فهمك يخفى ، من تقوى الله التى بها تكفى عين المضار
وتكفى ؛ والله تعالى يلهمك صوابا ، ولا يجعل بين حجاجك وبين المصالح حجبا ،
بمنه وكرمه ! .

(١) موثلا ممكنا . من وثل الشيء أصله ومكته .

(٢) (لسافرتيه) هم المسافرون .

الصنف الثاني

(من الوظائف التي يكتب بها بئغرا الإسكندرية - الوظائف الدينية،

وكلها توابع، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى^(١)

(ما يكتب منها في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(القضاء)

وهو الآن مختص بالمالكية، وقاضيا يتحدث في نفس المدينة وظاهرها،
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها.

وهذه نسخة توقيع بقضاء بئغرا الإسكندرية للمالكي، كتبت به للشيخ «وجيه الدين
محمد بن عبد المعطى الإسكندري المالكي» وهي:

الحمد لله رافع قدر من نوه العلم بذكره، ونور التقي مواقع فكره، ونبه الورع على
رفعة قدره، وأشرق به منصب الحكم العزيز إشراق الألق بطلوع بديره، وأضاءت
بنور أحكامه غوايض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بغرة فجره، وقضى له دوام
الإصابة في الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسعى الاجتهاد مقتضياً لأجره،
ومأى صدره بأنواع العلوم الدينية فوسع له السرى الشريف صدر مجلسه وأعدله
مجلس صدره، وزحر من خاطره بحر العلم فارتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد دُرّه،

(١) لم يذكر الثانية في إبان.

وأسفر وجهُ الدين بنور علمه وعمَلِه : فقام هذا مقامُ السرور في أسارىه وناب هذا
منابُ الشنب في ثغره .

نحمده حمداً يزيدُ قدرَ النعمِ تنويهاً ، ويُسوِّغُ في المحامدِ تعظيماً لمُسدي المنة وتزويهاً ،
وينهضُ بشكر التوفيق في اختصاصِ منصبِ الحكمِ بمن كان عند الله وجيهاً .

ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتُرُ ثغورَ الإسلامِ بإدامتها ،
وتبني قواعِدَ الإيمانِ على إقامتها ، وتشميمُ بوارقِ النصرِ على جاحدها من أثناء
غمامتها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنارتِ الآفاقُ بملئته ، ودارتِ أداةُ
التشبيهِ بين أنبياءِ بنى إسرائيلِ وعلماءِ أُمَّته ، وضاهى شرعه شمسُ الظهيرةِ في وُضوحِ
أحكامِهِ وظهورِ أدلته ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عملوا بما علموا ،
وجاهدوا أعداءَ الله فما ضعفوا لذلك ولا المُوا ، وقضوا بالحق بين أُمَّته فلا المَقضى -
لهم أثموا ولا المَقضى عليهم ظلموا ؛ صلاةٌ لا تزالُ لها الأرضُ مسجداً ، ولا يبرحُ
ذِكْرُها مُتِمِّها في الآفاقِ ومنجداً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعدُ ، فإنَّ أولى من قُدِّ الحكمِ وإن نأى بو الورعِ عن توقُّعه ، وخُطبُ للقضاءِ
وإن أعرَضَ به الزهدُ عن طَلابه وتبَّعه ، ودُعِيَ إليه إذ الإجابةُ عليه متعيِّنه ،
ووضعتُ مقاليدَهُ بحكمِ الاستحقاقِ [في يديه] إذ أولويتهُ البيئَةُ لا تحتاجُ إلى بيئته -
من عُقدتِ على تعينه لهذا المنصبِ الجليلِ الحناصِرُ ، ودعتِ إلى استدائه
إليه فضائلُهُ الثابتةُ القواعدِ وزهادتهُ الزاكيةُ الأواصرُ ؛ ودلتْ عليه علومُهُ دلالةُ
الأضواءِ ، على لوائحِ الشُّهبِ ، ونبَّهتْ عليه فنونهُ تنبيهَ الأنواءِ ، على مواقعِ السُّحبِ ؛
وشهدَ بورعه المتينِ ، تفقُّههُ وأعتراله ، وأنبأ عن نهوضه بنصرةِ الدين ، قوةُ جداله
الذي هو جلالٌ مثله ونزاله ؛ وتبجَّرُ في أنواعِ العلومِ حتى جاورَ البحرَ بمثله ولكنَّهُ

العذب الزلال ، وشغل نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلى بعبادة الله ثمرة ذلك
الإشتغال ، ومشى على قدم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يُشَقَّ فى ذلك المضارِ غبارُهُ ،
ونشأ على طريقة العلم والعمل : فهاره بالانقطاع إليه ليلاً ولبه بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنية لنفسها ، وتشوقت إلى الإضاءة
بطلوعه فى أفقها تشوق المطالع إلى الإضاءة بطلوع شمسها ، وأثنى لسان القلم على
فضائله وهو يعتذر من الاختصار ، واقتصرت البلاغة على اليسير من التعريض
بوصفه وطالب ما لا يحصر معدور فى الاقتصاد والإقتصار ، وعين لما تعين عليه من
مصالح الأئمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يجيب ، وطلب لعموم مصالح
الإسلام التى ما ينبغى لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثلها أو يغيب ، وكان
ثغر الإسكندرية المحروس من المعاقل التى يفتقر عن شنب النصر ثغرها ، ومن أركان
الدين التى يفتقر بأبطالها بحرها ، وهى مأوى صلحاء الجهاد الذين سبهم ليلهم
أسبق إلى العدا من سبهم ، وموطن العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعدل دم
الشهداء مداد أقلامهم ، وهى داره التى تزهى به نواحيها ، وموطن رباطه الذى يوم
وليلة منه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نخص
منصب حكيمها بعالم أفقها المنير ، وزاد ثغرها الذى ماشام برقه بصر عدو إلا وأنقلب
إليه خاسئاً وهو حسير ، أن نفوض إليه منصب القضاء والحكم العزيز بثغر
الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقدمه فيه ، نظراً فى عموم ذلك الثغر
المحروس به (٩) إلى من انعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووفور ورعه
وكمال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صلحاء المتعبدين الذين الخ .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطاً وحرر .

فليأشر هذا النصب الذي ملأك أمره العلم والتقى ، ونظام حكمة العدل والورع وهما أكل ما به يرتقى ؛ وليحكم بما أراه الله من قواعد مذهبه المحكمه ، وأحكام إمامه التي هي بمصالح الدين والدنيا محكمه ؛ وليقض بأقوال إمام دار الهجرة التي منها صدرت السنة إلى الآفاق ، وعنهما أخذت ذخائر العلم التي تزكو على كثرة الإنفاق ؛ وبها حتمت الأحكام الدينية موطأ الأكف ، وفيها استقام عمود الأمة ممدود الطرف على سائر الأطراف ؛ فليس من ذلك وغيره جميع ما كان يليه من تقدمه ، وتقتضيه قواعد ولايته التي أمضينا فيه لسانه وقلمه .

فأما ما يدخل تحت هذا الإجمال من آداب القضاء وقواعده ، وأدواته وعوائده : من تخصيص الحكم بأوقاته ، ومساواته بين الخصمين في إنصافه وإنصاته ؛ واجتناب الحكم في الأوقات المقتضية لتركه ، وتوقى نقض الأحكام التي نظمها عدم مخالفة النص والإجماع في سلكه ؛ فإنه مكتفٍ بالإجمال عن تفصيلها ، مكتفٍ عن ذكر كثيرها بالإيماء إلى قليلها ؛ إذ هو أدرى بأوضاعها شرعاً وعرفاً ، وأدرب بما قد يشد منها عن المعية أو يخفى ؛ وملاك الوصايا تقوى الله تعالى وهي من خصائص نفسه ، وفواتح ما ابتدأ الورع بإتقان درسه ؛ والله تعالى يؤيد حكمه ، ويعلي علمه ؛ بمنه وكرمه ! والاعتماد إن شاء الله تعالى .



وأعلم أنه كان فيما تقدم قد وليها قاضٍ شافعي .

وهذه نسخة توقيع بقضائها ، كتبت به للقاضي «علم الدين الإخنائي» الشافعي ،

في ثامن شعبان سنة ثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله الذى رفع لنا فى كل نغر علما ، وأجرى لنا فى جوار كل بحر ما يضاويه
كرما ، وجعل من حكام دولتنا الشريفة من يعرف بنسبه الإنسانى بل السنائى أنه
يخو من الظلم ظالما .

نحمده على أن زادنا نعما ، ووفر للأحكام الشرعية بناقسما ، وأغلى قيما . [فأضحت]
تساقس الأثر الثمين قيما ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجرد
لإقامتها سيفنا وقلما ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى جعل لنا شريعة مادية
وديننا قيما ، ونصب من أئمة أتباعه كل علم يهدى أئمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة باقية ما بقيت الأرض والسما ، وسلم تسليما .

وبعد ، فإن أولى الثغور بأن لا يزال به علم مرفوع . وعلم مصون حجاب المنوع ،
وعمل يمشى به أئمة الأمة على طريقه المشروع ، نغر الإسكندرية - حماها الله
تعالى - فإنها من دار الملك فى أئمة مقام ، ومن مجاورة البحر فى موطن جهاد تحفيق
به الأعلام ، وغالب من فيها إما فقيه يتسك بالشريعة الشريفة فى علو علومه ،
أورث له وقوف مجلس الحكم العزيز ينصف من خصام خصومه ، ولم تزل
وظيفة القضاء بها أهلة الصدور ، كاملة البدور ، متهالمة بما لا يفوت الشنب كبارق
الجزع إذا حكى إيماض الثغور ، وكان لها مدة قد حلت ونحن نفكر فيمن يكون
سدادا لنورها ، وكافيا فيما يهيم فى الأحكام الشرعية من أمرها ، وكانلا من الحق الذى
أمر الله به بما يبق النفوس ، وقائما فى مدارسها بما يزيد معالمها إشادة فى الدروس ،
حتى أجمعت آراؤنا الشريفة على من يحسن عليه الإجماع ، وتخصم به دواعى النزاع ،
ويحسد علمه علم الشمس لما علا عنها من كوة الأرتفاع ، ومن يتضوع بنشر العدل

في يُعْنَى كفه العلم ، وإذا وقفت به الركائب قالت : ياسارى القصد هذا البار والعلم ، وكان المجلس السامى التفضائى العلبى الإسنانى الشافعى ، أدام الله علوه هو العلم المنشور ، والعلم المشهور ، والمراد بما تقدم من وصف مشكور ، فقتضت مراسمتنا المطاعة أن تُنَاط به من الأحكام الشرعية التضايا ، وأن يَسِم هذا الثغر بحكمه عن واضح الثنايا .

فلذلك رَسِم بالأمر الشريف ، العالى ، الموأوى ، السطانى ، الملكى ، الناصرى : زاده الله شرفا ، وضاعف له تصرفا - أن يَمُوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية - حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المسبقة إلى آخر وقت ، على أنه يستنبط عنه فى تحمله وفيما شاء منه من هو موصوف بصفته ، موثوق بدينه وعلمه ومعرفته ، ولينتصب فى مجلس الحكم العزيز لمن ينصف ، ويعمل بما يرضينا من مرضى الله تعالى فإن للعيون أن تنظر وللألسنة أن تصف ، ولينظر فى أمر الشهود فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم تُبنى ، وليحترز من الوكلاء فإن منهم من يجعل العاق يميناً واليمين ظناً ، ولينظر فى أمور الأيتام ويتصرف فى أموالهم بالحسنى ، وليقيم الحدود ، على مقتضى مذهبه ، وليقول فى العقود ، على من لا يخاف معه أمرؤ على إلحاق فى نسبه ، وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه ينتهى مفترقه ومجتمعه وبحكمه يفصل أمره أجمعه ، وليتخذ الله تعالى عليه رقيباً ، ويعلم أنه سيرى كل ما يعمل عند الله قريباً ، وتسمى الله هى التى نتخذ معه عليها عهداً مسئولاً ، ورجاء مأمولاً ، وقولا عند الله وملائكته وأنبيائه مقبولاً ، ونقلده منها على كل مخالف سيفاً مسلولاً ، ونحن نرغب إلى الله أن يوفقه فى حكمه ، ويعينه على كل ما يئلى من الوصايا بما هو مولى به من عمله وعلمه ، وانلخط الشريف أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وكان قد استُحدث بالإسكندرية قاض حنفى فى الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » يُوثى من الأبواب السلطانية رفيقاً للقاضى المالكى بها ، يتحدث فى الأحكام فى القضايا المتعلقة بمذهبه خاصة ، وأمر مودع الأيتام ونظر الأوقاف ، وغير ذلك من متعلقات قضاء القضاة مختص بالمالكى ، ثم صارت بعد ذلك تارة يوثى بها حنفى كذلك ، وتارة تشغره منه . فإن وليها حنفى ، كتب له فى قطع الثلث كما يكتب للقاضى المالكى ، وليس بها الآن شافعى إلا نائباً عن المالكى ، ولا حنبلى بها أصلاً .

الوظيفة الثانية

(الحسبة بشغر الإسكندرية)

ومحتسبها يمضى تحفته فيما يختص به قاضيهما ، وليس له ثواب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة بشغر الإسكندرية .

الحمد لله الذى جعل المناصب فى أيامنا الزاهرة محفوظة فى أكفائها ، مضمونة لمن تقاضت [له] من الإقبال ر [د] جفائها ، معدوقة فى مالها إلى من زانها بمعرفته الحسنة بحسن بمن دأت كفاءته وكفايته على أنه أولى بتقربها وأحق باصطفائها .

أحمدته على نعمه التى لم تُحجب فى إحساننا أملاً ، ولم تُضيع سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حتى أشرف ما فاه به اللسان ، وأفضل ما تعبده به

(١) بياض بالأصل . وعلوه "بمعرفة الحسنة وحسن بها" ، مخصوصة بمن أحسن .

الإنسان ، وأرفع ما بُلِكت به في الدنيا والآخرة عِظامُ الرُّتبِ الحِسانِ ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحلَّ الطَّيباتِ وأباحها ، وأزال الشُّبهاتِ وأزاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسَّكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسنَّته بعده محافظتهم عليها في أيامه ، صلاةً يتوقَّد سراجها ، ويتأكَّد بها أنتساقُ السنَّةِ وانتساجُها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أولى من رجع فيه حقُّ منصبه إلى نصابه ، وردَّ به واجبُ رتبته إلى من جعلته سوابقُ سيرته أولى به ، وتفاضت له سيرته عواطفَ كرمنا ، ونهضت نزهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ، وأغنته أوصافه عن تجديد ثناء يُستعادُ به برُّنا القديم ، ويستدام له به فضلنا العميم ، وتستدر به أخلاف كرمنا الذي تساوى في عمومه الظاعن والمقيم - من زان التقي أوصافه ، وكثت العقَّةُ معرفته وإنصافه ، وتولت الديانة نظره فيما عُدق [به] من مصالح الرعايا خصوصاً وعموماً ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأمر الأوقات بأن جعل لكل منها في الجوده حدًا معلوماً ، وبأشر ما فوض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعول عليه في حِسبة أعز الثغور لدينا فتصبح الرعايا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل تُنكر الإضاءة للسراج ، وتسوّفت إليه رتبته فلم يكن لها إلا إليه ملاذ وإلا عليه معاج ، فسلك من السير أرضاها لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن عاقبته وسلامة غيبه ، ومن الاجتهاد في مصالح الرعايا ما يُضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخيرة ما يُعرف كلاً منهم كيف يكون اكتساء البرية في اكتسابه - رُسم أن يستقر^(١) .

(١) بياض بالأصل وهو معلوم مما تقدم وحذفه اختصاراً في الكتابة .

فأبستمر في ذلك على عادته التي ناضلت عنه فأصابته ، وقاعدته التي دعت له
عواطف نعمنا فأجابته ، وأيزد في التحذير والتحقيق ما أستطاع ، ويناقش حتى
يستقر على الصحة فيما يباع أو يبتاع ، ويقابل على الفسح بما يردع متعاطيه ، ويزجر
صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يوافقته على ذلك ويواطيه ، ويثتر أموال
الأحباس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها ومحصولها ، وإمضاء مصارفها
على شروط واقفيها إن علمت ومزية (؟) ما تقدم من شكره والثناء عليه ، وملاك
ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ما تقدم من أوصافه ، والرفق بالرعايا وإنه
من أحسن حلي معرفته وإنصافه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(نظر الصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من تجار الفرح الواردين إلى الإسكندرية ،
وعليه مرتبات لناس مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، ينفق عليهم بمقادير معلومة
من متحصل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر الصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر
«فرج بن الظاهر برقوق» للقاضي ناصر الدين «محمد الطنّاحي» إمام المقام الشريف
السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من ساطننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصه من
فائض كرمنا المتتابع ومننا المترادف باكرم وازد وأبر صادراً ، وبوأه من فضلنا المنيف
أفضل مبرراً . فتارة تتم به الملوك وتارة ينضب الكفاة على رؤوس المنابر .

نحمدُه على أن جعلنا نَتَّبِعَ في الِوِلايَاتِ نَهْجَ الصَّوَابِ وَنَقْتَفِيهِ ، وَآثَرْنَا مِنْ أَثَرَةِ
 الأَبُوَّةِ بِأَعْلَى مَوَاقِعِ الإِجْتِبَاءِ وَالوَلَدُ سِرُّ أَبِيهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ
 لا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَذَلَّ طُغَاةَ الكُفْرِ بِقَمْعِ آثَانِ كِبَرَاتِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمُ الصَّغَارَ بِمَالٍ
 يُؤْخَذُ مِنْ أَقْوِيَاءِ أَغْنِيائِهِمْ فَيُفَرِّقُ فِي ضِعْفَاءِ المُسْلِمِينَ وَفُقَرَاءِهِمْ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
 وَرَسُولَهُ الَّذِي نَدَّبَ إِلَى مَبَرَّةِ أَهْلِ الفَضْلِ وَذَوِيهِ ، وَرَغَّبَ فِي رِعايَةِ المودَّةِ لِلآبَاءِ
 بِقَوْلِهِ : «إِنَّ مِنْ أَبْرَارِ الرِّجَالِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ عُدَّتْ بِهِمْ مَهْمَاتٌ ، فقاموا بِحَقِّهَا ، وَوَكَلَتْ إِلَيْهِمُ جَلَائِلُ الِوِلايَاتِ ، فَأَحْرَزُوا
 بِجَمِيلِ التَّأثيرِ قَصَبَ سَبَقِهَا ، صَلَاةً يَبْقَى عَلَى مَدَى الأَيامِ حُكْمُهَا ، وَلا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَرَّةِ
 الزَّمانِ رَسْمُهَا ، وَسَلَّمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإن من كَرِيمِ سَجَايَانَا الَّتِي جُبِلْنَا عَلَيْهَا ، وَشَرِيفِ شَيْمِنَا الَّتِي يَجْذِبُنَا طَيْبُ
 العُنْصُرِ إِلَيْهَا ، أَنْ نَحْضَرَ أَحْضَرَ الأَوْلِيَاءِ بِأَسْنَى الِوِلايَاتِ ، وَنُخِيفَ أَصْفَى الأَصْفِيَاءِ
 بِنَهائِهِ غَيْرِهِ فِي البِدايَاتِ ، وَنُزَفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ظَهْرُهُ لِلْمُلُوكِ مُحْرَابًا ، وَنُتَوَّهَ بِذِكْرِ مَنْ
 رَغِبَتْ فِيهِ الوِظَانُ فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنِ سِوَاهِ إِضْرَابًا .

وَكانَ المَجْلِسُ السَّامِيُّ ، القَاضِيِيُّ ، العالِمِيُّ ، العامِلِيُّ ، الفاضِلِيُّ ، الكامِلِيُّ ،
 البارِعِيُّ ، البليغِيُّ ، الماجِدِيُّ ، الأوحِدِيُّ ، الأثيرِيُّ ، الأثبَلِيُّ ، العَرِيقِيُّ ، الأصيلِيُّ ،
 الخَطِيبِيُّ ، النَّاصِرِيُّ ، مُجَدُّ الإِسْلامِ ، بهاءُ الأَنامِ ، شَرَفُ الرُّؤساءِ ، أوحِدُ الكِبراءِ ،
 صَدْرُ الأَعْيانِ ، جَمالُ الخُطباءِ ، جَلالُ النُّظارِ ، صَفوةُ المُلُوكِ والسُّلاطينِ ، أَبُو عَبْدِ اللهِ
 مُحَمَّدُ ، ابْنُ المَجْلِسِ السَّامِيِّ ، الجَمالِيُّ ، المَرحومِ عَبْدِ اللهِ الطَّنَّاحِيِّ ، إمامِ المَقامِ الشَّرِيفِ :
 أدامَ اللهُ تَعالَى رَفْعَتَهُ - قَدِ طالَتْ في المَخالِصَةِ قُدْمَتُهُ ، وَوَفَّرَتْ مِنْ صِدْقِ المُوالاتَةِ
 قِسْمَتَهُ ، فَرُفِعَ عَلَى الأَبْتِداءِ خَبْرُهُ ، وَنَصِبَ عَلَى (١) تَقَدَّمَ فَحُمِدَ فِي الأَخْتِيارِ

(١) يابض بالأصل ، وإمامه "الندح أو التعظيم" .

أثره، وكانت وظيفتنا نظير الصادر وخطابة الجامع الغربى بشفر الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى وحماه، وصان من طروق العدو المخدول حماه - من أرفع الوظائف قدرا، وأميزها رتبة وأعلاها ذكرا - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولايتهما إليه، ونعتمد في القيام بمصالحهما عليه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء في كل حين مجتده - أن يستقر المشار إليه في الوظيفتين المذكورتين عوضا عن كانتا بيده، بما لهما من المعلوم، ويُفسح له في الاستنابة على عادة من تقدمه في ذلك : استنادا إلى أمانته التى بلغت به من العفة منهاها، وكفايته التى تجز المتكفون عن الوصول إلى مداها، وفصاحته التى أعجزت ببراعتها الخطباء الأمايل، وبلاغته التى قضت بالعى على قس إياي وحكمت بالفهامة على سبحان وائل .

فليتلق ما أسند إليه بيده الطولى وباعه المديد، وليقابل هذه النعمة الحفيلة بالشكر فإن الشكر مستلزم للزيد، عالم أن نظر الصادر يقدمه أهل الثغر على عامة الوظائف مادق منها وما جل، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قل، فليحسن النظر فيه وزدا وصدرا، ويميز ريعه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظرا ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع الثغر الإسكندرى قدرا، وأعظمها فى الأقطار صيتا وأسيرها فى الآفاق ذكرا، يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويلى بخطبته سكان الوهاد والهضب، فليرق منبره رقى من خطبه المنبر لخطبته، وعلم علو مقامه فقابله بعلو رتبته، ويشنف الأسماع بوعظه، ويشج القلوب بلفظه، ويحي العقول بتدكيره، ويبك العيون بتحذيره، وليعد للجامع ما تعودته من الإسعاد،

ويجدد مدرّس من معالم خطّابته حتى يقال : هذا ابن المنير قد عاد ؛ وعماد الوصايا تقوى الله فهي ملاك الأمور كلّها ، وعليها مدار أحوال الدنيا والآخرة في عقدها وحلّها ؛ وهاتان مُقدّمتا خير فليكن لنتيجتهما يرتقب ، ولا يقطع بالوقوف معهما رجاءه « فأقول الغيث قطر ثم ينسكب » ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة فيه بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث

(من الوظائف التي يكتب بها بغير الإسكندرية المحروس ،
الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبر بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل^(١)
المقدم ذكره في جملة الوظائف الديوانية بالحضرة)

وموضوع هذه الوظيفة التحدث في الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصّل من الماخوذ من تجار الفرج ، وسائر المتاجر الواصلة براً وبحراً بالقبض والصرف والحمل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بنظر نثر الإسكندرية ، كتبت به للقاضي «جمال الدين
أبن بصاصة» وهي :

(١) وهو ناظر الخالص المتحدث في الأموال السلطانية كما تقدم .

الحمد لله الذى ^(١) أضحك الثغور بعد عبوسها ، ورد إليها جمالها وأنار أفقها بطلوع شمسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُشرف على دروسها ، وأقام لمصالح الأمة من يشرق وجه الحق ببياض آرائه ، وتلتد الأسماع بتلاوة أوصافه الجميلة وأنبيائه .

نحمده حمد من أسبغت عليه النعماء ، وتهادت إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قدر قائلها وتعليه ، وتغز جانب متحلها وتُدنيه ، وأن مجدا عبده ورسوله أفضل نبي رابط وجاهد ، وأكرم رسول جنح للسلم بأمر ربه فهادت وعاهد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وأشياعه وحزبه .

وبعد ، فأحق من ماس فى أردية الرياسة عطفاً ، وأستجلى وجوه السعادة من حجب عزها فأبدت له جمالا ولطفا ، وأصطفته الدولة القاهرة لمهمات لها رآته خير كافل ، وتنقل فى مراتبها السنية تنقل النيرين فى المنازل ^(٢) .

ولما كان فلان أدام الله رفعة ممن أشارت إليه هذه المناقب الخليله ، وصارت له إلى كل سؤال نعم الوسيله ، رسم بالأمر الشريف - لا زال ... أن يستقر فى نظر نعر الإسكندرية المحروس ويباشر هذا المنصب المبارك بعزماته الماضيه ، وهممه العاليه ، برأى لا يساهم فيه ولا يشارك : ليصبح هذا الثغر بمباشرة باسمه حاليا ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانيا ، وينتصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقرر قواعده بعالي همته ، ويجتهد فى تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، وأستخراج زكاته

(١) تقدمت فى صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء بعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناصح والأصل أحق من ماس ... من كان لخلل العفاف لابسا ، ومن نور الايقان قابسا ، الى غير ذلك من الأوصاف .

وتمية متاجره ، ومعاملة التجار الواردين إليه بالعدل الذي كانوا ألفوه منه ، والرفق الذي نقلوا أخباره السارة عنه ، فإنهم هدايا البحور ، ودوابة الثغور ، ومن ألسنتهم يُطلع على ما يُجنه الصدور ، وإذا بذر لهم حب الإحسان نشروا له أجنحة مراكيهم كالطيور ، وليعتمد معهم ماتضمنته المراسيم الشريفة المستمرة الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلك معهم حالة تُوجب لهم القلق والتظلم والمقت ، وليواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور ، ويملا الخزائن السلطانية من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرور والبحور ، وليصرف همته العالية إلى تدير أحوال [المتاجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رؤس أموالها وتتمى ، وتجود سحائب فوائدها وتهمى ، وليراع أحوال] ^(١) المستخدمين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سريهم في جهاتهم ، ليتحققوا أنه مهيم عليهم ، وناظر بعين الرأفة إليهم ، فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانة ، وتتحلى أنامل الأمين بحاسن الصيانة ، وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه منا بما يشرح الصدور [ويطيب النفوس] ^(١) وليتناول من المعلوم على ذلك في غرة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ، والله تعالى يتولاه ويعضده ، ويؤيده ويستدده ، بمنه وكرمه ! .

قلت : وربما كتبت لناظرها توقيع مفتوح «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر ثغر الإسكندرية ، وهي :

أما بعد حمد الله مفيض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العيمة على من أرهف في مصالحنا عزمه وبنانه ،

(١) الزيادة مما تقدم في صفحة ٤١ من هذا الجزء .

وَمَحَلِّي رَتَب عَلَيَانَا الشَّرِيفَةَ بِنِ أَشْرَفِ فِي سَمَاءِ الْمَعَانِي بَدْرُهُ وَإِنْسَانُهُ ، وَأَيْنَعَتْ
 فِي غُصُونِ الْأَمَانِي قَطْرُفُهُ وَأَفْسَانُهُ ، وَمُبَلِّغِ أَقْصَى غَايَةِ الْمَجْدِ فِي أَيَامِنَا الزَاهِرَةِ بِنِ
 تَبْتَسِمُ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ الدُّغُورِ ، وَتَعْتَصِمُ بِحَمِيدِ خَبْرِهِ وَخَبْرَتِهِ الْأُمُورِ ، وَتُشْرِقُ مِنْ جَمِيلِ
 تَدْيِيرِهِ الْبُدُورِ ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى هِمَمِهِ الْأَيَّامِ وَالدهُورِ . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ
 الْمَسَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ ، وَالنَّاشِرِ لَوَاءِ الْعَدْلِ بِسَنَنِهِ الْوَاضِحِ وَشَرَعِهِ
 الْقَوِيمِ ، وَالْمُنْجِزِ لِمَنْ أَقْتَنَى سُبُلَهُ أَوْفَى تَكْرِيمِ ، وَأَوْفَرُ حَظًّا عَظِيمِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
 مَا أَهْتَدَى بِهَدْيِهِمْ ذُورُ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ ، وَآرْتَدَى بِأَرْدِيَّتِهِمُ الْمُعَلِّمَةِ مَقْتَنِي الْأَنْارِ -
 فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ أَسْتَدْنَا إِلَى نَظَرِهِ الْجَمِيلِ رُتْبَةً عَزَّ مَا زَالَتْ طَيُورُ الْأَمَالِ عَلَيْهَا تُحُومُ ،
 وَعَدَقْنَا بِتَدْيِيرِهِ الْجَلِيلِ مَنِصَّبَ سِيَادَةِ مَا بَرِحَتْ الْأَمَانِي لَهُ تَرُومُ ، وَأَعْتَمَدْنَا عَلَى هِمَّتِهِ
 الْعَالِيَةِ فَصَدَّقَ الْخُبْرُ الْخَبَرَ ، وَرَكَكْنَا إِلَى حَمِيدِ رَأْيِهِ فَشُهِدَ السَّمْعُ وَأَدَّى النَظْرُ .^(١)

وَمَا كَانَ فُلَانٌ يَهُوَ الَّذِي أَنْسَقَ فِي ذِرْوَةِ هَذِهِ الْمَعَالِي ، وَأَنْتَظِمُ بِهِ عِقْدَ هَذِهِ
 اللَّاتِي ، وَحَوَى بِفَضِيلَةِ اللِّسَانِ وَالْبَيَانِ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ الْمُرَدِّقَاتُ وَالْعَوَالِي ، فَمَا حَلَّ
 ذِرْوَةَ عَزَّ إِلَّا وَحَلَّهَا بِنَظَرِهِ الْجَلِيلِ ، وَلَا رَقِيَ رُتْبَةَ سِيَادَةِ إِلَّا وَأَسْفَرَ فِي ذِرْوَتِهَا وَجْهٌ
 صُبْحَهُ الْجَمِيلُ ، وَلَا عُدِقَ بِنَظَرِهِ كِفَايَةُ رُتْبَةٍ إِلَّا وَكَانَ لَهَا خَيْرَ كَفِيلِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ يَنْتَصِي لِلرَّتَبِ الْعَالِيَةِ خَيْرَ مُنْجِدٍ وَمُيْمِرٍ ،
 وَيَمْتَطِي لِلْمَنَاصِبِ السَّنِيَّةِ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... فَإِنَّهُ الْقَوِيُّ
 الْأَمِينُ ، وَالْمَتَمَسِّكُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَمِرَاقِبَتِهِ بِالسَّبَبِ الْمَتِينِ ، وَالْمُسْتَدِّدُ بِجَمِيلِ
 كِفَايَتِهِ ، وَحَمِيدِ دِيَانَتِهِ ، إِلَى حِصْنِ حَصِينٍ ، وَالْمُسْتَدْرِي بِأَصَالَتِهِ وَإِصَابَتِهِ إِلَى
 الْجُنَّةِ الْوَاقِيَةِ وَالْحَرَمِ الْأَمِينِ ، فَلْيَقْتَنِمُ خَيْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَبَاشَرَةِ الْوِظَافَةِ الْمَذْكُورَةِ بِعَزْمِ

(١) لم يذكر خبراً إلا وهو معلوم من عبارات السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار وينتقى .

لا يَنبُو، وهمّة لا تَنبُو، وتدير يتضاعف على ممر الأيام ويربُو، ونظر لا يعزب عن مباشرة فيه مثقال ذرة إلا وهى من خاطره فى قرار مكين، وضبط لا تمتد معه يد لاس (١) [اليها] إلا ويجد من مرهفه ما يكف كفها عن الخيانة بالحق المبين؛ وليضاعف همته فى مصالح هذه الجهة التى عدقناها بنظره السعيد، وليوفر عزمته فإن الحازم من ألقى السمع وهو شهيد؛ والوصايا كثيرة ومثله لا يدل عليها، والتنبيهات واضحة وهو - وفقه الله - أهدى أن يرشد إليها؛ والله تعالى يوفقه فى القول والعمل، ويصلح بحملى تديره وحميد تأتبه كل خلل؛ بمنه وكرمه!

الطبقة الثانية

(من يكتب له فى قطع الثالث بـ «المجلس السامى» بغيرياء
أو «مجلس القاضى» وفيها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(كتابة الدرج)

وصاحبها هو الذى يقوم بالإسكندرية مقام كاتب السر بالأبواب السلطانية فى قراءة المكاتب على النائب، وكتابة الأجوبة وما يجرى مجرى ذلك.

وهذه نسخة توقيع من ذلك:

رسم بالأمر الشريف - لا زال شاملاً فضله، كاملاً عدله، هاملاً بالإحسان وبله، متصلاً بالجميل حبله، ملاحظاً بعين العناية للبيت الزاوى فرعه الطيب أصله، معلماً نجه إلى أسنى المراتب التى لا ينبغى أن يكون محلها إلا محله - أن يستقر فلان

(١) فى الأصل متنسر الا انغ.

فى كتابه الدرّج بشعر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ،
بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصاليته المعرفه ، وغصون نسيه
المورقه ، وآدابه الجمه ، وفضيلته التى أبدى بها علمه ، وكتابته التى حلت المهارق ،
وأبدت من الجواهر ما تمنى لمسه المفارق ، وتذوى لنضارته أزاهر الروض النضير ،
ولتفرد فى الحسن فلا تجد [لها] من نظير ، وتبرز كالعقود فى أجياد الترائب ، وتُنشئ
كُتبا تغنى عن الكتاب ، مع ماله من راسة أثبتت معاليه ، وتناسية أضحت بجواهرها
الأوصاف حاليه ، وصدارة توالى منه فاستوجب بها مزيد الحسن المتواليه ،
قد حوّل فى بكرم الأصل فلا غرو أن أمسى نجيبا ، ودعا بديع اللفظ ولطيف المعنى
فغدا كل منهما لأمره طائعا وبالإذعان مجيبا ، وعلا كوكبه فاضحى فى الرفعة بعيدا
وإن كان فى مرأى العين قريبا ، وزكا من أكابره إلى كل فريد فى سُؤده ، واحد
فى علاه يفوق الجمع فى عدده ، فهو إنسان عين زمانه ، ومالك زمام الإنشاء ومُصرف
عنان بنائه ، ومبرز الحسنات بسيفارته المقبولة وإطلاق بيانه ، فلا غرو أن استوجب
منا ما يقضى له بالمزيد ، وأستحق بأتباع أصله العالم التقى إدراك ما يريد ، وتحل
بمناقبه ومآثره ، وتقل عن عنافه ومفاحره .

فليستمر فى ذلك على أجمل عوائده ، وأجزل فوائده ، سالكا فى ذلك طرائقه
الحميده ، ومناهجه ومناهج أسلافه السديده ، مبرزاً من خطه ما يُجبل به الطروس ،
ويُسّر بمزاياه النفوس ، وينظم كالعقود ، ويلوح للأبصار حسن رونقه [المشهود] ،
والله تعالى يجعل إحساننا لدى بيته الكريم مستمرا ، وأمتناننا العميم عنده مستقرا ،
وتغر العنايه به مفترّا ، بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظرُ دار الطراز بئغرا الإسكندرية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصلاح الدين بن علاء الدين علي بن البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف = لا زال إيثاره ، يُكْرَمُ من غدا صلاحه لحلة العلي طرازا ، وأختياره ، يقدم للمناصب الجليلة من ورث من أبيه نهضةً وأحترارا - أن يستقر فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحققة ، ودرائته المألوفة بركاتها الموقرة وحركاتها الموقفة ، وديانته التي منها الأ كابرُ على ثقته ، وأمانته التي تعتمدُ الحقَّ مستدعيةً ومنفقه ، وصيانته التي هي للواصل حافظةٌ وعلى الحاصل مُشفقة .

فلباشِر هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحُكَّام تُضاف ، وللعلماء الأعلام عليها نظرٌ وإشراف ، ومنها يُسَدَّلُ على أوليائنا لباسُ الإنعام وترسلُ أجناس الإتحاف ، وتُسْرَبَلُ الكعبةُ البيتُ الحرامُ في كلِّ عامٍ بجلبابها المحكم النَّسجِ المُعَلَّمِ الأطراف ، وليصنُ ذهبها عند صرفه وقبضه ، وليزِنَ خزَّها بتقريبِ مشوبه وتحريرِ محضه ، وليبين عن حسن التدبير في إبرامِ حريها ونقضه ، وليستحِبِ رجالها وصناعاتها ، وليجنبِ أحوالها ضياعها ، وليستجدِ أصنافها وأنواعها ، وليتفقَدِ أكتافها ويقاعها ، حتى يُظهِرَ في أعمالها آثارَ الصلاح ، وتُشكِّرَ مباشرةً التي هي محمودةُ الأتباء مسعودةُ الأفتاح ، والله يتقرن رجاءه بالإرباح ، ويؤذِنُ له حيثُ سلكَ بإصابة الصواب والفلاح ، بمنه وكرمه ! .

قلت : ودار الطراز هذه هي التي تُعمل فيها المستعملات السلطانية : مما يُجمل إلى خزانة الخاص الشريف من الأقمشة المختلفة الصنات : من الحرير والمقترح المخصوص بالذهب ، والتفاصيل المنقوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكنان وغيره مما لا يوجد مثله في قطر من أقطار الأرض ؛ ومنه ^(١) تُتخذ الأقمشة التي يلبسها السلطان وأهل دُوره ؛ ومنه تُعمل الخلع والتشريف التي يلبسها أكابر الأمراء وأعيان الدولة وسائر أهل المملكة ؛ ومنه تُبعث الهدايا والتحف إلى ملوك الأقطار . وقد كان يكتب لناظر هذه الدار توقيع عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تقدم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يتحدث فيه كما يتحدث في سائر أمورها ، ومرجع الكل إلى ناظر الخاص بالأبواب السلطانية .

الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حضرتي مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرّيف)
والمراد بالرّيف في أصل اللغة موضع المياه والزّرع .

وقد تقدم أن ريف الديار المصرية وجهان :

الوجه الأول

(الوجه القبلي ، وهو المعبر عنه بالصعيد)

وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك أنه ينقسم إلى صعيد أعلى ، وصعيد أسفل . وقد كانت ولايته العامة في الزمن المتقدم يعبر عن صاحبها

(١) الضمير ناظر على ما تقدم من الحرير والكنان .

«والى الولاية بالوجه القبلى» ثم استمرت نيابة سلطنة على حد تقدمه العسكر بغزة فى رتبة المكاتبه، فى الأيام الظاهرية «برقوق» وهى على ذلك إلى الآن . ونائبها يكتب له تقليد نيابة السلطنة بها فى قطع النصف .

وهذه نسخة تقليد شريف من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين » كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رحم بتعاهد نظيرنا البلاد والعباد ، وحسم بموارد زواجرنا مواد الفساد ، وأحمد فى هذا الوجه لنا الآثار ووطأ بنا المهاد ، وأفرد آراءنا بجميع المصالح على الجمع والإفراد ، وأولى بنا الرعية الخير فى استرعاء من يبذل فى صياتهم الاجتهاد ، وأعلى بنا كلمة العدل فهى تنشر وتُداع وأوهى بنا كلمة الظلم فهى تُقهر وتُداد ، وأجلى بانتقامنا فئة الضلال فلها عن ملكنا الشريف أندفاع وأنطراد .^(١)

نحمده على أن قرن بآرائنا السداد ، ونشكره على أن ضمن أصطفاءنا حسن الارتداد ، وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقوم حجتها ، يوم يقوم الأشهاد ، وتُدوم بهجتها ، علماً للإرشاد ، ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله الذى فضل العالم وساد ، وأجزل المكارم وجاد ، وهدى بشرعه من حاد ، وأردى برذعه من حاد ، وأجرى بجوده النفع حيث كان وأبدى بياسه القمع لمن كاد ، وأحمد بأسيافه الباطل فباد ، وجعل لأنف مخالفه الإرغام ولبحس مجانفه الإرعاد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب الأنجاد ، صلاة لها تضاعف وتعداد ، وبفتكاتهم (؟) للنواب إحماد ، وسلم تسليماً كثيراً .

(١) دعه مراعاة السجع الى استعمال الانفعال من طرد ورض أهل اللغة على أنها لغة رديئة . فتنبه .

وبعد فإن الله تعالى لما أعلیٰ هممنا وأصعدنا، ووفیٰ عزائمنا من النصر موعدها،
 وأسعف بملكنا الرعية وأسعدنا. وضاعف بنا لديهم النعمة وجددها، وأوضح
 بنا سبل المعدلة وجددها. وأنجح بسطاننا آمال الخليفة وأنجدنا - لم نُخل من
 ملاحظتنا أدنى الأقطار ولا أبعدنا، ولم نُغفل من ممالكنا ناحية إلا نحاهما فضلنا
 وقصدنا فأقربها الصالحات وخذنا، وأثر بها المسامحات وأبدنا، ونصر الشريعة
 وأيدنا، وسد الذريعة بأفعال حزم سددها. ووطن أهنيا ووطدنا، وأورد من بها
 موارد الأمن لما وردنا.

ولما واجه إقبالنا في هذه الأيام الوجه القبلي، وصعد إلى الصعيد الأعلى ركابنا
 العلي. لمحنا بلادته وتعددها، وتغنن ملاحظته وثنا كدها، وكثرة السلاك لسبله،
 والملك نخوته، والوزاد لنهيه، والوفاد من قبله، وهو منهب التجار في التوجه
 من أبوابنا الشريفة والجواز. وباب اليمن والحجاز، وفي الحقيقة هذا المجاز يتعين له
 الحفظ وفيه الاحتراز، وبه كرسي منها السيادة تمار وعلى سواها من البلاد تمتاز،
 وبه مرا كزولة ينفرد كل منها عن الآخر ويحاز، وهي: إطفيج، والبهنسي،
 والأشمونين، ومنفلوط، وسيوط، وإنجيم، وقوص. وهذه الأقاليم مجتمعة متفرقة،
 وحدود بعضها ببعض متعلقة، وبها إقطاعات مقدمى الأوف والطبلخانا والممالك
 والحلقه، وإليها تردد الركاضة والمرتفة. وربما أخف المنسدون من بعضها سبله
 وقطع طرقه، فاتهم البري، وسلم الجري، ولبس على من هو عن الحياة عري،
 فرأينا أن ننصب بهذه الأقاليم وإلى ولاية يحوس بنفسه خلالها، ويدوس بجيله
 سهلها وجبالها، ويفجأ مفيدها، ويبعث بعثه بها، ويحمد نفاقها، ويحمد وفاقها،
 وينصف ضعافتها، وينهب خلافتها، ويزيل شكواها، ويكف عدواها، ويصلح

(١) في تصحيف ونعله، ويفجأ مفيدها، ويبعث بعثها.

فسادها ، ويوضح سدادها ، ويوصل حقوقها ، ويستأصل عُقُوقَها ، ويواصل طرقها ، ويقابل بالعقاب فسوقها ، ويمنع باهتامه ، أهوائها ، ويشفي بحد أدوائها .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، الحسامى هو الذى عرف أحوالها وخبرها ، وولى من أقاليمها ما علم به مصالحها وأعتبرها ، وعهدت منه الأمانة والكفاية ، وتحققت نهضته فى كل عمل ويقظته فى كل ولاية - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بهذه الأعمال المذكورة والأقاليم كلها ، وأن ينتضى فيها حسامه الذى ينبغى أن يرتضى وينتضى لمثلها ، وأن يحل محله إذ اخترناه لأعلى رتب الولاية واجلتها ، وأن نصل أسباب النعمة لديه بهذه النعم التى كل ولاية فرع لأصلها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تحض الرتب العلية بأهلها ، وتشمل ذوى الأهتمام بإحسانها وفضلها - أن يفوض إلى المشار إليه ولاية الولاية بالوجه القبلى . فليباشر ذلك بهمة تمضى فى البلاد عزائمها ، ونهضة تسير إلى دانيها وقاصيها صوارمها ، وشهامة يدهش المتمردين قادمها ، ويفقد مواد الفساد من حسامها حاسمها .

ونحن نرسم له بأمور يلازمها ، ونوصيه بوصايا يداومها ، أن يكون بتقوى الله تعالى عاملا ، وللنصح باذلا ، وللشريعة معظما ، وللمراقبة الله تعالى مقدما ، وللحق متبعا ، وإلى الخير مسرعا ، وللمؤمنين مؤمنا ، وللمناقين مؤهنا ، وللرعايا موطنا ، وللزاهة مظهرها ومبطنها ، وعن الأبرياء كافا ، وعن الأتقياء عاقبا ، وعن الأموال منزها ، وإلى ما يصلح الأعمال من صالح الأعمال موجهها . وليغمد فى الأمور متبنا ، ولذوى

(١) فيه شبه استخدام الأول بمعنى الجهات والثانى بمعنى الفعل . فنبه .

الفجور مشتتاً، ولسماع حُجج الخُصوم منصتاً، ولا يجعل لُلوله الأقاليم حِيناً مؤقَّتاً؛
 بل يدخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها، وليبغت بُلُوله هذه النواحي ليعلم ما هم
 عليه من ترك الفواحش أو فعلها؛ وليقيم بكل جهةٍ من يُعلمه بما يحتاج إلى علمه،
 ويكرهه بما يفتقر أهل البلاد إلى الستر عنه وكتمه؛ وليلاحظ المحارس والأدراك،
 وليجعل لكل شاردٍ من بطشه أسرع إدراك - وقد رسمنا لولاية الأعمال المذكورة
 ومن فيها من تواب الأمراء والمشايخ بهذه الصورة وأن لا يُجبروا مفسداً ولا يثووه،
 ولا يُنزِلوا خائناً ولا يحووه، ولا يسترُوا محتفياً ولا يخبوه، ولا يُجلبوا نازحاً ولا يُوطنوه؛
 بل يحضروه ولا يؤخروه، ويمسكوه ولا يتركوه، ويسلموه ولا يحوه؛ ومن خالف
 هذا المرسوم، أو اعتمد غير هذه الرسوم، فهو لنفسه ظلوم، وقد برئت منه الذمة،
 وزالت عنه الحرمه، وزلت قدمه، وذهب ماله ودمه؛ وقُرئت مراسيمنا بذلك
 هنالك على منابر الجوامع، وسمِعها كل سامع، وهم لك على أمثال أوامرنا مساعِدون،
 وعلى اجتناب نواهينا معاضِدون، والإصلاح ما استطاعوا مُريدون وقاصِدون؛
 فلا تمكَّن أحداً من العُربان ولا من الفلاحين أن يركب قرساً، فإنما يُعدها للخيانة
 محتليسا، ولا يكون لها مرتبطاً ولا محتبسا؛ وكُن لهم مُلاقياً مُراقباً، فمن فعل ذلك
 فانتقم منه بما رسمنا معاقباً؛ ولا تمكَّنهم من حمل السلاح ولا آبتباعه، ولا أستعارته
 ولا أستيداعه، وتفقد من الأقاليم من تجاره وصنّاعه؛ نخد بالقيمة ما عند التجار،
 وأقمع بذلك نفس الفجار، وأضرم نار العذاب على من أضرم لعمل ذلك النار؛
 وأمر كل فتين متعاديتين بالمصالحة، وأكف بذلك يد المكافه، وحلف بعضهم
 لبعض بعد تحليف أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنية الصالحة، وخذم في الحنایات
 بالعدل والمشامحه، وفي المطالبات بالرفق إن لم تكن مُسامحه، وأجلهم على حجة
 الحق الأبلج والشريعة الواضحه. وإذا رفعت إليك شكوى فأزلها، أو سُئلت إقالة

عثرة لدى هيئة فأقلها ، أو وجب حد فأقمه لحينه ، أو آرتبت في أمر فتر و حتى تهتدى
 ليقينه ، ولا تعتقل إلا من أجرم جرماً يوجب الاعتقال والحبس ، ولا تسرع
 إلى ما تحشى فيه اللبس ، وأعمل على براءة الذمة ، وأجهد أن لا يكون أمرك عليك
 عمه ، ولا ترجح للهوى على خصم خصمه ، ولا تظلمه فإن الظلم ظلماته ، وخف نعمة
 الله فهي أعظم نعمة ، ولا تأخذك على البرى غلظة ولا قسوة كما لا ينبغي أن تأخذك
 في الجرى رافة ولا رحمة ، والله تعالى يرفع لك بالطاعة رتباً ، ويُنحج لك بالخدمة
 طلباً ، ويبلغ بك في الإصلاح أرباباً ، ويرد بك أمر كل مفسد مخيباً ، ويوضح لك
 من الهداية مغيباً ، وينزل بك من الخيرات صيباً ، والخط الشريف أعلاه ، حجة
 بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالوجه القبلى أيضا ، من إنشاء الشريف
 شهاب الدين ، كُتِبَ به «لعلاء الدين المرادى» وهى :

الحمد لله الذى جعل إقبالنا مسير الوجوه ، ونوالنا مبلغاً كلاً من الأولياء ما يؤمته
 من القرب من أبوابنا الشريفة ويرجوه ، وإفضالنا يوفّر أقسام النعم لمن وفر دواعيه
 على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يُعينه ويدعوه ، وإجمالنا يُجزّز وعود التقديم لمن تعددت
 خدمته فلا يتجاوزهُ التكريم ولا يعدوه .

نحمده على أن جعل إنعامنا يهب الجزيل ويحبوه ، ونشكره على أن أقامنا بحق
 الحق فزفعه فیدمغ الباطل ويعلوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى خير ما ينطق به الإنسان
 ويفوه ، لا يبرح اللسان يكرّر إخلاصها ويتلوه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

الذى رفع الله ببعثته عن هذه الأمة كل مكروه، وحمى بشرعته الدين الخفيف فلا يلزم به التبديل ولا يعرّوه، وأفاض بركاته فى كل وجه ما يوسع الخير ويُدزّه ويمنع الشر ويُدروء، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عترته وأقربوه، وصحبه الذين آستمعوا قوله وأتبعوه، صلاة لا يزال وافدها يتبع سبيل الإجابة ويقفوه، ويصل إلى محل القبول ولا يخفوه، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن الله تعالى لما قرن آراءنا بالسداد، وأحسن بنا النظر فى صلاح البلاد ومصالح العباد، لم نزل نرفع أقدار المخالسين بمزية الاختيار والارتداد، ونجمعهم فى صعيد الإحسان ونحلهم رتب الإضعاد، ونُدنى منهم من له تام اهتمام وشاد اجتهاد، ونميز منهم من حسن حالا بالجمع والإفراد .

والولاية على الولاية بالوجه القبلى من أهم ما يلمح، وأعم ما يختار له من للخلق ينصر وللخلق ينصح، إذ بهذا الوجه عُيون البلدان، ووجوه العربان، وكراسى الأقاليم الحسان، ومراكز الولايات التى تُحِلُّ دائرة السوء بأهل العُدوان، وإقطاعات الجند والأمراء، وانخوأس الشريفة التى على عمارتها إجماع الآراء، وعليه تردد التجار، وإليه بالميزة يُنمار، ومنه تتعدّد المنافع فيتعين أن تدفع عنه المضار، وتلقى أموره لمن ينتقى حزمه وعزمه ويختار .

ولما كان فلان هو الذى له ولايات اقتضت تقديمه، وسبقت منه سوابق خدم أجزلت تكريمه، وما زال فى الشام على الهمة حسن الشيمه، وطهر البر من كل فاجر، ورأى أن التقوى أربح المتاجر، وأعدب للرعية من المعدلة الموارد فصدر من أبوابنا إلى أحمد المصادر - آقتضى حسنُ الرأى الشريف أن نجعل له من إقبالنا النصيب الوافر . فذلك رمم بالأمر الشريف - لا يرح يزيد الأقدار علاء ويظهرها

من تكريمه في أحسن المظاهر - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القبلي -
وجميع نواحيه ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت .

فلتلق هذه الولاية المباركة بقبول حسن ، وليوقظ جنن سيفه الذي لم يعرف
الوسن ، وليثق الله ربه في السر والعلن ، وليحكم بما شرع الله وسن ، وليجتهد
في إحماد العواقب وإحماد الفتن ، ليسكن من تردد إليها أو سكن . وليلاحظ هذه
الأقاليم بعزائم السيّارة ، وليحافظ على سلوك سيرته السارة ، وليستطلع من كل بلد
أخباره ، ويتبع من كل وإل آثاره ، وإن رأى منكراً أزاله ، أو وجد مبطلاً أذاله
أو حقاً أذاله ، وليعظم أحكام الشرع وحكامه ، وليجعل إمامه ليسعى نوره أمامه ،
وليطالعنا بما نتعين فيه المطالعة ، ويراجع أوامرنا فيما تجب فيه المراجعة ،
وليستجلب لأيماننا الأدعية النافعة ، وليباشر بنفسه الأمور التي هي له راجعة ، وليراجع
في القضايا المصلحة الجامعة ، ولتكن حمايته للمؤمنين واقية وفكته بالمجرمين واقية ،
وليوسع الرعايا بالمعدلة الواسعة ، ويمنع المجترئين بالأخذة الراسية والهيبة الرادعة ،
ولا يمتكن أحداً من العربان بجميع الوجه القبلي أن يركب فرساً ولا يقتنيه ، ويكف
بذلك الأيدي المعتدية فإن المصلحة لمنهم من ركوبها مقتضية ، وليقم الحرمة
والمهابة ، وليدوم قيامه في الخدمة وانتصابه ، وليرهف حدّ عزمه ويمضيه ، ويجرد
سيف الانتقام على المفسدين وينتضيه ، ومن وجد من العربان خالف المرسوم
الشريف من منعه من ركوب الخيل كائناً من كان ضرب عنقه ، وأرهقه من
البطش بما أرهقه : ليرتدع به أمثاله ، ولا يتسع لأحد في الشرّ مجالاً .

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته ، وأمرناهم بمعاونته ومعاوضته ،
وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور ، من غير تهاون ولا تقصير

ولا فتوزب؛ حتى لا تفوت مصلحة عن وقتها، ولا تزال جموع المعتدين معاجلة بكتبها؛ وقد حذرنا العريان من مخالفة مارسمنا بالتعرض لما يوجب هلاك نفوسهم، وقطع رؤوسهم .

وليقرأ هذا المرسوم الشريف على المنابر بجميع نواحي الوجه القبلى لتمثل مراسمه، ويتلقى بالقبول قادمه؛ وليقفوا عنده، وليقفوا رُشده، ويرهبوا من الشر وعيده ويستنجزوا من الخير وعده؛ وهو - بحمد الله - ما برح مهذباً، وبإكمال الآداب مؤدباً، وبما يفعله إلى رضا الله تعالى ورضانا مقرباً؛ والله تعالى يجعله مختاراً مجتنباً، ويوزعه شكر منحنى الذى أجزل له الجبا؛ وخص به هذا العمل الجليل فضعف خصبه وأهتر ورَباً، ويطلع به مباركاً ميموناً حيث حلَّ قيل له: مرحباً، ويصعد به هذه الرتبة ويهبه توفيقاً مستصحباً، ويمهد به الطرق للسالكين حتى يتلوه عليه لسان التامين: (فَيَمُمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا)؛ والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد شريف بنيابته أيضاً، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله، وهى:

الحمد لله مطلق التصرف فيما كان ممنوعاً، ومنطق المتصرف ليكون قوله الصواب مسموعاً، وموسع نطاق المصرف فى جميع ما تعين أن يكون له مجموعاً .

نحمده حمداً يعذب ينبوعاً، وينبت بمزيد الشكر زروعاً، ويدثر ضروعاً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفتزع فروعاً، وتسكن جموعاً وتسكت جموعاً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أقوى لأهل الطغيان ربوعاً، وأجرى

لعيون الزرد عليهم دموعاً ، وأغرى القسي بالحنين إليهم ورُوعاً ، وأسقط على
لباتهم طيور السهام وقوعاً ، ومهد البلاد بقتلهم فأمن من خاف وأطعم من تشكى
جوعاً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تم درع الفجر بشفقها المخلق صدوعاً ،
وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور ، ويُستدام صلاح الجمهور ، إلا بتفقد أحوال
وآلاتهم ، وتعهد سلوك الرعايا مع رعاتهم ، ورد مجموع كل عمل إلى من لا يبيت طرفه
في مصالحهم مملوءاً من الوسن ، ولا يقتر له في التنقل في مهماتهم جواد في رسن ،
ولا تهدأ سيوفه في الأعماد ما برقت بارقة فتن ، ولا يشرب الماء إلا ممزوجاً بدم
ولا يبيت [إلا] على دمن ، وكانت الديار المصرية المحروسة أحوج شيء إلى هذا
الموصوف ، وأكثر اضطراباً إلى ما تُسام له في صلاح رعاياها لوامع سيوف ، والوجه
القبلي بها هو الجامع ما يزيد على السبعة الأقاليم ، الحائر من أهل الحضرة والبادية
لكل ظاعن ومقيم ، قد امتد حتى كاد لا ينتهي إلى آخر ، ولا ينتهي بما يكتفه من بر
مقفر وبحر زانح ، قد جاور بالأودية العميقة الحوت في الماء وجاوره في السماء برفعة
الجبال ، وتطاول حتى اتصل طرفاه الجنوبي بالجنوب والشمال بالشمال ، وحوت
بحارها من النيل المبارك [ما] مد الرزق المتمد ، وأمد المد المبيض على عبيرة تراها
المسود ، وهو الوجه الذي تُعرف في كوثر نيله نضرة النعيم ، ويهر حسنا من أول
قطرة تقع من مرآه الجميل على وسيم ، قد حال فيه الماء مجراً كأنما يشرب ندى ورد
الحدود ، وحلا كأنما ضرب الضرب في لى ريقه المورود ، وكان لا ينهض بأعبائه ،
ويرد بالغيظ متقرحة عيون رقبائه ، ويمنع كل منسر منسر يُحذر أن ينتهب وذيل^(١)
خبائه ، إلا من تقدمت له درب يتعلم في جليل الخطوب من مضائها السيف

(١) في الأصل « أن ينه وذييل » .

المُدْرَب، وَيَقْتَدِي فِي دَفِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَامُ الْمُجْرَبُ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَهَادَى كَفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ، وَيَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسُّحْبُ. فَلَا يُدْرَى لِمَنْ مِنْهُمَا التَّرْوِي وَلِمَنْ الْأَرْتِجَالُ، وَقَدْ وَلِيَ الْأَعْمَالَ الْبَهْنَسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أَبْهَجُ صُورِهِ، وَأَبْهَى فِيمَا تَكَثَّرَ مِنْهَا الْمَشْهُورَةُ، فَاضْحَى الْمَغْلُ فِي بِيَادِرِهِ يَتَبَادَرُ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَاثَرُ إِقْبَالُهُ وَالْمَحَلُّ يَتَنَازَرُ، وَمُزْدَرَعَاتُهَا تُعْرَفُ سِيْمَاهَا فِي وَجُوهِهَا مِنْ أَثْرِ سُجُودِ اللَّيْلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَاهُ فَاسْتَأْزَرَ، فَاقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفِ أَنْ نُطَلِّقَ تَصْرُفَهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَنْ نَشْغَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشَّمَالِ .

نُخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفُ الْعَالِي - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ ظُهُورًا، وَيُتِمُّ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِي الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمُزْدَرَعُهُ، وَبَرَّهُ وَبَحْرَهُ، وَعَامِرِيهِ وَقَفْرَهُ، وَأَهْلِي حَضْرِهِ وَبَادِيَتِهِ، وَأَصْحَابَ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ، لِيَأْمَنَ الْمَقِيمُ وَالسَّالِكُ، وَيَجْمَعَ عَلَى الطَّاعَةِ مَنْ قَبْلَهُ هُنَاكَ، وَيُنْتَظَمَ عِقْدُ عَقَائِدِهِمُ الْمُتَهَالِكِ، وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرَهُ، وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ، وَالْحُكَّامُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلِيَحْفَظَ زِمَامَهُمَا، وَلِيَنْفِذَ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِهَامَهُمَا، وَلِيُوصِلَ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا، وَيَسَهِّلَ الْمَطْلَبَ عَلَى طُلَّابِهَا، وَلِيُنْصِفَ لِانْصَافًا لَا يُسْتَكْبَى مَعَهُ حَيْفٌ، وَلِيُقِيمَ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعْدَى طَارِقُ طَيْفٍ، وَلِيَجْرُدَ عِزَّتَهُ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَائِمِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ، وَلِيُحْسِنَ قِرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا نَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْبِثَةِ صُفُوفِ الْجُسُورِ لِأَمْدَادِهِ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِمَجْرَى عَوَالِي صَوَارِيهِ وَتَجْرِي جِيَادِهِ، وَتَفَقُّدِ قَبْلِ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ، وَاتْرُكِ عَنِ رَى الْبِلَادِ تَعْوِيقَهُ، وَأَقِيمِ الْجُسُورَ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ، وَأَحْفِرِ التَّرَاعَ^(١) فَإِنَّهَا تُرَاعَى، وَأُسْفِرْ لَهُ

(١) لم نثر على هذا الجمع في كتب اللغة وإنما التبعة كقرفة إفرادا وجمعا .

عن عرائس قرأها المجلوة وجوها كلها قسن له إصبعا يقيس ذراعا، وأقطع بإيصال
 حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخصوم، ونبتهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم
 شرب يوم معلوم، ولا تدع [به أحدا] من أهل المفاسد، ومن جرت لهم بسوايق الفتن
 عوائد، ومن يتعزز برّب جاه، ومن لا يكون له إلى حياية آتجاه، ومن خرج بوجهه
 للشرمصرحا، أو لباب عقاب مستفتحا، أو وقف على درب أو قطع طريق،
 أو توعد أهل رفاق أو أهل فريق، أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال،
 أو خشيت له عاقبة في بداية أو مال، أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه، أو ترامى
 إلى عصابة يحل منهم حد سلاحه، فسئل عليهم سيفك الماضي، وأحسن إلى الناس
 إذا خشيت أن تسيء إليهم التقاضى، ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم .
 وأقم الحدود على متعتهم، وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم، وعلق منهم
 أناسا بجبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم، وأصلب منهم على الجدوع من تناوح الرياح
 بسعفهم، وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقضى جرائمهم إيصالهم في المقابلة
 إلى حد تلفهم . وأكرم قديم من يرد عليك من الكارم، وقرر بحسن تلقيك أنك
 أول ما قدمناه لهم من المكارم، فهم سمار كل نادى، ورفاق كل ملاح وحادى،
 ولا بد أن يتحدث السمار، وتتداول بينهم الأسمار، فاجعل شركنا دأب السنتهم،
 ومنننا حلية أعناقهم، ومنننا سببا لاستجلاب رفاقهم، فهم من مواد الإرفاق،
 وجواد ما يحمل من طرف الآفاق، وقد بقي من بقايا أهل العفائد الفاسده، والمعاهد
 البائده، من يتعين إقعاد قائمهم، والتيقظ لمتيقظهم والنوم عن نائمهم . ونحن نذبهك
 على هذه الدقائق، ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حقت الحقائق، وطالع
 أبوابنا العالية بما أشكل عليك، لتتزل أنوار هدايتنا أقرب من رجع نفسك إليك،

واقْدُرْ حَقَّ هذه النِّعْمَةِ فَإِنَّا أُوْلِيْنَاكَ مِنْهَا مَا لَا يُضَاهِي، وُوْلِيْنَاكَ مِنْ بِلَادِنَا قِبْلَةَ
تَرْضَاهَا، وَتُوْلِيْنَاكَ حَيْثُ وَجْهَتَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَنُوْعَتَ لَكَ أَرْوَاحُ
الْمِحْجَازِ وَأَنْتَ فِي مِصْرٍ وَرِيفِهَا الْعَاقِمُ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَدِيْمُ مِنْكَ سَيْفًا يَرُوْعُ مَهْرَهُ، وَيُوَيْدُ
بِكَ الدِّينَ فَإِنَّهُ بِكَ يَقُوْمُ جَاهُهُ وَيُدُوْمُ عِزُّهُ، وَالْأَعْتَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ.
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الوجه الثانى

(من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى)

وكانوا فى الزمن القديم يخصونه بِاسْمِ الرَّيْفِ ، مثل اختصاص الوجه القبلى بالصعيد .
(١)
وأرباب الولايات فيه على ضربين :

الضرب الأول

(أرباب السيف)

وتختص الكتابة منهم الآن عن الأبواب السلطانية بنائب السلطنة بالوجه
البحرى ، ومقره مدينة دمنهور من البحيرة . وكان فى الزمن المتقدم يكتفى فى البحيرة
بوالىها ، وكذلك فى كل من سائر الأعمال بالوجه البحرى ، وفوق الكل ولاية عامة ،
يعبر عن صاحبها بوالى الولاية ، وربما [زيد] بالوجه البحرى ، وربما عبر عنه
بالكاشف . ثم استقرت نيابة فى رتبة مقدمة العسكر بغزة فى أيام الظاهر برقوق ،
على ما تقدم ذكره فى المسالك والممالك فى المقالة الثانية .

وهذه نسخة تقليد تصلح لنائب الوجه البحرى ، مما كان كتب به المقر الشهابى
ابن فضل الله لوالى الولاية بها ، وهى :

(١) لم يذكر الثانى . فتنه .

الحمد لله الذي أقام بنا كاشفاً لكل شكوى ، كاسفاً بال كل عدوى ، عارفاً بنهاية كل دعوى ، عاطفاً بعدلنا إلى إزاحة كل لأوى ، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نأمن بها الدانية والقصوى ، ونؤمن بها على السر والنجوى ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من مهد له جنة المأوى ، وأشرف به على شرف المثنوى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فطم بشريعته نفوسهم عما تهوى ، وفطر فطنهم عليها حتى لا تضل ولا تغوى ، صلاة تروى بفائضها السحب ما تروى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من سجايا أيماننا أن نكشف كل كرب ، ونحسن إلى رعايا بلادنا إحساناً يتوع في كل ضرب ، ونديم الأمن حتى لا ندع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب ، ونجرد من المهابة سيفاً يخشى من قربه ، وطيفاً يبيت به طير الكرام مملئاً على جنبه ، وخوفاً لبابه من الخصائص المحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعبه ، وكانت الديار المصرية المحروسة هي التي لا يحمدها سواها ذو وجهين ، ولا يوجد لها في جانبها مماثل في شيئين ، والوجه البحري أوسعهما عرضاً ، وأقربهما من الرى أرضاً ، وأصدقهما للبارق المحمر ومضا ، وأجمعهما للذهب مذهب وللفضة إفضاً ، وأثبتهما وطاة لجرى النيل إذا أقبل في تياره يتدافع وأشتدت خيله ركضاً ، وهو الوجه المتهلل بشراً ، المتضوع بطيب رياحه نشراً ، المترين بمدائه أكثر مما زينه في مقاصيره قيصر وفي مدائه كسرى ، المثنى بعروس كل قرية زف بها النيل في مسرى ، وبه الثغور التي لا تُشام لها بروق ، والمحارس التي ما لعادية إليها طروق ، وله من البحرين حازان ، ومن الحانين برّ مقفرو ريف مقمر متبارزان ، وفيه من الشعوب والقبائل في الحضر والبادية من

(١) لا يُؤمّن منه بآثره، ولا يُحمّد بغير ما يُراق من دمٍ مُفسدٍ بهم نائره . وكان لا يقوم بها كلّ القيام، ويجمع فرائدها المشدّرة في أكل نظام؛ إلا من تقلّبت الأمور بقلبه كلّ التقلب، وجرّدت الثوب عزّمه في النوايب بجرّدت سيفاً يُحمّد في التجريب؛ ولم يزل مندّب الحلم أميراً مطاعاً، ومنسذوباً لا يفرّق في المهمّات إذا طارت نفوس الأنظار شعاعاً، وأوقدت الأسنّة سواعاً، وهماماً لو أومض البرق ساعة يؤسسه لارتعدت فرائضه زمعاً لا إزماعاً، أو قابله الرّيح المعتدل عند أحكامه لأطبقت الأئم على أنه لا يُمائله في العدل قطعاً وأجمعت على تفرّده إجماعاً .

وكان فلان هو العليّ همّما، الجزل مداومة الجزيل ديمّما، الملى بما لا يقدر على مثل دفعه البحر متدفّقا وهمى الغمام منسجماً؛ وقد حمّدنا له في كلّ ما باشره أثراً، وأنحمّدنا بجميل ملاحظته كلّ برّ ضراب؛ فباشر الوجه القبلى فلا عين الناظر المتوسّم، وعم سروره حتى غامرته جاره الوجه البحرى بينانه المنخضب وضاحكه بشغره المتبسّم؛ فلما تنقل فيهما استقرار (؟) الوجهين وما وآلهما، وعُرف في وجهه نظرة النعيم بما أولاهما، وأخصب جانباهما، وجدّ بهذا كله ثم جدّ بهذا فطاب الواديان كلاهما؛ فآقتضى حسن الرأى الشريف أن لا يخلو الوجهان معاً من نظره الجلى الجميل، وأن يخلو عليه محاسنهما الكاملة ليُفارق على وجه جميل ويواصل على وجه جميل .

نخرج الأمر الشريف - لازل يختارُ علياً، ويختال كل غمام يرتضى له ولياً - أن يكون وإلى الولاية بالوجه البحرى جميعه، متفرّدا بأفراده ومجموعه، ومحكماً في قبائله وجمّوعه؛ وبعيده وقريبه، وبدعيه وغريبه؛ وكل ما هو داخل فيه، عائد إلى أعماله وراجع إلى متوليه، على عادة من تقدم وقاعدته فيما يليه؛ وهى ما يدكر من الأعمال:

(١) لم يتقدم ما يعود إليه الضمير وان كان الغرض واضحاً .

(٢) خوفاً ودهشاً .

الغريبة ، الشرقية ، البحيرة ، المنوفية ، ابيار ، اشمون ، قلوب . ولا أمر
 ولا نهى إلا إليه راجع ، وله في متجددات الأمور مراجع ، ولا أرباب تصريف
 إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جد ولا حد إلا فيه يمضي ويتوقف ، وتقوى
 الله تعالى أول ما نوصيه بسببها ، ونوصله إلى رتبها ، وإقامة الشرع الشريف وإدامة
 مبارزه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكامه وأعوانه وأنصاره ، والوقوف معه
 في إرادته وإصداره ، وإعلانه وإسراره ، والعمل به فإنه ما يضل من مشى في ضوء
 نهاره ، وعمارة البلاد ، بادامة العدل وتكميل الرى وتوطين السكان وقمع الفساد ،
 وأعماد حكم التذاكر الشريفة لأمر الجراريف التي تعمل ، والترع التي تراعى والجسور
 التي لا يقدم جسور على أنها تهمل ، فهما قانون الرى الكامل ، والضامن لحصب البر
 السابل ، وإذا أجرى الله النيل على عاداته الجميلة لا يدع للحل عيناً حتى يوارى
 بالرى سوءته ، وينحفض بتيسر وصول حق كل مكان إليه وطأته ، ولا يدع عالياً
 إلا مستفلاً ، ولا معطلاً إلا معتملاً ، ولا طوق بحر إلا تمتد يد النيل إلى زر جيوبه ،
 ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرعائه وكثيبه ، حتى يعم الجميع ،
 ويعمر ربوعها بما ينسجه لها من ملابس حلل الربيع . وعليه بالإنصاف بين
 المساكين ، والإنصاف إلى الباكين منهم والمتباكين ، ووضع أمورهم على الحق
 الذى نشر الله فى أيامنا الزاهرة علمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من
 أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل الفساد والأشبهاء ، ومن يحمى
 بصاحب شوكة أو يتسك برب جاه ، أو ينزل بلد أمير كبير مستظلاً بذراه ، أو ملتجئاً
 من خوف أو مستطعماً من قري قرآه ، بجميع هؤلاء أتبع فرقتهم ورفاقهم ، وطهر
 الأرض منهم وأمسح بالسيوف أعناقهم ، وأسجم فى قنلاهم ، وأثقل بالقيود أسراهم ،

(١) فى الأصل شريب . (٢) لعله واثنى .

وشدّد وثاقهم وكذلك من تخامهم ووالاهم ، أو استحسن أو من عليهم أو مانع عنهم ، أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكلُّ أجريم في الحكم مجراهم ، وأطل تحت أطباق الثرى ثواهم ، ونبه منهم أناسا على رءوس الجدوع وأنم آخرين نومة لا ينتبهون بها من كراهم ، حتى يتأدب بهم كلُّ من أعرض ، ويتداوى بمداواته كلُّ من في قلبه مَرَض . وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحا ، وحقا لائحا ، والله تعالى يجعلك من المهتدين لأرضه ، القائمين في أنواع الجهاد بفرضه ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الجهة الثالثة

(درب الحجاز الشريف)

وقد تقدّم أنه كان في الزمن المتقدم يُكتب عن السلطان تقليدًا لأمير الركب في الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد ترك ذلك ورُفِض كما رُفِض غيره من الكتابة لأرباب السُيوف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يُكتب له من ديوان الإنشاء شيء سوى قاضي الركب . وقد جرت العادة أن يُكتب له توقيع في قطع العادة مفتتحًا بـ «رِسْم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كُتِب به للشيخ « تقي الدين السبكي » رحمه الله في مبدأ أمره ، وهي :

رِسْم بالأمر الشريف - لا زال يُعِينُ على البرِّ والتقوى ، ويرتاد لو قد الله من يمسك في نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى - أن يستقر فلان في كذا : لما اختص به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المتنوعة إلى قوته

في الحق وتصميمه ؛ فإن مثله من يُختار لهذه الوظيفة الجارية بين وفيد الله الذين هم أحق براءة الذم ، وأولى بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجب على المتلبس بالإحرام والداخل إلى الحرم ، وأحوج إلى الأطلاع على جزاء الصيد فيما جزاء المتعرض إليه مثل ماقتل من النعم ؛ إلى غير ذلك من ثبوت الأهلّة التي ترتب أحكام الحجّ عليها ، والحكم في محظورات الإحرام وما يجب على المتعرض إليها ؛ فليباشر هذه الوظيفة في الوقت المشار إليه على عادة من تقدمه فيها ، مجتهداً في قواعدها التي هو أولى من نهض بها وأحق من يوفّيها .

قلت : أما شهود السبيل المعبر عنهم بشهود المحمل ، فإنما تكتب لهم مربعات شريفة من ديوان الوزارة .

تم الجزء الحادى عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

وأزله القسم الثانى

(مما يُكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أرباب

الوظائف بالممالك الشامية)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

محى الدين — لازالت أوامره الشريفة تشتمل من البلاء، من شهر بفضل الخطاب، وإذا ماتت الفضائل بجيبها، وغيت جوده الهامى يفيض فيض السحاب، فَيُبادِرُ العَفَاةَ وَيُجَيِّبُهَا، وَعِائِنُهُ تَمُّ ذَوِي الأَبَابِ، فَتَمَهَّدَ رَبُّ العِزِّ وَتَهَيَّأَ بِهَا .

موفق الدين — لازالت صدقاته الشريفة تُطْلِعُ كُلَّ هلالٍ من آهتدى به كان موفقًا، وَتَمَلَّكَ البِرَاعَ من بَرْزَى بَابِ هلالٍ أُنَى كَتَبَ: رِقَاعًا وَمُحَقَّقًا، وَتَفِيضَ لِرَاجِبِهَا أَفْضَلَ نَوَالٍ مَن شَبَّهَ بِالنَّبِيِّ كَانَ مُحَقَّقًا .

ناصر الدين — لا زال يُقَرَّبُ من أَعْخَى لِأَهْلِ الصِّكَّامِ، بِمُحَقِّقَاتِ الأَقْلَامِ، ناصِرًا، وَيَهَبُ طَوِيلَ الإِنْعَامِ، لِمَن بَاعَهُ مَدِيدٌ في النَّوْرِ وَالنِّظَامِ، فَمَا بَرِحَ فَضْلُهُ وَإِفْرَاءً، وَيُنْتَجِبُ مَن غَدَا شَرِيعًا لِعَادَاتِ الكَرَامِ، مُضَارِعًا لِصِفَاتِ الكُتَّابِ الأَعْلَامِ، وَأَصْبَحَ في البَيَانِ نَادِرًا .

نجسم الدين — لازالت أوامره الشريفة تُطْلِعُ في أُنُقِ السَّعَادَةِ، من ذَوِي السِّيَادَةِ، نَجْمًا، وَتَمُّ بِجَزِيلِ الإِفَادَةِ، مَن عُرِفَ بِالفِضْلِ وَبِالإِجَادَةِ، وَفَاقَ أَقْرَانَهُ تَمَرًا وَنَظْمًا، وَتَسْمُحُ من عَنَائِنِهَا بِالإِرَادَةِ، لِمَن هُوَ أَهْلُ الحَسَنِ وَزِيَادَةِ، فَتُجَزَّلُ لَهُ من كَرَمِهَا قِنِيًا .

نُورُ الدين — لازالت صدقاته الشريفة تَمُّ بِالنَّوَالِ، مَن هُوَ في البَرَاةِ مَتَّبِعُ الحِجَالِ، فَيَزِيدُ الكَلَامَ نُورًا، وَحَسَنَاتِهِ تَشْتَمِلُ ذَوِي الأَمَالِ، بِمَا يُجْتَدُّ في البَدءِ وَالنِّتَالِ، فَتَمَلُّدُ القُلُوبِ سُرُورًا، وَبِرَأَتِهِ يَصِلُ أُولَى الكَمَالِ، وَتُنْتَجِبُ أُخْيَارَ العُمَمَالِ، فَلا يَبْرَحُ أَتَقَدَّ المُلُوكُ أُمُورًا .

(١) في الاصل «الزحام» وظهر أنه تحريف .